مَوسُوعَة النَّبَرِ وَالتَّنغِيمِ

في الأداءِ القرآنيّ للأساليبِ اللغويّة

تَنغِيم

تأليف

أ.د. عبدالله بن محمد المفلح

قِراءة وتقويم

أ.د. غانم قدّوريّ الحمد

أ.د. عبدالرّحمن بن مُعاضة الشّهريّ

أ.د. يُوسُف بن عبدالله العليوي

أ.د. عبدالله بن محمّد الأنصاريّ

د. محمّد بن عادل السّيّد

١

موسوعة النبر والتنغيم

في الأداء القرآني للأساليب اللغوية

تنغيم

تأليف

أ.د. عبدالله بن محمد المفلح

قراءة وتقويم

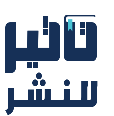
أ.د. غانم قدوري الحمد
أ.د. عبدالرحمن بن معاضة الشهري
أ.د. يوسف بن عبدالله العليوي
أ.د. عبدالله بن محمد الأنصاري
د. محمد بن عادل السيد

الجزء الأول - الدراسة النظرية

رقم الإيداع: ٦٣٢٧/ ١٤٤٤
تاريخ: ٢٦/ ٠٦/ ١٤٤٤

ردمك: ٣-٤٨٧٥-٠٤-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٤٨٧٦-٠٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

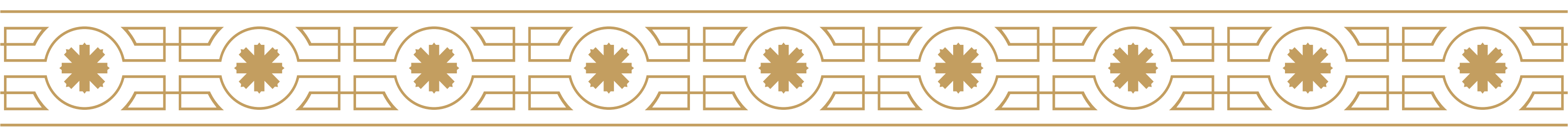
الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م
النسخة الإلكترونية (موافقة للمطبوع)



المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق أبي بكر الصديق
هاتف: ٠١١٢٧٦٧٤٨٨ contact@tatheer-ksa.com
www.tangheemalquran.com



www.tangheemalquran.com



بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الجزء الأول

الدراسة النظرية لموسوعة النبر والتنغيم

في الأداء القرآني للأساليب اللغوية

الدراسة النظرية

التمهيد
أداء القرآن الكريم



الفصل الأول
مفهوم النبر والتنغيم ومكانتهما

الفصل الثاني
أنواع النبر والتنغيم ووظائفهما





تعريف

تساعد هذه الموسوعة قارئ القرآن الكريم لتكون قراءته عاملاً مؤثراً في إظهار أكبر قدر ممكن من معنى الآيات للمستمع، وذلك بتحديد مفاصل الجملة في القرآن الكريم، وإعطاء تلك المفاصل ما تستحقه من النبر والتنغيم ووقف التنغيم، منطلقة من علوم النحو، والبلاغة، والتجويد، وما فيها من قواعد ومبادئ لتحديد المعنى. وقد دُرست مفاصل الجملة في واحد وثلاثين أسلوبـًا لغويـًا؛ أهمها: الاستفهام، والإتمام، والشرط، والقسم.

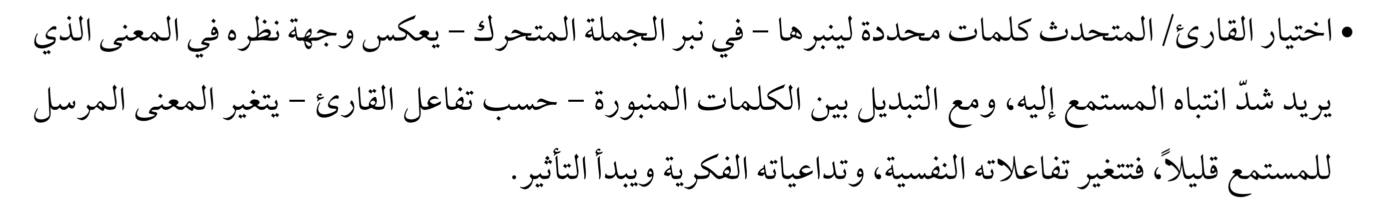
وتسعى الموسوعة إلى تأصيل العلاقة بين المعنى والأداء القرآني بتوظيف القراءة النبرية في أداء الأساليب اللغوية. ونبر الجملة - المعتمد في هذه الموسوعة - هو تمييز كلمة من كلمات الجملة بضغطة تُخصصها، لتكون أبرز من غيرها من كلمات الجملة، فتزيد وضوحـًا في السمع. وفائدته التنبيه على مفاصل الجملة، وتأكيد معناها ليصل المعنى واضحـًا ومؤكداً. أما التنغيم فهو نغمات منتظمة ومتتابعة في أداء الكلام (الجملة والجمل)، تصاحب التراكيب، وتحدد معنى الكلام، وتميز أساليبه عن بعضها. وأما وقف التنغيم فهو وقف لطيف - بتنفس قصير جدّاً - يمكّنُ القارئ من القراءة التدبرية، ويساعدُ المستمع على فهم الجملة، وتدبرها، والارتواء من معناها فكريّـًا وعاطفيّـًا؛ لأنه يُظهر أكبر قدر ممكن من معنى الآية، ويعطي فرصة للمستمع للتعمق فيها.

مقولات في النبر والتنغيم

- إذا كانت علامات الترقيم تحدّد المعنى في الكلام المكتوب فإن نبر الأداء وتنغيمه يحدد المعنى في الكلام الشفوي.
- إن فهمَ لغةِ المشافهة أمر تحكمه المشافهة نفسها، ولا تقوم المشافهة إلا بالتنغيم.
- إذا كان علم الوقف والابتداء يحدد مواضع الوقف وحكمه بالإجابة على سؤال: أين يكون الوقف؟ وما حكمه؟ فإن الموسوعة تجيب على سؤال: كيف يُوقف؟ هل بنغمة صاعدة أو مستوية أو هابطة، ولماذا؟

عبدالله المفلح





• اختيار القارئ/ المتحدث كلمات محددة لينبرها - في نبر الجملة المتحرك - يعكس وجهة نظره في المعنى الذي يريد شدّ انتباه المستمع إليه، ومع التبديل بين الكلمات المنبورة - حسب تفاعل القارئ - يتغير المعنى المرسل للمستمع قليلاً، فتتغير تفاعلاته النفسية، وتداعياته الفكرية ويبدأ التأثير.

عبدالله المفلح

• ينتقل معنى الأسلوب اللغوي بنواقل متعددة، منها: التنغيم، وتُوحي الكلمة المنبورة (نبر جملة) في بعض المواضع بمعنيين اثنين؛ مثبتٍ ومنفيٍّ في وقت واحد عند النطق بها، يُثبت أحدهما معنى، وينفي الآخر عكس ذلك المعنى في الجملة نفسها.

عبدالله المفلح

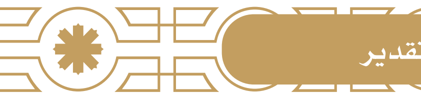
• التنغيم جزء من البلاغة في الكلام الشفوي؛ لأنه جزء مهم من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولا يمكن أن يوصف الكلام الشفوي بالبلاغة وأداؤه التنغيمي مختلف عن مقتضى حال المتلقي.

عبدالله المفلح

• تحافظ نغمة الانتظار - صاعدة أو مستوية - على تركيز المستمع عند قراءة الجملة ذات الركنين المتباعدين، وتجعله حاضر الذهن مشدوداً مع القارئ لإكمال المعنى، وقد تغني في بعض المواضع عن إعادة قراءة كلام سابق لإظهار كامل المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك.

عبدالله المفلح





شكر وتقدير



أتقدم بالشكر والتقدير والدعاء الخالص بالقبول لمن شارك في هذه الموسوعة بالدعم والمساندة معنويًا وماديًا، أو بالقراءة، والنقد، والتقويم، والتطوير، والمراجعة، والتدقيق، فجزاهم الله خير الجزاء على جهودهم، وتقبل الله منهم هذا العمل قبولاً حسنًا.

القراءة والتقويم

أ.د. غانم قدوري الحمد، أستاذ الصوتيات القرآنية وعلم التجويد في جامعة بغداد.

أ.د. عبدالرحمن بن معاضة الشهري، أستاذ الدراسات القرآنية في جامعة الملك سعود بالرياض.

أ.د. يوسف بن عبدالله العليوي، أستاذ البلاغة القرآنية في جامعة الإمام بالرياض.

أ.د. عبدالله بن محمد الأنصاري، أستاذ علم الصوتيات في جامعة الإمام بالرياض.

د. محمد بن عادل السيد، متخصص في البلاغة العربية.

المراجعة والتدقيق

أ. د. أيمن السيد بيومي الجندي، أستاذ النحو في جامعة الإمام بالرياض.

د. عبدالخالق بن محمد التلب، أستاذ البلاغة في جامعة الإمام بالرياض.

د. مريم بنت عبدالله المطرفي، أستاذ النحو المساعد في الجامعة الإلكترونية.

د. قويت بنت فهد الشلهوب، دكتوراه في البلاغة.

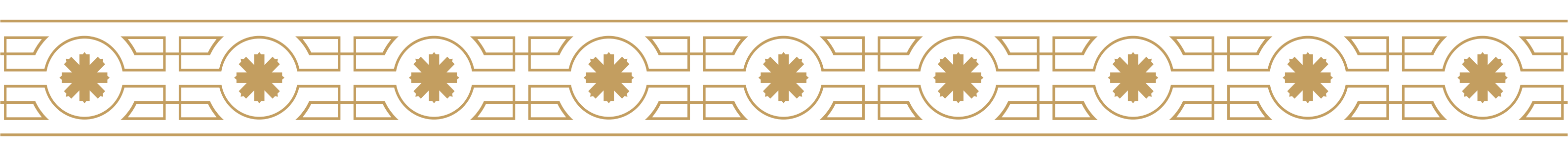
أ. منيرة بنت فهد السيف، ماجستير في البلاغة القرآنية.

أ. بدور بنت جلال البقمي، ماجستير في النحو والصرف.

أ. حنان بنت محمد الحمادي، دبلوم عالٍ في تعليم القرآن الكريم.

إدارة فرق العمل والموقع الإلكتروني والتطبيقات

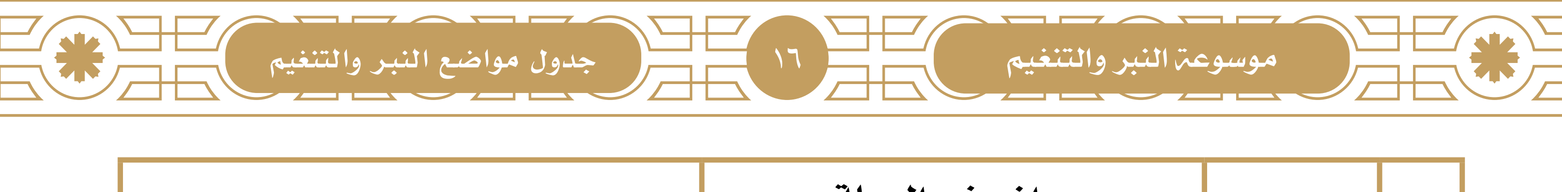
أ. إبراهيم بن محمد الحمادي.






جدول مواضع النبر والتنغيم في الأساليب اللغوية

	الأسلوب	مواضع نبر الجملة (رئيس / خفيف)	مواضع التنغيم
١	الاستفهام	• أداة الاستفهام (نبر رئيس). • الكلمة الأهم من المستفهم عنه بعد الأداة. (نبر رئيس).	• آخر جملة الاستفهام، ويكون بنغمة صاعدة أو مستوية تبعاً لمعنى الاستفهام فيها، سواءٌ أكان معنى الاستفهام من مجموعة الشدة والقوة، أم من مجموعة الهدوء واللين.
٢	الإتمام	• أول جملة الإتمام (نبر رئيس). • أول الجزء الثاني مع نغمة هابطة. (نبر رئيس).	• آخر الجزء الأول، ويكون بنغمة الانتظار الصاعدة أو المستوية تبعاً لطول الفصل بين الجزأين. • آخر الجزء الثاني، ويكون بنغمة الإتمام الهابطة أو المستوية تبعاً لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٣	القسم	• أداة القسم (إن وجدت) (نبر خفيف). • المقسم به وتوابعه أو الموطىء له (إن وجد) (نبر رئيس). • أول جواب القسم (مع نغمة هابطة إذا ذُكر المقسم به) (نبر رئيس).	• آخر المقسم به وتوابعه عند الوقف، ويكون بنغمة صاعدة أو مستوية تبعاً لطول الفصل بين القسم وجوابه. • آخر جملة جواب القسم، ويكون بنغمة هابطة أو مستوية أو صاعدة تبعاً لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٤	الأمر	• صيغة الأمر (نبر رئيس). • جواب الأمر (إن وجد) (نبر رئيس).	• آخر جملة الأمر، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعاً لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.



	الأسلوب	مواضع نبر الجملة (رئيس / خفيف)	مواضع التنغيم
٥	الشرط	• أداة الشرط (نبر رئيس). • أول جملة الشرط (نبر خفيف). • أول جواب الشرط (نبر رئيس).	• آخر فعل الشرط عند الوقف، ويكون بنغمة مستوية أو صاعدة تبعًا لطول الفصل بين الشرط والجواب. وقد يكون بنغمة هابطة (إن كانت جملة فعل الشرط في آخر الآية وجوابه يُفهم مما سبق). • آخر جواب الشرط، ويكون بنغمة هابطة أو مستوية أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٦	النداء	• أداة النداء (نبر خفيف). • المنادى (نبر خفيف). • أول جواب النداء (نبر رئيس).	• آخر جملة النداء، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٧	النهي	• أداة النهي (نبر رئيس). • الفعل المنهي عنه (نبر رئيس). • جواب النهي (إن وجد) (نبر رئيس).	• آخر جملة النهي، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٨	الاستثناء	• أول جملة الاستثناء (نبر خفيف). • أداة الاستثناء (إلا) (نبر رئيس). • الكلمة الأهم مما بعد (إلا). (نبر رئيس).	• آخر جملة الاستثناء، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٩	النفي	• أداة النفي (نبر خفيف). • المنفي أو ما ارتبط به (نبر خفيف).	• آخر جملة النفي، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.




	الأسلوب	مواضع نبر الجملة (رئيس / خفيف)	مواضع التنغيم
١٠	القصر	• أداة القصر (نبر خفيف). • الكلمة الأهم من المقصور (نبر رئيس). • أداة القصر الوسطى (نبر رئيس) • الكلمة الأهم من المقصور عليه. (نبر رئيس).	• آخر جملة القصر، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
١١	الإضراب	• أداة الإضراب (بل) (نبر خفيف) • أول جملة الإضراب، ما بعد (بل). (نبر رئيس).	• آخر جملة الإضراب، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
١٢	الدعاء	• صيغة الدعاء. (نبر رئيس).	• آخر جملة الدعاء، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
١٣	التفضيل	• اسم التفضيل (نبر رئيس). • المفضل عليه (إن وجد) (نبر خفيف). • التمييز (إن وجد) (نبر رئيس).	• آخر جملة التفضيل، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
١٤	الاستدراك	• أداة الاستدراك (لكن) (نبر خفيف). • الكلمة الأهم مما بعد الأداة. (نبر رئيس).	• آخر جملة الاستدراك، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
١٥	الجملة التقريرية	• أول الجملة التقريرية (نبر خفيف). • جزء متمم من الجملة التقريرية. (نبر رئيس).	• آخر الجملة التقريرية، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.

	الأسلوب	مواضع نبر الجملة (رئيس / خفيف)	مواضع التنغيم
١٦	التعليل	• أول جملة التعليل (نبر رئيس).	• آخر جملة التعليل، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
١٧	الجملة المعترضة	• أول الجملة المعترضة (نبر رئيس). • أول كلمة بعد الجملة المعترضة. (نبر رئيس).	• آخر الجملة المعترضة، ويكون بنغمة مستوية أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
١٨	الجملة التفسيرية	• أداة التفسير (نبر خفيف). • أول الجملة التفسيرية (نبر رئيس).	• آخر الجملة التفسيرية، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
١٩	العرض والتحضيض	• أداة العرض والتحضيض (نبر خفيف). • فعل العرض والتحضيض (نبر خفيف).	• آخر جملة العرض والتحضيض، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٢٠	التنبيه	• أداة التنبيه (نبر رئيس). • أول جملة التنبيه (نبر رئيس).	• آخر جملة التنبيه، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٢١	المدح والذم	• فعل المدح أو الذم (نبر خفيف). • الفاعل (إن وجد) (نبر خفيف). • التمييز (إن وجد) (نبر خفيف).	• آخر جملة المدح أو الذم، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٢٢	التقسيم	• أول جملة التقسيم (نبر خفيف).	• آخر جملة التقسيم، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعًا لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٢٣	التعديد	• الكلمة الأهم من المعدود. (نبر خفيف).	------



	الأسلوب	مواضع نبر الجملة (رئيس / خفيف)	مواضع التنغيم
٢٤	الترجي	• أداة الترجي (نبر خفيف). • الكلمة الأهم مما بعد الأداة. (نبر خفيف).	• آخر جملة الترجي، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة تبعاً لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٢٥	التمني	• أداة التمني (نبر خفيف). • الكلمة الأهم مما بعد الأداة. (نبر خفيف).	• آخر جملة التمني، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة أو صاعدة تبعاً لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٢٦	الجواب	• أداة الجواب (نبر خفيف).	• آخر جملة الجواب، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة تبعاً لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٢٧	البدل	• أول البدل (نبر خفيف).	• آخر المبدل منه ومتعلقاته، ويكون بنغمة مستوية.
٢٨	التوكيد	• لفظ التوكيد (نبر خفيف).	------
٢٩	الاختصاص	• المنصوب على الاختصاص. (نبر خفيف).	• آخر جملة الاختصاص، ويكون بنغمة مستوية أو هابطة تبعاً لمعنى الجملة وارتباطها بما بعدها.
٣٠	التعجب	• صيغة التعجب (نبر خفيف).	• آخر جملة التعجب، ويكون بنغمة مستوية.
٣١	التحذير والإغراء	• المُغرى به (نبر خفيف). • المُحذر منه (نبر خفيف).	------



ترتيب الأساليب اللغوية تبعاً لأهميتها والحاجة إليها



بعد استقراء تلاوات شرائح متعددة من القرّاء، والمُقرئين، والأئمة من مختلف دول العالم الإسلامي تبين لي أن بعض الأساليب أكثر حاجة من غيرها لبعض الأئمة والقرّاء، فقسمت الأساليب ثلاث مجموعات تبعًا لأهميتها والحاجة إليها:

مجموعة (أ) الأساليب الأكثر أهمية على الترتيب:

الاستفهام، والإتمام، والشرط، والقسم، والنداء، والأمر، والنهي، والاستثناء، والنفي، والتعليل، والتفضيل، والجملة المعترضة.

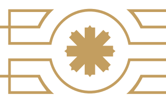
مجموعة (ب) أساليب متوسطة الأهمية:

القصر، والإضراب، والاستدراك، والدعاء، والترجي، والتمني، والجواب، والعرض والتحضيض، والتنبيه، والمدح والذم، والتقسيم.

مجموعة (ج) الأساليب الأقل أهمية:

الجملة التقريرية، والجملة التفسيرية، والبدل، والتوكيد، والتعديد، والاختصاص، والتعجب، والتحذير والإغراء.





تقديم

الحمدُ للهِ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فقد أطلعني الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد المفلح قبل أكثر من خمس سنوات على التقرير الخاص بمشروع دراسة النبر والتنغيم في أداء جملتي الاستفهام والإتمام في قراءة القرآن الكريم. وكان التقرير يتضمن التعريف بالموضوع، وأهمية دراسته، والتعريف بالمصطلحات التي يدور الحديث حولها، وخطة البحث مفصلةً في قسميه النظري والتطبيقي.

وتتلخص فكرة البحث في قول الدكتور المفلح: «إن تلاوة القرآن الكريم وأداءه بمراعاة الأساليب اللغوية تستلزم الحرص على أن تتوافق نبرة الصوت وطبقته مع ما يتطلبه الأسلوب اللغوي والمعنى السياقي للآية، وعلى القارئ أن يُنَوِّعَ في نبرات صوته وطبقاتها منسجماً مع معاني الآيات وسياقاتها وأنواع الأساليب اللغوية فيها، وما يقتضيه نطقها من علو وانخفاض ووصل ووقف حسب لغة العرب وطريقة كلامهم، ليسهم ذلك التوافق في انتقال معنى الآية الكريمة إلى المستمع، فمتى ما توافقت نبرة الصوت مع الأسلوب اللغوي ظهر المعنى بوضوح، وإن تفاوتا لم يظهر معنى الآية كاملاً، وقد لا تؤثر الآية في المستمع التأثير المرجو في حالة ضعف التوافق والانسجام».

وقرأتُ التقرير الخاص بالمشروع، وقدَّمت عدداً من الملحوظات التي عَنَّتْ لي، وكنت أتساءل في نفسي كيف سيتأتى للدكتور المفلح جمع شتات الموضوع؟ إذْ لم يَرِدْ في كتب علم التجويد عن النبر والتنغيم إلا القليل، وكان التلقي للقراءة بالمشافهة يسدّ هذا العجز في تلك الكتب، ولم تكن كتب دراسة الأصوات اللغوية العربية أحسن حالاً، فما كُتِبَ عن النبر والتنغيم في هذه الكتب لا يرقى إلى مستوى التقعيد للظاهرة، ولم يكن موضع اتفاق بين الدارسين، ولكني لم أملك إلا تأييد الفكرة ومباركتها مع أن الصعوبات تكتنفها؛ رغبة في مجاراة الدكتور المفلح في حماسته لدراسة الظاهرة، وأملاً في أن يُقَدِّمَ ما يسدّ النقص في هذا الجانب في الدراسات المتعلقة بالتجويد وقراءة القرآن الكريم وكتب علم الأصوات اللغوية.

وبعد أقل من سنة أطلعني الدكتور عبدالله المفلح على الفصل الأول الخاص بالدراسة النظرية، وقد جمع في مباحثه ما يتعلق بمفهوم النبر والتنغيم والأداء، والتعريف بالمصطلحات الخاصة بالموضوع، وبيان




أهميته في أداء القرآن الكريم، وأصبح سبيل البحث أمامه ممهداً للمضي في دراسة الموضوع، ويبدو أن الدكتور المفلح واصل العمل فيه بإصرار واجتهاد كبير حتى أتمه بصورته النهائية في حدود السنتين من بدء العمل به كما ظهر لي ذلك من خلال تواصله معي واطلاعي على مراحل إنجازه، فها هو المشروع الذي عَرَضَهُ عليَّ قبل سنتين في عشرين صحيفة قد صار - قبل تحويله إلى موسوعة - في قسميه النظري والتطبيقي كتاباً كبيراً يستغرق ما يقرب من ثلاث مئة وخمسين صحيفة !

إن مشروع النبر والتنغيم بدراسته النظرية والتطبيقية لأداء الأساليب اللغوية عمل علمي ممتاز، فالقسم النظري تضمن تمهيداً وفصلين؛ فالفصل الأول فيه بيان مفهوم النبر والتنغيم ومكانتهما، والتأصيل لعلم النبر والتنغيم، وفيه الحديث عن مكانة النبر والتنغيم عند علماء اللغة، والنحو، والتجويد، والقراءات، وعلوم القرآن، والفلاسفة. أما الفصل الثاني فهو عن أنواع النبر والتنغيم، وتنغيم الأساليب اللغوية بما يناسب معانيها، ووقف التنغيم، وختم بالحديث عن وظائف النبر والتنغيم. أما الدراسة التطبيقية فقد تضمنت واحداً وثلاثين مبحثاً، في كل مبحث دراسة نظرية للأسلوب، ودراسة تطبيقية لأغلب الآيات التي تدخل فيه، ولكل أسلوب جداوله التي تكشف خط النبر والتنغيم لجملته، وتحديد النغمات الخاصة به، ومواضع النبر والتنغيم في مفاصل جملته. وهذا العمل أول عمل علمي ينحو هذا المنحى التفصيلي في دراسة ظاهرة النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم.

والدكتور عبدالله المفلح مُدْرِكٌ أنه بهذا الجهد الكبير قد فتح باب البحث في أداء ظاهرة النبر والتنغيم في القرآن الكريم، ولم يُغْلِقْهُ، وهو يأمل كما صَرَّحَ في الخاتمة أن يستكمل مشروعه في دراسة هذه الظاهرة في الأساليب الأخرى في القرآن الكريم، وأن يجيب عن جميع الأسئلة التي تثيرها هذه الدراسة. وآمل أن يتمكن في نهاية المطاف من إصدار موسوعة النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم، وأن يجعلها في نسختين: واحدة للمتخصصين الذين يصبرون على متابعة دقائق البحث ويستوعبون تفصيلاته، والثانية لعامة قراء القرآن الكريم الذين يهمهم بالدرجة الأولى ضبط الأداء وإتقان التلاوة.

وبعد سنتين أخريين من انتهاء الدكتور عبدالله المفلح من كتاب النبر والتنغيم لأسلوبي الاستفهام والإتمام، ومن اقتراحي السابق له في ٢٣ ربيع الأول ١٤٤١هـ = ٢٠ / تشرين الثاني ٢٠١٩م أطلعني الأخ الدكتور عبدالله المفلح على موسوعة (النبر والتنغيم في الأداء القرآني) بعد أن اكتملت أركانها النظرية



والتطبيقية بعد ما يقرب من خمس سنوات على عرضه فكرة كتابه عن النبر والتنغيم في أسلوبي الاستفهام والإتمام، وقد جاء هذا العمل الآن في مئات الصفحات، استوفى فيها دراسة النبر والتنغيم في واحد وثلاثين أسلوباً لغوياً في القرآن الكريم، وهي تسدّ فراغاً في مجال الدراسات المتعلقة بالأداء القرآني.

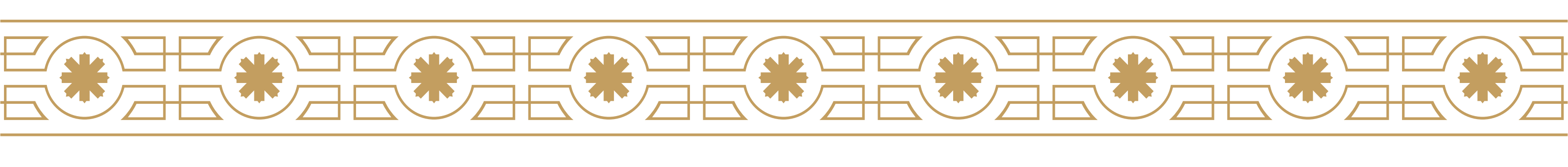
أشكر للأخ الفاضل الدكتور عبدالله المفلح جهوده في إنجاز هذا العمل الممتاز، وإطلاعي عليه منذ أن كان فكرة حتى استوى كتاباً عن الاستفهام والإتمام، ثم موسوعة متكاملة، وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الموسوعة، وأن يوفق الدكتور عبدالله المفلح في نشرها، وتقريبها إلى القراء من معلمي القرآن الكريم ومتعلميه، إنه ولي التوفيق.

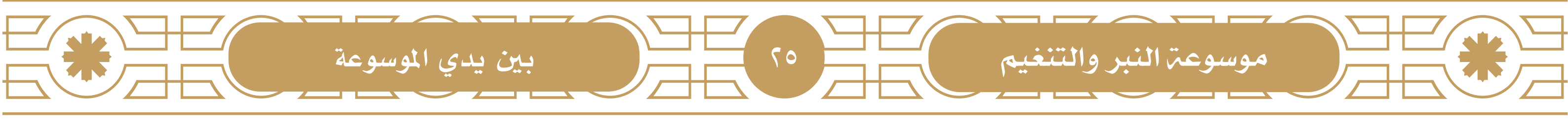
د. غانم قدوري الحمد

٥/ ٧/ ١٤٤٣هـ = ٦/ ٢/ ٢٠٢٢م.

أربيل - العراق





بين يدي الموسوعة

هذا البحث كان فكرةً تجول في خاطر المؤلف قبل أكثر من ثلاثين عاماً من بدء مشروعه العلمي هذا، لم تزل تلحُّ عليه عند سماعه لتلاوة القرآن بأصوات المقرئين حتى عقد العزم على دراستها دراسة علميَّة تجمع بين التنظير والتطبيق، وأثمر ذلك هذه الموسوعة القيمة عن النبر والتنغيم، وهي دراسة نظرية وتطبيقية للنبر والتنغيم في أداء واحد وثلاثين أسلوبـاً في القرآن الكريم.

لقد وفق الباحث في عمله هذا إلى ابتكار الكثير من المصطلحات للتعبير عن درجات النبر أو التنغيم في أثناء التلاوة، وعن المعنى الذي يدل عليه هذا النبر أو ذاك التنغيم، وهذا شأن الباحث المبدع الذي يسعى لبناء صرح جديد لم يسبقه إليه باحث بمثل هذا التكامل والتتبع، فإِنَّ مادة النبر والتنغيم محدودة ومتفرقة في دواوين التجويد، والقراءات، والبلاغة.

وقد اجتهد المؤلف الكريم في تتبع جزئيات الموضوع واستقراء كلام العلماء في مظانه من أجل بناء هيكل البحث بطريقة متقنة ليضع بين يدي القارئ الإطار النظري للموضوع، وقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في التنظير للموضوع وابتكار بعض المصطلحات الدالة على المقصود، وهي ستكون مادةً ثريةً للنقاش والجدل بين الباحثين حتى يكتمل هذا البناء النظري والتطبيقي بعد صدور هذه الموسوعة وتداولها بين الباحثين والمهتمين بتلاوة القرآن الكريم على أكمل وجه.

إن هذه الموسوعة تقدم للقراء وأهل القرآن خدمةً جليلةً في الارتقاء بتعليم تلاوة القرآن الكريم، ومراعاة دقائق الأداء الصوتي للقرآن بحسن النبر والتنغيم في مواضعه حسب المعاني التي يدل عليها الأسلوب. وقد طبق الباحث ذلك على واحد وثلاثين أسلوبـاً لغويـاً من أهمها أسلوبا الاستفهام والإتمام (علمـاً أن الإتمام بمفهومه في هذه الموسوعة مصطلح من بناء الباحث لعلك تدرك معناه في أثناء قراءتك للموسوعة، ومثله نبر الجملة الثابت والمتحرك، ونغمة الانتظار، ونغمة الإتمام، وغيرها) ليكونا أنموذجـاً يحتذى به ويسير عليه الباحثون.

تحياتي وتقديري للأستاذ الدكتور المبدع عبدالله بن محمد المفلح على هذا المشروع الموسوعي العلمي الرائد الذي جاء فيه بالجديد المفيد في خدمة تلاوة القرآن المجيد والسير بتعليمها خطوة للأمام تدفع المقرئين للمزيد من الإحسان في تلاوة القرآن، وتدفع المفسرين للتقدم خطوات في حسن فهم معاني القرآن، وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل العلمي، وأن يتقبله بقبول حسن.

أ.د. عبدالرحمن بن معاضة الشهري

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود

١٥/ ٦/ ١٤٤٣هـ





مقدمة المؤلف



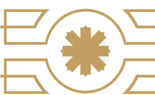
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله المنزل على رسوله محمد ﷺ، وهو معجزة الإسلام الكبرى، وهداية للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١]، وهو كتابٌ من قال بما فيه صدق، ومن عمل بما فيه مخلصاً العمل لله تعالى فله الأجر العظيم، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، ومن استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن أعرض عنه وطلب الهدى في غيره فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

وتلاوة كتاب الله تعالى من أفضل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩]، وفي الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم.

وإن خدمة هذا الكتاب العظيم وتعلمه وتعليمه من أشرف العلوم، وأجل ما يصرف فيه الإنسان المسلم حياته، ففي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

وتخدم هذه الموسوعة بدراستها النظرية والتطبيقية القرآن الكريم بمناقشة مسألة مهمة من تعلم القرآن وتعليمه هي مراعاة معاني الأساليب اللغوية عند تلاوته وما تستحقه تلك الأساليب من نبر وتنغيم. إن الأهمية الكبرى لأداء القرآن الكريم بمراعاة معاني الأساليب اللغوية تكمن فيما يحصل عليه المستمع للآيات من معانٍ تأتيه من الأساليب القرآنية المتنوعة؛ كالأمر، والنهي، والاستفهام، والتقرير، وإتمام الجملة، والإخبار، والنفي، والدعاء، والاستثناء، والشرط، والحث، والتحضيض، والتلهف، والتندم، والتعظيم، والتحقير، وغير ذلك. وبقدر جودة الإتقان الصوتي في الأداء وتوافقه مع معاني الألفاظ والأساليب القرآنية تكون قوة التأثير في المستمع، وجودة نقل معنى الآيات إلى وجدانه، وعقله، وتفكيره، وتحفيزه للتدبر، ولا يتحقق ذلك التأثير

بالتحزين أو التطريب الذي ينقل مشاعر القارئ وتفاعله أكثر مما ينقل معاني الآيات. وبناء على ذلك فإن من أهم غايات أداء القرآن الكريم بمراعاة معاني الأساليب اللغوية التوافقَ - حسب قدرات البشر - مع ما يتطلبه الأسلوب القرآني وسياق الآية من نبر وتنغيم مصاحب للأداء، ولا أحد يستطيع ادعاء نقل المعنى القرآني كاملاً للمستمع، ولن يتم ذلك، ولا يستطيع قياسه أحد؛ لأن تأثير معاني القرآن الكريم في خلجات النفس لا حدّ له.

وقد أدرك علماء الأمة هذه الأهمية، ومنهم بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) الذي أكد على ضرورة أن يراعي قارئ القرآن الكريم معاني الكلام، وأن عليه أن (يستعين على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتًا بالقرآن).[١] وجعل الزركشي ذلك كله من كمال الترتيل، فقال: (فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم، وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكر في معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كل آية معناها...).[٢] فإذا كان التنغيم المتباكي مقبولاً -مثلاً- في آيات الاستغفار والتوبة، فلا بد أن يختلف عن تنغيم الآيات التي تحض على قتال المعتدين الظالمين، أي: أنه من المهم أن يوائم التنغيمُ المعنى ويظهره، ليجعل المقروء مستقرّاً في ذهن المستمع وقلبه، فاللين غير الشِّدَّة، والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والخبر غير الاستفهام، والوعد غير الوعيد.[٣]

(١)

وترى هذه الموسوعة ضرورة الرجوع إلى طريقة العرب في أداء الأساليب اللغوية وتطبيق ذلك على القرآن الكريم بصفته نزل بلغة العرب، وقد رجعتُ في إعدادها لكثير من مصادر اللغة العربية من القرن الثاني الهجري، وجمعتُ كثيراً من كلام العلماء وإشاراتهم عن النبر والتنغيم وأداء الأساليب اللغوية المختلفة، وحللته واستنبطتُ منه عدداً من القواعد والمصطلحات التنغيمية. ونظراً لتشعب جوانب البحث في هذه الموسوعة وأهميتها فإنّ من المتوقع أن تثار أسئلة مهمة تحتاج إلى إجابات قد لا تكون موجودة في هذه النسخة من الموسوعة، وقد أجيبُ

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ٢ / ١٨١.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١ / ٤٥٠.

(٣) انظر: ظاهرة التنغيم في التراث العربي، هايل محمد طالب، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، السنة (٢٣)، العدد (٩١)، سبتمبر ٢٠٠٣. ص: ٨٠، وما بعدها.

عنها في نسخ قادمة إن استطعت، أو أتركها لمن يأتي بعدي من العلماء والمهتمين بدراسات أداء القرآن الكريم وبتحسين أداء المسلمين لكتاب ربهم، ليطوروا هذا العمل، ويسهموا في نضجه، وييسروا تطبيقه على الناس.

وتجمع هذه الموسوعة بين التنظير والتطبيق، فتدرس مفهوم النبر والتنغيم، ومظاهر وجودهما في لغة العرب، وما ذكره علماء الأمة السابقون عنهما من إشارات؛ كعلماء اللغة والنحو، وعلماء علوم القرآن والتجويد والقراءات، وما ذكره بعض الفلاسفة الذين أشاروا إلى ضرورة أن تعطى الأساليب اللغوية حقها من الأداء بما يناسب معانيها. وجُمع التنظير والتطبيق؛ ليسهل فهم المطلوب وتلاوة القرآن الكريم بالشكل الذي يتناسب مع معاني الآيات وسياقاتها، ويساعد على نقل معانيها للمستمعين.

وتختص هذه الموسوعة - تطبيقيّاً - بالنبر والتنغيم لأشهر واحد وثلاثين أسلوباً من الأساليب اللغوية في القرآن الكريم، وهي: الاستفهام، والإتمام، والقسم، والأمر، والشرط، والنداء، والنهي، والاستثناء، والنفي، والقصر، والإضراب، والدعاء، والتفضيل، والاستدراك، والجملة التقريرية، والتعليل، والجملة المعترضة، والجملة التفسيرية، والعرض والتحضيض، والتنبيه، والمدح والذم، والتقسيم، والتعديد، والترجي، والتمني، والجواب، والبدل، والتوكيد، والاختصاص، والتعجب، والتحذير والإغراء.

(٢)

▪ ومن أهم أهداف هذه الموسوعة:

١. تحفيز المقرئين والأئمة للحرص على فهم معاني القرآن الكريم، وأن يظهر ذلك في تلاوتهم لتنتقل المعاني للمستمع ويتأثر بما سمع.
٢. رفع جودة نقل معنى الآيات القرآنية إلى المستمع بالنبر والتنغيم المناسبين للأسلوب اللغوي.
٣. تحسين أداء المسلمين لقراءة القرآن الكريم.
٤. فتح الطريق أمام المهتمين بالأداء القرآني بالسير خطوة في طريق العناية بأداء كتاب الله تعالى بمراعاة المعنى.
٥. التأصيل لعلم النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم، وللعلاقة بين المعنى والأداء القرآني بتوظيف الأساليب اللغوية، ورصد العلوم التي تعزز العلاقة بينهما.
٦. فتح عدد من المجالات البحثية لعلاقة أداء القرآن الكريم والتنغيم بعلم البلاغة، وبعلم التجويد، وبتعليم القرآن الكريم وتعلمه، وبعلم اللغة الحاسوبي، وبعلم الصوتيات وتقنياته، وبالدراسات القرآنية عموماً.

(٣)

وتنطلق هذه الموسوعة من عدد من القواعد، أهمها:

- أن لغة العرب هي الأساس الذي يُنطلق منه في استنباط قواعد تحسين الأداء بالنبر والتنغيم وتوافقه مع المعنى، وقد بُنيتْ هذه الموسوعة على علوم النحو، والبلاغة، والتجويد، وما فيها من قواعد ومبادئ لتحديد المعنى. فاعتمدتْ الجملة العربية، وأنواعها، وأركانها، وأدواتها، وأحوالها، ومعانيها؛ لتكون منطلقاً لتحديد مواضع النبر والتنغيم، فنبر الجملة الثابت يكون لأركان الجملة، والمتحرك لبقية كلماتها الأخرى، والتنغيم لآخرها بما يتناسب مع معناها وما بعدها من جمل. وإذا ترتب على نطق الكلام الصحيح نحوياً معنى غير مقصود فإنما جاء الخطأ من أدائه وتنغيمه. كما اعتمدتُ من التجويد مواضع الوقف والابتداء، والتفريق بين الخبر والاستفهام، وبين النفي والإثبات، وبين النفي والنهي، وبين الشرط والتحضيض، وأهمية الترتيل بلحون العرب وأصواتها، وغير ذلك مما جاء عند مكي بن أبي طالب،(١) وأبي العلاء العطار،(٢) ومحمد السمرقندي،(٣) وابن الجزري،(٤) وغيرهم.
- أن تحسين أداء القرآن الكريم وتلاوته أمر لا سقف له ولا حدود.
- أن من المهم أن يكون المستفيد من هذه الموسوعة مطبقاً لأحكام التجويد متقناً لها.
- أن نسبة كبيرة من المقرئين والأئمة المجيدين يؤدون النبر والتنغيم للأساليب اللغوية بما يخدم معنى الآيات - ولله الحمد - وأن الأقل هو من لا يحاول أن يراعي في قراءته معنى الأسلوب اللغوي.
- أن تطابق تنغيم الأساليب اللغوية في القرآن الكريم مع معانيها يحسّن من أداء القارئ للقرآن الكريم، وينقل المزيد من معاني الآيات للمستمع، وليست المسألة تحديد الخطأ والصواب في التنغيم -مع أن الخطأ

---

(١) انظر: تمكين المدّ في (آتى)، و(آمن)، و(آدم)، وشبهه، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص: ٢٧ – ٣٥.

(٢) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ٢٠٦ – ٢٠٧. والموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم): ١ / ١٥٩. وانظر الحديث عن اللحن في هذا الفصل.

(٣) انظر: روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، محمد بن محمود السمرقندي، (مخطوط) مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مدرسة الحجّيات، الرقم: ٢ / ٢٢، ص: ١٣٩ – ١٤١ ظ. نقلاً عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٨ وما بعدها.

(٤) انظر: التمهيد في علم التجويد، شمس الدين محمد بن الجزري، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص: ٨٥. وانظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٥.

درجات- فقد توصف نغمة بأنها خاطئة؛ لأنها تنقل عكس المعنى الذي تحمله الآية، وهذا قليل جدّاً في القرآن الكريم، كما سيتضح بعد قليل في فقرة (٤).

• أن النغمات المطروحة في هذه الموسوعة، (الصاعدة، والمستوية، والهابطة) تختلف قوتها ووضوحها باختلاف المقامات، والأصوات، والعلو، والانخفاض في الصوت، فمثلاً يمكن أن تتحقق النغمة الصاعدة في آخر جملة الاستفهام الإنكاري بصوت منخفض، فليس بالضرورة أن يكون الصوت عالياً ليظهر المعنى الإنكاري.

• أنه لا يمكن أداء جملة الاستفهام - مثلاً - بصورة مفيدة للمعنى إلا بمعرفة المعنى العام للآية، فهذه الموسوعة تدعو لأن يفهم القارئ ما يقرأ؛ لأن الذي يقرأ دون فهم عميق ودون تفاعل مع ما يقرأ لن ينبر أو ينغّم تنغيماً مناسباً للمعنى، ولذلك فإن إتقان أداء الأساليب اللغوية وتنغيمها بما يناسب معانيها يستلزم استيعاب المعنى، فيستطيع القارئ إيصاله للمستمعين طبقاً لقدراته الصوتية.

• أن هذه الموسوعة ليست حكماً على قارئ أو إمام، ولا على قراءة أحد من المقرئين والأئمة بصواب أو خطأ. وعلى الرغم من أن هذه الموسوعة قد بنيت على علوم النحو، والبلاغة، والتجويد، وما فيها من قواعد ومبادئ لتحديد المعنى، إلا أن ما فيها من مواضع للنبر والتنغيم ليس ملزماً، بل هو مقترح لتحسين الأداء ونقل أكبر قدر ممكن من معنى الآيات للمستمع.

• أن مواضع النبر والتنغيم بين الأساليب تختلف من حيث أهميتها وضرورة تطبيقها، فإتقان تنغيم جملة الاستفهام بأنواع معانيها، وجملة الإتمام (المفصول طرفاها بفاصل طويل)، وجملة القسم، وجملة الشرط مثلاً أكثر أهمية من إتقان البدل أو الجملة التفسيرية. ويمكن للقارئ أن يطلع على الدراسة التطبيقية للآية التي يرى أنه بحاجة إلى تحسين أدائه لها.

(٤)

وإن من مظاهر أهمية هذه الموسوعة والحاجة لها نظرياً وتطبيقياً عدم اهتمام بعض الأئمة والمقرئين بما تستحقه الأساليب اللغوية من نبر وتنغيم؛ كالاستفهام، والإتمام، والشرط، والقسم، والأمر، والنهي، والنفي، وغيرها. فبعضهم - على سبيل المثال - يعطي القسم وجواب القسم حقهما من النبر والتنغيم في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣]، فيقف بنغمة صاعدة على قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ - إن وقف - وينبر جواب القسم في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾، ويبدأ في نغمة هابطة تتدرج إلى نهاية الآية - وهذا هو التنغيم

والنبر المناسبان لأسلوب القسم في هذه الآية لتقارب ركنيه - ولكنه لا يهتم لا بنبر القسم، ولا جواب القسم، ولا تنغيمهما إذا كان الفاصل بين القسم وجوابه طويلاً، كما في جواب القسم في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩]، ومثله جواب القسم في سور: الليل، والعاديات، والمرسلات، والنازعات، والطور، وغيرها، فبعضهم يقرأ حرف القسم والمقسم به في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا...﴾ وما بعده بنغمة هابطة في آخر كل مقسم به - سواء أقدرت الواو عاطفة أم حرف قسم جديد - فيصبح القسم بتنغيمه كأنه جملة مستقلة لا علاقة لها بما بعدها ولا بجملة جواب القسم، وهذا يحدث خللاً في مفهوم الكلام ومعناه. ومثل ذلك الفصل بين جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط في أول سور: (التكوير، والانفطار، والانشقاق)، وغيرها.

إن إعطاء الأساليب اللغوية ما تستحقه من نبر وتنغيم في أداء القرآن الكريم أمر مهم جداً؛ لأنه يكشف عن معاني الآيات المقروءة، ويساعد المستمع على الاستمرار في التركيز مع القارئ، وينتج عن ذلك استمرار التدبر في الآيات والتأثر بها، وأما قراءة الآيات بنغمة واحدة أو متقاربة مع اختلاف الأساليب اللغوية واختلاف معانيها، فإنه يضيع معها معنى كثير مما تحمله الآيات لا يستطيع المستمعون الحصول عليه ولا التأثر به.

وفيما يتعلق بأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم - على سبيل المثال، وهو من أهم الأساليب التي تحتاج إلى تنغيم لإبرازها - يمكن أن يقال إن هناك ثلاثة جوانب تؤثر في تنغيم الكلام، أولاً: جانب التنغيم الخاطئ للاستفهام في الآية، والثاني: ترك التنغيم المناسب الذي تستحقه جملة الاستفهام في الآية، والثالث: التحديد غير المناسب للمعنى الذي خرج إليه الاستفهام؛ لأن درجة التنغيم ونوعه مرتبط بمعنى الاستفهام، وكل ذلك يؤثر - بدرجات متفاوتة - على المعنى الذي يتلقاه المستمع ويفهمه.

فمثالُ الجانب الأول: (التنغيم الخاطئ لجملة الاستفهام) وهو: إعطاءُ الاستفهام التقريري في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ نغمة صاعدة في آخر كلمة ﴿صَدْرَكَ﴾، فإنها توصل للمستمع أن الاستفهام للإنكار، وأن الله تعالى ينكر على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جحود نعمة انشراح صدره، وهذا معنى غير مناسب، وفهم خاطئ للآية قد يتوهم بمجرد نطق النغمة الصاعدة، وقد لا يتوقف عندها كثير من الناس، وربما ينزعج بعضهم من النغمة الصاعدة هنا ولا يعرف السبب مع أن معنى الاستفهام هنا التقرير والامتنان، وحقه نغمة مستوية لا صاعدة.

ومثال الجانب الثاني: (ترك التنغيم المناسب الذي تستحقه جملة الاستفهام) بأنْ يهملَ القارئُ الإتيان بالنغمة الصاعدة في آخر جملة الاستفهام الإنكاري، فيقرأ قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٠] قراءة الأسلوب

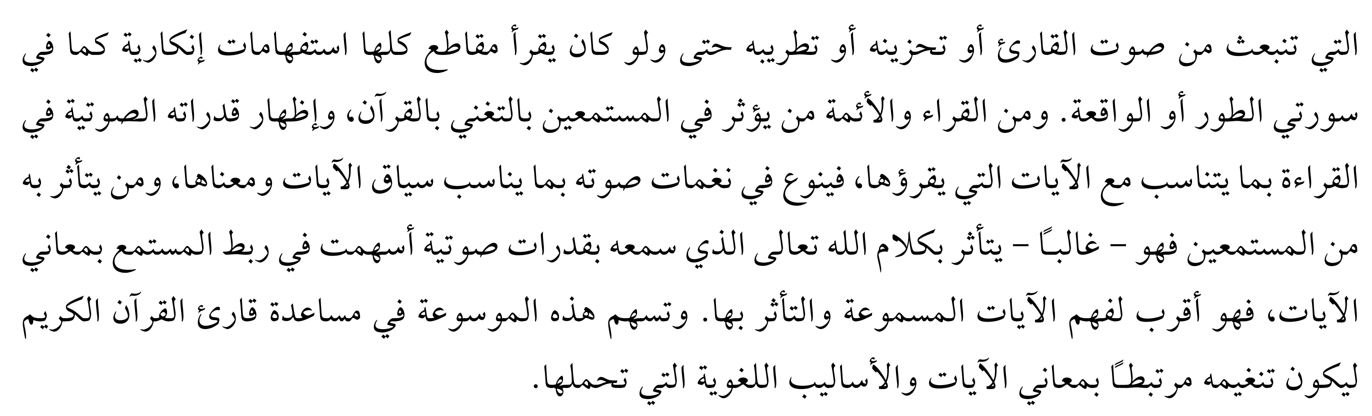
الخبري، ومثله ترك التنغيم الصاعد للاستفهامات ذوات المعنى الإنكاري في سور: الطور، والنجم، والواقعة، والنمل، والملك، والقلم، وغيرها.

أما الجانب الثالث: (التحديد غير المناسب للمعنى الذي خرج إليه الاستفهام)، فتأتي أهميته من أن تحديد معنى الاستفهام يحتاج إلى دقة وفهم عميق لسياق الآيات، وفهم للأسباب التي تحدد معنىً للاستفهام دون معنى آخر، فمثاله أن يقرأ القارئ آخر جملة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦]، وفي قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف:١٥٥] بنغمة صاعدة كأن الاستفهام في الموضعين للإنكار وهو ليس كذلك - على الرغم من أن بعض المفسرين قال ذلك بتأويلات بعيدة متكلفة - وبناء عليه فإن من الخطأ قراءة آخر جملتي الاستفهام في الآيتين بنغمة صاعدة؛ لأنها قد توحي - في الآية الأولى - بأن الله تعالى يُنكر على عيسى قوله، وهذا خطأ في التنغيم يجرّ إلى خطأ في فهم المعنى، فالله تعالى لم ينكر على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذلك؛ لأنه سبحانه يعلم أن عيسى لم يفعل ذلك أصلاً، وإنما جاءت الآية بصيغة الاستفهام لأغراض بلاغية ليس هذا مجال التفصيل فيها،[1] كما أن تحديد معنى الاستفهام بأنه (إنكاري) يدل على أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد قال ذلك، وهو لم يقل، والصواب أن معنى الاستفهام هو التفهيم، أي: تفهيم قومه ليوضح لهم أنه بشر أرسله الله تعالى إليهم، واختص عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بهذا؛ لأنه ولد دون أب، وقال بعض المفسرين لحث عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليقول ما قال، كما ذكر الله تعالى بعد هذه الآية. وأما الاستفهام في قوله ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾، فإن معناه الخشية والاستعطاف، أي: خشية موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الله تعالى واستعطافه ربَّه أنْ يرحمه وقومه، وليس للإنكار على الله تعالى، وحق آخر جملتي الاستفهام في الموضعين النغمة المستوية. ومن هنا فإن أي معنى خاطئ وصل للمستمع من خلال التنغيم فالتنغيم خاطئ.

ومع أن كثيراً من المقرئين والأئمة حريصون على أن تكون قراءتهم للقرآن الكريم مرتبطة بالمعنى ومؤثرة في المستمعين إلا أن منهم من يؤثر في المستمعين بتطريبه أو تحزينه بصوته والتغني به، وإظهار قدراته الصوتية في القراءة دون أن يكون هناك ارتباط واضح بين تنغيمه والآيات التي يقرؤها، ومن يتأثر به من المستمعين فهو - غالبًا - يتأثر بقدرات القارئ الصوتية، أو بحالته النفسية المطمئنة وهو يقرأ القرآن الكريم أكثر من تأثره بمعاني الآيات؛ لأنه يستعرض قدراته الصوتية وإبداعاته فيها منفصلاً عن معاني الآيات، أو يتأثر - مثلاً - بسكينة الروح

---

(١) نقل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إجماع المفسرين على أن قول الله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ...﴾ إلى آخر الآية أنه قول يقوله الله تعالى يوم القيامة (انظر: التحرير والتنوير: ٧ / ١١٢) بدليل معاني الآيات الثلاث التي بعدها. وربما أن الحكمة من ذكر هذا الحوار في القرآن الكريم تفهيمُ الناس جميعاً بحقيقة علاقة الله تعالى بعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وانظر مناقشة معنى الاستفهام في هذه الآية في أسلوب الاستفهام.



التي تنبعث من صوت القارئ أو تحزينه أو تطريبه حتى ولو كان يقرأ مقاطع كلها استفهامات إنكارية كما في سورتي الطور أو الواقعة. ومن القراء والأئمة من يؤثر في المستمعين بالتغني بالقرآن، وإظهار قدراته الصوتية في القراءة بما يتناسب مع الآيات التي يقرؤها، فينوع في نغمات صوته بما يناسب سياق الآيات ومعناها، ومن يتأثر به من المستمعين فهو - غالبًا - يتأثر بكلام الله تعالى الذي سمعه بقدرات صوتية أسهمت في ربط المستمع بمعاني الآيات، فهو أقرب لفهم الآيات المسموعة والتأثر بها. وتسهم هذه الموسوعة في مساعدة قارئ القرآن الكريم ليكون تنغيمه مرتبطًا بمعاني الآيات والأساليب اللغوية التي تحملها.

إن التنغيم إذا لم يخدم المعنى، ولم يتوافق مع الأسلوب اللغوي، فقد لا يظهر معنى الآية كاملاً، وقد يضطرب الفهم لدى المستمعين، فلا تؤثر الآية فيهم التأثير المرجو، وحسب علمي فإن التقعيد والتنظير لهذا المجال متفرق عند القدماء، ولا أعلم له قواعد محددة عند المحدثين، ولعل ما يتقرر في هذه الموسوعة من أن التفريق في التنغيم والأداء ضروري ومنطقي بين الاستفهام الإنكاري - مثلاً - والجملة التقريرية، وبين نغمة الانتظار ونغمة الإتمام - فلعل ذلك يضيف قطرة في بحر هذا العلم، ويفتح الباب للعلماء لمزيد من البحوث تنظيراً وتطبيقًا خدمة لكتاب الله تعالى وتجويداً لتلاوته.

(٥)

وبعد استقراء قراءات شرائح متعددة من القرّاء والمُقرئين والأئمة تبين أنه يمكن تقسيمهم خمسة أنواع:

١. من القرّاء مَن يقع تحت سطوة مشاعره وانفعالاته، ولا يستطيع الانفكاك عنها وهو يقرأ القرآن الكريم، فأداؤه بطبعه أداء حزين - مثلاً - فيُوصلُ للمستمع مشاعره وانفعالاته أكثر من معاني الآيات، فيتأثر المستمع بتلك المشاعر المشحونة - أيًا كان نوعها؛ حزنًا، أو سكينة وطمأنينة، أو غيرها - بدرجة أكبر من تأثره بمعاني الآيات، ويظنّ المستمع أنه تأثر بالقرآن الكريم فقط، وهو في الحقيقة تأثر بمشاعر القارئ أكثر من تأثره بمعاني الآيات. وهذا النوع يؤثر في عواطف المستمعين أكثر من تأثيره في عقولهم.

٢. ومنهم مَن يُؤثر في المستمعين بتطريبه بصوته وإظهار قدراته الصوتية في القراءة دون أن يكون هناك ارتباط بين تنغيمه والآيات التي يقرؤها، ومَن يتأثر به من المستمعين فهو - غالبًا - يتأثر بقدراته الصوتية أكثر من تأثره بمعاني الآيات؛ لأنه يستعرض قدراته الصوتية وإبداعاته فيها منفصلاً عن معاني الآيات، فتطريبه للمستمعين حاصل أيًا كان موضوع الآيات التي يقرؤها؛ آيات عن العذاب، أو الرحمة، أو النعيم، أو الإنكار على الكفار وجدالهم، أو غير ذلك.

ومن المهم أن يحرص هذان النوعان من القراء والأئمة على أمرين:

الأول: إعطاء مفاصل الجملة ما تستحقه من نبر وتنغيم لإظهار معنى الأسلوب اللغوي حتى لا يغيب معنى الآية بسبب سيطرة التحزين أو التطريب على الأداء، فينتقل أحدهما للمستمع ويتأثر به، ويخفت معنى الآية ويضعف التأثر بها.

الثاني: تناسب الأداء مع المعنى العام للآيات، فالقارئ ذو التنغيم الحزين بطبعه عليه أن يكون واعياً للمعنى في أدائه للمقطع القرآني إن كان يناسبه التحزين أو لا يناسبه - وقد شرحتُ موقفي من التحزين في فقرة: القراءة بالتحزين - فمشاعر الحزن ليست صالحة لكل آيات القرآن الكريم، فلا تكونُ - مثلاً - في أداء آيات الحديث عن نِعَم الله وفضله على عباده، ووجوب شكره، أو عن صفات الجنة وأهلها ونعيمها، أو آيات تعظيم الله تعالى وتقديسه. وكذلك أداء القارئ المفعم بالسكينة والطمأنينة بطبعه، فهذا النوع من الأداء ليس مناسباً لكل آيات القرآن الكريم، فلا يكونُ في أداء آيات الحرب والمواجهة مع الكفار والمنافقين كما في سورتي (الأنفال) و(التوبة) مثلاً.

ومما يمكن أن يساعد على تناسب الأداء مع موضوع الآيات تصور الموقف القرآني واستشعاره ومعايشته ذهنياً؛ لأنه يعزز القراءة التدبرية، وحينما يتحقق الاستحضار الذهني فسيتأثر الأداء والتنغيم بما يناسب الموضوع ويصل كل ذلك للمستمع بإذن الله.

أما استعراض القدرات الصوتية والتطريب بها - كما في النوع الثاني - فهو يُبعد المستمع عن معنى الآيات، ويشدّه لتلوينات صوتية تطريبية مؤثرة في عاطفته، ولكن لا علاقة لها بالنص المقروء، والله تعالى يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، وليس ليُطربوا المستمعين بآياته، ولا لينقلوا مشاعرهم وانفعالاتهم هم عند تلاوته، فمحور الأداء - بما فيه من تلوينات صوتية ونبر وتنغيم - هو المعنى فقط؛ لأنه يُعين على التدبر، وما ابتعد عن المعنى من أداء ونبر وتنغيم وصعود وهبوط فهو مؤثر سلباً على فهم المستمع وعلى تأثره بمعاني الآيات.

٣. ومن القرّاء مَن يَفهمُ ما يقرأ من آيات ويتأثر بها، فينقل تأثره - المبني على معنى الآيات - للمستمع، فيتأثر المستمع بمعاني الآيات ممزوجاً بتأثر القارئ بها أيضاً. وهذا هو المطلوب في تلاوة القرآن الكريم، فينوّع القارئ في نغمات صوته بما يناسب الأسلوب اللغوي وسياق الآيات ومعناها، ومَن يتأثر به من المستمعين فهو - غالباً - يتأثر بكلام الله تعالى الذي سمعه بقدرات صوتية أسهمت في ربط المستمع بمعاني الآيات، فهو أقرب لفهم الآيات المسموعة والتأثر بها وتدبرها. وهذا النوع يؤثر في عواطف المستمعين وعقولهم على حدّ سواء،

وعليه أن يعطي اعتباراً لموضوع المقطع القرآني فيؤديه بما يناسبه، كما يعطي للجملة من نبر وتنغيم. وتسهم هذه الموسوعة في مساعدة قارئ القرآن الكريم ليكون تنغيمه مرتبطاً بمعاني الآيات والأساليب اللغوية التي تحملها.

٤. ومنهم مَن يعرفُ المعنى ويفهمه، ولكن ليس لديه المقومات الصوتية والأدائية التي تساعده لنقل ما فَهِم من معاني الآيات.

٥. ومنهم مَن يقرأ على نمط واحد دون أن يضع في اعتباره أهمية التأثير في المستمعين.

(٦)

وقد وضعتُ ضوابط وإجراءات تفصيلية في التعامل مع النبر والتنغيم تطبيقياً وسرتُ عليها:

أولاً: ضوابط في النبر

• جاء اختياري للكلمة المنبورة بناء على موضعها من الجملة، إما لأنها في بداية الجملة؛ كالأدوات التي تسبق الجمل، فتستحق النبر للتنبيه على بدء أسلوب جديد وجملة جديدة غير ما سبق، أو لأن الكلمة تقع موقعاً مهماً من الجملة؛ كأن تكون مبتدأً أو خبراً أو غير خبر، كما هو الحال في الجملة المعترضة وما قبلها وبعدها.

ثانياً: ضوابط في التنغيم

• أما فيما يتعلق بالتنغيم فقد وضعتُ قواعد مقترحة للتفريق بين النغمة الصاعدة، والمستوية، والهابطة، وطبقتها في الدراسة التطبيقية.

• وقد أخذتُ من علماء اللغة القدماء ما لديهم في تنغيم الأساليب اللغوية، وبسطت الحديث عن ذلك في الفصل الثاني (أنواع النبر والتنغيم بمبحثيه)، وفي حديثي عن (وقف التنغيم) في المبحث الأول من الفصل الثاني.

• أما ما يتعلق بنغمات الجملة؛ كنغمات الاستفهام، وطرفي الشرط، وطرفي القسم، وأواخر الجمل في الأساليب الأخرى، فقد أخذت من العلماء السابقين بعضاً منها؛ كتنغيم جملة الاستفهام بالهمزة و(هل)، وبغيرهما، واجتهدت في كثير من مواضع التنغيم؛ مثل حديثي عن نغمة الانتظار (التي تغني في بعض مواضع أسلوب الإتمام عن إعادة قراءة كلام سابق ليظهر المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك)، وعن نغمة الإتمام، كما في الشرط والقسم مثلاً، كما اجتهدت في نغمات أواخر الجمل، ووضع النغمة المناسبة لآخر الجملة بناء على معناها وتعلقها بمعنى ما بعدها.

• ومما بذلت فيه جهدي تقسيم المعاني التي يخرج إليها الاستفهام إلى مجموعتين؛ مجموعة الشِّدَّة والقوة، وتكون نغمة آخر جملة الاستفهام فيها نغمة صاعدة، ومجموعة اللين والهدوء، وتكون نغمة آخر جملة الاستفهام فيها نغمة مستوية.

هذا ما لدي، وأنتظر جهود غيري في التقويم والتسديد والتطوير فيما يتعلق بنبر الأساليب اللغوية وتنغيمها بما يناسب معانيها، وقد أتبناها إذا وجدتها مقنعة.

ثالثاً: ضوابط في تتابع الأساليب

• حرصت على التقعيد لتنغيم تتابع الأساليب في الآية الواحدة، وكيف يفصل بين الأساليب تنغيميّاً، أي: هل الجملة المعطوفة (بالواو غالباً) على جملة الاستفهام، أو الشرط، أو الأمر، أو النهي، وغيرها من الأساليب تأخذ حكمها من حيث التنغيم؟ وما ضوابط استمرار النغمة في أكثر من جملة معطوفة أو متعلقة بما قبلها في الأسلوب الواحد؟

ومن أجل هذه الأسئلة جعلت ثلاثة ضوابط لهذه المسألة: الأول: درجة التوافق بين الجملتين في الصيغة، والفاعل، والمفعول، والزمن، والتعليل. الثاني: مدى وجود ترابط لغوي بين الجملتين - غير العطف بالواو - كالضمائر والتوابع. الثالث: مدى صحة أن تكون إحدى الجمل المعطوفة استئنافية فيتقرر فصلها عما قبلها.

كل ذلك كان في الاعتبار لتحديد امتداد النغمة إلى جمل أخرى، أو وقوفها عند جملة معينة. ولأهمية هذه المسألة في أسلوب الاستفهام خاصة، وبناء على استقراء آيات الاستفهام فقد فصّلتُ في ضوابط امتداد النغمة بين الجمل بعد جملة الاستفهام في مبحث التنظير له.

رابعاً: ضابط تحديد مفاصل الجملة

• ذكرتُ في حديثي عن التأصيل لعلم النبر والتنغيم مفهوم مفاصل الجملة، وأنه ليس المقصود بالمفاصل الأركان الأساسية للجملة العربية فقط؛ كالمبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل، بل المقصود أيضاً أركان الجملة الخاصة بالأسلوب؛ ذلك أن لكل أسلوب أركانه التي لا يقوم إلا بها، ومن أهم أركان الجمل في أغلب الأساليب (الأدوات)، فمفاصل الجملة وأركانها هي المكوناتُ الأساسيةُ لها الخاصة بالأسلوب التي وردت فيه.

• تتعامل هذه الموسوعة في تحديد مفاصل الجملة وتحديد حقها من النبر والتنغيم مع الكلمات المذكورة في القرآن، وليس مع الكلام المقدر عند حذف جواب شرط، أو جواب قسم، أو غير ذلك مما هو موجود في

القرآن الكريم لأغراض بلاغية. ولذلك إنْ وجد في الآية جملة تسدّ مسدّ الكلام المقدر تنغيميّاً أعطيتْ من التنغيم ما يُظهر ذلك، وإن لم توجد فسيبقى آخر الجملة - المقدر جزء منها - بنغمة مستوية أو صاعدة للإشارة بالتنغيم إلى الكلام المقدر، وليحصل الأثر على المستمع من ذلك الحذف.

خامساً: ضابط تنغيم الآيات المتتابعة

- ومع أن هذه الموسوعة تحلل كل أسلوب لغوي - نبريّاً وتنغيميّاً - بشكل مستقل، وتُقطّع الجملة الواحدة في الآية إلى مفاصلها التي هي أكثر أهمية للمعنى وما تحتاجه من نبر وتنغيم إلا أنني راعيتُ أن تكون جميع تفاصيل النبر والتنغيم لأول الجملة وآخرها منسجمة ومتناغمة مع الجمل الأخرى في الآية الواحدة الطويلة، أو في الآيات المتتابعة، أي: أن يكون المطلوبُ من نبر وتنغيم للجزء (مفاصل الجملة) منسجماً مع المطلوب من نبر وتنغيم للكل (الآية أو الآيات)، وأن يظهر ذلك الانسجام عند قراءة الأساليب متتابعة في الآية أو الآيات في المقطع القرآني الواحد.

(٧)

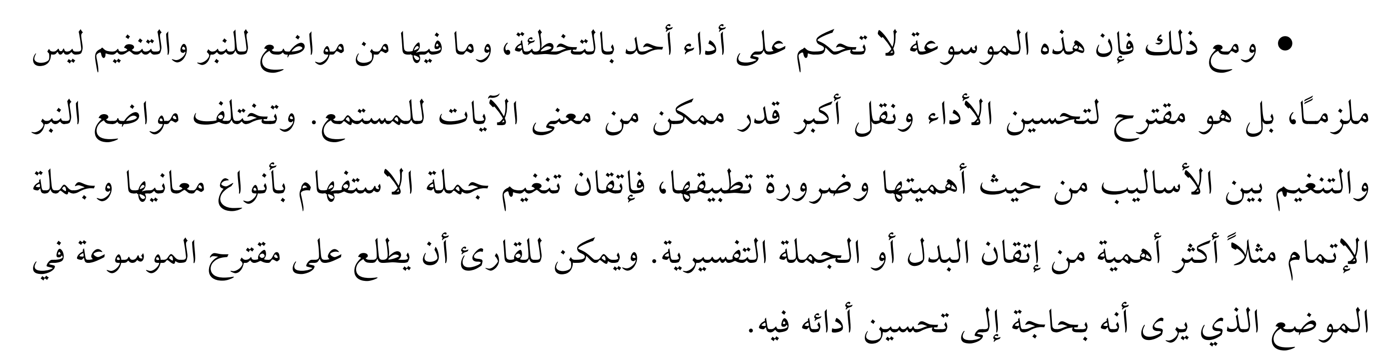
تساؤلات مشروعة

قد ترد بعض الأسئلة والاستفسارات في أذهان بعض العلماء والقراء والمهتمين بتعليم القرآن الكريم، وهذه بعض الأسئلة والتعليقات المهمة التي سمعتها ممن اطلع على فكرة هذه الموسوعة:

لكل إمام ومقرئ تنغيمه وأداؤه الشخصي

- قد يقول قارئ مجيد بأنه سيُخرجُ الحروف من مخارجها ويطبق أحكام التجويد المعروفة، ولكل إمام أو مقرئ تنغيمه وأداؤه الشخصي، أما نبر كلمات الجملة وتنغيمها؛ كأداة الاستفهام وجملته، فسينغّم كيفما يشاء.

- **وأقول:** هل كان العرب ينغّمون الكلام صعوداً وهبوطاً كيفما اتفق؟ وهل هم ينغّمون الجملة التقريرية كما ينغّمون جملة الاستفهام؟ بالتأكيد ليسوا كذلك. إنهم مثلما أنه يتكلمون بضوابط الإعراب (الرفع والنصب والجر)، فإن لهم ضوابط في تنغيم الأساليب اللغوية المختلفة التي لا يمكن أن تكون متشابهة، ولا حتى متقاربة؛ كأساليب الإثبات، والتقرير، والنفي، والنهي، والاستفهام الإنكاري. ويمكن الرجوع لتفاصيل ذلك في المبحث الثالث من الفصل الأول من هذه الدراسة النظرية.



• ومع ذلك فإن هذه الموسوعة لا تحكم على أداء أحد بالتخطئة، وما فيها من مواضع للنبر والتنغيم ليس ملزمًا، بل هو مقترح لتحسين الأداء ونقل أكبر قدر ممكن من معنى الآيات للمستمع. وتختلف مواضع النبر والتنغيم بين الأساليب من حيث أهميتها وضرورة تطبيقها، فإتقان تنغيم جملة الاستفهام بأنواع معانيها وجملة الإتمام مثلاً أكثر أهمية من إتقان البدل أو الجملة التفسيرية. ويمكن للقارئ أن يطلع على مقترح الموسوعة في الموضع الذي يرى أنه بحاجة إلى تحسين أدائه فيه.

لقد أخذ علماء التجويد ما لدى علماء اللغة مما يتعلق بـ:

- المعاني المعجمية والسياقية للكلمات والجمل.
- الإعراب وضبط الكلمات رفعًا ونصبًا وجراً.
- مخارج الحروف وكيفية نطق الحرف بفصاحة.

ولم أجد عناية كافية - فيما أعلم - بأداء الأساليب اللغوية المتنوعة، ونبرها وتنغيمها بما يناسب معانيها؛ لأن ضبط الأداء صعب التدوين، ويحتاج التسجيل الصوتي، وهذا الجانب هو ما تحاول هذه الموسوعة دراسته وتطويره.

وأعتقد أن الاهتمام بأداء الأساليب اللغوية بما يخدم معناها يحتاج إلى دراسات كثيرة، وربما إلى ندوات، وحلقات نقاش علمي، وتسجيل رسائل علمية، قد تأخذ عشرات السنين للخروج بمعايير عامة في أداء الأساليب اللغوية بما يخدم معناها، وما هذه الموسوعة إلا خطوة في هذا الطريق الطويل.

النبر والتنغيم يؤخذ مشافهة

• قد يرى أحد الباحثين أن كثيراً من القراء والأئمة يهتمون بتنغيم جملة الاستفهام، وبنبر أداة النفي وأداة النهي وفعل الأمر، وبناء على ذلك فهذه الموسوعة لم تأت بجديد، والمقرئون قد أخذوا ذلك مشافهة من مشايخهم، وهذا الأمر مما لا يُؤخذ من الكتب ولا يُتقن بقراءتها ولو كانت جيدة في بابها.

• وأقول: صحيح أن الموسوعة لم تأت بجديد، وأن عدداً كثيراً من القراء المجيدين يهتمون بالنبر والتنغيم بشكل جيد - ولله الحمد - ويهتمون بتنغيم جمل الاستفهام، والإتمام، والشرط، والقسم، والأمر، والنهي بما أخذوه مشافهة من مشايخهم، وبعضهم له سنده المتصل بالرسول ﷺ. ومع ذلك فهذه بعض الوقفات التي تكشف جزءاً من واقع الاهتمام بالنبر والتنغيم للأساليب اللغوية بين بعض القراء والأئمة والطلاب في هذا الزمن:

وقفات:

أولاً: أنّ القراء اليوم متفاوتون في إتقانهم للنبر والتنغيم المناسبين للأسلوب اللغوي، ويمكن التدقيق في أداء بعضهم لأسلوب الاستفهام في سور: (النمل، والطور، والواقعة، والملك)، وأسلوب القسم في سور: (الشمس، والنازعات، والعاديات)، وأسلوب الشرط في سور: (التكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة) وغيرها.

أمثلة:

قليل من الأئمة والقراء مَن يعطي الاستفهام الإنكاري حقه من التنغيم بنغمة صاعدة في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ...﴾، وهي كثيرة في القرآن الكريم، بل يؤديه بنغمة هابطة؛ لأن هذا الاستفهام غالبًا يكون في آخر الآية.

وبعضهم لا يُشعر المستمعَ أنه يقرأ أسلوب قسم، أو أسلوب شرط في أول سورة (التكوير)، وسورتي: (المرسلات، والقيامة)، أو أول سور: (الذاريات، والصافات، والشمس) مثلاً، فيضيع معنى كثير بهذا الترك للتنغيم المناسب للأسلوب.

ومنهم من لا يعطي اسم الاستفهام حقه من النبر في حالة إدغام (أم) في (مَنْ) الاستفهامية (أمّن..)، كما في سورتي: (النمل، والملك)، فلا يدري المستمع أن الجملة استفهامية، وكان على القارئ تمييز (مَن) الاستفهامية بمزيد نبر مع المحافظة على الإدغام.

ثانيًا: أنّ أداء القارئ الواحد يتفاوت للجملة الواحدة حينما يقرؤها في أوقات متفرقة، سواء أكانت جملة استفهامية، أم شرطية، أم من أسلوب القسم، ولا يختلف أداؤه في أحكام التجويد الأخرى.

ثالثًا: أنّ من أهم الأسباب التي جعلت القراء متفاوتين في إعطاء الأساليب اللغوية ما تحتاجه من نبر وتنغيم في أدائهم للقرآن الكريم، وجعلت قراءة القارئ الواحد متفاوتة هو عدم وجود التقعيد والتنظير الكافي لنبر الجملة وتنغيمها في القرآن الكريم.

القراء يطبقون أحكام التجويد ويتقنون الصعود والهبوط في الأداء

- قد يقول أحد المهتمين: إن بعض القراء والأئمة يؤدون النبر والتنغيم المناسبين لموضوع المقطع الذي يقرؤونه كتنغيم الآيات التي فيها ترغيب أو ترهيب، كما أنهم ينغمون الكلمات التي فيها أحكام النون والميم الساكنتين وغيرها من أحكام التجويد المعروفة ويتقنون الصعود والهبوط في الأداء، وهذا يكفي.

- **وأقول**: إن للكلام العربي أنواعاً ومستويات صوتية عديدة، وقد اهتم علماء التجويد بالتنظير والتقعيد لها إلا واحداً كان اهتمامهم به أقل مما يجب - حسب اطلاعي - وهو:
- **نبر الجملة وتنغيمها**: فلم أجد -فيما أعلم - أحداً أعطى هذا المجال من النبر والتنغيم الاهتمام الذي يليق بأهميته وبحجم تفاوت نبر الجملة وتنغيمها حسب نوعها؛ تقريرية أو استفهامية، منفية أو مثبتة، جملة أمر، أو نهي، أو نفي، أو غيرها، وربما أن لصعوبة تدوينه كتابياً أثراً في عدم الاهتمام به، وهذا ما تسعى هذه الموسوعة إلى الإسهام فيه.

أما المستويات الصوتية التي اهتم علماء التجويد بالتنظير والتقعيد لها بشكل متميز فهي:

- **نطق الحروف**: فقد اهتموا بنطقها من مخارجها بفصاحة، وبتحقيقها، وبما يستحقه بعضها من الغنة، والقلقلة، والترقيق، والتفخيم، وغيرها، كما اهتموا بالتحذير من النبر الخاطئ المسبب للوهم الذي يحيل معنى الكلمة إلى غير المراد، كنبر الفاء في قوله: (فجعلهم، فقعوا، فقست)، وما يشبهها، وهو قليل الحدوث ويرفعه ذكر الجملة كاملة.
- **نطق الكلمة والكلمتين**: فقد اهتموا بالمدود بأنواعها، وبأحكام الميم الساكنة، والنون الساكنة، والتنوين. كما اهتم بعضهم بالتحذير من النبر الخاطئ المسبب للوهم الذي يجمع بين كلمتين فيتغير معناهما بسببه، واهتموا بتصويبه، كما اهتموا بأن تُؤدى الكلمة بشكل صحيح نحوياً بإعطائها حقها من حركات الإعراب (رفعاً ونصباً وجراً).
- **التنغيم الموضوعي للمقطع**: اهتم بعض العلماء السابقين كالزركشي، وبعض القراء قديماً وحديثاً بتناسب قراءتهم مع المقطع الذي يقرؤون، ومنهم القراء المهتمون بقراءة القرآن الكريم طبقاً للمقامات، فجعلوا قراءة مقطع الترغيب مختلفاً عن مقطع الترهيب، فمثلاً: تنغيم آخر سورة (آل عمران) مختلف عندهم عن آخر سورة (الطور)، وتنغيم سورة (التوبة) مختلف عن سورة (يوسف).

أما فيما يتعلق بالصعود والهبوط والتنويع في الأداء فإنه ليس كل صعود وهبوط في الأداء مفيداً للمعنى. ومن المهم أن يضع القارئ والإمام في اعتباره أن صوته الصاعد أو الهابط يُعطي إشارة للمستمع بضرورة التركيز في معنى الجملة، ومن المهم أيضاً أن يوجد مسوغ في المعنى لذلك الصعود والهبوط. ولن يكون للأداء الصاعد أو الهابط أثر على المستمع إذا قام به القارئ كيفما اتفق هكذا دون معنى يريد التركيز عليه، بل قد يكون ذلك مُربكاً للمستمع؛ لأن حواس المستمع وعقله استُنفرت، فإذا لم تجد سبباً مقنعاً لها فقد تتكلف العثور على المعنى الذي بسببه صعد الأداء أو هبط، وهنا قد يكتفي المستمع بالانفصال عن القارئ والانشغال بنفسه. ومن أهم ما يساعد القارئ في التلاوة على تحديد مواضع الصعود والهبوط المرتبط بالمعنى إعطاءُ أركان الجملة العربية ومفاصلها المهمة حقها من النبر والتنغيم، وهذا ما قامت عليه هذه الموسوعة.

سبب غياب التنظير والتقعيد

• قد يتساءل مهتم بهذا المجال عن سبب غياب التقعيد والتنظير للنبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم.

وأقول: ربما أن هناك سببين - فيما وجدت -وراء عدم وجود التنظير والتقعيد لنبر الأساليب اللغوية وتنغيمها؛ كالاستفهام، والإتمام، والشرط، والقسم، والأمر، والنهي، والنفي، والدعاء، والنداء، وغيرها عند علماء اللغة وعلماء التجويد:

الأول: صعوبة تدوين النبر والتنغيم وضبط أداء الصوت ونطقه كتابيًّا بشكل يضمن التطبيق الصحيح للنطق المطلوب.

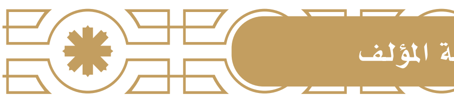
الثاني: أن أصحاب القراءات السبع للقرآن الكريم - وأغلبهم عاش في آخر القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني الهجري - ومن أخذ عنهم من الرواة قد عاشوا في فترة انتشار الإسلام في بلاد غير العرب وفشو اللحن بين بعض العرب، مما اضطرهم للتركيز على أمرين أساسيين، هما: إتقان مخارج الحروف، وضبط قواعد النحو والإعراب. وقد ذكر ابن قتيبة (٢٧٦هـ) هذا الجانب في تعليم القرآن، فبعد أن أكّد أن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرؤوا بلغاتهم وجروا على عادتهم، قال: (ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم، ليس لهم طبع اللغة ولا علم التكلف، فهَفَوا في كثير من الحروف وزلّوا، وقرؤوا بالشاذ وأخلوا).[(١)] فانشغال أصحاب القراءات والرواة منهم عن التنظير والتقعيد، وضبط أداء الأساليب اللغوية انشغال طارئ بسبب فشو اللحن وتعليم غير العرب، ولا يعني هذا أن أصحاب الروايات ومن أخذ عنهم بالسند عن النبي ﷺ أنهم لم يهتموا بأداء الأساليب اللغوية ونبرها وتنغيمها، بل الاهتمام موجود، والدليل إتقان بعض الأئمة في الأداء بما أخذوه عن مشايخهم، إنما الغائب هو التنظير والتقعيد. وقد أثّر ذلك الغياب - فيما أعلم- على التنظير والتقعيد لعلم التجويد على مر الزمان الذي بدأ بجهود أبي بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ)، وأبي مزاحم الخاقاني (٣٢٥هـ)، ثم أبي الحسن السعيدي (٤١٠هـ تقريبًا)، ثم مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، وأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)، رحمهم الله جميعـًا.

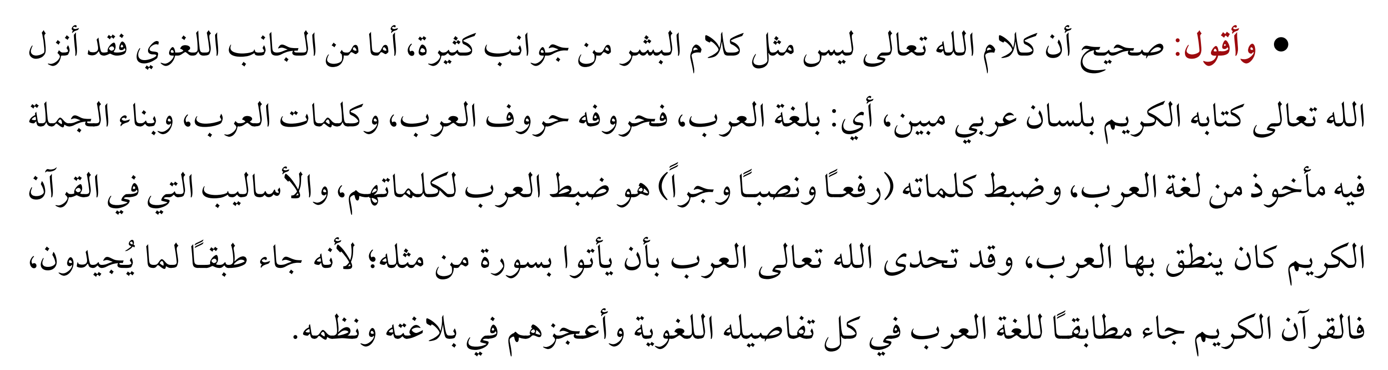
فرق بين كلام الناس وكلام اللّٰه تعالى

• قد يقول مهتم بالدراسات القرآنية والأداء: إنه لا يصح تطبيق معايير كلام البشر على كلام الله تعالى، فكلام الله تعالى له خصوصيته، ويجب ترتيله كما أمر الله تعالى وكما رتله نبينا محمد ﷺ وأخذه عنه الصحابة رضي الله عنهم، ووصلنا بالسند المتصل الصحيح إلى اليوم.

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، ص: ٤٢، وص: ٥٨.





• **وأقول:** صحيح أن كلام الله تعالى ليس مثل كلام البشر من جوانب كثيرة، أما من الجانب اللغوي فقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم بلسان عربي مبين، أي: بلغة العرب، فحروفه حروف العرب، وكلمات العرب، وبناء الجملة فيه مأخوذ من لغة العرب، وضبط كلماته (رفعاً ونصباً وجراً) هو ضبط العرب لكلماتهم، والأساليب التي في القرآن الكريم كان ينطق بها العرب، وقد تحدى الله تعالى العرب بأن يأتوا بسورة من مثله؛ لأنه جاء طبقاً لما يُجيدون، فالقرآن الكريم جاء مطابقاً للغة العرب في كل تفاصيله اللغوية وأعجزهم في بلاغته ونظمه.

ومباحث علم التجويد في القرون الأربعة الأولى هي مباحث علم اللغة، خاصة الأصوات والقراءة،[(١)] وقد سبق علماءُ العربية من النحاة واللغويين علماءَ التجويد في دراسة الأصوات العربية وما يعتري نطق الحرف العربي من تغيرات في أثناء الكلام. فقد عُني كثير من علماء العربية، مثل: الخليل بن أحمد، وسيبويه، والمبرد، وابن جني، وابن دريد، والزجاجي، والأزهري، وابن يعيش بحروف اللغة العربية، وتبيين مخارجها، وصفاتها، ومسائل الروم، والإشمام، والقلب، والحذف، والإدغام بين الحروف.[(٢)] وقد قام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القراءات، وصاغوا منها هذا العلم الجديد الذي اختاروا له اسم (علم التجويد)، وواصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية. وعلى الرغم من استناد علماء التجويد على جهود سابقيهم من علماء العربية وعلماء القراءات فقد جاء عملهم متميزاً، ولا يمكن أن نعدّه جزءاً من تلك الجهود، وإنما جاء عملاً شاملاً للدرس الصوتي للكلام العربي.[(٣)]

النبر والتنغيم أساسي أو ثانوي

• قد يطرح أحدهم السؤال الآتي: هل تطبيق النبر والتنغيم الذي تدعو إليه هذه الموسوعة شيء أساسي أو ثانوي لقارئ القرآن الكريم؟

---

(١) انظر: فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد، د. سعود بن عبدالله الفنيسان، ص: ١٢.

(٢) انظر كتبهم الآتية: كتاب العين (المقدمة) للخليل بن أحمد، والكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، وسر صناعة الإعراب لابن جني، وجمهرة اللغة (المقدمة) لابن دريد، وكتاب الجمل للزجاجي، وتهذيب اللغة (المقدمة) للأزهري، وشرح المفصل لابن يعيش، وغيرها.

(٣) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٢١.

- **وأقول**: إن النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم بما يتوافق مع معاني الأساليب اللغوية المختلفة إنما هو لتحسين أداء القرآن الكريم، وليس بواجب مَن تركه فهو آثم، وما في هذه الموسوعة من مواضع للنبر والتنغيم ليس ملزمًا، بل هو مقترح لاختلاف قدرات المسلمين في الفهم والنطق، وتختلف أهمية الأساليب المطروحة في هذه الموسوعة، فالاستفهام، والإتمام، والقسم، والشرط أهم من البدل، والتوكيد، وما تدعو إليه هذه الموسوعة فهو من كمال أداء القرآن الكريم فمن يستطيعه فهو في حقه أساسي ومهم.

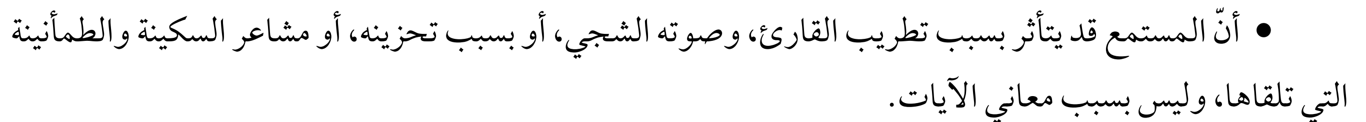
لا علاقة بين المعنى والنبر والتنغيم

- وقد يقول مهتم أو باحث في مجال أداء القرآن الكريم: إن هذه الموسوعة تقوم على افتراض وجود علاقة قوية بين المعنى والنبر والتنغيم، وهو افتراض غير صحيح وإن وجد ففي مواضع قليلة جداً، وهي علاقة ضعيفة لا تؤثر على المعنى.
- **وأقول**: إن هذه الموسوعة بمجملها وتفاصيلها تجيب عن هذا السؤال المهم، ومع ذلك فقد بسطت الحديث عن علاقة النبر والتنغيم بالمعنى في فقرة (ثانيًا) من التمهيد، وعنوانها: أهمية أداء القرآن الكريم ونبره وتنغيمه بمراعاة معاني الأساليب اللغوية، فيمكن الرجوع إليها.

وللمختصين أن يدرسوا - دراسة علمية صوتية ميدانية - عدداً من قراءات المقرئين أو الأئمة، ويقارنوا بين معاني الاستفهامات الإنكارية في القرآن الكريم التي تُؤدى بما تستحقه من نبر وتنغيم، وتأثيرها في النفوس ووصول المعنى للمستمعين، وتلك التي تُؤدى بقراءة لا تراعي الأساليب اللغوية ومعانيها.

المسلمون يتأثرون بالقرآن قبل هذه الموسوعة

- قد يقول أحد القراء الكرام: إنه على الرغم من عدم التزام بعض القراء والأئمة بنبر الأساليب اللغوية وتنغيمها بما يناسب معانيها إلا أن الناس يتأثرون ويبكون، فهذا يدل على أن الاهتمام بالنبر والتنغيم بالشكل الذي تطرحه هذه الموسوعة لن يزيدهم تأثراً.
- **وأقول**: إن هذه الموسوعة تنتصر للمعنى، وتحث على ربط النبر والتنغيم بمعنى الآيات القرآنية، أما من يتأثر بالقراءة التي تخلو من النبر التنغيم المرتبط بمعنى الآيات فهو قد يتأثر لأسباب عديدة، منها:
- أنّ هذا المستمع فهمَ الآيات على وجهها، وسدد النقص الموجود في النبر والتنغيم، وهذا العمل لا يقوم به إلا الحاذقون من أهل القرآن المدركون لأسرار اللغة العربية.
- أنّ المستمع يستحضر أنّه يسمع كلام الله تعالى، وهذا كاف للخشوع والتأثر.
- أنّ المستمع قد يكون في صلاة وهذا يزيد من خشوعه، فجاهزيته للتأثر عالية جداً.

• أنّ المستمع قد يتأثر بسبب تطريب القارئ، وصوته الشجي، أو بسبب تحزينه، أو مشاعر السكينة والطمأنينة التي تلقاها، وليس بسبب معاني الآيات.

وهذا النوع من التأثر يمكن أن يحدث عند سماع القرآن الكريم، ويمكن أن يحدث عند أي تنغيم وتطريب لأي كلام حتى ولو لم يكن مفهومـاً، فهو تأثر مرتبط بالقدرات الصوتية، وتنوع التنغيم، لا بمعنى الكلام الذي يتلى، كما أنه مرتبط بحالة المستمع النفسية.

وفيما يتعلق بأسباب التأثر المرتبطة بسماع القرآن الكريم، فإن هذه الموسوعة تدعو ليتأثر المستمع بمعاني القرآن الكريم؛ لأن المعاني أعلق بالقلب، والمتأثر بالصوت يكون تأثره عابراً بينما المتأثر بالمعنى يكون تأثره أكثر ثباتـاً وتمكنـاً من القلب، وهذا فطريـاً أدعى للاستجابة والعمل والاستقامة، كل ذلك بالإضافة إلى تأثره بتلك الأسباب التي منها معرفته أن هذا كلام الله تعالى.

إن أي مسلم يتلو القرآن الكريم سيؤثر في الناس بدرجات متفاوتة، ولكن ليس بالضرورة أن تكون قراءته جيدة وناقلة للمعنى نبريّـاً وتنغيميّـاً؛ بل لأن القرآن كلام الله المعجز المؤثر، والمستمع جاهز للتأثر به ويستحضر كل ذلك.

إخضاع أداء القرآن الكريم لأبواب النحو

• **قد يقول باحث**: لماذا أخضعت أداء القرآن الكريم لأبواب النحو، وربطت الأداء بها؟

• **وأقول**: أبواب النحو والبلاغة ومسائلهما ليست من عند العلماء، ولم يخترعوها من عند أنفسهم، ومحور ما فعله العلماء أنهم جاؤوا لكلام العرب، ودرسوه، وحللوه، وأظهروا ما فيه من قواعد مطردة، استنبطوها من كلام العرب وأشعارهم بناء على معاني الكلام، فوضعوا لأنواع الجمل مصطلحات، وأقسامـاً، وأنواعـاً بناء على ما درسوا من كلام العرب. والقرآن الكريم نزل بلغة العرب، ففيه ما في كلام العرب من أنواع، وجمل، وأحوال ... وجميع أبواب النحو مرتبطة بمعنى الكلام ارتباطـاً وثيقـاً لا يمكن أن تنفصل عنه، وإعطاء تلك الأبواب اعتباراً في الأداء (نبراً وتنغيمـاً) إنما هو إعطاء اعتبار للمعنى بشكل أساسي، وليست معرفة أبواب النحو ومصطلحاته مهمة حتى يضبطها القارئ ويتقنها، ولا يضر أداءه الجهلُ بها، بل المهم إعطاء الكلمات القرآنية حقها من النبر والتنغيم.

ليس هناك حاجة لكل هذه الجداول

• قد يرى بعض المهتمين أنه لم يكن هناك أي داع لكل هذه الجداول، وكان بالإمكان أن يُختصر المشروع على نماذج من الجداول ويكفي؛ لأن القارئ لا يمكنه استحضارها أو تذكرها وهو يقرأ، خاصة أن الآية الواحدة في الغالب متفرقة على الأساليب.



- **وأقول:** الجداول فيها تحليل، وتفسير، وتعليم، وتعليل، وهي مرجع عند الحاجة إليها. والمطلوب من القارئ أن يعرف المعنى وهو يقرأ القرآن الكريم، وهذا يتطلب منه أن يكون عارفاً بالأساليب اللغوية التي يمرّ عليها في الآيات وأركانها ودلالاتها وإلا لن يعرف المعنى، وإذا لم يعرف المعنى العام للآية فلن يستطيع أن يخدمه بنبر أو تنغيم كما يجب، فقد يكون الأمر صعباً في بداياته، لكن الممارسة والتركيز سيجعلانه سهلاً بإذن الله تعالى، فإن شكّ القارئ في موضع معين فستساعده الجداول في تحديد المطلوب والتعليل له.

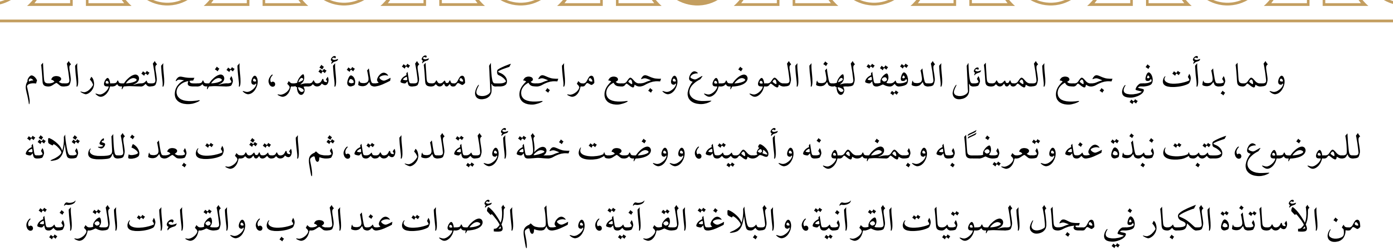
(٨)

وقد بدأ اهتمامي بأداء القرآن الكريم ونبره وتنغيمه بمراعاة معاني الأساليب اللغوية زمن دراستي في كلية اللغة العربية قبل خمس وثلاثين سنة (١٤٠٦ - ١٤٠٩هـ)، وبعد تخرجي فيها ازددت فهماً لبعض التفاصيل الدقيقة في هذا الكتاب المعجز العظيم، وكانت الظواهر الأسلوبية التي يبرز بسببها تنغيم خاص في سورة معينة تشدّني بقوة، فأتأمل في الفروق اللغوية المؤثرة في التنغيم بين سور: الجن، والنجم، والحاقة، وغيرها. وفي ذلك الزمن أصبحت إذا انبهرت بآية من كتاب الله تعالى أحاول تحديد أسباب هذا الانبهار، فأخرج أحياناً قليلة بشيء يرضيني، وأحياناً كثيرة يبقى الانبهار والإعجاب دون وقوف حقيقي على سبب معين. وحينما سألني أحدهم ذات مرة: لماذا (أنسى) نفسي ولا أتعب وأنا أصلي التراويح وراء إمام مجيد ذي صوت حسن، وأتعب بسرعة وراء إمام آخر، والقرآن هو القرآن؟ لم أستطع الإجابة، وبقيَ السؤال مفتوحاً يشغلني ويحفزني للعمل والتقصي.

وفي أثناء دراستي في مرحلة الدكتوراه في بريطانيا عام ١٤٢٠هـ وما بعده بحثت جانباً يتعلق بالعناصر اللغوية المؤثرة في عملية الاتصال، فكثرت الأسئلة التي تستحق التأمل والبحث والاستقصاء في المسائل المتعلقة بتلاوة القرآن الكريم وأدائه.

ومنذ أكثر من خمسة عشر عاماً بدأت في رصد مظاهر تفاوت الأداء بين المقرئين والأئمة في تلاوة القرآن الكريم خاصة فيما يتعلق بتنغيم الأداء وعلاقة التنغيم بالأسلوب اللغوي الذي في الآية أو في جزء منها، وقد كبُر معي هذا الرصد والتتبع، وعقدت العزم في محرم عام ١٤٣٥هـ على بحث هذه المسألة من أداء القرآن الكريم، واستعنت بالله تعالى، وألححت بالدعاء في مواطن الإجابة الزمانية والمكانية أكثر من سنة بأن يوفقني لما يخدم كتابه الكريم، وأن يسدّد أمري ليخرج هذا العمل على الوجه الذي يرضيه سبحانه، ويخدم كتابه الكريم والمسلمين أجمعين.





ولما بدأت في جمع المسائل الدقيقة لهذا الموضوع وجمع مراجع كل مسألة عدة أشهر، واتضح التصورالعام للموضوع، كتبت نبذة عنه وتعريفاً به وبمضمونه وأهميته، ووضعت خطة أولية لدراسته، ثم استشرت بعد ذلك ثلاثة من الأساتذة الكبار في مجال الصوتيات القرآنية، والبلاغة القرآنية، وعلم الأصوات عند العرب، والقراءات القرآنية، وطلبت منهم التكرم بقراءة ما أكتب وتقويمه بشكل دوري وتقديم الملحوظات عليه، وهم:

الأول: الأستاذ الدكتور العالم غانم قدوري الحمد، أستاذ الصوتيات القرآنية وعلم التجويد، عمل أستاذاً في جامعة بغداد، ثم في جامعة تكريت، وغيرها، له أكثر من ستة وعشرين مؤلفاً، وأكثر من أربعة وثلاثين كتاباً محققاً، وأكثر من سبعين بحثاً كلها في مجال الصوتيات القرآنية وعلم التجويد، أمدّ الله في عمره وبارك في علمه وعمله.

والثاني: الأستاذ الدكتور يوسف بن عبدالله العليوي، أستاذ البلاغة القرآنية في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام بالرياض، له أكثر من عشرة بحوث في دراسة بلاغة القرآن الكريم، أمدّ الله في عمره وبارك في علمه وعمله.

والثالث: الأستاذ الدكتور عبدالله بن محمد الأنصاري، أستاذ علم الصوتيات في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام بالرياض، له كتاب عن القرينة الصوتية عند العرب، وله أكثر من عشرة بحوث في مجال النحو، واللغة، والأصوات، والمعالجة الآلية للغة العربية، كما أنه من المتقنين للقراءات القرآنية، وله جهود كبيرة تنظيراً وتطبيقاً في تعليم القرآن الكريم منذ أكثر من أربعين سنة، أمدّ الله في عمره وبارك في علمه وعمله.

كما قرأ هذه الموسوعة وقدم ملحوظات مهمة لتطويرها الدكتور محمد بن عادل السيد، وهو قارئ مُجيد حافظ لكتاب الله تعالى وأكاديمي لغوي متمكن، أسهمت آراؤه ومقترحاته في تطويرها ونقلها من عمل مقتصر على تنغيم أسلوبي الاستفهام والإتمام إلى عمل موسوعي شامل لأغلب الأساليب اللغوية، فجزاه الله خيراً وبارك في جهوده.

ثم أرسلت الموسوعة للأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن معاضة الشهري، أستاذ التفسير والدراسات القرآنية في جامعة الملك سعود بالرياض لقراءتها والتعليق عليها بما يراه فقرأها جزاه الله خيراً، وكتب مقدمة لها.

لقد بذل هؤلاء الأساتذة الكبار جهوداً كبيرة في قراءة ما كتبت وتقديم الملحوظات منذ أن كان فكرة حتى اكتمل، فقرأوا هذه الموسوعة مفرقة ومجموعة، وقدموا لي ملحوظاتهم وآراءهم، واستفدت منها كثيراً في تطوير العمل.

(٩)

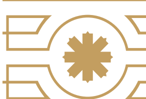
وقد كان عنوان هذا العمل العلمي في بدايته (النبر والتنغيم في أداء جملتي الاستفهام والإتمام في قراءة القرآن الكريم، دراسة نظرية وتطبيقية)، ولما وصلتني مقدمة أستاذي الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد، وقرأت مقترحه بأنه يأمل أن أتمكن في نهاية المطاف من إصدار (موسوعة النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم)، شعرت بعظم المسؤولية وضخامة الطموح، وبعد بضعة أشهر استعنت بالله تعالى وقررت تطوير العمل ليكون شاملاً لأشهر الأساليب اللغوية في القرآن الكريم التي تحتاج نبراً أو تنغيماً لتظهر في الكلام، فاخترت تسعة وعشرين أسلوباً لغوياً وأدخلتها مع الاستفهام والإتمام مع أن تلك الأساليب متفاوتة في الحاجة للنبر والتنغيم لإظهار معناها، فليس الاستفهام، والإتمام، والشرط، والقسم، والنفي، والاستثناء، والأمر، والنهي، والتعليل، والنداء، والإضراب، والاستدراك، في الأهمية كالجملة التفسيرية، والتقريرية، والدعاء، والمدح والذم، والبدل.

وقد سميت العمل بدراسته النظرية والتطبيقية ووجوده في (محرك بحث) مدعوم بالتطبيق الصوتي على الإنترنت وفي تطبيقات الجوالات الذكية (موسوعة النبر والتنغيم في الأداء القرآني للأساليب اللغوية «تنغيم»).

وبدأت بالنبر قبل التنغيم؛ لأن نبر الجملة - المعتمد في هذه الموسوعة - يختص بالجزء (الكلمة) فبدأت به وجعلت التنغيم بعده؛ لأنه يخص الكل (الجملة وأداءها بما يناسبها كاملة). وفي بعض المواضع سأستخدم مصطلح (التنغيم) للدلالة على النبر والتنغيم معاً تسهيلاً للقارئ، ولأن التنغيم أشمل وأعم من النبر.

وقد جعلتُ الدراسة النظرية في تمهيد وفصلين؛ فالتمهيد بعنوان: أداء القرآن الكريم، وقد تحدثتُ فيه عن مفهوم الأداء وأهميته ومقوماته، والجانب التوقيفي من أداء القرآن الكريم، وجاء الفصل الأول بعنوان: مفهوم النبر والتنغيم ومكانتهما، وتحدثتُ فيه عن ثلاثة مباحث؛ الأول عن مفهوم النبر والتنغيم والفروق بينهما والتأصيل لعلم النبر والتنغيم، والثاني عن علوم ومصطلحات متعلقة بالنبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم، مثل: (التجويد والقراءات، والوقف والابتداء، والبلاغة، والأصوات)، ومصطلحات، مثل: (الترتيل، والتغني، واللحن). والثالث عن مكانة النبر والتنغيم عند السابقين، ومنهم: (علماء اللغة والنحو، والفقهاء وعلماء التجويد والقراءات وعلوم القرآن، والفلاسفة).

أما الفصل الثاني فهو بعنوان: أنواع النبر والتنغيم ووظائفهما، وفيه مبحثان؛ الأول تحدثتُ فيه عن أنواع النبر ودرجات التنغيم وأنواعه، وتنغيم الأساليب اللغوية بما يناسب معانيها، و(وقف التنغيم)، والثاني عن وظائف النبر والتنغيم؛ كالوظيفة التأثيرية، والتركيبية الدلالية.



أما الدراسة التطبيقية فقد تضمنت واحداً وثلاثين مبحثًا، لكل أسلوب مبحث مستقل يبدأ بالتأصيل النظري له ثم دراسة تطبيقية لأغلب الآيات التي تدخل فيه، ولكل أسلوب جداوله التي تكشف خط النبر والتنغيم لجملته. والواحد والثلاثون مبحثًا هي للأساليب الواحد والثلاثين الآتية: الاستفهام، والإتمام، والقسم، والأمر، والشرط، والنداء، والنهي، والاستثناء، والنفي، والقصر، والإضراب، والدعاء، والتفضيل، والاستدراك، والجملة التقريرية، والتعليل، والجملة المعترضة، والجملة التفسيرية، والعرض والتحضيض، والتنبيه، والمدح والذم، والتقسيم، والتعديد، والترجي، والتمني، والجواب، والبدل، والتوكيد، والاختصاص، والتعجب، والتحذير والإغراء.

وقد كان الحديث في كل أسلوب عن مفهومه، وأنواعه، وأدواته، ومواضعه، ووجوده في القرآن الكريم، وأهم الظواهر اللغوية التي فيه، ونبر الأسلوب وتنغيمه، وخط النبر والتنغيم الخاص بجملته. وختمت الدراسة النظرية للموسوعة بمسرد بأهم المصطلحات، وبقائمة بأهم المصادر والمراجع للدراسة النظرية والتطبيقية.

وقد التزمتُ برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود رحمهما الله تعالى. ورجعتُ في الدراسة النظرية إلى أكثر من (٣٦٠) مرجعًا، أما الدراسة التطبيقية بكل تفاصيلها الإعرابية والبلاغية؛ مثل تحديد المعاني التي تخرج إليها الأساليب اللغوية، كتحديد معاني الاستفهام، والأمر، والنهي، والترجي، وغيرها، وتحديد مكونات الجملة وأنواعها، وإعرابها - فقد رجعتُ فيها إلى كتب رئيسة، أهمها: تفسير الكشاف لجارالله الزمخشري (٥٣٨هـ)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، وتفسير أبي السعود (٩٨٢هـ)، وروح المعاني لشهاب الدين محمود الألوسي (١٢٧٠هـ)، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ)، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور محمد عبدالخالق عضيمة (١٤٠٤هـ)، والتفسير البلاغي للاستفهام للدكتور عبدالعظيم المطعني (١٤٢٩هـ)، والتفصيل في إعراب آيات التنزيل لثلاثة من العلماء: (د. عبداللطيف الخطيب، أ. د. سعد مصلوح، رجب العلوش). وفي مسائل الوقف والابتداء رجعت إلى: إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ)، والقطع والائتناف لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، والمكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)، وعلل الوقوف لابن طيفور السجاوندي (٥٦٠هـ)، ومنار الهدى في الوقف والابتدا لأحمد الأشموني (القرن الحادي عشر الهجري).

وتفاديًا لتداخل مصطلحات النبر والتنغيم وأنواعهما وعدم دقة بعضها فلن أستعمل في الدراسة التطبيقية إلا المصطلحات الآتية: النبر، والتنغيم، وخط النبر والتنغيم، ووقف التنغيم، والنغمة الصاعدة، والنغمة الهابطة، والنغمة المستوية، ونغمة الانتظار، ونغمة الإتمام، ونبر الجملة الرئيس، ونبر الجملة الخفيف.

وبعد:

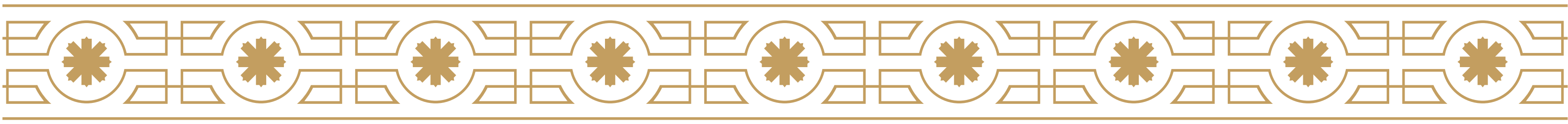
فإن هذا العمل جهد بشري يعتريه النقص، والخطأ، والتقصير، وسوء الفهم والتقدير، وإني أدعو القادرين المهتمين بإتقان المسلمين لتلاوة القرآن الكريم أن ينظروا في هذا المسار من إتقان تلاوة كتاب الله تعالى، ويضيفوا على هذا الجهد ما يمكن أن يضاف، ويسددوا نقصه، ويصححوا الخطأ خدمة لكتاب الله وتطويراً لعلاقة المسلمين بكتاب ربهم، بما يرفع درجة تأثيره في نفوسهم.

أسأل الله تعالى القبول والغفران إنه سميع مجيب.

عبدالله بن محمد المفلح
الرياض
١٨ محرم ١٤٤٥هـ

للتواصل:
أ.د. عبدالله بن محمد المفلح
MFLH66@YAHOO.COM
تويتر @Prof_almuflih
واتساب 0546009899





التَّمهِيد

أداء القرآن الكريم

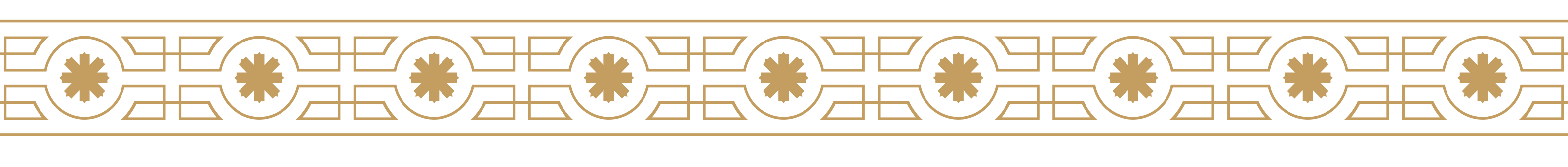
أولاً: مفهوم أداء القرآن الكريم

ثانيـًا: أهمية أداء القرآن الكريم وتنغيمه بمراعاة معاني الأساليب اللغوية

ثالثـًا: مقومات أداء القرآن الكريم والتأثر به

- المقومات الإيمانية
- المقومات النفسية
- المقومات المعرفية
- المقومات الصوتية

رابعـًا: الجانب التوقيفي من أداء القرآن الكريم







التمهيد: أداء القرآن الكريم

أولاً: مفهوم أداء القرآن الكريم

الأداء في اللغة هو الإيصال،[١] يقال: أدى الشيء، أي: أوصله إلى من يريد إيصاله إليه، وأما في الاصطلاح فله مفهومان: الأول: أنه يقصد به النقل والرواية، كما ذكر أبو شامة من أن لفظة الأداء كثيرة الاستعمال بين القراء، وأنهم يعنون بها تأدية القراءِ القراءةَ إلينا بالنقل عمن قبلهم.[٢]

أما المفهوم الثاني - وهو الأشهر عند إطلاق مصطلح الأداء - فهو تجويد القراءة، وهو المهارة في تصحيح الحروف وتقويمها، وإخراجها من مخارجها، وترتيبها مراتبها... من غير إفراط يؤدي إلى التشنيع ولا نقصان يفضي إلى التضييع.[٣] ولهذا يقال: هو حَسَنُ الأداء إذا كان حسن إخراج الحروف من مخارجها.[٤] ولا يقتصر الأمر على أصوات الألفاظ بل تشمل الهيئات الأدائية؛ كالإشمام في بعض صوره والسكت ونحوها مما نقل من وجوه الأداء.[٥]

كما يدخل من قبيل الأداء - بهذا المفهوم - التفريق حال التلاوة بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، وأصوات (من) و(ما) ونحوهما صعوداً وهبوطاً، وهو على ذلك لا يعرف أكثره حق معرفته بالقول والصفة، بل يوقف عليه بالرواية والمشاهدة؛ إذ ليس الخبر كالمعاينة.[٦] وبناء على ذلك فإن هذه الموسوعة بما فيها من مواضع النبر والتنغيم تدخل في المفهوم الثاني للأداء.

ومن المعلوم بالضرورة أن الناس متفاوتون في أداء القرآن الكريم، وما يتصل به من وجوه اختلاف القراءة وتجويد التلاوة؛ نظراً لاختلاف فهمهم لمعنى الآيات، واختلاف قدراتهم الصوتية في أداء كلمات القرآن الكريم بما يتطابق مع المعنى الذي فهموه من الآية في أثناء القراءة. وبناء على ذلك فكل ما ليس متواتراً عن النبي

---

(١) انظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، مادة (أدى).

(٢) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (أبو شامة)، ص: ٢٥٣.

(٣) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ٢٢. والتحديد في الإتقان والتجويد، أبوعمرو الداني، ص: ٦٨. ولطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ٢ / ٤٢٣.

(٤) انظر: تاج العروس، محمد الزبيدي، مادة (أدى).

(٥) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٢٤، ٢٥.

(٦) انظر: الهادي في معرفة المقاطع والمبادئ، أبو العلاء الهمذاني العطار، الكتاب الخامس، الباب الخامس (مخطوط)، عن كتاب: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٢٤.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قراءة القرآن الكريم مما يجوز للمسلمين أن يتفاوتوا فيه فهو من قبيل الأداء غير الواجب. يقول ابن الجزري: (فإنه إذا ثبت أن شيئًا من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواتراً عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ كتقسيم وقف حمزة وهشام، وأنواع تسهيله، فإنه وإن تواتر تخفيف الهمز في الوقف عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فلم يتواتر أنه وقف على موضع بخمسين وجهًا، ولا بعشرين، ولا بنحو ذلك، وإنما إن صح شيء منها فوجه، والباقي لا شك أنه من قبيل الأداء).(١)

وما وضعه أئمة الأداء والدراية من مبادئ ومفاهيم في أداء القرآن الكريم هو المعتمد في جودة القراءة وعدمها، قال مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ): (وليس قول المقرئ والقارئ: أنا أقرأ بطبعي، وأجد الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئًا مما ذكرته بحجة، بل ذلك نقص ظاهر فيهما؛ لأن من كانت حجته هذه يصيب ولا يدري، ويخطئ ولا يدري؛ إذْ علمُه واعتماده على طبعه وعادة لسانه يمضي معه أينما مضى به من اللفظ، ويذهب معه أينما ذهب، ولا يبني على أصل، ولا يقرأ على علم، ولا يقرىء عن فهم. فلا يرضين امرؤ لنفسه في كتاب الله جل ذكره وتجويد ألفاظه إلا بأعلى الأمور وأسلمها من الخطأ والزلل).(٢)

وإذا كان الأداء الصوتي وسيلةً مهمة لإيصال المعنى، فإنه متى تغير المعنى كان ذلك من إخلال القارئ بالتجويد إخلالاً ظاهراً أو خفيّا، أما الظاهر - وهو اللحن الجلي - فيستوي في معرفته الخاصة والعامة، وأما الخفي فهو كاسمه لا يقف عليه إلا حذاق القراء، ومنه الفرق بين الخبر والاستفهام، والنفي والإثبات، ونحو ذلك.(٣)

فالتجويد إذاً لا ينحصر في مسألة التلفظ بمخارج الحروف وصفاتها دون مراعاة معاني الكلمات، وهذا هو المفهوم الأدق للتجويد الذي عليه أئمة الأداء، كما سيأتي بيانه في الحديث عن علم التجويد.

وعلماء المسلمين المهتمون بأداء القرآن الكريم وتلاوته وتجويده من مختلف التخصصات في علوم القرآن واللغة والقراءات والتفسير وغير ذلك متفاوتون في درجاتهم علمًا، ودراية، وحفظًا، وأداءً، فمنهم العالم بوجوه الإعراب، والقراءات، والمعاني، والإسناد، ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده إلا الحفظ والأداء لما تعلم، ومنهم العارف بوجوه الإعراب، لكن لا دراية له بالقراءات والآثار، ومنهم من هو مهتم بأداء القرآن الكريم دون أن يكون ذلك منسجمًا مع معاني الآيات بالشكل المطلوب.(٤)

---

(١) انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري، اعتنى به علي العمران، ص: ١٩٦.
(٢) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ٢٥٤.
(٣) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ٢٠٦ – ٢٠٧. والموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم): ١ / ١٥٩. وانظر الحديث عن اللحن في هذا الفصل.
(٤) انظر: السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ص: ٤٥، ٤٦ بتصرف.

ثانياً: أهمية أداء القرآن الكريم ونبره وتنغيمه بمراعاة معاني الأساليب اللغوية

إن الأهمية الكبرى لأداء القرآن الكريم بمراعاة معاني الأساليب اللغوية تكمن فيما يحصل عليه المستمع لآيات القرآن الكريم من معانٍ تأتيه من الأساليب القرآنية المتنوعة؛ كالاستفهام، والإتمام، والشرط، والقسم، والأمر، والنهي، والنداء، والدعاء، والعرض والتحضيض، وغير ذلك. كما أن الأداء بمراعاة معاني الأساليب اللغوية منطلق من علوم النحو، والبلاغة، والتجويد، وما فيها من قواعد ومبادئ لتحديد المعنى. فقد أُخذ من النحو والبلاغة أنواعُ الجملة العربية، وتحديد أركانها، وأدواتها، وأطرافها، وأحوالها، ومعانيها، وهذا ظاهر في جميع الأساليب المعتمدة في هذه الموسوعة. كما أُخذ من علم التجويد مواضع الوقف والابتداء، والتفريق في الأداء بين الخبر والاستفهام، وبين النفي والإثبات، وبين النفي والنهي، وبين الشرط والتحضيض، وأهمية الترتيل بلحون العرب وأصواتها، وغير ذلك مما جاء عند مكي بن أبي طالب،[(١)] وأبي العلاء العطار،[(٢)] ومحمد السمرقندي،[(٣)] وابن الجزري،[(٤)] وغيرهم.

ويقود أداء القرآن الكريم بمراعاة معاني الأساليب اللغوية كُلًّا من القارئ والمستمع إلى التدبر في كلام الله تعالى، (فإذا مرّ بآية رحمة فرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك، وسأل الله برحمته الجنة، وإن قرأ آية عذاب وقف عندها وتأمل معناها، فإن كانت في الكافرين اعترف بالإيمان فقال آمنا بالله وحده، وعرف موضع التخويف، ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار، وإن هو مرّ بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وقف عندها، وقد كان بعضهم يقول: لبيك ربي وسعديك، ويتأمل ما بعدها مما أُمر به ونُهي عنه فيعتقد قبول ذلك، فإن كان من الأمر الذي قصّر عنه فيما مضى اعتذر عن فعله في ذلك الوقت، واستغفر ربه في تقصيره).[(٥)]

---

(١) انظر: تمكين المد في: (آتى)، و(آمن)، و(آدم)، وشبهه، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص: ٢٧ – ٣٥.

(٢) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ٢٠٦ – ٢٠٧. والموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم): ١ / ١٥٩. وانظر: الحديث عن اللحن في هذا الفصل.

(٣) انظر: روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، محمد بن محمود السمرقندي، (مخطوط) مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مدرسة الحجّيات، الرقم ٢ / ٢٢، ص: ١٣٩ – ١٤١ ظ. نقلاً عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٨، وما بعدها.

(٤) انظر: التمهيد في علم التجويد، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص: ٨٥. وانظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٥.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١ / ٤٥٠.

إن تلاوة القرآن الكريم وأداءه بمراعاة معاني الأساليب اللغوية - نبراً وتنغيماً - تستلزم الحرص على أن يتوافق نبر الكلام وتنغيمه وطبقته مع ما يتطلبه الأسلوب اللغوي والمعنى السياقي للآية المقروءة، وعلى القارئ أن ينبر الكلمات المهمة من الجملة، ويُنوع في التنغيم، وطبقات الصوت، والتلوينات الصوتية الأخرى؛ ليسهم ذلك في انتقال أكبر قدر ممكن من معنى الآية الكريمة إلى المستمع، فمتى ما توافق نبر الكلام وتنغيمه مع الأسلوب اللغوي ظهر المعنى بوضوح - وهذا ما يسميه الدكتور تمام حسان تضافر القرائن، وعدّ منها التنغيم-.[١]

ولكل أسلوب من الأساليب اللغوية الأساسية نغمتُه في لغة العرب؛ فنغمة الاستفهام تختلف عن نغمة الخبر وجملة التقرير، ونغمة جواب القسم تختلف عن نغمة القسم نفسه، ونغمة جواب الشرط تختلف عن نغمة فعل الشرط،[٢] ونحو ذلك مما سيبسط في موضعه من هذه الموسوعة إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك - في التنغيم - ما يفعله العرب تعويضاً عن كلمة محذوفة أحدَثَ حذفُها لبساً في الكلام فأزال العرب ذلك اللبس بالتنغيم وليس بذكر المحذوف، كما ذكر ذلك أبو الفتح بن جني فيما حكاه عن سيبويه من قولهم: (سير عليه ليلٌ، وهم يريدون: ليل طويل)، يقول ابن جني: وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: (طويل)، وكذلك فهمه للتنغيم في قول العرب: كان والله رجلاً، أي: شجاعاً، أو فاضلاً.[٣]

وسيتضح في الفصلين؛ الأول، والثاني من هذه الموسوعة حجم اعتماد العرب على التنغيم في كلامهم، وحرصهم على توافق التنغيم مع الأسلوب اللغوي في سياق الكلام.

إن نوعية أداء الكلام ونطقه يؤثر كثيراً على المعنى المنتقل إلى المستمع، بل قد يتغير معنى عبارةٍ ما عمّا هي موضوعة له في أصل اللغة عند العرب، فمثلاً عبارة (أهلاً وسهلاً)، هي في أصل اللغة [٤] عبارة ترحيبية تحمل في طياتها ترحيب قائلها بالشخص القادم (المستمع) واحتفاءه به، وهذا ما سينتقل إلى عقل المستمع ويفهمه، ومع ذلك فقد يتغير معناها تماماً، وتُفرّغ من معنى الترحيب ويوضع مكانه معنى آخر إذا تغيرت طريقة أدائها وتنغيمها، فلو أن رجلاً تأخر عن عمله، واستقبله صاحبُ العمل منتقداً تأخره وعاتباً عليه بسبب تأخره قائلاً: (أهلاً وسهلاً)، بنغمة

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٦، ٢٤٠. وللتفصيل في هذه القرائن انظر المبحث الخاص بوظائف النبر والتنغيم في هذه الدراسة النظرية.

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٦.

(٣) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٣٧٠-٣٧١.

(٤) انظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، مادة (أهل).

انتقاد وعتب، فبالتأكيد سيفهم هذا العامل أن صاحب العمل كَرِهَ هذا التصرف منه، وقد يكون غاضباً منه بسبب تأخره، وأنه يريد أن لا يرى منه هذا السلوك مرة أخرى، ولن يطرأ على ذهن العامل أي معنى للترحيب الذي تحمله عبارة (أهلاً وسهلاً) في أصل اللغة.

هذا التغير في الفهم جاء بسبب تنغيم الكلام الذي غيّر في معنى العبارة، وفرّغ معناها الذي كان لها في أصل اللغة، ووضع مكانه معنى سياقيّاً جديداً وضعه المتكلم نفسه هو انتقاد التأخر، وهذا لا علاقة له بالمعنى الأصلي نهائيّاً. ومن هنا تأتي أهمية التنغيم، وأن له شأناً كبيراً في تحديد معنى الكلام، ولو أدى ذلك لتفريغه من معناه الأصلي أحياناً ليتناسب مع الموقف. ومن البدهي أن الأمر مختلف في القرآن الكريم؛ لأن المسلم لن يأتي بتنغيم يناقض المعنى السياقي للآيات - وهو يعلم - ولكنّ بُعْد التنغيم عمّا يتطلبه الأسلوب اللغوي وسياق الآيات يؤثر - على الأقل - على كمال إيصال معنى الآيات للمستمعين.

وليس التغيير مقتصراً على معاني الكلام في أصل اللغة، بل أيضاً صيغ الكلام - كالأمر، والنهي، والاستفهام، والخبر - يتغير معناها تغيراً جذريّاً بسبب التنغيم وطريقة الأداء. فقد تقال جملة: (محمد قائم) نفسها مرتين؛ الأولى بنغمة الاستفهام، والثانية بنغمة الإخبار، فيأتي المعنى مختلفاً بسبب التنغيم.

ولو أن رجلاً في موقف معين يأمر ابنه بالقيام إلى الصلاة وترك اللعب، ويكرر عليه ذلك، وقُبيل إقامة الصلاة رأى الوالدُ ابنه، فقال له: (العب.. العب..)، فمن المؤكد أن الابن سيترك اللعب، ويقوم للصلاة مع أن والده يأمره باللعب بذكر فعل الأمر (العب)، ولكن الابن يعرف أن والده لا يأمره، وإنما يهدّده إذا استمر في لعبه وتأخره عن الصلاة، وهنا انقلب معنى الجملة انقلاباً تامّاً من (الأمر باللعب) إلى (النهي عن اللعب)، فأصبح معنى فعل الأمر نهياً، ولم يعد أمراً، فتغير معنى الصيغة الصرفية، وهذا كله جاء بسبب التنغيم وطريقة أداء الكلمة ونطقها مع ظروف الموقف والحال، وفي مبحث وظائف النبر والتنغيم مزيد من التفاصيل.

والأساليب اللغوية التي يُقبَلُ أن يُحدِثَ التنغيمُ فيها تغييراً للمعنى الأصلي للكلمة - كما في المثالين: (أهلاً وسهلاً، ومحمد قائم) - قليلة الورود في القرآن الكريم، ومنها قول الله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩]، قال البغوي: إنه (على طريق الاستحقار والتوبيخ)، وقال القرطبي: (على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتنقيص، أي: قال له: إنك أنت الذليل المهان)، وقال ابن كثير: (أي: قولوا له ذلك على وجه

التهكم والتوبيخ)، وقال ابن عاشور: (صيغة الأمر مستعملة في الإهانة... وهو خبر مستعمل في التهكم بعلاقة الضدّية، والمقصود عكس مدلوله، أي: أنت الذليل المهان، والتأكيد للمعنى التهكمي).[(١)] ومن طرق الأداء التي يَظهرُ بها الاستحقارُ والتوبيخ والتهكم صوتيًا نبرُ كلمة: ﴿ذُقْ﴾ بنغمة صاعدة.

أما الأساليب اللغوية التي يُحدث النبر والتنغيم فيها تغييراً للمعنى السياقي الذي تحمله صيغة الكلام – كما في المثال: (العب) التي خرج معناها إلى التهديد – فهي كثيرة في القرآن الكريم، فكثير من أساليب الاستفهام، والأمر، والنهي، وغيرها خرجت في القرآن الكريم عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ أخر؛ فالاستفهام خرج إلى: التهديد، والإنكار، والتوبيخ، والحث، والنفي، والتمني، وغيرها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]، فالاستفهام في قوله: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ خرج إلى معنى الإنكار عليهم.

والأمر خرج إلى معاني: النصح، والإرشاد، والدّعاء، والالتماس، والتّمني، والتخيير، والتّسوية، والتّعجيز، والتّهديد، والإباحة، وغيرها، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، فالأمر هنا خرج إلى التهديد. والنهي خرج إلى معاني: الدّعاء، والالتماس، والتّمني، والإرشاد، والتّوبيخ، والتّيئيس، والتهديد، والتّحقير، وغيرها، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالنهي خرج هنا إلى الدعاء.

ثالثاً: مقومات أداء القرآن الكريم والتأثر به [(٢)]

لتنغيم القرآن الكريم والتأثر به مقومات مهمة ورئيسة داخلية وأخرى خارجية، أما الداخلية فهي المقومات الإيمانية والنفسية والمعرفية، وأما الخارجية فهي المقومات الصوتية. وبين تلك المقومات ترابط وثيق، وكلما قويت تلك الروابط وتآلفت كان القارئ أقدر على نقل المعاني القرآنية إلى المستمع وجذبها إليه، أما إذا ضعفت تلك الروابط أو ضعفت بعض المقومات فإنّ من المتوقع أنْ يضعف تأثير القراءة في المستمع، ويضعف انتقال المعاني إليه، فيقلّ تأثره بالقرآن الكريم.

(١) انظر على الترتيب: معالم التنزيل للبغوي: ٧ / ٢٣٦. والجامع لأحكام القران للقرطبي: ١٩ / ١٣٦. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٧/ ٢٣٩. والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٢٥ / ٣١٦. وأضاف القرطبي: (وهو كما قال قوم شعيب لشعيب: إنك لأنت الحليم الرشيد يعنون السفيه الجاهل في أحد التأويلات على ما تقدم، وهذا قول سعيد بن جبير).

(٢) انظر لهذا القسم من هذا المبحث كتاب: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٣٢، وما بعدها.



المقومات الإيمانية [١]

القرآن الكريم هو كلام الله جلّ ذكره، وهو أفضل كلام وأصدق حديث وأحسنه، وهو وحي الله تعالى أنزله على نبيه محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أفضل خلقه بواسطة أفضل ملائكته، حيث يقول جل شأنه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء:١٩٢- ١٩٥]، فالقارئ إذا استحضر عند التلاوة أنه يتلو كلامًا منزلاً من رب العالمين خالق كل شيء ومليكه، أحدث له ذلك شعوراً كبيراً بعظمة ما يتلوه، فلا تسأل عن خشيته وتدبره وخشوعه، يقول تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١]، أي: فإذا كان الجبل في قوته، وصلابته، وتماسكه لو أُنزل عليه هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدّع من خشية الله عَزَّوَجَلَّ، فهل يليق بكم أيها البشر ألّا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه.[٢]

ولا ريب أن الاستحضار القلبي لمصدر هذا القرآن العظيم أقوى العوامل التي تقوم عليها مقومات الأداء الإيمانية؛ حيث العظمة الربانية والجلالة الإلهية وما تضمنه آي الذكر الحكيم من المعاني القدسية الجامعة، فإذا انضم إلى ذلك استحضار المشاهد الأخروية وما ادُّخر لتاليه من الأجر والمثوبة كان ذلك أدعى لتعانق المعاني والألفاظ، وتجاوب القلب مع اللسان والآذان، وتلك هي التلاوة المستوفية قوامها،[٣] ويصدق على قارئها قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١]، وقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩]، وقد قال الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (يقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها).[٤] وإذا جاءت القراءة مستوفية قوامها الإيماني تفاعلت معها قوى النفس البشرية وما يتصل بها من التكوين الخلقي؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣].

---

(١) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٣٣ وما بعدها.

(٢) انظر: تفسير القران العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق محمد حسين شمس الدين: ٨ / ١٠٧.

(٣) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٣٤.

(٤) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حديث رقم (٧٦٦): ٣ / ٤٣.

المقومات النفسية [١]

أكّد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أهمية المحافظة على الصفاء النفسي عند البدء بتلاوة القرآن الكريم إلى حين الفراغ منه، كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه).[٢] وهذا إرشاد إلى تلاوة القرآن الكريم إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته متفكرة متدبرة له، لا في حال شغلها وملالها، فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك.[٣] ولذلك كانت فرصة القراءة أو الاستماع في الصلاة أكثر تأثيراً لقلة المشغلات الدنيوية.[٤]

ولقد عُني السلف الصالح بالتركيز والتهيئة النفسية عند التلاوة، وعدّوا ذلك خطوة أساسية لحسن التلاوة وفهم القرآن الكريم، فكان الإمام الحسن البصري إذا فتح المصحف ربما تسيل عيناه وشفتاه لا تتحركان.[٥]

ويؤكد الزركشي (٧٩٤هـ) على ضرورة أن يراعي قارئ القرآن الكريم معاني الكلام، وأن عليه أن (يستعين على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتـًا بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١]، وهذا هو الراسخ في العلم جعلنا الله من هذا الصنف).[٦]

ومن أهم الجوانب التي تقوم عليها المقومات النفسية في أداء القرآن الكريم بمراعاة معاني الأساليب اللغوية والتأثر به أن يكون القارئ والمستمع صادقـًا في التفاعل النفسي مع الآيات التي يقرؤها أو يسمعها، فيكون منه صدق الخوف من الله تعالى وخشيته مع آيات الوعيد والزجر والتهديد، وصدق الرجاء بالله سبحانه مع آيات الرحمة والمغفرة والبشارة، وصدق الشعور بعظمة الله تعالى مع آيات التعظيم والآيات التي تتحدث عن قدرة الله تعالى وتصرفه في خلقه، وصدق الشعور بالضعف والتذلل لله تعالى في آيات الاسترحام والخضوع،

---

(١) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٣٧ وما بعدها.

(٢) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل القرآن) برقم: (٥٠٦٠). وانظر: صحيح مسلم، (كتاب العلم)، (باب النهي عن متشابه القرآن) برقم: (٢٩٦٧).

(٣) انظر: فضائل القرآن، إسماعيل بن كثير، تحقيق أبي إسحاق الحويني، ص: ٢٦٩

(٤) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٣٨.

(٥) انظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين أبو شامة المقدسي، ص: ٢٠٧.

(٦) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ٢ / ١٨١.

وصدق المحبة للرسول ﷺ وصدق الرغبة في طاعته مع الآيات التي تتحدث عن ذلك؛ لأن ذلك الصدق في التفاعل النفسي سيخرج للمستمعين في هيئة تلوينات تنغيمية تفاعلية متنوعة.

وقد ذكر الله تعالى صوراً لتفاعل المستمعين مع القرآن الكريم؛ فاهتزت نفوسهم وقلوبهم وهطلت الدموع؛ خوفاً ورجاءً فيما عند الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣]، وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣]. قال عبدالله بن عروة بن الزبير: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله.(١)

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور:٣٥- ٣٧] قال جبير: كاد قلبي أن يطير).(٢) وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا قرأ سورة التكوير يُحزّنها شبه الرثاء؛ استحضاراً لمشاهد يوم القيامة وما يكون فيها من الأهوال العظيمة).(٣)

وقد بكى الرسول ﷺ من القرآن الكريم وهو يستمع إلى قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (اقرأ علي)، قال: قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: (إني أشتهي أن أسمعه من غيري)، قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١]. قال لي: كُفَّ أو أمسك، فرأيت عينيه تذرفان.(٤)

إن آيات القرآن الكريم تثير في نفوس المسلمين عدداً من المشاعر، ومن ذلك ما يصاحب معاني الهيبة، والتعظيم، والإجلال، والاستبشار، والتشويق، والرغبة، والتودد، والاسترحام، والاستعطاف، والأمل، والتفاؤل، والرجاء، والعزة، والإباء، والخوف، والرهبة، وليس من فقه أداء القرآن الكريم أن تتلى تلك المعاني جميعاً على نمط واحد، فما يناسب الاستبشار والسرور لا يناسب التخويف والترهيب، وهكذا يقال في كل معنى من تلك المعاني.

(١) انظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين أبو شامة المقدسي، ص: ٢٠٧.
(٢) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، في (كتاب التفسير) برقم: (٤٨٥٤).
(٣) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٧٧.
(٤) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل القرآن) برقم: (٥٠٥٥)

والله تعالى قد يسّر لنا أساليب فهم القرآن الكريم بما تكفل به من حفظه ورسمه وبيان معانيه. وحسنُ أداء القرآن الكريم أحد السبل التي تؤثر في النفوس، وتبعث الحياة في القلوب بما تثيره من معاني العظمة والجلال ومشاعر المحبة والرجاء، وتكبح النفس عن النوازع الخبيثة بما تلهبها به من الوعظ والتخويف.(١)

المقومات المعرفية (٢)

تتعدد المقومات المعرفية لتنغيم القرآن الكريم والتأثر به، فمنها معرفة مخارج الحروف والنطق الصحيح لها، ومعرفة معاني الكلمات، ومعرفة معنى سياق الكلام في القرآن الكريم، وما يناسبه من طرق الأداء والنبر والتنغيم.

فأما معرفة مخارج الحروف وصفاتها، فإن ذلك يكون بتوفية الحروف حقوقها من حيث المخارج والصفات اللازمة والعارضة، ومراعاة أحكامها مفردة أو متصلة بما قبلها أو بعدها، والدراية باختلاف أحوالها وصلاً ووقفاً وابتداء. وأما معرفة معاني الكلمات فهي من الأهمية بمكان؛ لأن القارئ للقرآن الكريم لا يستطيع أن يوفي الكلمات حقها تأثراً وتأثيراً إذا لم يفهم معانيها، فالأداء الصوتي لا يتحقق له كمال مقصوده إلا إذا كان مؤتلفاً مع المعاني.(٣)

وأما معرفة معنى سياق الكلام في القرآن الكريم وما يناسبه من طرق الأداء والنبر والتنغيم، فإنه هو الذي يحكم نوعية الأداء المناسب لمعنى السياق، وليس بماهر – من القراء – من يظهر السرور في أدائه عند آيات الخشوع والانكسار، ولا من يرفع صوته عند آيات الخضوع، وإنما الماهر من إذا تلا قول الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨]، ونحو ذلك من ألفاظ الوعيد أبان في لهجته وجه التخويف بصوت فيه زجر وتحذير، فإذا قرأ قول الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف:٧٠]، ونحو ذلك من آيات الوعد أرسل صوته كالمتنشط المسرور وأداها بكل شوق وتوق.(٤)

---

(١) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٧٤، ٧٥.

(٢) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٣٩، وما بعدها.

(٣) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٤٠.

(٤) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٤١.

وتكمل المقومات المعرفية الخاصة إذا استطاع القارئ أن يؤدي الألفاظ المتغايرة في سياق المعاني في مساحة ضيقة دون أن يخرج عن طبعه، فيتنقل بين المعاني بلطف وشفافية دون نشاز في الصوت، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، فالجملة الأولى والثانية تؤديان بنغمة التهديد، والجملة الأخيرة من الآية تؤدى بنغمة التبشير والترغيب.

المقومات الصوتية [١]

يزين الصوت الحسن قارئ القرآن الكريم، ويغري المستمع بالإنصات إليه، ومهما أوتي القارئ من سعة الاطلاع، والرواية، وقوة الحفظ، وضبط الحروف، فإن دخوله لمنافذ التأثير على السمع يكون محدوداً إن لم يكن ذا صوت حسن.

وقراء القرآن الكريم متباينون في تلاواتهم نظراً لتباين أصواتهم جودة وعذوبة، بيد أن حُسن الأداء لا يتوقف من جهة الصوت على الخَلق والتكوين، فكم من قارئ يقع صوته في النفوس أكثر ممن هو أندى منه صوتـاً، وما ذاك إلا لتوفر عوامل أخرى عند القارئ استدعت الاستماع إليه والتأثر به، ومن أهمها موافقة التنغيم لمتطلبات معنى الآيات القرآنية.[٢]

ويؤكد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن السلف كانوا (يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويُحسّنون أصواتهم بالقرآن، ويقرؤونه بشجىً تارة، وبطرب تارة، وبشوق تارة، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم يَنْه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به، وقال: (ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن)، وفيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله، والثاني: أنه نفي لهدي من لم يفعله عن هديه وطريقته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ).[٣] وكلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التغني بالقرآن، وتحسين الصوت به مشروع بنص

---

(١) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٤٥ وما بعدها.

(٢) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٤٥ وما بعدها.

(٣) انظر: زاد المعاد، ابن قيم الجوزية: ١ / ٤٧٤.

الحديث النبوي[١]، أما ما يتعلق بالقراءة بالتحزين أو التطريب فإن لهما ممارسة في زمننا هذا تُبعد المستمع عن معاني القرآن الكريم، وتؤثر عليه بمشاعر التحزين أو التطريب بعيداً عن معاني الآيات، وفي فقرة (القراءة بالتحزين) مزيدٌ من التفاصيل.

رابعاً: الجانب التوقيفي من أداء القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزولاً صوتيًا بخلاف بعض الكتب السماوية السابقة التي نزلت في صحف أو ألواح، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:١٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى:١٩].

ولم يكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قارئًا ولا كاتبًا، بل رسولاً مبلغًا أميًّا، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الجمعة:٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨]، وكما كان تلقي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن الكريم صوتيًّا فقد بلّغه تبليغًا صوتيًّا شفهيًّا إلى الصحابة ثم إلى الناس كافة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونحن لمّا يسر الله كلامه بألسنتنا أمكننا أن نتكلم بكلامه، لكن بأدواتنا وأصواتنا، وليس تكلمنا به وسمعه منا كتكلم الله وسمعه منه).[٢]

لقد تلا النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآنَ الكريم على الناس تلاوة صوتية من فمه يبلغهم به عن طريق هذه التلاوة، فتلقوه منه بأسماعهم، وحفظوه في صدورهم، ومنهم كتبة الوحي الذين كتبوه في العسب واللخاف والرقاع.[٣]

وقد ثبت في الصحيح أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد أمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يقرأ القرآن الكريم على أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فعنْ أنسِ بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُبيٍّ: (إن اللّه أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال أُبيّ: آللهُ سمّاني لك؟ قال: الله سمّاك لي، فجعل أبيّ يبكي). قال قتادة: فأنبئتُ أنه قرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.[٤] قال أبو الليث السمرقندي (٣٧٣هـ): (وأما الحكمة في أمره تعالى بالقراءة على أُبيّ فهو أن يتعلم،

---

(١) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب التوحيد) برقم (٧٥٢٧، وانظر أيضا: رقم: (٧٥٤٤)، و(كتاب فضائل القرآن) برقم (٥٠٢٣)، واللفظ للبخاري. وانظر: صحيح مسلم، كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) برقم: ()٧٩٢ في باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن. وقد بسط كل من: الحافظ بن حجر، والإمام النووي، وابن قيم الجوزية الحديث حول الخلاف في معنى (يتغن). انظر: فتح الباري، شرح حديث رقم (٥٠٢٣)، كتاب (فضائل القرآن): ٨ / ٦٨٦ – ٦٩٠. انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي: ٦ / ٧٨، شرح باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن. وانظر: زاد المعاد: ١ / ٤٦٤ – ٤٧٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: ١٢ / ٢٤٢.

(٣) انظر: الإعجاز في القرآن الكريم؛ الصوتي البياني التشريعي، د. عبدالله أبو السعود بدر، و د. محمد سرحان، ص: ٩.

(٤) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب (التفسير)، ٩٨، سورة (لم يكن)، برقم: (٤٩٦٠).

أي: ألفاظه، وصيغة أدائه، ومواضع الوقوف، وصيغ النغم، فإن نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره، ولكل ضرب من النغم أثر مخصوص في النفوس، فكانت القراءة عليه ليُعَلِّمَه، لا ليتعلم منه).[(١)]

كما ثبت في الصحيح أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعرض القرآن الكريم على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قُبض فيه عرضه عليه مرتين.[(٢)]

وما زال سبيل القراءة والإقراء الشفهي هو السبيل المعتمد والمتواتر في تبليغه وإسماعه وضبطه وإتقانه منذ نزوله الصوتي إلى اليوم، فالقرآن الكريم ظل منذ اللحظة الأولى لنزوله ينتقل من الصدور إلى الصدور غضّـًا على نفس هيئته يوم نزل أول مرة، وبذا تتحقق تجليات المعجزة القرآنية في خلوده وحماية مبناه ومعناه من التحريف والتغيير؛ لأن الأداء الصوتي الصحيح الدقيق هو الوسيلة الوحيدة المثلى التي تضمن تماماً توصيل معاني الكلام بمنتهى الدقة، والضبط، والإحكام.[(٣)]

ولعل الحكمة في تنزيل القرآن الكريم وحْيًا صوتيّا على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم تبليغه لصحابته شفهيّا هي أن الوسيلة الشفهية أكثر دقة في نقل المعنى من الكتابية؛ لأن الكتابة - على أهميتها - يعتريها قصور كبير في أداء المنطوق، ولا يمكنها أن تمثل المنطوق تمثيلاً دقيقـًا؛[(٤)] بسبب عجز الحروف والكلمات المكتوبة عن نقل الكلمات المنطوقة بمعانيها كاملة. فمثلاً: مَن قرأ جملة (محمد قائم) فهو أمام عدة خيارات في فهمها لا يستطيع ترجيح أحدها على الآخر، أما من سمع جملة (محمد قائم)، فلن يفهم إلا معنى واحداً هو الذي قصده المتحدّث، سواء أكان استفهامـًا أم إخباراً أم سخرية أم تخويفـًا.

ومع أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمر بكتابة القرآن الكريم ونهى عن كتابة غيره، فإن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا القرآن - أول ما تلقوه من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شفهيّا، وحفظوه، وأتقنوه، ولم تكن الكتابة هي الأصل في تلقيهم له، وما بدأ أحد منهم في قراءته من الصحف والرقاع إلا بعد أن أتقن أداءه شفهيّا.

---

(١) انظر: بستان العارفين (طبع مع كتاب: تنبيه الغافلين)، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي الفقيه الحنفي، ص: ١ / ٣١٩.
https://ketabonline.com/ar/books/20750/read?part=1&page=20&index=95504

(٢) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب (فضائل القرآن)، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانظر: رقم: (٤٩٩٨).

(٣) انظر: الإعجاز في القرآن الكريم؛ الصوتي البياني التشريعي، د.عبدالله أبو السعود بدر، ود. محمد سرحان، ص: ١٣، ١٤.

(٤) انظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، د. أحمد البايبي: ١ / ١٧٩.

فالأصل إذن هو التلقي الشفهي والتبليغ الشفهي، ومن شأن هذه المشافهة أن تكون بمثابة التسجيل الأمين للقرآن الكريم كما أُنزل، فتحفظ أصوات حروفه، ونبراته، ومدوده، وتفخيماته، وإمالاته، ووقوفه... وتدفع عنه التغيير، والتصحيف، واللحن، والتحريف، فكل الكتب المكتوبة مضطرة بطريقة ما - مباشرة أو غير مباشرة - إلى الارتباط بعالم الصوت الموطن الطبيعي للغة كي تعطي معانيها. ولذلك فربما أن نزول القرآن الكريم نزولاً صوتيّا شفهيّا - وهو الاستعمال الأصلي للغة - وليس كتابيّا كان حكمة من الله تعالى لضمان وصول معاني القرآن الكريم بدقة إلى الناس. وكان هذا الضمان أعظم دليل على تحقيق وعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بحفظ القرآن الكريم وصونه من التحريف والتبديل والضياع وتخليده تخليداً صحيحاً مضبوطاً إلى الأبد،[(١)] كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

ومع هذه الدقة وهذا الإحكام في تنزيل القرآن الكريم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتبليغه للصحابة الكرام شفهيّا إلا أنه من رحمة الله تعالى بالمسلمين في كل زمان ومكان ومن كل جنس ولغة أن رفع الله تعالى عنهم الحرج وخفف عليهم، وجعل لهم فسحة في قراءته حسب لهجاتهم وقدراتهم في النطق والكلام.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف).[(٢)]

(١) انظر: الإعجاز في القرآن الكريم؛ الصوتي البياني التشريعي، د.عبدالله أبو السعود بدر، ود. محمد سرحان، ص: ١٧.

(٢) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل القرآن) برقم: (٤٩٩١). وصحيح مسلم: (٨١٩)، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه. وللمزيد من طرق ورود هذا الحديث انظر: حديث الأحرف السبعة، الدكتور عبدالعزيز القارئ، ص: ٩، وما بعدها.

وقد اختلف العلماء في معنى سبعة أحرف إلى خمسة وثلاثين قولاً – كما ذكر القرطبي - وأحسن الأقوال فيها أنها سبعة أوجه من القراءة تختلف باللفظ وقد تتفق بالمعنى، وإن اختلفت بالمعنى فاختلافها من باب التنوع والتغاير لا من باب التضاد والتعارض. ومنهم من قال هي: سبع لغات متفرقة في القرآن كله، وهي لغات قبائل من العرب، ومنهم من قال إن اختلاف القراءات لا يخرج عن سبعة أوجه، هي: اختلاف وجوه الإعراب، واختلاف بالنقص والزيادة، والاختلاف بالتقديم والتأخير، والاختلاف بالإبدال، واختلاف اللهجات؛ كالفتح، والإمالة، والتفخيم، والترقيق، والإظهار، والإدغام. ومنهم من قال: هي القراءات السبع. للمزيد انظر:

- الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني، ص: ٢٤ – ٤٢.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري: ١ / ٢١ – ٤٠.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١ / ٧١.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ١ / ٧١ – ٨٠.
- حديث الأحرف السبعة، الدكتور عبدالعزيز القارئ، ص: ٤٢، وما بعدها.

كما ورد في الصحيحين أيضاً من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخلافه مع هشام بنِ حكيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قراءتهما لسورة الفرقانِ، ولما ذهبا إلى الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تبين لهما أنه قد أقرأ كل واحد منهما بقراءة مختلفة، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنَّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسَّر منه).[١] وفي صحيح مسلم أن جبريل قال له: (إن الله يأمرك أن تُقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا).[٢]

قال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ): (يعني سبع لغات من لغات العرب... فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات، ومعانيها في هذا كله واحدة ... فليس يكون المعنى في السبعة الأحرف إلا على اللغات لا غير).[٣] وقال ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ): (فكان من تيسيره أن أمره بأن يُقرئ كل قوم بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم... ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمِرَ أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات، ومتصرفاً في الحركات..).[٤]

ويرى أبو شامة المقدسي (٦٦٥هـ): أن الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومن جاورهم من فصحاء العرب، ثم أباح للعرب المخاطبين به المنزل عليهم أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها.[٥] كما يؤكد ابن الجزري (٨٣٣هـ): أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتُهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها.[٦]

ولأن قراءة القرآن الكريم عبادة يتقرب بها المسلم لله تعالى، ولأنها قد تشق على بعض المسلمين لتفاوتهم في العلم والفهم والقدرة على القراءة الصحيحة، فإن أجر قراءة القرآن الكريم من الله تعالى ثابت - بإذن الله تعالى - لجميع القراء من المسلمين؛ للماهر في القراءة، ولغير المتعلم الذي تشق عليه، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

---

(١) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل القرآن) برقم: (٥٠٤١). وانظر الحديث عن علم القراءات فسيأتي الحديث النبوي كاملاً.

(٢) انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) برقم: (٨٢١) باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، وبيان معناه.

(٣) انظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق حسين محمد شرف، وعبدالسلام هارون: ٢ / ٦٤٢ – ٦٤٧.

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، ص: ٣٩ – ٤٠.

(٥) انظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين أبو شامة المقدسي، ص: ٩٥.

(٦) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٢.



قالت: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرامِ البررة، والذي يقرأُ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أَجران).(١)

وبناء على ما سبق فإن من المؤكد اختلاف الناس في أداء القرآن الكريم وما يتصل به من تجويد التلاوة؛ نظراً لاختلاف أفهامهم، ولهجاتهم، وقدرتهم على التعلم، واختلاف قدراتهم الصوتية في أداء كلمات القرآن الكريم.

وإن من قراءة القرآن الكريم ما هو متواتر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وواجب على كل مسلم القراءة به إن استطاع ذلك، ومنها ما تتفاوت فيه القراءات العشر المتواترة للقرآن الكريم الثابتة بالإسناد الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،(٢) فيجوز القراءة بها في الصلاة وغيرها. وقد حدد العلماء صفات القراءة المتواترة والمقبولة، وهي: (أن تكون قراءة وافقت العربية بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وأن تكون صحيحة السند).(٣)

وما جاء من القرآن الكريم متواتراً قد (استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول، كما انفرد به بعض الرواة، وبعض الكتب المعتبرة، أو كمراتب القراء في المدّ، أو نحو ذلك، فهذا صحيح مقطوع به أنه منزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحرف السبعة، فهذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة).(٤)

ومن قراءة القرآن الكريم ما هو من قبيل الأداء وتجويده، والتفاوت فيه يُعد أمراً مقبولاً، ووجوبه أمر مختلف فيه، مثل بعض أحكام التجويد، كما سأوضح بعد قليل. وفي قراءة القرآن التي هي من قبيل الأداء يقول ابن الجزري: (فإنه إذا ثبت أن شيئًا من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواتراً عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ كتقسيم وقف حمزة، وهشام، وأنواع تسهيله، فإنه وإن تواتر تخفيف الهمز في الوقف عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فلم يتواتر أنه وقف على موضع بخمسين وجهًا، ولا بعشرين، ولا بنحو ذلك، وإنما إن صح شيء منها فوجه، والباقي لا شك أنه من قبيل الأداء).(٥)

---

(١) انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها)، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، برقم: (٧٩٨).

(٢) للمزيد انظر: حديث الأحرف السبعة، الدكتور عبدالعزيز القارئ، ص: ١١٨ وما بعدها.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري: ١ / ٩ – ١٤. وانظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن الجزري، اعتنى به علي العمران، ص: ٧٩.

(٤) انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري، اعتنى به علي العمران، ص: ٨١. وللمزيد من التفاصيل انظر: ٨١ – ٩١، و ١٩٠ – ١٩٦.

(٥) انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري، اعتنى به علي العمران، ص: ١٩٦.

وقصة أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – لما مرّ عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ فجعل يستمع له – تدلّ على أن هناك جانبًا في أداء القرآن الكريم يتفاوت فيه الناس، وذلك مقبول منهم لتفاوت قدراتهم في الفهم، والنطق، والأداء، وليس بملزم لهم. فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أبي موسى الأشعري: (لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود، فلما جاء أبو موسى أخبره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بذلك قال أبو موسى: لو علمت يا رسول الله أنك تستمع إليّ لحبرته لك تحبيراً).[(١)] قال الشيخ عبدالعزيز بن باز: ولم ينكر عليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذلك، فدلّ على أن تحبير الصوت، وتحسين الصوت، والعناية بالقراءة أمر مطلوب ليخشع القارئ والمستمع، ويستفيد هذا وهذا.[(٢)]

ومما يدخل من قبيل الأداء التفريقُ حال التلاوة بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، وأصوات (من) و (ما) ونحوهما صعوداً وهبوطًا، وهو على ذلك لا يعرف أكثره حق معرفته بالقول والصفة، بل يوقف عليه بالرواية والمشاهدة، إذ ليس الخبر كالمعاينة.[(٣)]

أما حكم تعلم علم التجويد فهو خلاف مشهور بين العلماء القدماء والمحدثين، فالفريق الأول قال بوجوب تعلم علم التجويد وأن من تركه فهو آثم. قال أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ): (وهذا الحديث [(٤)] أيضًا أصل كبير في وجوب معرفة تجويد الألفاظ، وكيفية النطق بالحروف على هيئتها وصيغتها، وأن ذلك لازم لكل قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلموه، وواجب على جميع المتصدرين أن يأخذوه ويُعلّموه)،[(٥)] ومنهم نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم)، (بعد ٥٦٥هـ)، يقول: (فإن حسن الأداء فرض في القراءة)، ثم ذكر أن العلماء اختلفوا في الوجوب... ثم قال: (وذهب الآخرون إلى أن ذلك واجب على كل من قرأ شيئًا من القرآن كيفما كان)،[(٦)] ومنهم ابن الجزري (٨٣٣هـ) في منظومته، ومنها البيت المشهور:

والأخــذ بـالـتـجـويـد حـتـمٌ لازم ... مــن لـم يـجـوّد الـقـرآن آثــمُ [(٧)]

(١) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حديث رقم (٧١٩٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم، انظر: ١٦ / ١٧٠.

(٢) انظر الموقع الرسمي للشيخ عبدالعزيز بن باز: http://www.binbaz.org.sa/fatawa/1042

(٣) انظر: الهادي في معرفة المقاطع والمبادئ، أبو العلاء الهمذاني العطار، الكتاب الخامس، الباب الخامس (مخطوط)، عن كتاب: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٢٤.

(٤) قال أبو عمرو الداني ذلك وهو يشرح قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبيّ: (إن اللّه أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال أبيّ: آللهُ سمّاني لك؟، قال: الله سمّاك لي، فجعل أبي يبكي). انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب (التفسير)، ٩٨ سورة (لم يكن)، برقم: (٤٩٦٠).

(٥) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ٧٩.

(٦) انظر: الموضح في وجوه القراءآت وعللها، نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم)، ص: ١ / ١٥٧.

(٧) انظر: منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، محمد بن محمد بن الجزري، ص: ٣.

ومنهم ابن الناظم أحمد بن محمد بن الجزري (٨٥٩هـ)، يقول: (من لم يصحح القرآن مع قدرته على ذلك فهو آثم عاصٍ بالتقصير غاش لكتاب الله تعالى)،[١] وقال شهاب الدين القسطلاني شارحًا البيت السابق: (الأخذ بالتجويد وهو العمل به فرض عين لازم... قال الناظم: والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم، ومعذور...)،[٢] ومنهم في العصر الحديث شيخ القراء في الديار المصرية محمد بن علي الحسيني، يقول: (اعلم أن تجويد القرآن الكريم واجب وجوبًا شرعيًّا يثاب القارئ على فعله، ويعاقب على تركه)،[٣] والشيخ عبدالفتاح السيد المرصفي، يقول - بعد أن ذكر أن قراءة القرآن الكريم تلقاها الصحابة عن رسول الله ﷺ بالتواتر -: (وإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يحيد عن هذه الصفة قيد أنملة، فمن تركها وتحول إلى غيرها أو رغب عنها فهو معتد أثيم مستحق للعقاب لتركه واجبًا شرعيًّا)،[٤] ويقول الدكتور غانم قدوري الحمد: (وأحسب أن موضوع الالتزام بقواعد التجويد لا ينبغي أن يكون موضع نظر أو نقاش، فكما أن القراءة سُنَّةٌ يأخذها الآخِر عن الأول، فكذلك التجويد؛ لأن أحكام التجويد مُضَمَّنَةٌ في القراءات المروية، ولا أظن أن أحداً يقول بإمكانية تغيير حركات الإعراب، فكذلك أحكام التجويد)،[٥] وكذلك الدكتور عبدالعزيز القارئ، والدكتور محمد بن سيدي الأمين، والشيخ عبدالله الجديع، والشيخ أسامة ياسين، وغيرهم.[٦]

أما الفريق الثاني فيقول بأنه مستحب ولا يأثم تاركه، قال ابن مفلح (٧٦٣هـ): (ويستحب ترتيل القراءة وإعرابها وتمكين حروف المدّ واللين من غير تكلف. قال أحمد: تعجبني القراءة السهلة، وكَرِه السرعة في القراءة. قال حرب: سألت أحمد عن السرعة في القراءة، فكرهه إلا أن يكون لسان الرجل كذلك، أو لا يقدر أن يترسل، قيل: فيه إثم؟ قال: أما الإثم فلا أجترئ عليه. قال القاضي: يعني إذا لم تبِن الحروف... وأقل الترتيل ترك العجلة في القرآن).[٧]

---

(١) انظر: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، أحمد بن الجزري (ابن الناظم): ٣٥.
(٢) انظر: اللآلئ السنية شرح المقدمة الجزرية، شهاب الدين القسطلاني، ص: ٤٨، ٤٩.
(٣) انظر: القول السديد في بيان حكم التجويد، محمد بن علي الحسيني، ص: ١.
(٤) انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبدالفتاح السيد المرصفي، ص: ١ / ٥٥.
(٥) انظر: الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٩٩.
(٦) انظر: سنن القراء ومناهج المجودين للدكتور عبدالعزيز القارئ، والوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز للدكتور محمد بن سيدي الأمين، والمقدمات الأساسية في علوم القرآن، للشيخ عبدالله الجديع، وهل التجويد واجب؟، للشيخ أسامة ياسين.
(٧) انظر: الآداب الشرعية، عبدالله بن محمد بن مفلح المقدسي: ٢ / ٢٩٧.

وقد ساعدت فكرةُ تقسيم اللحن في القرآن الكريم إلى جلي وخفي على التفصيل في حكم التجويد ووجوب تطبيقه. وهي فكرة قال بها أبو بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ)،[(١)] وبعده ألف أبو الحسن السعيدي (٤١٠هـ تقريبًا) كتابه (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي)،[(٢)] ووسع الفكرة أبو العلاء الهمذاني العطار(٥٦٩هـ).[(٣)] وفي إشارة يسيرة بعدم وجوب التجويد شرح زكريا الأنصاري بيت ابن الجزري: (من لم يجود القرآن آثم)، بقوله: (بأن يقرأه قراءة تُخلّ بالمعنى أو بالإعراب... وعلم بذلك التحرز من اللحن وهو هنا الخطأ والميل عن الصواب، وهو جلي وخفي، فالجلي خطأ يَعرِضُ للفظ ويُخلّ بالمعنى والإعراب كرفع المجرور ونصبه، والخفي خطأ يَعرض للفظ ولا يُخل بالمعنى ولا بالإعراب كترك الإخفاء، والإقلاب، والغنة).[(٤)]

ويستنتج من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) عن اللحن في الفاتحة، وهل تبطل به الصلاة أم لا؟ أنه لا يوجب التجويد،[(٥)] وكذلك ابن القيم (٧٥١هـ) رحمهما الله تعالى.[(٦)]

أما مُلا علي القاري (١٠١٤هـ) فقد أخذ فكرة تقسيم اللحن إلى جلي وخفي، وجعلها منطلقًا لرأيه في حكم التجويد، يقول بعد ذكره قول ابن الجزري: (والأخذ بالتجويد حتم لازم)، قال القاري: (ثم هذا العلم لا خلاف في أنه فرض كفاية، والعمل به فرض عين بالجملة على صاحب كل قراءة ورواية ولو كانت القراءة سنة، وأما دقائق التجويد على ما سيأتي بيانه فإنما هو من مستحسناته، فالأظهر أن المراد بالحتم هنا أيضًا الوجوب الاصطلاحي المشتمل على بعض أفراد من الوجوب الشرعي، فإن اللحن على نوعين جلي وخفي؛ فالجلي خطأ يَعرِضُ للفظ ويُخلّ بالمعنى والإعراب كرفع المجرور ونصبه ونحوهما، سواء تغير المعنى به أم لا، والخفي خطأ يُخل بالحرف كترك الإخفاء، والقلب، والإظهار، والإدغام، والغنة، وكترقيق المفخم، وعكسه، ومدّ المقصور، وقصر الممدود، وأمثال ذلك، ولا شك أن هذا النوع مما ليس بفرض عين).[(٧)] وفي موضع آخر بعد ذكره قول ابن الجزري: (من لم

(١) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ١١٦.

(٢) انظر: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، ص: ٢٥٩ – ٢٦٠.

(٣) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ٢٠٦ – ٢٠٧.

(٤) انظر: شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ص: ٥٧، ٥٨.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق عبدالرحمن بن قاسم: ٢٢ / ٤٤٣.

(٦) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية: ١ / ١٦٠ وما بعدها.

(٧) انظر: المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، ملا علي القاري، ص: ١١٢.

يجود القران آثم)، قال القاري: (أي: من لم يصحح كما في نسخة صحيحة بأن يقرأ قراءة تخلّ بالمعنى والإعراب، كما صرح به الشيخ زكريا خلافاً لما أخذه بعض الشراح منهم ابن المصنف [(١)] على وجه العموم الشامل للحن الخفي، فإنه لا يصح كما لا يخفى... فينبغي أن يراعي جميع قواعدهم - يقصد العرب - وجوباً فيما يتغير به المبنى ويَفسُدُ المعنى، واستحباباً فيما يحسن به اللفظ ويستحسن به النطق حال الأداء، وإنما قلنا بالاستحباب في هذا النوع؛ لأن اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا مهرة القراء من تكرير الراءات، وتطنين النونات، وتغليظ اللامات في غير محلها، وترقيق الراءات في غير موضعها... لا يتصور أن يكون فرض عين يترتب العقاب على فاعلها لما فيه من حرج عظيم، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحج:٧٨]، و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].[(٢)]

ويرى الشيخ عبدالعزيز بن باز (١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن إتقان التجويد مستحب، يقول: إنما التجويد[(٣)] مستحب لمن استطاع ذلك وتيسر له ذلك؛ لأنه يعطي الحروف حقها، ولأنه يحسن الصوت بالقراءة، فإذا تيسر ذلك فهو مطلوب، وإن لم يتيسر فلا حرج في ذلك، لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق ويتتعتع فيه له أجران). فهذا من فضل الله جَلَّ وَعَلَا أخبر أن له أجرين وإن كان يتتعتع لا يحسن القراءة كما ينبغي؛ لأنه في جهاد، مجاهدة لنفسه في قراءة كتاب الله يتدبر ويتعقل ويتعلم حتى يؤدي ما استطاع من القراءة.[(٤)]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا أرى وجوب الالتزام بأحكام التجويد التي فصلت بكتب التجويد، وإنما أرى أنها من باب تحسين القراءة، وباب التحسين غير باب الإلزام. ولو قيل بأن العلم بأحكام التجويد المفصلة في كتب التجويد واجب للزم تأثيم أكثر المسلمين اليوم، وليعلم أن القول بالوجوب يحتاج إلى دليل تبرأ به الذمة أمام الله عَزَّ وَجَلَّ في إلزام عباده بما لا دليل على إلزامهم به من كتاب الله أو سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو إجماع المسلمين، وقد ذكر شيخنا عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جواب له أن التجويد حسب القواعد المفصلة في كتب التجويد غير واجب. وقد اطلعت على كلام لشيخ الإسلام ابن

---

(١) المقصود هو: أحمد بن الجزري، ابن مصنف المقدمة الجزرية، وله شرح عليها.

(٢) انظر: المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، ملا علي القاري، ص: ١١٣، ١١٦.

(٣) من المؤكد أن المقصود مفهوم التجويد عند عامة الناس، وهو مراعاة أحكام النون الساكنة، والتنوين، والميم الساكنة، والمدود، والغنن، والقلقلة، وغيرها.

(٤) انظر: الموقع الرسمي للشيخ عبدالعزيز بن باز: https://binbaz.org.sa/noor/2457



تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول حكم التجويد قال فيه (ص٥٠ مجلد ١٦ من مجموع ابن قاسم للفتاوى): (ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن، إما بالوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل، والقصير، والمتوسط، وغير ذلك، فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه).(١) ويؤكد الدكتور سعود الفنيسان بأن التجويد غير واجب، يقول معلقاً على رأي ابن تيمية في عدم بطلان الصلاة باللحن: (فإذا كانت الصلاة الواجبة لا تبطل باللحن الذي يُحيل المعنى أو يغيّره إذا كان من ناسٍ أو جاهل، فكيف يقال بوجوب أحكام التجويد وجوباً عينياً ويأثم من لم يعرف أحكامه فيطبقها؟!).(٢)

وبناء على ما سبق من كلام العلماء، فإنه يمكن تقسيم التجويد قسمين:

الأول: إعطاء الحرف حقه بنطقه من مخرجه وضبطه، وإعطاء الكلمة حقها بضبط حروفها، وإعرابها الصحيح داخل الجملة بأي من القراءات الثابتة عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والخلل في هذا هو من اللحن الجلي المخل بالمعنى والإعراب، وهذا القسم من التجويد واجب على كل مسلم قادر، ويجب على غير القادر من المسلمين مجاهدة نفسه ليتعلم ما يستطيع وتصح به صلاته وتصح به قراءته في غير الصلاة.(٣)

والثاني: أحكام النون الساكنة والتنوين، وأحكام الميم الساكنة، والغنن، والمدود - غير المد الطبيعي - والقلقلة، والتفخيم والترقيق، وغيرها من أحكام التجويد الأخرى، (ويلحق به موضوع هذه الموسوعة، وهو: النبر والتنغيم في أداء الأساليب اللغوية)،(٤) والخلل في هذا - في الغالب - هو من اللحن الخفي (غير المخل بالمعنى والإعراب غالباً)، وإتقان كل ذلك مستحب في حق عموم المسلمين وغير واجب، ومَن أتقن علم التجويد أو أتقن شيئاً من أحكامه، أو من النبر والتنغيم فإنه يتأكد عليه أن يطبق ما أتقن بحسب قدرته وعلمه.

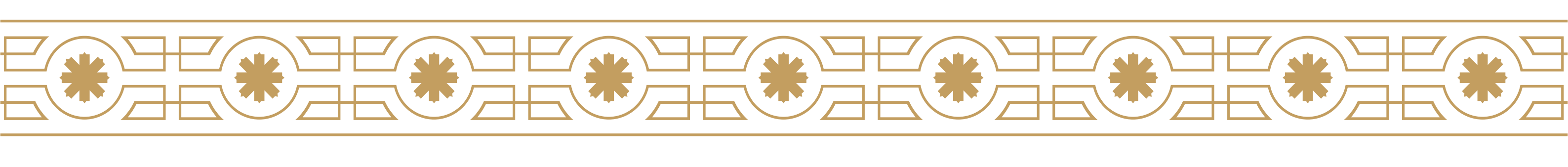


(١) انظر: كتاب العلم، محمد الصالح العثيمين، دار الثريا، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ص: ١٢١.

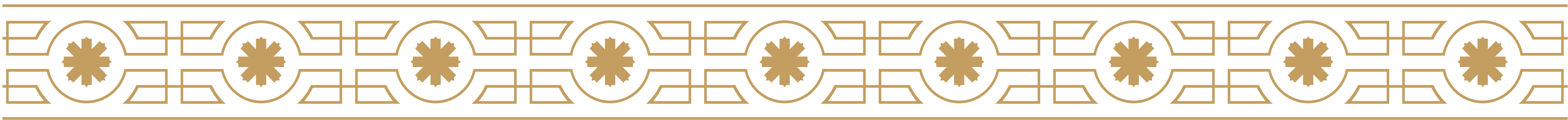
(٢) للمزيد انظر: فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد، د. سعود بن عبدالله الفنيسان، ص: ١٨ – ١٩.

(٣) للمزيد عن آراء الفقهاء في مقدار ما تصح به الصلاة من إجادة القرآن الكريم، انظر: فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد، د. سعود بن عبدالله الفنيسان، ص: ١٥، وما بعدها.

(٤) انظر: كلام أبي العلاء الهمذاني العطار، و د.غانم قدوري الحمد في حديثي عن مصطلح اللحن.





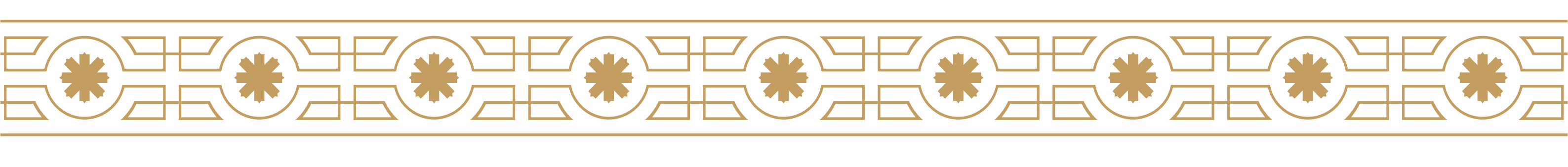


الفَصْلُ الأَوَّلُ
مفهوم النبر والتنغيم ومكانتهما

المبحث الأول: مفهوم النبر والتنغيم

المبحث الثاني: علوم ومصطلحات متعلقة بالنبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم

المبحث الثالث: مكانة النبر والتنغيم عند السابقين








المبحث الأول: مفهوم النبر والتنغيم

مفهوم النبر وأهميته

يدل النبرُ على الهمْز وارتفاع الصوت في الكلام عند العرب، فهو عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) (الهمْز)، (وكل شيء رفع شيئًا فقد نبره)،[١] وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ): (والنبر عندهم ارتفاع الصوت، يقال: نبر الرجل نبرة، إذا تكلم كلمة فيها علوّ)،[٢] وفي لسان العرب: (النبر مصدر نبر ينبرُ نبراً ، همَزَهُ، والمنبور المهموز. ويقال: نبر الرجل إذا تكلم... وانتبر الخطيب، أي: ارتفع صوته، والمنبر محل مرتفع سمي كذلك لارتفاعه ورفع الصوت عليه)،[٣] وفي المعجم الوسيط: (نبرُ الشيء رفعُه، ويقال: نبر في قراءته أو غنائه: رفع صوته. والنبر في القراءة: إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق بها).[٤]

وأما مفهوم النبر في الاصطلاح في الدراسات المعاصرة فيقول إبراهيم أنيس بأنه: (نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد)،[٥] أما د. تمام حسان فيرى أن كون صوت من الأصوات في الكلمة أقوى من بقيتها فهذا هو النبر، فالنبر عنده (وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم، فالضغط لا يسمى نبراً، ولكنه يعتبر عاملاً من عوامله... فالنبر موقعية تشكيلية ترتبط بالموقع في الكلمة وفي المجموعة الكلامية)،[٦] ويقول د. أحمد مختار عمر: إن النبر (نشاط ذاتي للمتكلم ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع بالنسبة لما يحيط به)،[٧] ثم يشير إلى أنه من الصعب أو حتى يستحيل على السامع أن يتبين موطن النبر القوي، والسبب هو أن العلو جزء لا يتجزأ من حقيقة الصوت.[٨]

---

(١) انظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة: (نبر).

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: ١ / ٤٢٠.

(٣) انظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور، مادة: (نبر).

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤ (نبر).

(٥) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ٩٧.

(٦) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٠. وانظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٣.

(٧) انظر: دراسة الصوت اللغوي، ص: ٢٢١.

(٨) انظر: دراسة الصوت اللغوي، ص: ٢٢١.

وإجمالاً فإن مفهوم النبر يتمحور في عدد من المصادر بأنه: تمييز مقطع، أو حرف، أو كلمة من بين أخواتها بضغطة تخصصها، فتزيد وضوحًا في السمع.[١]

وتقوم دراسة النبر في الكلمة على تقسيمه إلى مقاطع صوتية تتألف من عدة أقسام مبنية على عدد الأصوات في الكلمة، وهي نوعان: (الصوامت) وهي الحروف، و(الصوائت) وهي الحركات القصيرة والطويلة (حروف المد). ومن العلماء من يعطي اعتباراً للحروف الساكنة في النبر بإعطائها نبراً ثانويّا.

ولا تنطق مقاطع كلمة ما في درجة واحدة من العلو، ويمكن معرفة ثلاث درجات من العلو بسبب النبر، هي: النبر الرئيس (الأولي)، والنبر الثانوي، والنبر الضعيف.[٢] ولم يستند هذا التقسيم الثلاثي على العربية الفصيحة، ولم يتضح كيف يمكن تقسيم الأنواع على حروف الكلمة، ولا معايير ذلك، وللتفاصيل انظر المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه الدراسة النظرية.

وقد ورد لفظ النبر والنبرة عند بعض علماء اللغة وعلماء التجويد. قال أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٦هـ) عن الهمزة: (وأنها نبرة في الصدر جاز فيها التخفيف... والمخففة بوزنها، إلا أنك خففت النبرة؛ لأنك نحوت بها نحو الألف)،[٣] وفي موضع آخر ذكر أن حرف القلقلة تتبعه نبرة عند الوقف.[٤] وقد استعمل لفظ (النبر) للتنويع الصوتي، فالهمزة المحققة تصدر عن نبرة (ضغطة) في الصدر، وهذا يعني أنها تحتاج إلى علوّ وشدة في الصوت، ولذلك سميت (نبرة).[٥]

وقد أشار ابن جني (٣٩٢هـ) إلى نبر الصوت وأهميته في نقل المعنى معلقًا على قول الشاعر:

وحديثُها كالغيثِ يَسْمَعُهُ ... راعي سِنينَ تتابعت جَدبا

يعني حنين السحاب وسَجْره، وهذا لا يكون عن نبرة واحدة ولا رزمة مختلسة، إنما يكون مع البدء فيه والرجع وتثنّي الحنين على صفحات السمع).[٦]

---

(١) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٤. وانظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ١٧٠، وعلم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥١٢. ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢١.

(٢) انظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، دكتور سلمان العاني، ترجمة د. ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص: ١٣٤، ومناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٢.

(٣) انظر: المقتضب، أبو العباس المبرد: ١ / ٢٩٢.

(٤) انظر: المقتضب، أبو العباس المبرد: ١ / ٣٣٠، ٣٣٢.

(٥) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٦.

(٦) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ١ / ٢٧ – ٢٩.

فقوله: (وهذا لا يكون عن نبرة واحدة...) يعني بكلمة (هذا) الشجو، والطرب، والاستحسان، والاستعذاب لحديثها، (لا يكون عن نبرة واحدة)، أي: لا يكون عن كلمة واحدة منبورة، (ولا رزمة مختلسة)، أي: ولا يكون عن مجموعة أصوات أو كلمات مختلسة، أي: لم تنبر، ومما يستنتج أن ابن جني لم يدرك النبر لفظًا فحسب، وإنما استوعب معناه وأثره؛ حيث عدّ النبر عملية تدرك بالسمع في صورة ضغط على جزء من الكلمة.(١)

ويقول أبو نصر الفارابي (٣٣٩هـ): (النّبرات نغم قصار، أطول مدّاتها في مثل زمان النّطق بوتد)،(٢) ويقول في موضع آخر: (الحروف المتحرّكة إذا مدّت حركاتها أدنى مدّ، أو قرنت حركاتها بنبرات كانت قريبة من سبب خفيف(٣)... متى توالت متحرّكات كثيرة، وتناهت إلى متحرّك ووقف عليه فإنّه ربّما جعل المتحرّك الأخير ممدوداً أو مقرونـًا بنبرة)،(٤) أي: أنّ المدى الزمني الأدنى للحروف المتحركة يعادل زمن نطق سبب خفيف، وأن النّبر يبلغ مداه على حدّ قوله مع الحركة الطّويلة، وهذا هو عينه ما جاء في علم الأصوات الحديث.

أمّا أبو علي بن سينا (٤٢٧هـ) فإن الكلام عنده يتشكّل من الحروف وممّا يقترن الكلام به من هيئة، ونغمة، ونبرة.(٥) وفي موضع آخر يشير إلى تأثير النّبرة في الدلالة ومعاني الكلام بقوله: (من أحوال النّغم: النّبرات، وهي هيئات في النّغم مَدّيّة غير حرفيّة، يبتدئ بها تارة، وتخلّل الكلام تارة، وتعقّب النّهاية تارة، وربّما تكثّر في الكلام، وربّما تقلّل، ويكون فيها إشارات نحو الأغراض، وربّما كانت مطلقة للإشباع، ولتفخيم الكلام، وربّما أعطيت هذه النّبرات بالحدّة والثّقل هيئات تصير بها دالّة على أحوال أخرى من أحوال القائل أنّه متحيّر أو غضبان، أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد، أو تضرّع، أو غير ذلك، وربّما صارت المعاني مختلفة باختلافها مثل أنّ النّبرة قد تجعل الخبر استفهامًا، والاستفهام تعجبّا وغير ذلك).(٦)

---

(١) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٨٢ – ١٨٥.

(٢) انظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر الفارابي، ص: ١١٧٣. والوتد – كما هو في علم العروض – مجموع ثلاثة أحرف، وهو نوعان.

(٣) السبب والوتد من مصطلحات علم العروض، فالسبب الخفيف: مقطع صوتي يتكون من حرفين؛ متحرك فساكن، والسبب الثقيل: مقطع صوتي يتكون من حرفين متحركين، والوتد: مقطع صوتي يتكون من ثلاثة أحرف؛ متحركين فساكن، وهو الوتد المجموع، أو متحرك فساكن فمتحرك، وهو الوتد المفروق. انظر: أهدى سبيل إلى علمي الخليل؛ العروض والقافية، محمود مصطفى، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٩٦، ص: ١٥، وما بعدها.

(٤) انظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر الفارابي، ص: ١٠٨٤.

(٥) انظر: الخطابة، أبو علي بن سينا، تحقيق محمد سليم سالم، وزارة المعارف، القاهرة، ١٩٥٤، ص: ٦٧، ١٩٧.

(٦) انظر: الخطابة، أبو علي بن سينا، ص: ١٩٧–١٩٨.



وفصل محمد السمرقندي الهمذاني (٧٨٠هـ) في النبر والتنغيم[١] تفصيلاً دقيقًا لم يسبق إليه، يقول في منظومته (العقد الفريد):

إذا (مـا) لنفيٍ أو لجحدٍ فصوتُها (م) ارْفعـنْ وللاستفهام مَكّـن وعَـدِّلا
وفي غير اخفضْ صوتها والذي بما شـبيـه بـمـعـنـاه فـقِـسْـهُ لتفضُلا
كهمزة الاستفهام مع مَـنْ وأنْ وإنْ وأفعل تفضيلٍ وكيفَ وهـلْ ولا[٢]

ويقول في شرحها: (ومثال ذلك: (ما قلتُ)، وبرفع الصوت بـ(ما) يُعلمُ أنها نافية، وإذا خفض الصوت يُعلمُ أنها خبرية، وإذا جعلها بين بين يُعلمُ أنها استفهامية، وهذه العادة جارية في جميع الكلام وفي جميع الألسن). وهذا كلام في غاية الوضوح والدقة، ويتميز بنظرة شمولية نادرة تتجاوز المثال الجزئي إلى عموم اللغة.[٣] لقد حدد السمرقندي ثلاث نبرات صوتية هي: نبرة (الرفع)، وتكون مع (ما) إذا دلت على النفي أو الجحد، ونبرة (بين بين) وتكون للاستفهام، ونبرة (الخفض) وتكون للجملة الخبرية.

ويتضح من خلال التعريفات السابقة أن مفهوم النبر في الدراسات الحديثة لا يختلف عنه عند علماء العربية، فهو دائر على: رفع الصوت، والتكلم بكلمة فيها علوّ، وتمييز الصوت، ووضوحه، والضغط على حرف أو على جزء من كلمة.[٤]

وللنبر قسمان رئيسان:

١. نبر الجملة، وهو المعتمد في هذه الموسوعة.

٢. النبر في الكلمة (نبر مقطع منها).

وسيكون الحديث عن أنواع النبر، وأنواع التنغيم في الفصل الثاني من هذه الموسوعة.

---

(١) ذكرت النبر والتنغيم معًا؛ لأن جزءاً من حديثه يتعلق بالنبر، وجزءاً يتعلق بالتنغيم، حسب ما سيأتي من تفريق بينهما.

(٢) انظر: روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، محمد بن محمود السمرقندي، (مخطوط) مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مدرسة الحجّيات، الرقم: ٢ / ٢٢، ص: ١٣٩ – ١٤١ ظ. نقلاً عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٨ وما بعدها.

(٣) انظر: روح المريد، محمد السمرقندي، (مخطوط) نقلًا عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٩.

(٤) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٤. وقال بهذا كثير من العلماء، ومنهم: د. عبدالصبور شاهين، و د. تحسين الوزان، ود. أحمد البايبي، ود. أحمد الفيومي، ود. خالد العبسي وغيرهم، وأما د. إيهاب شفطر فقد جانبه الصواب بقوله: إن النبر مصطلح غربي، وما ورد عند العرب لا علاقة له بمفهومه اليوم.

وتأتي أهمية النبر من تأثيره على المعنى وفوائده التي تظهر في الكلام في (نبر الجملة) الذي بُني في هذه الموسوعة على علوم النحو، والبلاغة، والتجويد، وما فيها من قواعد ومبادئ لتحديد المعنى. ولذلك جُعل المعنى أساساً علمياً للتنظير لمواضع النبر من الجملة؛ بأركانها، وأطرافها، وأدواتها، وأحوالها، ومعانيها، ولمواضع الوقف والابتداء، والتفريق بين الخبر والاستفهام، وبين النفي والإثبات، وبين النفي والنهي، وبين الشرط والتحضيض، وأهمية الترتيل بلحون العرب وأصواتها، وغير ذلك مما جاء عند مكي بن أبي طالب،(١) وأبي العلاء العطار،(٢) ومحمد السمرقندي،(٣) وابن الجزري،(٤) وغيرهم.

ومن مظاهر أهمية نبر الجملة:

١. أنه نبر مرتبط بالمعنى وبالموقف ارتباطاً وثيقاً، ويمكن للمتكلم أن ينبر كلمة من كلمات الجملة ليوصل المعنى الذي يريد، فلو قال قائل: (هل سافر أخوك أمس؟)، فإن كان النبر على كلمة (سافر) فالمتكلم يشك في حدوث السفر، ويريد الإجابة عنه، وإن كان النبر على كلمة (أخوك) فإن المتكلم لا يشك في حدوث السفر وإنما يشك في فاعل السفر، فربما يكون شخصاً آخر غير الأخ،(٥) ويريد معرفته، وإن كان النبر على كلمة (أمس) فإن المتكلم يسأل عن زمن السفر...(٦)، ولو جاءت الإجابة بغير ما تطلبه الكلمة المنبورة لعدها مُلقي السؤال إجابةً خاطئة.

وزيادة النبر في الكلمة داخل الجملة لا يعدو أن يكون زيادة في نبر المقطع الرئيس في هذه الكلمة، ففي كلمة (أخوك) يكون النبر على المقطع الرئيس منها، فإذا زيدَ نبرُ هذه الكلمة في الجملة فليس المقصود بهذا سوى زيادة نبر ذلك المقطع ليصبح أوضح في السمع مما كان. والنبر في الكلمة أو نبر الجملة ليس إلا شدة في الصوت

---

(١) انظر: تمكين المدّ في: (آتى)، و(آمن)، و(آدم)، وشبهه، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص: ٢٧ – ٣٥.

(٢) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ٢٠٦ – ٢٠٧، والموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم): ١ / ١٥٩، وانظر: الحديث عن اللحن في هذا الفصل.

(٣) انظر: روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، محمد بن محمود السمرقندي، (مخطوط) مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مدرسة الحجّيات، الرقم: ٢ / ٢٢، ص: ١٣٩ – ١٤١ ظ. نقلاً عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٨ وما بعدها.

(٤) انظر: التمهيد في علم التجويد، شمس الدين محمد بن الجزري، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص: ٨٥. وانظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٥.

(٥) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢ – ١٠٣.

(٦) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢ – ١٠٣.



أو ارتفاع فيه، وتلك الشِّدَّة أو الارتفاع يتوقف على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين، ولا علاقة له بدرجة الصوت أو نغمته.(١)

٢. وإذا كان مفهومُ علم النبر والتنغيم في هذه الموسوعة إعطاءَ مفاصل الجملة في القرآن الكريم حقها من النبر والتنغيم ووقف التنغيم، فإن فائدة نبر الجملة هي التنبيهُ على مفاصل الجملة وتأكيد معناها ليصل المعنى واضحـًا ومؤكداً.

كما أن الكلمة المنبورة (نبر جملة) في بعض المواضع توحي بمعنيين اثنين؛ مثبتٍ ومنفيٍّ في وقت واحد عند النطق بها، يُثبت أحدهما معنى، وينفي الآخر عكس ذلك المعنى في الجملة نفسها، ودون النبر سيذهب جزء من المعنى عند سماعها، فمثلاً: نبر ﴿بِمَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ من قوله: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون:١١١] يُثبت أن المجازاة - في هذه الآية - كانت بسبب الصبر، وليس بسبب الصدقة مثلاً، فأوحى النبرُ بهذين المعنيين (المثبت والمنفي)، ودون النبر سيخْفتُ معنى السببية عند سماع الآية خاصة مع سرعة القراءة.

٣. أما النبر في الكلمة الواحدة (نبر مقطع منها)، فقد اختلف في وظيفته في العربية وتأثيره على المعنى كثيرٌ من العلماء.(٢) ويكثر في كتب علم التجويد وعند بعض المختصين الاستشهادُ بكلمات تظهر فيها أهمية النبر في الكلمة (نبر مقطع منها) وتأثيره على المعنى، ويرون ضرورة توظيف النبر بشكل صحيح لتمييز الكلمة عن غيرها بوضوح نسبي في نطقها يفرق بين الأداء المستقيم وغير المستقيم، فيرون أن النبر الصحيح لمقطع الكلمة يُبعد الفهم الخاطئ لها، ومن تلك الكلمات قوله تعالى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ﴾، فيجب أن لا تُنبر الفاء حتى لا يُظن أنها من (فَقَعَ)، وكذلك قوله: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لا تُنبر الفاء حتى لا يُظن أنها من (فقَسَ)، وكذلك قوله: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ لا تُنبر الفاء حتى لا يُظن أنها من (فَسَقَ)، وهكذا في الكلمات مثل: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ من (الفجيعة)، و﴿فَتَرَىٰ﴾ من (الفتور)، و﴿أَفَلَا﴾ من (الأفول). كما عدّوا مما تظهر فيه أهمية (نبر المقطع) الفرق بين نطق الحرف الأول من الكلمات الآتية بالضغط على حركته على أنه جزء من بنية الكلمة، أو نطقه بالضغط على الحركة التالية له على أنه كلمة مستقلة، مثل: (وَعَدَ / وعدَّ / وجدْ / وجدَّ).(٣) وقد ينبر بعض الأئمة من غير المجيدين آخر حرف من كلمة،

(١) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢ – ١٠٣.

(٢) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ١١٤ – ١٤٥. ١٧١– ٢٠٥.

(٣) للمزيد انظر: زاد المقرئين أثناء تلاوة الكتاب المبين، جمال بن إبراهيم القرش: ١ / ١٠٨ – ٢٦٥، وانظر: النبر في القرآن الكريم؛ نظرية جديدة في استقامة الأداء القرآني، أ.د. وليد مقبل الديب، مطبعة دار الحكمة، القاهرة، ٢٠١٩، ص: ١٩.



فيتصل ذلك الحرف صوتياً بالكلمة التي تليها، فتظهر للمستمع كلمة جديدة، وقد سمعتُ من ينبر الكاف في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فخرجت لنا كلمة جديدة خاطئة بسبب هذا النبر الخاطئ هي: (كنستعين).

٤. ومع أهمية هذا التنبيه من علماء التجويد وانحراف المعنى كاملاً حسب ما وضعوه، إلا أنه لا يُتصور أن تنطق كلمة واحدة بمفردها من القرآن الكريم أو من غيره فيأتي هذا الشك للمستمع، فالكلمة بمفردها لا معنى لها إلا داخل الجملة أو سياق موقفي، والجملة الكاملة قوية في الدلالة وإيصال المعنى وكفيلةٌ بتصحيح الفهم، ولا يمكن أن يُغيّر معناها زيادة في النبر على هذا الحرف أو ذاك، فالجملة أقوى من ذلك الخطأ لو حصل، وأكثر توجيهاً للمعنى وسيطرة عليه. ومن فهم خطأ - بسبب النبر الخاطئ - على الرغم من سماع الجملة كاملة فالخلل في فهمه وعقله مهما كان النبر محرفاً للكلمة، ومن المستبعد عند الأسوياء أن يفهموا (الفقس) من قوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦]، ولا أنْ يفهموا (الفقع) من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[الحجر:٢٩]، وهكذا بقية المواضع من هذا النوع من النبر.

وفي المبحث الأول من الفصل الثاني (الخاص بأنواع النبر والتنغيم) موجز لأنواع النبر التي ذكرها علماء اللغويات الصوتية العرب والتعليق عليها، وفيه أيضاً تحديد لوجهة نظر في (النبر في الكلمة) تتبنى ضرورة إعادة التفكير في طريقة دراسة النبر في الكلمة في اللغة العربية، وعدم إسقاط العاميات عليها، وأهمية الانطلاق من داخل اللغة العربية لدراسة النبر في الكلمة وتحديده. أما نبر الجملة المعتمد في هذه الموسوعة، فلا خلاف عليه؛ لارتباطه بالمعنى وتأثيره فيه، ولخضوع تحديده لقواعد الجملة العربية، أو قصد المتكلم، وسيأتي الحديث عنه في ذلك الفصل.

مفهوم التنغيم وأهميته

ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) أن النَّغَم هو: (جرس الكلام وحسن الصوت عند القراءة ونحوها).[١] ونسب إليه كتاب في النغم. وقال الجوهري (٣٩٣هـ): (النغم: الكلام الخفي، وفلان حَسَن النغمة إذا كان حَسَن الصوت في القراءة)،[٢] وذكر مثل ذلك أحمد بنُ فارس (٣٩٥هـ)،[٣] وفي لسان العرب: (النَغَمُ جَرسُ الكلام وحُسْن الصوت).[٤]

(١) انظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي مادة: (نبر).

(٢) انظر: الصحاح، أبو نصر إسماعيل الجوهري، مادة: (نغم).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧. مادة: (نغم).

(٤) انظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور، مادة: (نبر).

وأما التنغيم في الاصطلاح، فهو: (ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام)،[(١)] وعُرّف بأنه: (تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات).[(٢)]

وذكر د. تمام حسان أن للتنغيم وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تُستعمل فيها أداة الاستفهام، فقد تقول لمن يكلمك ولا تراه: (أنت محمد)، مقرراً ذلك أو مستفهمًا، وتختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام، والتنغيم هو ناحية الخلاف الوحيدة بينهما، وهذه الطريقة هي القادرة على توضيح كلا المعنيين.[(٣)]

أما د. عبدالقادر مرعي الخليل فيرى بأن التنغيم هو: (النغمات المنتظمة والمتتابعة في حدث كلامي معين، وهذه الظاهرة تصاحب التراكيب، وتساعد على فهم معنى الكلام).[(٤)] ويفرق د. أحمد مختار عمر بين النغمة والتنغيم، ويجعل الدراسة المثلى للتنغيم، ويرى أن التنغيم هوالذي يغيرالجملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى انفعال إلى تعجب.[(٥)]

ويرى د. أحمد الفيومي أن التنغيم ظاهرة صوتية تتعلق بالسياق، أي: بما يؤدي معنى مستقلاً قائمًا بنفسه... ولا يتأتى إلا في إطار الجملة ومحيطها... ويمكن تعريفه: بأنه نمط صوتي لأداء الجمل والعبارات معبر ومرتبط بالمقام.[(٦)]

فالتنغيم مصطلح صوتي وظيفي يكشف عن بعض جوانب الدلالة اللغوية المتعلقة بالأصوات والسياقات التنظيمية؛ إذ تُحدد الصور النطقية بموجب نمط التنغيم. فجملة (جاء محمد) تتعدد صورها النغمية، فهي تقريرية تارة، أو استفهامية، أو تهكمية، أو تأكيدية، أو للدهشة، أو للاحتقار، أو للاشمئزاز.[(٧)]

---

(١) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٤.

(٢) انظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢٩.

(٣) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٤.

(٤) انظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية، د. عبدالقادر مرعي الخليل، ص: ١٩٧.

(٥) انظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢٩ – ٢٣٠. وانظر: مباحث في علم اللغة، ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٨، ص: ١٣٨.

(٦) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٨٦.

(٧) انظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير العزاوي، ص:٢٧، وانظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٨٧.

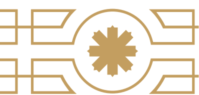
وإذا كان فهم لغةِ المشافهة أمراً تحكمه المشافهة نفسها، وأن المشافهة لا تقوم إلا بالتنغيم، فإن هذا يعني أن الإنسان مفطور على تضمين كلماته أنماطًا وكيفيات صوتية للدلالة على معانٍ معينة؛ كالإخبار، والنهي، والحنين، والاستفهام، والإنكار، والنفي، والزجر، والتأكيد... والتعبير عن العواطف المتنوعة؛ كالغضب، والفرح، والتقرير، والاستعطاف، والاستكانة، والانفعال، والتردد، والشك، والتعجب، والقلق؛ لأن تنغيم العبارة أو الجملة يتلوّن بتلوّن الحالة النفسية والشعورية للناطق بها.

إن النغمة تستعمل في اللغة العربية للدلالة على موقف نفسي معين، فإنه يمكن - مثلاً- أداء كلمة (نعم) بتلوينات نغمية متعددة.(١) ولأن النغمة من عناصر التحويل في الجملة العربية فإن النغمة تعمل على تحويل دلالة الجملة، وتوضح الوظائف الكلامية، وتكشف عن المواقف العاطفية والنفسية، وبناء على هذا فإن الأداء الصحيح للنغمة يتضمن فهمًا سليمًا للمعنى،(٢) بل إن أحسنَ أداء في الحديث بالعربية ما يمكن أن يسمى الحديث المعبّر والقراءة المعبّرة التي يرتبط فيها التنغيم بالمواقف المختلفة، أما الذين يقرؤون ويتكلمون على وتيرة واحدة من الأداء النغمي فالمشكلة فيهم، وعملهم ليس دليلاً على أن العربية أقل احتفاء بالتنغيم.(٣)

ومن العلماء من فرّق بين التنغيم والنغمة بأن التنغيم مرتبط بالتركيب، وهو درجات الصوت المختلفة وتتابعها على مستوى الجملة أو العبارة، فهو وصف للجمل أو أجزاء الجمل، ويعتمد على تركيب النغمة الأساسية في الجملة مع النغمات التوافقية المرتبطة بها. أما النغمة فهي مرتبطة بالمفردة، وهي درجات الصوت المختلفة على مستوى الكلمة، وقد يوصف بالنغمة مقطع من مقاطع الكلمة، فيوصف المقطع بأنه ينطق بنغمة صاعدة أو هابطة.(٤) ويؤكد د. أحمد مختار عمر أن التنغيم هو الذي يغيّر الجملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى انفعال إلى تعجب دون تغيير في شكل الكلمات المكوّنة.(٥)

ويؤكد الدكتور تمام حسان أن كل نوع من أنواع الجمل يتفق مع خط تنغيمي خاص،(٦) ويتبعه الدكتور أحمد الفيومي الذي يرى أن لكل أسلوب لغوي رئيس من الأساليب السابقة خطًا تنغيميًا ونمطًا أدائيًا خاصًا

(١) انظر: منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، د. سمير شريف استيتية، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد (١٥)، يناير، ١٩٨٥، ص: ٢٦٥.
(٢) انظر: منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، د. سمير شريف استيتية، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد (١٥)، يناير، ١٩٨٥، ص: ٢٦٩.
(٣) انظر: منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، د. سمير شريف استيتية، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد (١٥)، يناير، ١٩٨٥، ص: ٢٧٣.
(٤) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٣- ٥٣٥، وانظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢٥، ٢٢٩.
(٥) انظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢٩ - ٢٣٠.
(٦) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٣٠٨.



لا يكاد يشاركه أسلوب آخر فيه، وأن الخروج عن الخط التنغيمي للأسلوب يعد لحنًا، يقول: (وتجب مراعاة ذلك القالب التنغيمي في نطق الجملة الخاصة به، وإلا عُدّ المتكلم لاحنًا، وكان شأنه شأن رفع المفعول ونصب الفاعل، فالخروج بالجملة عن قالبها التنغيمي وأدائها الصوتي الذي كان العرب يتبعونه في النطق بها لحنٌ أيضًا ومخلّ ومنتقص به من درجة صحتها الصوتية... فالتنغيم من سمات اللغة العربية، بيد أنه لم يقنن ولم توضع له المعايير والقواعد المفصلة التي على أساسها كان تحققه وجريانه على ألسنة العرب الفصحاء).(١)

وقد فطن ابن جني (٣٩٢هـ) لذلك فقال: (أهل هذه اللغة جَرَوا على ضرب من القياس، ولم يلتفتوا إلى الالتباس ... لأنهم قد يصلون إلى إبانة أغراضهم بما يُصحبونه الكلام مما يتقدم قبله أو يتأخر بعده، وبما تدل عليه الحال... وهذا باب واسع وإنما يُعتمد في تحديد الغرض بما يصحب الكلام من أوله أو آخره أو بدلالة الحال؛ فإن لها في إفادة المعنى تأثيراً كبيراً، وأكثر ما يعتمدون في تعريف ما يريدون عليها).(٢) وبناء على ذلك كله ركزت هذه الموسوعة على طريقة أداء الأساليب اللغوية وضرورة أن تُعطى كل جملة حقها من التنغيم حتى يظهر المعنى المقصود للمستمع بوضوح.

والتنغيم - بالصفات السابقة - نوع من إعراب الكلام بالأداء المناسب لمعناه، ويمكن أن يقال بأنه: (إيضاح معاني الكلام بتلوين صوتي مصاحب للألفاظ ليكون شاملاً لجميع التنوعات الصوتية الدالة المصاحبة للكلام، وهي تنوعات غير محددة، كارتفاع النغمة وانخفاضها، و النبر في الكلمة ، ودرجة الصوت، ومداه، وزمنه، وعلوه، وكميته، والوقفات، والسكتات، والوصل، واختلاس الصوت، والمدّ... وغير ذلك من التنوعات الصوتية).(٣)

والتنغيم - مع اقتصاره على التراكيب المسموعة دون المقروءة - من أكثر طرق الأداء اتساعًا وشمولية، وله أثر في نفوس المستمعين، ومتابعتهم، وحسن إصغائهم، وإزالة اللبس عن معنى الجملة، وإدراك الفرق بين المعاني المتعددة، وفهم المراد، فالمتكلم قد يهدف بحديثه وتتابع نغمات كلامه العتابَ، أو الاستحثاثَ، أو لفتَ النظرِ، أو الامتعاض، إلى غير ذلك من المعاني التي لا يمكن إدراكها إلا بمعرفة التنغيم. وقد يؤدي عدم انسجام التنغيم مع المعنى إلى خلل في فهم المستمع وتعارض المقاصد عليه. فمعرفة طرق الأداء والنطق التنغيمي

(١) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٨٧ – ١٨٨.

(٢) انظر: المنصف لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبوالفتح عثمان بن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبدالله الأمين، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤، ص: ٢٥٥.

(٣) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٦٩.

المناسب للمعنى لا يقل في أهميته عن معرفة علم النحو،[(١)] ومن هنا تظهر الفروق بين المتحدثين وقوة جذبهم للمستمعين وتأثيرهم فيهم.

ويعدّ التنغيم من جملة الظواهر الصوتية الوظيفية، وهو مع كونه ملمحًا صوتيّاً مصاحبًا للكلام - أي ليس صوتًا صامتًا، ولا صائتًا، والكلام يتألف بدونه - إلا أن له أثراً وظيفيّا ظاهراً عندما يُسمعُ مردداً بين أجزاء الكلام، وهو من جهة القيمة الدلالية للصوت بمثابة الوقوف والفواصل بين المعاني في الدلالة على العبارات الوظيفية التي يراد بها أن تكون متساوية أو مختلفة أو مناسبة لما قبلها أو لما بعدها أو مغايرة له.[(٢)]

ولذلك فإن من التنغيم ما هو مهم جداً للمعنى، مثل: تنغيم الكلمة الأخيرة في جملة الاستفهام الذي بمعنى الإنكار - كما سيتضح ذلك في المبحث الخاص بالاستفهام - ومن التنغيم ما هو نتيجة لتفاعل القارئ نفسيًا مع الآيات التي يقرؤها، فينغم من الآيات ما يرى أهمية وصوله للمستمع من المعاني والتأثيرات التي يعايشها في أثناء قراءته.

ويمثل النغم في سلسلة أصوات الكلام ما تمثله الجملة النحوية المرتبطة ببعضها، ولكل جملة معناها المستقل، وينبغي لمن يحسن الكلام ويدرك المعاني أن يؤدي هذه الجمل أداء تتميز به، تأتي فيه الملامح التنغيمية مناسبة لمعنى الجملة، فيراعي مقاطعها، وبداياتها، ونهاياتها حتى تتم الفائدة للمستمع بدون عناء.[(٣)]

وإذا كان مفهومُ علم النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم في هذه الموسوعة هو إعطاءَ مفاصل الجملة في القرآن الكريم حقها من النبر والتنغيم ووقف التنغيم، فإن التنغيم يصاحب تراكيب الكلام ويحدد معناه ويميز أساليبه عن بعضها. والأغلب أن يكون تنغيم الكلام متوافقًا مع ما اعتاده المخاطبون في لغتهم، ولذلك فمن المتوقع أن يستنكروا الخلل الصوتي في التنغيم، كما يستنكرونه إذا وقع في الإعراب.[(٤)]

ويؤكد د. مبارك حنون أن اللغويين القدماء اهتموا كثيراً بالأساليب اللغوية؛ كالاستفهام، والتعجب، والنداء، والأمر، وغيرها، وتحليلها شكليّا وسياقيًا، كما هو الأمر عند علماء المعاني، أما اهتمامهم بقضايا

(١) انظر: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، د. حمدان رضوان أبوعاصي، مجلة الجامعة الإسلامية في غزة بفلسطين، مجلد: ١٧، العدد: (٢)، ص: ٦١.

(٢) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٣) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٣.

(٤) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٣.

تنغيم تلك الأساليب بما يناسب معانيها ودور التنغيم في صناعة الجملة فقد جاء ضعيفاً في صورة إشارات عابرة عند قليل منهم.(١)

وبعد تتبع مظان الحديث عن التنغيم - والنبر أيضاً - في كتب التراث على اختلاف مجالاتها وفنونها، فقد وجدت عدداً من العلماء أشاروا إلى علاقة الصوت بالمعنى، وإلى مفهوم التنغيم والنبر، وشرحوا بعضاً من مواضعهما في بعض الشواهد القرآنية والشعرية، ومن اللغويين والنحويين: سيبويه، والفراء، والجاحظ، وابن خالويه، وابن جني، وعبدالقاهر الجرجاني، وابن يعيش، ومن الفلاسفة: أبو نصر الفارابي، وابن سينا، وابن زيلة، وابن رشد، ومن الفقهاء أبو الليث السمرقندي، ومن علماء التجويد: مكي بن أبي طالب، وأبوالعلاء العطار، ومحمد السمرقندي الهمذاني، ومحمد المرعشي، وحسن الدركزلي. ومن المختصين في علوم القرآن: الزركشي.

ومن الباحثين من له رأي غريب متناقض، فقد أكد د. يوسف الجوارنة أنه لا تجوز قراءة القرآن بالتنغيم، ومع أنه قال في مفهوم التنغيم إنه: تغييرات موسيقية تتناوب الصوت من صعود إلى هبوط، أو من انخفاض إلى ارتفاع، تحصل في كلامنا وأحاديثنا لغاية وهدف... فنستعين بهذا التغيير النغمي الذي يقوم بدور كبير في التفريق بين الجمل؛ فنغمة الاستفهام تختلف عن نغمة الإخبار، ونغمة النفي تختلف عن نغمة الإثبات، إلا أنه قال بعد ذلك: ولما كان كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منزّهـاً أن يكون مثلَه كلامُ البشر؛ فإن التنغيم بمفهومه السالف لا يمكن أن يقرأ به القرآن الكريم ... ويبقى التجويد علامة دالّة للقرآن لا تجوز القراءة فيه إلا به، وأعتقد أن تطبيق التنغيم عليه قراءةً من باب المحال، وإن حاولنا ذلك فإننا نخرج عن السّمت الذي اختص به.(٢)

ولا أعرف لماذا فصل التجويد عن التنغيم؟ وحصرُ التجويد في المدود، وأحكام النون والميم الساكنتين، ومخارج الحروف، وغيرها من أبواب التجويد المعروفة فهمٌ قاصرٌ لمفهوم التجويد، ويمكن الاطلاع على كلام علماء التجويد، والتفسير، واللغويين الذين سأذكر كلامهم في المبحث الثالث من هذا الفصل - وذكرت بعض أسمائهم قبل قليل - عن أهمية مراعاة القراءة للمعنى.

وهل يريد د. الجوارنة أن يقرأ القارئ - مثلاً - الآيات من سورة الواقعة التي فيها استفهام؛ كالآيات (من ٥٨- ٧٣) مثلما يقرأ أول سورة الحديد التي بعد سورة الواقعة مباشرة؟!.

---

(١) انظر: في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، د. مبارك حنون، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص: ٣٤ وما بعدها.

(٢) انظر: التنغيم ودلالته في العربية، د. يوسف الجوارنة، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب في سوريا، العدد (٣٦٩)، لعام ٢٠٠٢.



إن الاستفهام - مثلاً - أسلوب لغوي له أدواته وتراكيبه اللغوية، وله نغماته التي تُظهر معنى السؤال للمستمعين، وعدم تطابق القراءة مع معنى الاستفهام يُخلّ بالمعنى المراد من الآية.

أما د. محمد حسن جبل فيرى أن مصطلح التنغيم المعروف في علم الأصوات (مذهب قديم في الأداء)، وأنه يسبق كل ما تقوله الدراسات الحديثة عن التنغيم، ويقول: إن صورته التطبيقية ليست بأيدينا مع الأسف، ويتمثل هذا المذهب فيما سمي قديماً (القراءة على طريق المخاطبة)، وقد جاء في ترجمة أبي عبدالله محمد بن عيسى الأصبهاني (٢٥٣هـ) - وهو إمام في القراءات والنحو - أنه ألف كتاباً في جواز قراءة القرآن على طريق المخاطبة... ويؤخذ من عنوان الكتاب أن القراءة على طريق المخاطبة تعني قراءة ما هو أسلوب استفهامي بطريقة تعبر عن الاستفهام وتشعر المستمع به، وكذلك ما كان إنكاراً، أو تعجباً، أو تحسراً، أو ندماً، أو زجراً، أو إنذاراً، أو تبشيراً...فمصطلح (القراءة على طريق المخاطبة) هو عين التنغيم الذي قال به الأوروبيون، وأن المصطلح ومسماه اندثر بمرور الزمن.[١]

ثم يؤكد في موضع آخر أنه يمكن قراءة القرآن على طريق المخاطبة بشرط عدم المبالغة؛ فإن المبالغة في هذا الأداء تخرج بقراءة القرآن عن سمتها الوقور، وهذا هو التحدي الحقيقي، أعني الجمع بين القراءة بالمخاطبة، أو قراءة القرآن على منازله وبين الوقار اللازم لترتيل القرآن.[٢]

وربما كان معنى (القراءة على طريق المخاطبة) التي أجازها الأصبهاني، وألف كتاباً فيها ليس هو التنغيم بمفهومه في هذه الموسوعة الذي يراعي انسجام الأساليب اللغوية مع المعاني، بل هو قراءة القرآن كأنه خطبة خطيب، أو كلام بشري معتاد، فإن كان الأمر كذلك فقد لا يتحقق بذلك الترتيل المطلوب شرعاً من كل مسلم حسب قدرته.

ثم إن بعض الأساليب؛ كالتحسر، والندم، والزجر، أو الإنذار والتبشير ليست كالاستفهام، أو الشرط، أو القسم - مثلاً - التي لها أدواتها اللغوية، وتراكيبها المختصة بها في الكلام، ولذلك فإنه يمكن ضبط تنغيم الأساليب اللغوية - كالاستفهام والشرط - حسب معناه، وقد يصعب ضبط تنغيم جملة التحسر، والإنذار، والبشارة، وغيرها مما لا أدوات لغوية محددة له.

---

(١) انظر: التلقي والأداء في القراءات القرآنية، د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١، ص: ٢٧١ – ٢٧٣.

(٢) انظر: التلقي والأداء في القراءات القرآنية، د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١، ص: ٢٧٥ - ٢٧٦.



إن الأداء وما يحمل من تنغيمات له أثر كبير في نفوس المستمعين، ومتابعتهم، وحسن إصغائهم، وفهمهم للمراد، والتنغيم عنصر من عناصر الأداء، وعدم إتقانه يؤدّي إلى ضعف الوضوح، وفي غير القرآن قد لا يُعرفُ مراد أحدهم لعدم معرفته بطرائق الكلام الجيّدة، وأكثر ما يكون هذا الإبهام عند غير أهل اللّغة المتكلم بها؛ كالذين ليست اللغة العربية لغتهم الأم من المسلمين.

والتنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة، وربما كان ذلك لأن ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر مما يستعمله الترقيم من علامات؛ كالنقطة، والفاصلة، والشرطة، وعلامة الاستفهام، وعلامة التأثر.[١]

الفرق بين النبر والتنغيم

من خلال ما سبق من حديث عن مفهومي النبر والتنغيم يتضح أنهما مختلفان باعتبارات عديدة، وبينهما علاقة قوية أيضـًا؛ فالنبر يخالف التنغيم في الحدود والدلالة، ذلك أن حدود التنغيم أوسع من النبر، فالتنغيم مرتبط بالجملة يبدأ من أولها وينتهي في آخرها، ويكشف عن نوعية الأسلوب الذي تحمله.

أما النبر فهو نوعان، الأول: نبر الجملة – وهو المعتمد في هذه الموسوعة – وهو ضغطة صوتية تكون على كلمة من كلمات الجملة لإفادة معنى معين، ولتنشيط السامع لاستقبال معنى الجملة بنبر مفاصلها المهمة.

والثاني: النبر في الكلمة، ويكون على مقطع من مقاطعها[٢] أو على حرف من حروفها، ولا تأثيرَ له على معنى الجملة غالبـًا، إلا إذا كان نبر طُوْل، أو النبر المسبب للوهم والخطأ في الفهم، كنبر الفاء في قوله: (فجعلهم، فقعوا، فقست)، وما يشبهها، وهو قليل الحدوث ويرفعه ذكر الجملة كاملة، وليس مستهدفـًا في هذه الموسوعة.

فأما اختلاف النبر عن التنغيم من حيث الدلالة، فإن دلالة التنغيم دلالة عامة على مستوى الجملة، ومنها الإخبار، والاستفهام، والاستنكار، والتعجب، (وبالتنغيم يرتبط معنى الجملة إثباتـًا ونفيـًا، أو تأكيداً واستفهامـًا، أو إنكاراً).[٣]

أما دلالة النبر فإنها تعود إلى نوعه، فإن كان (نبر جملة) فإن دلالته تتعلق بالمستوى التركيبي، وإن كان (نبر كلمة) فهو نوعان (نبر شِدة) و(نبر طول)، فإن كان (نبر شِدة) فهو إما ذو وظيفة فونيمية فيكون له دلالة صرفية أو معجمية، وإما ذو وظيفة تطريزية فلا دلالة له، وإن كان (نبر طول) فدلالته إظهار الانفعال والاندهاش أو تأكيد وصفٍ ما في الكلام.[٤]

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٦، ٢٢٧.
(٢) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٨٥.
(٣) انظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص: ٢٦٢.
(٤) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٨٥.

والتنغيم مثلُ نبر الجملة له دلالة على معنى الجملة وتركيبها، وله أيضاً دلالة على إظهار الانفعال ومشاعر المتحدث (أوالقارئ)؛[١] لأن التنغيم يفصح عن التعظيم، والخشية، والخوف، والحزن، والفرح، والرضا، والسخط، والدهشة، والازدراء، والكراهية، والتهكم، والزجر، والموافقة، والرفض، وغيرها. كما أن قارئ القرآن الكريم يمكنه بث تفاعلاته النفسية مع الآيات - في حدود ما تجيزه قواعد التلاوة ومعاني الجمل - التي يقرؤها بتلوينات تنغيمية تكشف عن نوع تفاعله مع الآيات وقوة ذلك التفاعل مما يكون له الأثر على المستمعين، ومن أبرز مواضعه الغنن والمدود بأنواعها.

إن صلة التنغيم بالنبر قوية، فكلاهما يمكن أن يعدّ ملمحاً تمييزيّاً للمعاني الدقيقة، أحدهما على مستوى الكلام، والآخر على مستوى الكلمة، فحينما يكون الضغط على الكلمة المفردة أو في سياقها فهذا هو النبر (يقصد نبر الجملة)، أما حينما يكون التمييز بمستوىً ما في تشكيلٍ صوتي معين للجملة والسلسلة الكلامية المتصلة أو العبارة كلها فهذا هو التنغيم.[٢] ولأن التنغيم يقوم على تنويعٍ في الصوت يتضمن صعوداً وهبوطاً، فإنه يجب أن يتفق هبوط النغمة أو صعودها أو تحولها عن المستوى السابق في وسط الكلام أو في آخره مع موقع النبر، فلا تتحول النغمة هذا التحول إلا على مقطع منبور، وهذه هي الصلة الوثيقة بين النبر والتنغيم التي لا يمكن انفكاكها عنهما معاً.[٣]

ويكون التنغيم على العبارات المختصرة، مثل: (يا ولد، يا شيخ، لا) أكثر إبرازاً للمعاني، وتعبيراً عن انفعالات متنوعة من مثل قولك: (عليٌّ قائم) حينما تؤدى على أنها خبرية أو على أنها استفهامية. وبناء على ذلك فإنه يمكن تقسيم التنغيم قسمين؛ التنغيم الدلالي، والتنغيم التعبيري.[٤]

والجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي خطوط من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة، فالخط النغمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض، غير الخط التنغيمي الذي لجملة الإثبات، وهنّ يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة، فلكل جملة صيغة تنغيمية خاصة؛ بعضها مرتفع، وبعضها منخفض، وبعضها يتفق مع النبر، وبعضها لا يتفق معه، وبعضها صاعد، وبعضها هابط... فالصيغة التنغيمية منحنى نغمي خاص بالجملة يُعين على الكشف عن معناها النحوي.[٥]

---

(١) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٤، والمدخل في علم الأصوات المقارن، د. صلاح حسنين، ص: ١٠٢، والنبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٨٦.

(٢) انظر: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب، د. تحسين عبدالرضا الوزان، دار دجلة، عمان، ٢٠١١، ص: ٣٩٧.

(٣) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣٠.

(٤) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٨٦.

(٥) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٦.

والتنغيم قيمة صوتية مستقلة مضافة إلى مجموع ظواهر صوتية أصغر منها في الجملة، فهو أحد مكونات النسيج الصوتي النهائي للجملة، وليس هو المكون الصوتي النهائي للجملة، ولا مجموع نبرات متعددة، أو مجموع ظواهر أصغر في المساحة الأفقية للجملة. وعلى ذلك تكون علاقة النبر بالتنغيم ليست علاقة الجزء بالكل، بل علاقة جزء بجزء يتشكل الكل منهما ومن غيرهما من التلوينات الصوتية الثانوية والنسيج الصوتي النهائي للجملة. ويدل على ذلك أن التنغيم يمكن أن يوجد في أنماط من الجمل من دون وجود أي مكون صوتي آخر، فهو مستقل بنفسه غير مبني على غيره في وجوده، ومثال ذلك قول (لا) باندهاش وتعجب ردّاً على خبر غريب، أو قول (نعم) للزجر والتهديد، فليس في (لا)، ولا في (نعم) أي من التلوينات الصوتية ليقال بأن التنغيم بُني عليها، بل إن كُلّا منهما مقطع واحد هو أبسط وحدة نطقية.(١)

ويحتاج النبر والتنغيم إلى جهود كبيرة في البرمجة الحاسوبية من المتخصصين في الذكاء الاصطناعي والبرمجيات لعدد من الأهداف التي تخدم تنغيم الجملة العربية؛ منها: تأسيس التنغيم للجملة العربية حاسوبيّاً، ومعرفة الفروق بين الأساليب اللغوية في ذلك، لتقريب التنغيم الصناعي من الطبيعي، ولضبط تنغيم الأساليب في النصوص المهمة التي تتطلب دقة في الأداء كالقرآن الكريم، وقياس دقتها حاسوبيّاً بالانطلاق من أداء نموذجي للعربية الفصحى.

ومن الجهود التي بحثت موضوع تنغيم الجملة العربية حاسوبيّاً - وهي مازالت قليلة مقارنة بالحاجة لها- ما قامت به الدكتورة عفاف الشلبي(٢) ضمن برنامج الماجستير، من محاولة تأصيل التنغيم للجملة العربية آليّاً لضبط برمجتها، وإمكانية وضع برمجة تجعل التنغيم الصناعي قريباً من الطبيعي لتنغيم الأساليب اللغوية (الإنشائية والخبرية)، وقد تضمنت المدونة (٢٥٠٠) جملة سجلت مرتين؛ مرة بتنغيم طبيعي، ومرة دون تنغيم، ونشرت نتائج أسلوب النفي في الجملة العربية، وقد خرج البحث بنتائج جيدة.(٣)

---

(١) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٨٧، ٨٨. ويرى بعض الصوتيين أن (لا) تختلف عن (نعم) في عدد المقاطع.

(٢) الدكتورة عفاف الشلبي قدمت بحثها للماجستير لكلية الهندسة المعلوماتية بجامعة دمشق، والدكتوراه في هندسة المعلوماتية عن نظم تحويل النص العربي إلى كلام باستخدام تسلسل شبه المقاطع والتنغيم الطبيعي.

(٣) انظر: دراسة تنغيم الكلام المركب باللغة العربية وتوليده آليا، عفاف الشلبي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، مج ٢٩، ١ / ٢٠٧ – ٢٢٢، ٢٠١٣، (جزء من برنامج الماجستير بإشراف د. محمد نوار العوا، ود. أميمة الدكاك).

التأصيل لعلم النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم

خُدمت الدراسات القرآنية بكثير من العلوم طوال قرون عديدة، مثل: علم التجويد، وعلم الوقف والابتداء، وعلم القراءات... ويبدو أن مجال النبر والتنغيم يحتاج إلى بسط وتأصيل، ويمكن تسميته: علم النبر والتنغيم. وتعدّ هذه الموسوعة إسهاماً في التأصيل لهذا العلم الذي يحتاج إلى جهود أكبر وعمل جماعي متتابع من أصحاب الدراسات القرآنية واللغوية، ومن أصحاب الصوتيات والتقنية.

وقد حرصتُ في هذه الموسوعة على أن أدعم ما قدمته من التنظير بنوعين من التطبيق؛ الأول: التطبيق التحليلي الدقيق لعدد من الأساليب اللغوية الموجودة في القرآن الكريم بوضع جداول مفصلة لكل أسلوب حسب متطلبات مفاصل الجملة فيه. والثاني: التطبيق الصوتي بتسجيل قراءة مجودة تطبق ما في التطبيق التحليلي من نبرات ونغمات، ووضع ذلك التسجيل في موقع مشروع موسوعة (تنغيم) على الانترنت .

وقد عرّفتُ علم النبر والتنغيم للأساليب اللغوية في أداء القرآن الكريم بأنه: علم يبحث في إعطاء مفاصل الجملة في القرآن الكريم حقها من النبر والتنغيم ووقف التنغيم، منطلقاً من علوم النحو، والبلاغة، والتجويد، وما فيها من قواعد ومبادئ لتحديد المعنى.

محددات التعريف

وتشمل عبارة (مفاصل الجملة):

- أركان الجملة الخاصة بالأسلوب.
- تقييدات الجملة.
- أطراف الجملة.
- علاقات الجملة.

وليس المقصود بأركان الجملة الأركانَ الأساسية للجملة فقط؛ كالمبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل، بل المقصود أيضاً أركان الجملة الخاصة بالأسلوب؛ ذلك أن لكل أسلوب أركانه التي لا يقوم إلا بها. ومن أهم أركان الجمل في أغلب الأساليب الأدوات؛ كأدوات: النفي، والنهي، والاستثناء، والاستفهام، والنداء، والشرط، والاستدراك، والإضراب، والتعليل، والتنبيه، والعرض والتحضيض، وغيرها. ومن الأركان المكوناتُ الأساسيةُ للجملة الخاصة بأسلوب محدد؛ كالمبتدأ والخبر، والمستثنى والمستثنى منه، والمقصور والمقصور عليه، وفعل الشرط وجوابه،



والقسم وجوابه، والجملة المعترضة وما بعدها، ومكونات التقسيم، وأول الأساليب الإنشائية؛ كالأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والترجي، والدعاء، والنداء، وغيرها.

ومن مفاصل الجملة تقييداتُها التي تضيف معنى جديداً للجملة؛ كالمفاعيل، والمعطوفات، والنعوت، والظروف، والمجرورات، والأحوال، والتوكيد، والتمييز، وغيرها، وقد تكون تلك المفاصل مرتبطة بأحد ركني الجملة، ففي قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٩] ذكر الله تعالى قوله: ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾، وهذه صفة مع صلتها وهي ليست من أركان الجملة الأساسية - فليست فعلاً، ولا فاعلاً، ولا مفعولاً - ولكنها مفصلية في إثبات ما حصل لهم سابقًا ﴿قِيلَ لَهُمۡ﴾ من أن الله تعالى قد قال لهم في الزمن الماضي قولاً فبدّلوه، وكذلك الجار والمجرور ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قد أفادا أن هذا الرجز فوق طاقتهم، وليس مصدر الرجز شيئًا قريبًا منهم ليحاولوا تفاديه، أو تخفيفه، أو تأجيله، بل هو ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فذكرُ الجار والمجرور أثبت عجزهم التام أمام هذا الرجْز، فالصفة في قوله تعالى: ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ تعدّ ملحقة بمفاصل جملة ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ...﴾، والجار والمجرور في قوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعدّان ملحقين بمفاصل جملة ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ...﴾، والمعاني التي جاءت من الصفة والجار والمجرور معانٍ مفصلية ومهمة مع أن هذه الكلمات ليست من الأركان الأساسية للجملة.

وسيبسط - إن شاء الله تعالى - في الدراسة النظرية والتطبيقية في هذه الموسوعة أركان الجملة وملحقاتها من التقييدات في مواضعها من دراسة الأساليب، وهو ما يَعرفه المتخصصون في اللغة العربية.

وأما أطراف الجملة فالمقصود أول الجملة ووسطها وآخرها، وبعض أطراف الجمل لها حكم ثابت من حيث النبر أو التنغيم؛ كأول كل جملة فإن حقها النبر، أما وسط الجملة وآخرها، فمنها ما حكمه نغمة صاعدة ثابتة؛ كبعض المواضع من آخر جملة فعل الشرط، أو جملة القسم، وآخر جملة الاستفهام الذي بمعنى الإنكار، ومنها المتغير في النغمات حسب موقع الأسلوب في الآية.

أما ما يتعلق بعلاقات الجملة فالمقصود علاقات الجملة بما قبلها وما بعدها، فمن الجمل ما له حكم ثابت في علاقته بما قبله وما بعده؛ كالجملة المعترضة، والجملة التفسيرية، ومنها ما هو حسب موقع الجملة من الجمل قبلها وبعدها، فقد يكون المناسب لها نغمة صاعدة أو مستوية، فمن جُمل الإضراب ما يناسبه نغمة مستوية، ومنها ما يناسبه نغمة هابطة، ومثله جمل الاستدراك، والجمل التقريرية.

ومع أن هذه الموسوعة تحلل كل أسلوب لغوي - نبريّا وتنغيميّا - بشكل مستقل، وتقطّع الجملة الواحدة في الآية - طبقًا لخط نبرٍ وتنغيم مقترح - إلى مفاصلها التي هي أكثر أهمية للمعنى وما تحتاجه من نبر وتنغيم، إلا أنني راعيتُ أن تكون جميع تفاصيل النبر والتنغيم لأول الجملة وآخرها منسجمة ومتناغمة مع الجمل الأخرى في الآية الواحدة - الطويلة خاصة - أو في الآيات المتتابعة، أي: أن يكون المطلوبُ من نبر وتنغيم للجزء - مفصِل الجملة - منسجمًا مع المطلوب من نبر وتنغيم للكل - الآية أو الآيات - وأن يظهر ذلك الانسجام عند قراءة الأساليب المتتابعة في الآية أو في الآيات في المقطع القرآني الواحد.

ومع أنني قد عرّفتُ النبر والتنغيم ووقف التنغيم في غير هذا الموضع من هذه الموسوعة إلا أنني سأذكر موجزاً لهذه المصطلحات الثلاثة استكمالاً للتعريف المقترح قبل قليل لـ(علم النبر والتنغيم).

فأما النبر فقد ذكرت في بعض تعريفاته أول هذا المبحث أنه: تمييز مقطع أو حرف أو كلمة من بين أخواتها بضغطة تخصصها، فتزيد وضوحًا في السمع،[١] وأما نبر الجملة فهو: تمييز كلمة من كلمات الجملة بضغطة تخصصها لتكون أبرز من غيرها من كلمات الجملة، فتزيد وضوحًا في السمع، وفائدته التنبيه على مفاصل الجملة وتأكيد معناها ليصل المعنى واضحًا ومؤكداً. كما أن الكلمة المنبورة نبر جملة في بعض المواضع توحي بمعنيين اثنين؛ مثبتٍ ومنفيٍّ في وقت واحد عند النطق بها، يثبت أحدهما معنى، وينفي الآخر عكس ذلك المعنى في الجملة نفسها، وبدون النبر سيذهب جزء من المعنى عند سماعها، فمثلاً: نبر ﴿بِمَا﴾ في قول الله تعالى ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ من قوله: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون:١١١] يعزز معنى أن المجازاة - في هذه الآية - كانت بسبب الصبر، وليس بسبب الصدقة مثلاً، فأوحى النبرُ بهذين المعنيين (المثبت والمنفي)، ودون النبر سيخْفتُ معنى السببية عند سماع الآية خاصة مع سرعة القراءة.

وأما التنغيم فقد ذكرتُ في بعض تعريفاته أول هذا المبحث بأنه: (النغمات المنتظمة والمتتابعة في حدث كلامي معين، وهذه الظاهرة تصاحب التراكيب، وتساعد على فهم معنى الكلام).[٢] إن التنغيم مصطلح صوتي وظيفي يكشف عن بعض جوانب الدلالة اللغوية المتعلقة بالأصوات والسياقات التنظيمية، فهو يساعد على

---

(١) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٤. وانظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ١٧٠، وعلم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥١٢. ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢١.

(٢) انظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية، د. عبدالقادر مرعي الخليل، ص: ١٩٧.

تمييز الأساليب عن بعضها، فجملة (جاء محمد) تتعدد صورها النغمية، فهي تقريرية تارة، أو استفهامية، أو تهكمية، أو تأكيدية، أو للدهشة، أو للاحتقار، أو للاشمئزاز.(١) والأغلب أن يكون تنغيم الكلام متوافقًا مع ما اعتاده المخاطبون في لغتهم، ولذلك فمن المتوقع أن يستنكروا الخلل الصوتي في التنغيم، كما يستنكرونه إذا وقع في الإعراب.(٢)

أما وقف التنغيم فهو وقف لطيف - بتنفس قصير جدّاً - يمكّنُ القارئ من القراءة التدبرية، ويساعدُ المستمع على فهم الجملة، وتدبرها، والارتواء من معناها فكريًّا وعاطفيًّا؛ لأنه يُظهر أكبر قدر ممكن من معنى الآية، ويعطي فرصة للمستمع للتعمق فيها.

وبعض المواضع التي حُدد - في الدراسة التطبيقية لهذه الموسوعة - فيها وقف تنغيم يصلح أن تكون لسكت التنغيم - بدون تنفس - أيضـًا. وقد اعتمدتُ جميع الوقوف الموجودة في مصحف المدينة النبوية، وأضفت بعض الوقوف التي تساعد على تحقق الغرض التدبري من وقف التنغيم على أن يكون الموضع داخلاً عند علماء الوقف والابتداء - الذين اعتمدت كتبهم في هذه الموسوعة وذكرتهم في المقدمة - إما في مفهوم الوقف التام، أو الكافي، أو الحسن ليكون المعنى الذي يأتي عند الوقف كاملاً وصحيحـًا غير مخل بالمعنى.

إن النبر والتنغيم من أهم القرائن التي توصل المعنى وترفع اللبس وتؤثر على المشاعر والمواقف الانفعالية، ومن هنا تأتي أهمية ترتيل القرآن الكريم بمراعاة معاني الأساليب اللغوية، وإعطاء مفاصل الجملة في الأساليب اللغوية - التي تؤثر انفعاليًّا على المستمع - حقها من النبر والتنغيم ووقف التنغيم الذي يوصل أكبر قدر ممكن من المعنى إليه، ومن هنا تأتي أهمية التأصيل لهذا العلم، وأهمية هذه الموسوعة في تركيزها على تنغيم الأساليب اللغوية.

وقد بسطتُ في فصول هذه الموسوعة نظريًّا وتطبيقيًّا وصوتيًّا عدداً من القواعد والمبادئ والمعايير التي يمكن الانطلاق منها للتأصيل لهذا العلم الجليل.

---

(١) انظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير العزاوي، ص:٢٧. وانظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٨٧.

(٢) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٣.



المبحث الثاني: علوم ومصطلحات متعلقة بالنبر والتنغيم



أولاً: العلوم

علم التجويد

تجويد القراءة وتحبيرها هو: تصحيح الحروف وتقويمها، وإخراجها من مخارجها، وترتيبها مراتبها، وردها إلى أصولها، وإلحاقها بنظائرها، من غير إفراط يؤدي إلى التشنيع، ولا نقصان يفضي إلى التضييع، بل بملاحظة الرفق والسهولة، ومجانبة الشِّدَّة والصعوبة.(١) ويتناول علم التجويد بعضاً من المظاهر المهمة التي تتعلق بترتيل القرآن الكريم. يقول القنوجي (١٣٠٧هـ): (علم التجويد هو: علم باحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم من جهة مخارج الحروف، وصفاتها، وترتيل النظم المبين بإعطائها حقها من الوصل، والوقف، والمدّ، والقصر، والروم، والإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإمالة، والتحقيق، والتفخيم، والتشديد، والتخفيف، والقلب، والتسهيل، وغير ذلك. وموضوعه وغايته ونفعه ظاهر. وهذا العلم نتيجة فنون القراءة وثمرتها... ولا يكفي العلم فيه، بل هو عبارة عن مَلَكة حاصلة عن تمرن امرئ بفكه وتدربه بالتلقف عن أفواه معلميه).(٢) وذكر أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) أن من حقوق الحروف التلخيص، والتبيين، والمدّ، والتمكين، والإطباق، والتفشي، والصفير، والغنة، والاستطالة، وغير ذلك على مقدار الصيغة وطبع الخلقة.(٣) وقال مُلا علي القاري (١٠١٤هـ): (التجويد هو إعطاء الحروف - بعد إحسان مخارجها وتمكينها من محايزها - حقها من كل صفة من صفاتها وإعطاؤها مستحقها من تفخيم، وترقيق، وسائر أوصافها).(٤)

ويكون تعلم التجويد تلقياً شفهيّاً من القراء المجوّدين، وليس باجتهاد الفرد بنفسه، قال مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ): (وليس قول المقرئ والقارئ: أنا أقرأ بطبعي وأجد الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئاً مما ذكرته بحجة، بل ذلك نقص ظاهر فيهما، لأن من كانت حجته هذه يصيب ولا يدري، ويخطئ ولا يدري؛ إذ علمه واعتماده على طبعه وعادة لسانه يمضي معه أينما مضى به من اللفظ، ويذهب معه أينما ذهب،

(١) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ٢٢.

(٢) انظر: أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)، صديق بن حسن القنوجي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٨: ٢ / ١٤٤.

(٣) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ٧٨ – ٧٩.

(٤) انظر: المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، ملا علي القاري، ص: ١٢٠.

ولا يبني على أصل، ولا يقرأ على علم، ولا يُقرىء عن فهم... فلا يرضينّ امرؤ لنفسه في كتاب الله جل ذكره وتجويد ألفاظه إلا بأعلى الأمور وأسلمها من الخطأ والزلل).[(١)]

ولا ينحصر التجويد في التلفظ بمخارج الحروف، وصفاتها دون مراعاة معاني الكلمات، وهذا هو المفهوم الأدق للتجويد الذي عليه أئمة القراء، وقد كان الإمام حمزة الزيات (١٥٦هـ) يقول: (إن الرجل ليقرأ القرآن فما يلحن حرفًا، أو قال: ما يخطئ حرفًا، وما هو من القراءة في شيء). قال أبو عمرو الداني معلقًا على هذا الخبر وما أشبهه: يريد أنه لا يقيم قراءته على حدها، ولا يؤدي ألفاظه على حقها، ولا يوفي الحروف صفتها، ولا ينزلها منازلها... وربما قرأ الرجل على عاصم بن أبي النَّجود (١٢٧هـ)، فيقول: ما قرأتَ حرفًا. قال أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ): (يريد أنك لم تقم القراءة على حدها، ولم توفِّ الحروف حقها، ولا احتذيت منهاج الأئمة من القراء، ولا سلكت طريق أهل العلم بالأداء).[(٢)]

وقد أشار أبو بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ)، إلى أنواع من حملة القرآن الكريم في ضبطهم وتوثيقهم للقراءة بقوله: (ومن حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات، العارف باللغات ومعاني الكلام، البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفاظ القرآن، ومنهم من يعرب ولا يلحن ولا علم له بغير ذلك، فذلك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته، ولا يقدر على تحويل لسانه فهو مطبوع على كلامه، ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذه ليس عنده إلا الأداء لما تعلم، لا يعرف الإعراب ولا غيره، فذلك الحافظ فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده فيضيّع الإعراب لشدة تشابهه، وكثرة فتحه وضمه وكسره في الآية الواحدة؛ لأنه لا يعتمد على علم بالعربية، ولا به بصر بالمعاني يرجع إليه، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه، وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع وتشتبه الحروف، فيقرأ بلحن لا يعرفه، وتدعوه الشبهة إلى أن يرويه عن غيره ويبرئ نفسه، وعسى أن يكون عند الناس مصدقًا فيحمل ذلك عنه، وقد نسيه ووهم فيه وجسر على لزومه والإصرار عليه. أو قد يكون قد قرأ على من نسي وضيّع الإعراب، ودخلته الشبهة فيتوهم، فذلك لا يقلد القراءة، ولا يحتج بنقله. ومنهم من يعرب قراءته ويبصر المعاني ويعرف اللغات، ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار، فربما دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين فيكون بذلك مبتدعًا).[(٣)]

---

(١) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ٢٥٤.

(٢) انظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، أبو عمروعثمان بن سعيد الداني: ٢ / ٣٨ – ٤٠.

(٣) انظر: السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ص: ٤٥، ٤٦.



ولم يُعْرَفْ مصطلح (التجويد) بمفهومه الحالي الذي يُعْنَى بدراسة مخارج الحروف وصفاتها، وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق إلا في القرن الرابع الهجري، وأقدم نص وردت فيه كلمة (التجويد) مستعملة بمعنى قريب من معناها الاصطلاحي هو قول أبي بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ): (اللحن في القرآن لحنان؛ جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي ترْك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه).[(١)] وأول من صنف في التجويد هو أبو مزاحم الخاقاني (٣٢٥هـ) في قصيدته المشهورة التي شرحها كثير من علماء التجويد،[(٢)] وبعده بقرن من الزمان ظهر كتاب: (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) لأبي الحسن علي السعيدي (٤١٠هـ تقريبًا)، وبعده بسنوات ظهر في الأندلس كتابان كبيران في علم التجويد، هما: (الرعاية) لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، و(التحديد في الإتقان والتجويد) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ)، ثم توالت المؤلفات بعد ذلك.

ومباحث علم التجويد في القرون الأربعة الأولى هي مباحث علم اللغة، خاصة الأصوات والقراءة،[(٣)] وقد سبق علماءُ العربية من النحاة واللغويين علماءَ التجويد في دراسة الأصوات العربية، وما يعتري نطق الحرف العربي من تغيرات في أثناء الكلام، فقد عُني كثير من علماء العربية، مثل: الخليل بن أحمد، وسيبويه، والمبرد، وابن جني، وابن دريد، والزجاجي، والأزهري، وابن يعيش، بحروف اللغة العربية، وتبيين مخارجها، وصفاتها، ومسائل الروم، والإشمام، والقلب، والحذف، والإدغام بين الحروف.[(٤)] وقد علل سيبويه ذلك بقوله: (وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات؛ لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالاً كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك).[(٥)] واهتم أبو الفتح ابن جني بذكر أحوال الحروف في مخارجها، ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها، ومهموسها، وشديدها، ورخوها... ثم أفرد - فيما بعد - لكل حرف منها بابًا استوعب فيه ذكر أحواله وتصرفه في الكلام؛ من أصليته وزيادته، وصحته

---

(١) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ١١٦.

(٢) انظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراء وحسن الأداء، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني.

(٣) انظر: فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد، د. سعود بن عبدالله الفنيسان، ص:١٢.

(٤) انظر كتبهم الآتية: كتاب العين (المقدمة) للخليل بن أحمد، والكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، وسر صناعة الإعراب لابن جني، وجمهرة اللغة (المقدمة) لابن دريد، وكتاب الجمل للزجاجي، وتهذيب اللغة (المقدمة) للأزهري، وشرح المفصل لابن يعيش، وغيرها.

(٥) انظر: الكتاب (كتاب سيبويه): ٤ / ٤٣٦.

وعلته، وقلبه إلى غيره، وقلب غيره إليه.[١] وجمع أبو حيان الأندلسي في العلم بين النحو، والقراءات، والتجويد، فكانت تعليقاته وتآليفه متميزة في خدمة الدراسة الصوتية للحروف والكلمات العربية.[٢]

وقد قام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين، واللغويين، وعلماء القراءات، وصاغوا منها هذا العلم الجديد الذي اختاروا له اسم (علم التجويد)، وواصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية. وعلى الرغم من استناد علماء التجويد على جهود سابقيهم من علماء العربية، وعلماء القراءات فقد جاء عملهم متميزاً، ولا يمكن أن نعدّه جزءاً من تلك الجهود، وإنما جاء عملاً شاملاً للدرس الصوتي للكلام العربي.[٣]

وقد ارتبطت دراسة علماء التجويد للأصوات بمعالجة ما سموه باللحن الخفي الذي درسه عدد من العلماء وألفوا فيه كتبـًا؛ كأبي بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ)، وأبي الحسن السعيدي (٤١٠هـ تقريبـًا)، وأبي العلاء الهمذاني العطار (٥٦٩هـ)، وغيرهم كثيرون، وسيُذكر بعضهم في الحديث عن مصطلح (اللحن).

وأكثر علماء التجويد كانوا إما من المتخصصين في علم القراءات والمشتغلين بعلوم القرآن، وإما من علماء اللغة والنحو، أو كانوا على جانب كبير من العلم بعلوم اللغة العربية؛ كالنحو والصرف. وقد استطاعوا أن يجردوا المباحث الصوتية المبعثرة في كتب النحو والصرف، والقراءات، ومعاجم اللغة، ويجمعوها في كتب مستقلة، فرسموا بجهودهم حدوداً واضحة لعلم التجويد متميزة عن العلوم الأخرى التي كانوا يشتغلون بها، لا سيما أن بعض تلك العلوم له ارتباط وثيق بعلم التجويد من بعض الوجوه، خاصة علم القراءات، وعلم الوقف والابتداء، وعلم رسم المصحف، وعلم الصرف.[٤]

وأول تلك العلوم التي ترتبط بعلم التجويد هو علم القراءات، فكلاهما يهتمان بنطق ألفاظ القرآن الكريم، ولكن كُلّاً منهما يُعنى بجانب معين من جوانب ذلك النطق، وقد ميز علماء التجويد بشكل واضح بين العلْمين من حيث المنهج، ومن حيث الموضوع، أما المنهج فقد نصوا على أن كتب القراءات تعتمد على الرواية، وأن كتب التجويد تعتمد على الدراية المبنية على المشافهة ورياضة الألسن، وأما الموضوع فكتب القراءات تعنى برواية

(١) انظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي: ١ / ٣-٥.
(٢) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٦، ٤٧.
(٣) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٢١.
(٤) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٦٥.



وجوه القراءات في نطق كلمات القرآن، وكتب التجويد تعنى بكيفية أداء الألفاظ بإخراج الحروف من مخارجها وإعطائها حقها من صفاتها مما لا اختلاف في أكثره بين القراء.(١)

أما علاقة علم التجويد بعلم الصرف فتتجلى بشكل خاص في موضوعات معينة مثل الكلام عن حروف العلة، والبدل، والقلب، والزيادة، وقد صرح علماء التجويد أن استقصاء تلك المباحث ليس موضعه علم التجويد، وإنما كتب التصريف واللغة.(٢)

والدراسات التجويدية في العصر الحديث أدرجت علم الوقف والابتداء في علم التجويد، فأصبح جزءاً منه، ويبدو أنها ترجع إلى ما اتبعه أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)، حيث ألحق بالكتاب (باب ذكر الوقف وأقسامه) وقال فيه: (اعلموا أن التجويد لا يتحصل لقراء القرآن إلا بمعرفة الوقف ومواضع القطع على الكلم)،(٣) وألحق ابن الجزري مباحث الوقف في (المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه)،(٤) وقد أدرك علماء التجويد الفرق بين التجويد والوقف والابتداء، قال المرعشي (١١٥٠هـ وقيل ١١٤٥هـ) عن علم الوقف والابتداء: (وهذا فن مستقل مغاير لفن التجويد، ولكن جرت عادة بعض العلماء بجعل قواعده الكلية جزءاً من كتب التجويد).(٥)

أما علاقة علم التجويد بعلوم اللغة العربية فإنها قوية جداً، بل إن محمداً المرعشي قد أدخله في علوم العربية، وجعله من علم الصرف،(٦) وتبعه د. غانم قدوري الحمد إلا أنه قال: (إن واقع الدراسات اللغوية المعاصرة يأبى أن نلحقه بعلم الصرف، فالتجويد علم مستقل بذاته يُعنى بدراسة أصوات اللغة العربية؛ مخارجها، وصفاتها، وأحوالها التركيبية، وليس بضائر بعد ذلك أن نسميه علم التجويد، أو علم الأصوات اللغوية).(٧)

لقد كان موضوع علم التجويد موضوعاً مميزاً محدداً، وهو دراسة مخارج الحروف، وصفاتها، وأحكامها التركيبية، مما يسمى الآن (علم الأصوات اللغوية)، وقد عني بهذا الموضوع علماء القراءات، وعلماء العربية من النحاة واللغويين، قبل أن يظهر علم التجويد النظري بشكله المستقل. وفي الوقت الذي كان اللغويون والنحاة

---

(١) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٦٦، ٦٧.
(٢) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٦٨.
(٣) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ١٧٤.
(٤) انظر: شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، البيت السابع، ص: ٢٩.
(٥) انظر: جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي (ساجقلي زاده)، تحقيق د. سالم قدوري الحمد، ص: ٢٤٩.
(٦) انظر: جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي (ساجقلي زاده)، تحقيق د. سالم قدوري الحمد، ص: ١٠٩.
(٧) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٧٩.

يبحثون أصوات الحروف وصفاتها، وما يطرأ عليها من أحوال في أواخر كتبهم، ولم يفصلوا لها كتباً مستقلة - غير كتاب ابن جني سر صناعة الإعراب - فقد بدأت تظهر كتب مستقلة في علم التجويد من القرن الخامس الهجري، وأهمها: كتاب الرعاية لمكي بن أبي طالب، وكتاب التحديد لأبي عمرو الداني.[(١)]

إن واقع علم التجويد وعلاقته بعلوم العربية لا يغير من حقيقة جوهرية هي أن دراسة الأصوات العربية موضوع لغوي أساساً، سواء أقام به النحاة، أم قام به علماء علوم القرآن، وسواء أرتبطت بنص محدد مثل ألفاظ القرآن الكريم، أم كانت تعنى بنص لغوي يشمل القرآن ونصوص لغة العرب من شعر ونثر في عصر محدد أو غير محدد. ومن ثَمَّ إذا نظرنا إلى مادة علم التجويد أمكننا أن نقول: إن علم التجويد من علوم العربية، كما أننا إذا نظرنا إلى كون هذا العلم يرتبط بقراءة القرآن ويستمد أمثلته من ألفاظه أمكننا أن نقول: إنه من علوم القرآن. فهذا العلم إذاً لا يمكن أن نقطع ارتباطه بهذين الحقلين الواسعين من حقول المعرفة (علوم العربية) و(علوم القرآن). وليس علم التجويد هو الوحيد الذي يتخذ هذه الصفة، فنجد (علم الوقف والابتداء) تنطبق عليه هذه الظاهرة المزدوجة في ارتباطه بعلمي النحو والبلاغة من جانب، وبعلوم القرآن من جانب آخر، وليس هذا الذي نقوله جديداً، فقد أدرك المشتغلون بتاريخ علوم العربية مقدار ارتباط هذه العلوم بالقرآن الكريم، وصار واضحاً منذ وقت مبكر حاجة المشتغلين بعلوم القرآن - لا سيما المتعلقة بضبط نصه - إلى إتقان علوم العربية. وقد نص على هذا كثير من علماء التجويد، ومنهم أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)، وأبو العلاء الهمذاني العطار(٥٦٩هـ)، وشهاب الدين القسطلاني (٩٢٣هـ) وغيرهم.[(٢)] أما على مستوى التطبيق والتحليل فقد بدتْ العلاقة قوية بين علماء اللغة وعلماء التجويد في المناقشة والاختلاف حول صفات الحروف، وسماتها، وطرق نطقها، وما يطرأ عليها من أحوال تؤثر على النطق والأداء، كما ظهر ذلك في كتاب مكي بن أبي طالب، وابن الجزري، والقسطلاني، والدكتور غانم قدوري الحمد وغيرهم.[(٣)]

---

(١) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٧٥.

(٢) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٧٧. وانظر: التحديد للداني، ص: ١٧٦، والتمهيد للعطار، ص: ١٥٥، ولطائف الإشارات، للقسطلاني، ص: ٢ / ٣٨١.

(٣) انظر: الرعاية، مكي بن أبي طالب، ص: ١٠٣ – ١٠٥، ٢٦٧. والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢ / ٢٢ – ٤٠، ١٢٠ – ١٣٠. ولطائف الإشارات، للقسطلاني، ص: الجزء الثاني ٣٨١ – ٨٨١. والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٨١ – ٤٥٨.

أما حكم علم التجويد فهو خلاف مشهور بين العلماء القدماء والمحدثين، فمنهم من يقول بوجوب تعلم علم التجويد وأن من تركه فهو آثم، ومنهم من يقول بأنه مستحب ولا يأثم تاركه، وقد فصلتُ القول في هذه المسألة في حديثي عن الجانب التوقيفي في أداء القرآن الكريم في التمهيد.

ويدخل موضوع هذه الموسوعة - وهو الاهتمام بتطابق نطق اللفظ مع المعنى في أداء الأساليب اللغوية - في صلب علم التجويد، وقد أدخل أبو العلاء الهمذاني العطار الإخلال بموضوع هذه الموسوعة في اللحن الخفي كما مر قبل قليل.

علم القراءات

ذكر ابن الجزري (٨٣٣هـ) أن علم القراءات هو: (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوّاً لناقله)،[١] وقال عبدالفتاح القاضي: إنه (علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله). [٢]والقراءات السبع طرق متواترة ثابتة في نقل القرآن الكريم إلينا وأدائه. وعلم القراءات علم جليل القدر؛ لارتباطه بكتاب الله تعالى، وفيه يظهر تيسير الله تعالى لعباده والتخفيف عليهم حيث تواترت قراءة القرآن الكريم إلينا بأكثر من وجه، وله جوانب في إظهار إعجاز كتاب الله تعالى وبلاغته واستنباط الفقه منه.[٣] وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف). [٤]

وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقانِ في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكدتُ أساورُه في الصلاة، فانتظرتُه حتى سلَّم، فلببته، فقلتُ: من أقرَأَكَ هذه السورة التي سمعتُك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلتُ له: كذبتَ، فوالله إنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهو أقرأني هذه السورةَ التي سمعتُك، فانطلقتُ به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقوده، فقلتُ: يا رسول الله، إني سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقانِ على حروف لم تُقرئنيها، وإنك أقرأتني سورة الفرقانِ. فقال ياهشام اقرأها، فقرأها القراءة التي

---

(١) انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري، اعتنى به: علي العمران. ص: ٤٩.

(٢) انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبدالفتاح القاضي، ص: ٧.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٥٢ – ٥٤.

(٤) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل القرآن) برقم: (٤٩٩١). وصحيح مسلم: (٨١٩)، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، وبيان معناه.

سمعتُه، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هكذا أُنزلت)، ثم قال: (اقرأْ يا عمر)، فقرأتُها التي أقرأنيها، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هكذا أُنزلت)، ثم قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسَّر منه).(١) وفي صحيح مسلم أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال له: (إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا).(٢)

وقد اختلف العلماء في معنى سبعة أحرف، وأحسن الأقوال فيها أنها سبعة أوجه من القراءة تختلف باللفظ وقد تتفق بالمعنى، وإن اختلفت بالمعنى فاختلافها من باب التنوع والتغاير لا من باب التضاد والتعارض. ومنهم من قال هي سبع لغات متفرقة في القرآن كله وهي لغات قبائل من العرب، ومنهم من قال إن اختلاف القراءات لا يخرج عن سبعة أوجه، هي: اختلاف وجوه الإعراب، واختلاف بالنقص والزيادة، والاختلاف بالتقديم والتأخير، والاختلاف بالإبدال، واختلاف اللهجات؛ كالفتح، والإمالة، والتفخيم، والترقيق، والإظهار، والإدغام، ومنهم من قال هي القراءات العشر.(٣)

وينقل أبو شامة المقدسي (٦٦٥هـ) عن بعض الشيوخ أنه قال: (الواضح من ذلك أن يكون الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومن جاورهم من فصحاء العرب، ثم أباح للعرب المخاطبين به المنزل عليهم أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف بعضهم الانتقال من لغة إلى غيرها؛ لمشقة ذلك عليهم، ولأن العربي إذا فارق لغته التي طبع عليها يدخل عليه الحمية من ذلك فتأخذه العزة، فجعلهم يقرؤونه على عاداتهم وطباعهم ولغاتهم مَنًّا منه – عزّ وجلّ – لئلا يكلفهم ما يشق عليهم، فيتباعدوا عن الإذعان).(٤) وقال ابن الجزري (٨٣٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إِلى غيرها، أَو من حرف إِلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا

(١) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل القرآن) برقم: (٥٠٤١).
(٢) انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) برقم: (٨٢١) باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، وبيان معناه.
(٣) للمزيد انظر:
- الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني، ص: ٢٤ – ٤٢.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري: ١ / ٢١ – ٤٠.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١ / ٧١.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ١ / ٧١ – ٨٠.
- حديث الأحرف السبعة، الدكتور عبدالعزيز القارئ، ص: ٤٢، وما بعدها.
(٤) انظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين أبو شامة المقدسي، ص: ٩٥.

يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج، لا سيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التّكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع..).(١)

وقول أبي شامة إن القرآن الكريم نزل أولاً بلغة قريش ثم أبيح لبعض العرب قراءته بلغاتهم، وتأكيد الحافظ ابن حجر بقوله: (فقد ثبت أن ورود التخفيف بذلك كان بعد الهجرة)،(٢) كل ذلك يُعدّ تفسيراً لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - السابق ذكره (أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)، كما نص على ذلك ابن حجر. وهذا مما يقوّي رأي من يقول: إن الرخصة في الأحرف السبعة كانت بسبب اختلاف اللغات؛ لأن أكثر من أسلم بعد الهجرة كان من القبائل العربية من غير قبيلة قريش التي نزل أغلب القرآن الكريم بلسانها.

وأكد أبوعمرو الداني أن القرآن الكريم (لم ينزل بلغة قريش فقط دون سائر العرب، وإن كان معظمه نزل بلغة قريش).(٣)

وفي الحكمة من وجود القراءات وتنوع لهجات قبائل العرب يقول ابن قتيبة (٢٧٦هـ): (فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم؛ فالهذلي يقرأ: (عتى) يريد: (حتى حين)، هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ: (تِعلمون، تِعلم)، (وتِسود وجوه)، و(ألم إعهد إليكم)، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ: (قيل لهم)، (غيض الماء) بإشمام الضم مع الكسر، و(بضاعتنا ردت) بإشمام الكسر مع الضم، و(مالك لا تأمنا) بإشمام الضم مع الإدغام).(٤) وأضاف ابن الجزري: (وهذا يقرأ (عليهم وفيهم) بالضم، والآخر يقرأ: (عليهمو ومنهمو) بالصلة، وهذا يقرأ: (قد أفلح، وقل أوحي، وخلوا إلى) بالنقل، والآخر يقرأ: (موسى وعيسى ودنيا) بالإمالة، وغيره يلطف، وهذا يقرأ: (خبيراً بصيراً) بالترقيق، والآخر

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٢.

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، باب: نزل القرآن بلغة قريش، وانظر شرح الحديث رقم: (٤٩٩٢): ٨ / ٦٤٥.

(٣) انظر: الأحرف السبعة للقرآن، أبوعمرو الداني، ص: ٦١.

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، ص: ٣٩ – ٤٠. وانظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٢ – ٢٣.

يقرأ: (الصلوة والطلاق) بالتفخيم إلى غير ذلك).[(١)] وختم ابن قتيبة هذه المسألة في تفاوت العرب في النطق بقوله: (ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئًا وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات ومتصرفًا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين).[(٢)]

وقد أمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بأن يأخذوا القرآن الكريم من أهل الضبط والإتقان في قوله: (استقرئوا القرآن من أربعة؛ من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل).[(٣)] قال ابن حجر: (وتخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم إما لأنهم كانوا أكثر ضبطًا له وأتقن لأدائه، أو لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهة وتصدوا لأدائه من بعده، فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم لا أنه لم يجمعه غيرهم).[(٤)] وقد اشتهر بالإقراء عدد من الصحابة غير هؤلاء الأربعة، وكثير منهم نقل عنه شيء من وجوه القراءة؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وسعد، وابن عمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعائشة، وحفصة ... وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.[(٥)] كما اشتهر بالإقراء عدد كبير من التابعين، وجاء قوم من بعدهم تخصصوا في القراءة وضبطوها وعنوا بها عناية فائقة، وعلى رأس هؤلاء أصحاب القراءات العشر، ومنهم: عبدالله بن كثير في مكة (١٢٠هـ)، وعبدالله بن عامر في الشام (١١٨هـ)، وعاصم بن أبي النجود في الكوفة (١٢٧هـ)، وأبو عمرو بن العلاء في البصرة (١٤٥هـ)، وحمزة الزيات في الكوفة (١٥٦هـ)، ونافع المدني في المدينة (١٦٩هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي في الكوفة (١٨٩هـ)،[(٦)] وكذلك من روى عن أصحاب القراءات رحمهم الله أجمعين.

والقراءات ستة أنواع من حيث سندها، هي: المتواترة، والمشهورة، والآحاد، والشاذة، والموضوعة، والمدرجة. وللعلماء كلام طويل في تحديد القراءة المتواترة والمقبولة. وقد أشار ابن الجزري إلى أن الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف هو أن القراءة المقبولة والمتواترة ما تحققت فيها ثلاثة شروط: أن تكون قد

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٣.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، ص: ٣٩ – ٤٠. وانظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٢ – ٢٣.

(٣) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل الصحابة) برقم: (٣٧٦٠).

(٤) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، شرح حديث رقم: (٣٧٥٨) ٧ / ١٢٨.

(٥) انظر: النشرفي القراءات العشر، لابن الجزري، ص: ٦.

(٦) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ص:٨ – ٩. وانظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبدالفتاح القاضي، ص: ٧ – ٩. وانظر: الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني.

وافقت العربية بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها. فما توفرت فيها هذه الشروط فهي قراءة صحيحة لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان أطلق عليها ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم.(١)

وقد ألفت كتب كثيرة في القراءات في القرنين الثاني والثالث الهجريين، إلا أنه لم يصل إلينا منها شيء يذكر.(٢) وأقدم كتاب وصل إلينا في القراءات كتاب (السبعة في القراءات) لأبي بكر بن مجاهد البغدادي (٣٢٤هـ)،(٣) ثم توالت الكتب بعد ذلك والمنظومات، ومنها: كتاب (التيسير في القراءات السبع) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، ومنظومة الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني) لأبي محمد القاسم الشاطبي، ومنظومتان لابن الجزري؛ (الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر)، و(طيبة النشر في القراءات العشر)، وكتاب ابن الجزري الذي يعد أصلاً في هذا العلم (النشر في القراءات العشر)، وغيرها كثير.

وتظهر علاقة علم القراءات بهذه الموسوعة في أن بعض القراءات تتضمن تغييراً يسيراً في تركيب الجملة قد يكون له تأثير على التنغيم المناسب لها، ومن القراء من يجعل بعض الأساليب الخبرية استفهامًا محذوف الأداة، وهنا يجب أن يختلف تنغيم الأداء ليظهر الاستفهام حسب هذه القراءة، كما في قول الله تعالى: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأحقاف:٢٠]، فقد قرأها ابن كثير وغيره بهمزتين على الاستفهام،(٤) وكذلك قول الله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ﴾ [القلم:١٤]، فقد قرأها حمزة وغيره بهمزتين على الاستفهام.(٥) وقد التزمت في هذه الموسوعة برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود رحمهما الله تعالى.

علم الوقف والابتداء

ذكر الزركشي (٧٩٤هـ) أن الوقف والابتداء (فن جليل، به يعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة. وبه تتبين معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات).(٦) وقال

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٩ – ١٤. وانظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن الجزري، اعتنى به علي العمران، ص: ٧٩ وما بعدها، وانظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ١ / ١٢١ – ١٣١ .
(٢) للمزيد من أسماء هذه الكتب انظر: القراءات القرآنية؛ تاريخ وتعريف، د. عبدالهادي الفضلي، ص: ٤٠ – ٤٤.
(٣) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٢٠.
(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٣٦٦.
(٥) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٣٦٧.
(٦) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١ / ٣٣٩.

ابن الجزري إن للقدماء مصطلحات يريدون بها الوقف غالبًا، وهي: القطع، والوقف، والسكت. وقال: إن القطع (عندهم عبارة عن قطع القراءة رأسًا، فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة، والمنتقل منها إلى حالة أخرى سوى القراءة). وقال عن الوقف بأنه: (عبارة عن قطع الصوت زمنًا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله، لا بنية الإعراض، ويأتي في رؤوس الآي وأواسطها، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسمًا، ولا بد من التنفس معه). وقال عن السكت بأنه: (عبارة عن قطع الصوت زمنًا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس).(١)

ولعلم الوقف والابتداء أهمية كبرى في فهم القرآن الكريم، فقد روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. وقال ابن عمر: لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيتعلم حلالها وحرامها، وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها.(٢) قال ابن الجزري معلقًا: (في كلام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليل على وجوب تعلمه ومعرفته، وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلمه إجماع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).(٣)

وقد قال أبو حاتم السجستاني (٢٤٨هـ): من لم يعرف الوقف لم يعلم القرآن. واشترط جماعة من الأئمة المتقدمين على الشيخ أن لا يجيز الطالبَ إلا بعد معرفته الوقف والابتداء؛ فبمعرفتهما تظهر معاني التنزيل وتعرف مقاصده وتستعد القوة المفكرة للغوص في بحر معانيه على درره وفوائده.(٤)

وقد قسمه كثير من العلماء عدة أقسام؛ فهو عند أبي حاتم السجستاني (٢٤٨هـ) خمسة: تام، وحسن، وكاف، ومفهوم، وصالح، وعند أبي بكر الأنباري (٣٢٨هـ) ثلاثة: تام، وحسن، وقبيح، وعند أبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ) أربعة : تام، وكاف، وحسن، وصالح، وعند أبي عمرو الداني (٤٤٤هـ) أربعة: تام، وكاف، وحسن، وقبيح، وعند السجاوندي (٥٦٠هـ) ستة: لازم، ومطلق، وجائز، ومجوز لوجه، ومرخص لضرورة، وما لا يوقف

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٣٩ – ٢٤٠.
(٢) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٢٥.
(٣) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٢٥.
(٤) انظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ٢ / ٤٩٣ – ٤٩٤.



عليه،[١] وعند أحمد الأشموني (القرن١١هـ) عشرة : تام وأتم، وكاف وأكفى، وحسن وأحسن، وصالح وأصلح، وقبيح وأقبح.[٢] ومن أهميته عند علماء التفسير والتجويد واللغة أن زاد عدد المؤلفات فيه على مئة كتاب.[٣]

ولعلم الوقف والابتداء صلة وثيقة بعدد من العلوم؛ منها: علم النحو، وعلم المعاني (من البلاغة)، وعلم القراءات، فقد يوجد وقف حسن في قراءة وقبيح في قراءة أخرى، كما أن له علاقة بعلم التفسير وعلم الفقه.

وأما علاقته بأداء القرآن الكريم بمراعاة معاني الأساليب اللغوية، فإنه يجب أن تتوافق وقفات القارئ، وابتداءاته، ونبراته، وتلويناته التنغيمية مع قواعد الوقف والابتداء التي قررها العلماء في هذا العلم حفظاً لمعاني القرآن الكريم، فقد جعل أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ) باباً لذكر ما لا يتم الوقف عليه، ذكر فيه أنه لا يتم الوقف في اثنين وأربعين موضعاً، وذكر منها: أنه لا يوقف على المضاف دون ما أضيف إليه، ولا المنعوت دون نعته، ولا على الرافع دون المرفوع، ولا على الناصب دون المنصوب، ولا على المؤكد دون التوكيد، ولا على المنسوق دون ما نسقته عليه، ولا على (إنّ) وأخواتها، و(كان) وأخواتها، و(ظنّ) وأخواتها دون أسمائها، ولا على أسمائها دون أخبارها، ولا على المقطوع منه دون القطع، ولا على المستثنى دون الاستثناء، ولا على (الذي، وما، ومن) دون صلاتهن، ولا على حروف الاستفهام دون ما استفهم بها عنه، ولا على حروف الجزاء دون الفعل الذي يليها، ولا على الفعل الذي يليها دون جواب الجزاء، ولا على الأمر دون جوابه، ولا الأيمان دون جواباتها).[٤] وتبعه في ذكر هذه الأجزاء المتلازمة وأنه لا يوقف عليها أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)،[٥] وابن طيفور السجاوندي (٥٦٠هـ)،[٦] ومحمد بن الجزري (٨٣٣هـ)،[٧] وختم الداني حديثه بقوله: (وهذا كله وسائر ما ذكرناه قبل لا يتمكنُ

---

(١) انظر: علل الوقوف، أبو عبدالله محمد بن طيفور السجاوندي، تحقيق د. محمد بن عبدالله العيدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ: ١ / ١٠٨ - ١٣٢. وانظر: القطع والائتناف، أبو جعفر أحمد النحاس، تحقيق د. عبدالرحمن المطرودي، دار عالم الكتب الرياض، ١٤١٣هـ، ص: ٣٠. وانظر: وقوف القرآن وأثرها في التفسير، د. مساعد الطيار، ص: ٢٢.

(٢) انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد الأشموني، تعليق شريف أبو العلا العدوي، ص: ٢٥، ٢٦، ٢٨.

(٣) انظر: وقوف القرآن وأثرها في التفسير، د. مساعد الطيار، ص: ٢.

(٤) انظر: إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، ص: ١١٦ – ١١٩.

(٥) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ١٧٥ – ١٧٦.

(٦) انظر: علل الوقوف، أبو عبدالله محمد بن طيفور السجاوندي، تحقيق د. محمد بن عبدالله العيدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ ١ / ١٣٢ - ١٣٧. وانظر: كتاب الوقف والابتداء، ابن طيفور السجاوندي، تحقيق محسن هاشم درويش، دار المناهج، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ. ص: ١١٣ –١١٥.

(٧) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٣٠، ٢٣١.

معرفتُهُ للقراء إلا بنصيب وافر من علم العربية، وذلك من آكد ما يلزمهم تعلمه والتفقه فيه؛ إذ به يُفهمُ الظاهرُ الجلي، ويُدركُ الغامضُ الخفي، وبه يُعلمُ الخطأ من الصواب، ويُميز السقيمُ من الصحيح).[١]

وأقول: هذا حينما يكون القارئ قادراً على وصل القراءة وعدم الوقف، أما إن كان غير قادر - كما في الشرط وجوابه في سورة التكوير، والقسم وجوابه في سورة الشمس، وغيرها من المواضع المذكورة في أساليب الإتمام، والشرط، والقسم، والجملة التقريرية - فيمكن الوقوف بنغمة الانتظار الصاعدة أو المستوية على مفاصل جملِ الشرط أو القسم قبل استكمال جوابهما؛ لأن هذه النغمة تغني في بعض مواضع أسلوب الإتمام عن إعادة قراءة كلام سابق ليظهر المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك، وللمزيد يمكن الرجوع إلى هاتين النغمتين وتلك الأساليب في هذه الموسوعة.

وهنا بعض الوقفات والجوانب التي لها علاقة بالوقف والابتداء:

١. من أهم الجوانب التي توضح علاقة علم الوقف والابتداء بالنبر والتنغيم في هذه الموسوعة أنه إذا كان علم الوقف والابتداء يحدد مواضع الوقف وحكمه بالإجابة على سؤال: أين يكون الوقف؟ وما حكمه؟ فإن الموسوعة تجيب على سؤال: كيف يُوقف؟ هل بنغمة صاعدة أو مستوية أو هابطة، ولماذا؟

٢. أنه يوجد في الدراسة التطبيقية للأساليب اللغوية في هذه الموسوعة تحديدٌ لبعض المواضع التي تقترح وقفًا على كلمة معينة، فإن كان الوقف اضطراريّاً - قبل نهاية الجملة - فيجب أن يكون الوقف بنغمة تتوافق مع النغمة المقترحة لآخر الجملة نفسها، صاعدة كانت أم مستوية أم هابطة، وإن كان (وقف التنغيم) فله نغمته المقترحة التي تتناسب مع الآية وسياقها العام؛ لأن (وقف التنغيم) في هذه الموسوعة وقف لطيف - بتنفس قصير جدّاً - يمكّنُ القارئ من القراءة التدبرية، ويساعدُ المستمع على فهم الجملة، وتدبرها، والارتواء من معناها فكريّاً وعاطفيّاً؛ لأنه يُظهر أكبر قدر ممكن من معنى الآية، ويعطي فرصة للمستمع للتعمق فيها.

٣. أما في الأساليب الآتية: الإتمام، والشرط، والقسم، والجملة التقريرية التي فُصل بين طرفيها بفاصل طويل - سواء أكان الفاصل من توابع الركن الأول أم من غير توابعه - فإن الوقف يكون بنغمتين مناسبتين يحسن بهما أداء الجمل التي فُصل بين ركنيها بفاصل، خاصة حينما يكون الركنان منفصلين في آيتين طويلتين أو أكثر، أو يكون الفاصل بين الركنين طويلاً، كما يحصل في جملتي الشرط وجوابه، والقسم وجوابه، الداخلتين في أسلوب الإتمام - مثل سورتي التكوير والشمس - أو غير الداخلة في الإتمام، وغير ذلك من أنواع الجمل التي فُصل بين ركنيها

(١) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ١٧٥ - ١٧٦.

بفاصل. تلك النغمتان يمكن أن تخففا من تأثير الوقوف على المعنى؛ سواء أكان الوقوف اختياريًا على رؤوس الآي، أم اضطراريًا قبل تمام الجزء الآخر من الجملة.

وأما النغمتان المناسبتان فهما في أسلوب الإتمام، حيث تُؤدى الجملة ذات الركنين المفصولين - سواء أكان الفاصل من توابع الركن الأول، أم من غير توابعه - بتلك النغمتين للمحافظة على استمرار تركيز المستمع للآيات؛ النغمة الأولى سميتُها (نغمة الانتظار)، وتكون في آخر الجزء الأول من الجملة، وهي تغني في بعض مواضع أسلوب الإتمام عن إعادة قراءة كلام سابق ليظهر المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك، أما النغمة الثانية فسميتُها (نغمة الإتمام) وتكون في أول الجزء الثاني من الجملة إلى نهايتها، وسيبسط هذا كله في مواضعه النظرية والتطبيقية من هذه الموسوعة بإذن الله تعالى.

وقد فصلتُ الجمل ذوات الركنين المنفصلين بفاصل طويل في هذا الأسلوب عن أساليبها الأساسية (الشرط، والقسم، والجملة التقريرية، والاستثناء)، وجعلتُها في أسلوب مستقل سميتُه (أسلوب الإتمام)؛ لأن مواضع نغمة الانتظار - صاعدة أو مستوية - متعددة في أكثر من موضع، ولأنها أكثر عرضة للتجاهل والأداء التنغيمي القاصر الذي يُفقِد الجملة جزءاً كبيراً من معناها؛ بسبب قِصَر النفَس عند بعض القراء، أو سرعة قراءته، أو جهله بما يمكن أن يساعده تنغيميّاً على الاحتفاظ بالمعنى كاملاً مع طول الفصل.

علم البلاغة

البلاغة في اللغة من بلوغ الشيء، أي: وصوله منتهاه، والبلاغة الفصاحة، ورجل بليغ: حسَن الكلام فصيحه، والجمع بُلغاء، وقد بَلُغَ - بالضم - بلاغة أي: صار بليغًا.[١]

وقد مرّ مفهوم البلاغة في الاصطلاح بمراحل عديدة، فأبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) يرى أن البلاغة: (كل ما تُبلِّغُ به المعنى قلبَ المستمع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورةٍ مقبولةٍ ومعرضٍ حسنٍ)،[٢] وقال أبو يعقوب السكاكي (٦٢٦هـ) بأن البلاغة هي: (بلوغ المتكلمِ في تأدية المعاني حدّاً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواعِ التشابه والمجازِ والكناية على وجهها)،[٣] وعرفها الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) بأنها: (مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته).[٤]

(١) انظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، (بلغ).
(٢) انظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص: ١٠.
(٣) انظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص: ٤١٥.
(٤) انظر: الإيضاح، الخطيب القزويني، ص: ٢٠. وانظر: معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، (البلاغة).

ومن خلال التعريفات السابقة يتبين أن تنغيم الكلام جزء من البلاغة في الكلام الشفوي لا ينفك عنها بحال من الأحوال؛ لأن للتنغيم تأثيراً كبيراً في وصول المعنى إلى قلب المستمع وتمكنه منه، كما تضمن ذلك تعريف العسكري، ولا يمكن أن يبلغ المتكلم في تأدية المعاني في الكلام الشفوي حدّاً يوفي به خواص التراكيب حقها إلا بالتنغيم المنسجم مع المعاني والأساليب اللغوية التي تحملها، كما تضمن ذلك تعريف السكاكي، أما تعريف الخطيب القزويني للبلاغة، فإن تنغيم الكلام الشفوي جزء مهم من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولا يمكن أن يوصف الكلام الشفوي بالبلاغة وأداؤه التنغيمي - للأمر، والنهي، والنداء، والاستفهام، والخبر، والإثبات، والنفي، وغيرها - مختلف عن مقتضى حال المتلقي أو أنه تسبب في قصور وصول المعنى إلى قلبه.

ويؤكد محمد الطاهر بن عاشور أن (بلاغة الكلام لا تنحصر في أحوال تراكيبه اللفظية، بل تتجاوز إلى الكيفيات التي تؤدى بها تلك التراكيب؛ فإن سكوت المتكلم البليغ في جملة سكوتـًا خفيفـًا قد يفيد من التشويق إلى ما يأتي بعده ما يفيده إبهام بعض كلامه ثم تعقيبه ببيانه، فإذا كان من مواقع البلاغة نحو الإتيان بلفظ الاستئناف البياني، فإن السكوت عند كلمة، وتعقيبها بما بعدها يجعل ما بعدها بمنزلة الاستئناف البياني، وإن لم يكنه عينه، مثاله قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات:١٦]، فإن الوقف على قوله ﴿مُوسَىٰٓ﴾ يُحدث في نفس السامع ترقبـًا لما يبين حديث موسى، فإذا جاء بعده ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ إلخ حصل البيان مع ما يحصل عند الوقف على كلمة ﴿مُوسَىٰٓ﴾ من قرينة من قرائن الكلام؛ لأنه على سجعة الألف مثل قوله: ﴿طُوًى﴾، ﴿طَغَىٰ﴾ [النازعات:١٧]، ﴿تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات:١٨] إلخ).[(١)]

وتبدو العلاقة قوية بين علم المعاني خاصة، و(التنغيم)؛ لأنهما مَعْنيّان بإظهار المعاني الإضافية التي لا تكون مذكورة في بنية الكلام الأصلية، وإنما تفهم ضمنـًا بمعونة السياق والقرائن المحيطة بالمنطوق؛ إذ إن الكلام كثيراً ما يتضمن معاني يُرشد إليها سياق الحال الذي قيل فيه. ولا يبدو الأمر مقتصراً على ذلك، وإنما يتعدى أثر التنغيم إلى مفاصل دقيقة في (مباحث علم المعاني) - كالخبر والإنشاء مثلاً - إذ إنه يقف مع بعض العناصر الأخرى وراء جملة من الأمور المتحكمة في تبويب هذا العلم وتقسيمه،[(٢)] وهذا ما دعا أحد الباحثين إلى القول: (إن حضور التنغيم في الدرس البلاغي يشكل ملمحـًا أساسيّـًا ومهمّـًا، بل يسير جنبـًا إلى جنب مع علم المعاني في تحديد أطره وتمييز تراكيب جُمله للوصول بها إلى أمن اللبس الذي قد يعتريها، أو للمساهمة في

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ١ / ١١٧ (المقدمة العاشرة).

(٢) انظر: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام أنموذجـًا)، د. مزاحم مطر حسين، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العراق، العددان (٣، ٤)، مج ٦، سنة ٢٠٠٧، ص: ٣٩ – ٤٨.

تحديد تنوع الجملة التي تؤدى بأكثر من لون تنغيمي للدلالة على المعاني البلاغية التي تتضمنها وفق ما يتطلبه حال المخاطب).(١)

وتعتمد هذه الموسوعة على مفاهيم البلاغة العربية وقواعدها في تحديد معايير لأداء القرآن الكريم، انطلاقًا من أن طريقة أداء الجملة الاستفهامية – مثلاً- تختلف عن طريقة أداء الجملة الخبرية، وأن الجملة ذات الجزأين (الركنين) المتلازمين – كالمبتدأ والخبر، وفعل الشرط وجوابه، والقسم وجوابه، وغيرها – إذا كانت في آيتين طويلتين أو أكثر، أو فُصل بينهما بفاصل طويل – سواء أكان الفاصل من توابع الركن الأول، أم من غير توابعه- يجب أن يكون في أدائهما تنغيم يُشعر بارتباطهما ببعضهما، وهذا ما جعلني أقترح في هذه الموسوعة نغمة الانتظار لتكون في نهاية الجزء الأول من الجملة – وهي تغني في بعض مواضع أسلوب الإتمام عن إعادة قراءة كلام سابق ليظهر المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك – ونغمة الإتمام لتكون في أول الجزء الثاني من الجملة وتستمر حتى نهايتها في كثير من المواضع.

وقد أسهم كثير من العلماء في نشأة علم البلاغة وتطويره، ومنهم: اللغويون، والمفسرون، وعلماء إعجاز القرآن الكريم، والأدباء، والنقاد. ومن أوائل العلماء الذين بحثوا في البلاغة من علماء القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩هـ) في كتاب (مجاز القرآن)، وأبوعثمان الجاحظ (٢٥٥هـ) في كتاب (البيان والتبيين)، ثم أبو العباس عبدالله بن المعتز (٢٩٦هـ) في كتاب (البديع)، في آخر القرن الثالث الهجري، وبعد هؤلاء جاء قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) في كتاب (نقد الشعر)، وأبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) في (كتاب الصناعتين) في القرن الرابع الهجري. وفي أواخر القرن الرابع ومنتصف القرن الخامس الهجريين ألف أبو بكر الباقلاني (٤٠٢هـ) كتاب (إعجاز القرآن)، ثم ألف ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) كتابه (العمدة).

وأما أهم ثلاثة علماء ألفوا في البلاغة العربية قديمًا، فهم: عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ) في كتابيه: (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة)، وأبو يعقوب السكاكي (٦٢٦هـ) في كتابه (مفتاح العلوم)، والخطيب القزويني (٧٣٩هـ) في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة).(٢)

وقد استقر الأمر في البلاغة على تقسيمها ثلاثة علوم: (علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع)، وعلم المعاني هو أقوى هذه العلوم صلة بالتنغيم، وأكثرها حاجة له في الكلام الشفوي، فهو يبحث في أحوال الجملة بحيث تعبر عن

---

(١) انظر: ظاهرة التنغيم في العربية، آلاء حسين داود الشرع، ودريد عبدالجليل الشاروط، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العراق، العدد (١)، مج ٣، سنة ٢٠٠٤، ص: ١٥٩.

(٢) انظر: البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف. ص: ٦٧ - ١١٤، ١٤٠ – ١٤٦، ١٦٠، ٢٨٦، ٣٣٥.

المعنى المقصود، ولذلك قيل في تعريفه إنه: (علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال)،[١] ومن أبوابه: أحوال الخبر، والخبر والإنشاء، ومنه (الاستفهام، والأمر، والنهي، والتمني، والنداء)، وأحوال المسند والمسند إليه، ومتعلقات الفعل، ومن ذلك (التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير)، والقصر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب.[٢]

علم الأصوات

هو فرع من فروع علم اللغة يبحث في نطق الأصوات اللغوية وانتقالها وإدراكها، وله عدة فروع، منها: علم الأصوات التجريبي، والوصفي، والتاريخي، والمعياري، والفيزيائي، والنطقي، والسمعي، والوظيفي، وغيرها.[٣]

ويفرّق بعض علماء اللغة المحدَثين تفريقًا منهجيًّا بين علم الأصوات، وعلم الأصوات الوظيفي، فالأول: يُعنى بدراسة الجوانب التشريحية من الأصوات ومخارجها، وتطورها تاريخيًّا ووصفيًّا، والثاني: يُعنى بدراسة الكلام المنطوق دون غيره. ويخدم علمُ الأصوات علمَ الأصوات الوظيفي- أو علم التشكيل الصوتي كما يسميه د. تمام حسان - لأننا لا ننطق أصواتًا مجردة، بل سياقات منظمة من الكلام تخضع لقواعد معينة في تجاورها وارتباطاتها، ومواقعها، وإمكان وجودها في هذا المقطع أو ذاك، وكثرة ورودها أو قلته، وارتباطها بالمجموعة الكلامية؛ كالموقعية، والنبر، والتنغيم. ودراسة هذه العناصر هي دراسة لسلوك الأصوات في مواقعها أكثر مما هي دراسة للأصوات نفسها.[٤]

وأهم هذه العلوم من حيث علاقتها في مجال بحث النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم هي: علوم الأصوات: النطقي، والفيزيائي، والسمعي.

فعلم الأصوات النطقي: يدرس عملية إنتاج الأصوات اللغوية، وطريقة نطقها، ومكان نطقها، ويدرس علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي) أصوات الكلام من حيث خصائصها المادية أو الفيزيائية في أثناء انتقالها من المتكلم إلى المستمع، وهذا يشمل تردد الصوت، وسعة الذبذبة، وطبيعة الموجة الصوتية، وعلو الصوت، ودرجته

(١) انظر: الإيضاح، الخطيب القزويني، ص: ٢٣.
(٢) انظر: معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، ص: ٤٥٣.
(٣) انظر: معجم علم الأصوات، د. محمد علي الخولي، ص: ١١١، وما بعدها.
(٤) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١١١.

(أي: نغمته)، ونوعه (أي: جرسه)، ويختص علم الأصوات السمعي بالبحث في جهاز السمع، وفي العملية السمعية ذاتها، وطريقة استقبال الأصوات اللغوية، وإدراكها ووقعها في أذن المستمع.[(١)]

ويعد ابن جني أول من أطلق مصطلح علم الأصوات وربطه بالتنغيم في قوله: (ولكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني: علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم).[(٢)]

وقد اهتم علماء اللغة العربية بالحروف وتبيين مخارجها، وصفاتها، ومسائل الروم، والإشمام، والقلب، والحذف، والإدغام، بين الحروف؛ كالخليل بن أحمد (١٧٠هـ)، وسيبويه (١٨٠هـ)، والمبرد (٢٨٦هـ)، وابن جني (٣٩٢هـ)، وأبي بكر بن دريد (٣٢١هـ)، وأبي القاسم الزجاجي (٣٤٠هـ)، ومحمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ)، وابن يعيش (٦٤٣هـ)، وغيرهم.[(٣)] واهتم ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب) بذكر أحوال الحروف في مخارجها، ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها، ومهموسها، وشديدها، ورخوها، ثم أفرد لكل حرف منها باباً.[(٤)]

وقسم علماء اللغة المحدثون الأصوات قسمين:

١. **الصوامت**: ويعنون بها الحروف مثل (أ ب ت ث ج ...)، وإنما سميت بذلك؛ لأنها أقل وضوحاً في السمع من الصوائت، وهي الحركات.[(٥)]

٢. **الصوائت**: وهي الحركات (الفتحة والضمة والكسرة، وكذلك مدّ كل منها، أي: إطالتها التي عرفها العرب بألف المدّ، و واو المدّ، و ياء المدّ).[(٦)]

وقد بسط الدكتور غانم قدوري الحمد أهمية علم الأصوات في دراسة علم التجويد؛ ذلك أن علم التجويد – خاصة عند مكي بن أبي طالب في كتابه (الرعاية لتجويد القراءة)، وأبي عمرو الداني في كتابه (التحديد في الإتقان والتجويد) – كان مرتبطاً بعلوم العربية، خاصة (كتاب سيبويه) من جهة الموضوعات، وكتاب (سر صناعة الإعراب) لابن جني من جهة المنهج والموضوعات أيضاً.[(٧)]

(١) انظر: معجم علم الأصوات، د. محمد علي الخولي، ص: ١١١ – ١١٥، وعلم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٨.
(٢) انظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي: ١ / ٩.
(٣) انظر كتبهم الآتية: كتاب العين (المقدمة) للخليل بن أحمد، والكتاب لسيبويه: ٤ / ٢٠٢، ٢١٦، ١ / ٢٨، ٢ / ٢٢٠، والمقتضب للمبرد، وسر صناعة الإعراب لابن جني، وجمهرة اللغة (المقدمة) لابن دريد، وكتاب الجمل للزجاجي، وتهذيب اللغة (المقدمة) للأزهري، وشرح المفصل لابن يعيش، وغيرها.
(٤) انظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي: ١ / ٣-٤، ٩.
(٥) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ١٢، وما بعدها، و١٧١، وما بعدها.
(٦) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ١٢، وما بعدها، و٢١٥، وما بعدها.
(٧) انظر: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٢٣، وما بعدها.

فقد انطلق علم التجويد في بداية أمره من جهود علماء العربية في الدرس الصوتي، فاعتمد علماء التجويد على علماء العربية الذين أصبحوا يأخذون عن علماء التجويد في آخر الأمر مؤكدين بذلك مبدأ الترابط والتكامل بين العلمين، ومن هنا تبرز أهمية علم الأصوات في علم التجويد وإتقان أداء القرآن الكريم.

ومن المهم الإفادة من التقدم الحاصل في ميادين العلم في العصر الحديث، واستكمال مسيرة الترابط والتكامل بين علم الأصوات الحديث بأجهزته الدقيقة، وتحليلاته، وتصحيحاته في نطق الحروف، وصفاتها، ومواضعها، وأن يعمل الطرفان (علماء الأصوات العرب وعلماء التجويد) على التكامل والتعاون في خدمة القرآن الكريم.[(١)]

ولا تعني الإفادة من علم الأصوات الحديث في دراسة علم التجويد وتعليمه أن تغير تلاوة القرآن الكريم، أو تكون هذه الدراسات مصدراً لتغيير القراءة، وإنما القصد هو الإفادة من الحقائق العلمية التي أثبتها العلم الحديث في فهم طبيعة الصوت اللغوي، وتفسير الظواهر الصوتية في التلاوة تفسيراً علميّاً يسهّل فهمها وييسر تعلمها.[(٢)]

ومما يمكن أن يفاد من علم الأصوات الحديث تقنيًا وأجهزته الدقيقة في قياس الصوت تطويرُ علم التجويد، وتسهيله، وتيسير تعلمه، وتحديدُ مخارج الحروف بدقة، وتعريفُ عدد من صفات الحروف تعريفـًا دقيقـًا، ودراسة مخارج الصوائت، وحروف المدّ، وطرق نطقها، ومواضع ذلك، مما يحقق الدقة في نطق الإمالة والإشمام مثلاً، ودراسة الظواهر الصوتية التركيبية؛ كالإدغام، والإخفاء، وغيرها من أحكام التجويد.[(٣)]

كما أن علم التجويد يتطلب جهوداً كبيرة في البرمجة الحاسوبية من المتخصصين في الذكاء الاصطناعي، والبرمجيات، وعلم اللغة الحاسوبي لعدد من الأهداف التي تخدم تنغيم الأساليب اللغوية في أداء القرآن الكريم تعلمـًا وتعليمـًا، ولعل ما قامت به الدكتورة عفاف الشلبي[(٤)] يطور برامج ومشاريع لخدمة كتاب الله تعالى وتحسين تلاوة المسلمين له.

---

(١) انظر: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٢٩.

(٢) انظر: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٩.

(٣) انظر: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد، د. غانم قدوري الحمد، الصفحات الآتية: ٦٠، ٧٢، ٨٧، ٩٣، ٩٥، ١٠٥، ١٠٧، وما بعدها.

(٤) الدكتورة عفاف الشلبي قدمت بحثها الماجستير لكلية الهندسة المعلوماتية بجامعة دمشق عن تنغيم الكلام المركب باللغة العربية وتوليده آليـًا، والدكتوراه في هندسة المعلوماتية عن نظم تحويل النص العربي إلى كلام باستخدام تسلسل شبه المقاطع والتنغيم الطبيعي. انظر: دراسة تنغيم الكلام المركب باللغة العربية وتوليده آليـًا، عفاف الشلبي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، مج ٢٩، ١ / ٢٠٧ – ٢٢٢، ٢٠١٣، (جزء من برنامج الماجستير بإشراف د. محمد نوار العوا، ود. أميمة الدكاك).

ثانياً: المصطلحات

الترتيل

الترتيل مصدر رتّل يرتل ترتيلاً، والرَّتَلُ: حُسْن تَناسُق الشيء، وكلامٌ رَتَل، ورَتِلٌ، أَي: مُرَتَّل حسَنٌ على تؤدة، ورَتَّلَ الكلامَ: أَحسن تأْليفه، وأَبانَه وتمَهَّلَ فيه، والترتيل في القراءة: التَّرَسُّلُ فيها والتبيين، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، قال أَبو العباس: ما أَعلم الترتيل إِلاَّ التحقيق والتبيين والتمكين، أَراد في قراءة القرآن، وقال مجاهد: الترتيل: الترسل، قال: ورَتَّلته ترتيلاً بعضه على أَثر بعض.[١]

وقال ابن الجزري (٨٣٣هـ): (وأما الترتيل فهو مصدر من رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضاً على مكث وتفهم من غير عجلة، وهو الذي نزل به القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢]، وروينا عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل)... وقد أمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، قال ابن عباس: بيّنهُ، وقال مجاهد: تأنّ فيه، وقال الضحاك: انبذه حرفاً حرفاً، يقول تعالى: تلبث في قراءته وتمهل فيها، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده، ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى أكده بالمصدر اهتماماً به وتعظيماً له، ليكون ذلك عوناً على تدبر القرآن وتفهمه، وكذلك كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ، ففي جامع الترمذي وغيره عن يعلى بن مالك أنه سأل أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن قراءة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً.[٢] وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها.[٣] وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام بآية يرددها حتى أصبح ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة:١١٨]، وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: كانت مداً، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بـ(بسم الله)، ويمد بـ(الرحمن)، ويمد بـ(الرحيم).[٤]

وأما كمال الترتيل - وهو ما تُعنى به هذه الموسوعة - فقد أشار إليه الزركشي (٧٩٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان

---

(١) انظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، مادة: (رتل).

(٢) انظر الحديث في: ضعيف النسائي للألباني (٢٦٨). والراوي أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وليس عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) الحديث في صحيح مسلم برواية حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) برقم: (٧٣٣).

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٧ – ٢٠٨، وانظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل القرآن) برقم: (٥٠٤٦).

يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم، وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكر في معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كل آية معناها...).[(١)]

ولذلك فإن قراءة القرآن الكريم على منازله تفرض أداء تراكيبه بحسب دلالاتها، ومنها: تركيب الاستفهام، وجملة الإتمام، وغيرها مما يستدعي إيضاحاً بالتنغيم الذي قد لا يَظهرُ أكبر قدر ممكن من المعنى من خلال الأداء إلا به، وهذا هو مدار هذه الموسوعة.

ومما يؤثر على جودة ترتيل القرآن الكريم ويجب تحقيقه وإتقانه ثلاثة أمور، هي: حُسْن الوقف والابتداء؛ وحُسن النبر والتنغيم، وضبْط مقادير المدود.

فأما حُسن الوقف والابتداء فقد روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف،[(٢)] وقال المناوي: الترتيل لغة: إرسال الكلمة بسهولة واستقامة، وعرفاً: رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف، أو هو خفض الصوت والتحرز بالقراءة.[(٣)]

ويقوم الترتيل على الوقف والابتداء، ولا يتحقق الوقف إلا بمراعاته، قال الزركشي: (ومما يدعو إلى الوقف في موضع الوقف الترتيل؛ فإنه أعون شيء عليه)،[(٤)] ولذلك فإن القارئ الحاذق - حينما يراعي قواعد الترتيل - فإنه يلزم نفسه ضمناً باختيار مواطن الوقف، فيلزم من تلك المراعاة اختيار المواضع الجيدة للوقف.

وأما حُسن النبر والتنغيم فإن القراءة المرتلة تقتضي أن يَظهر تغني القارئ في مواضع العلو والخفض الصوتي، فالترتيل ليس فقط تجويد الحروف، بل هو أيضاً مراعاة مستوى الصوت؛ ولذلك فالقراءة عند أبي عبدالله القرطبي (٦٧١هـ) هي: (أصوات القراء ونغماتهم)،[(٥)] فهي ليست أصواتاً يختص علم التجويد بإتقان مخارجها، وإعطائها حقها ومستحقها فحسب، إنما هي أيضاً ملامح صوتية ينبغي أن تصان وتتقن.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١ / ٤٥٠.

(٢) انظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ٢ / ٤٩١. تحتاج هذه الرواية - وهي رواية متأخرة - إلى التوثيق، على الأقل في ورود كلمة (تجويد) فيها، فلم تكن كلمة (التجويد) مستعملة بهذا المعنى في زمن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. انظر كلامي عن علم التجويد.

(٣) انظر: التوقيف على مهمة التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، ص: ٩٥.

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١ / ٣٦٨.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي: ١ / ٩.

وفيما يتعلق بالمدّ فإن القراءة المرتلة ليست تقوم على تجويد نطق الحروف فقط، بل أيضاً على تحقيق المدود وإشباعها، ولما سئل أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف كانت قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: كانت مدّاً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بـ(بسم الله)، ويمد بـ(الرحمن)، ويمد بـ(الرحيم).[١] وفي رواية أخرى كان يمدّ صوته مدّاً،[٢] وذكرُ أنس للصوت يدلُّ على نفَس المدّ، وتأكيده بالمصدر يدل على إشباع المد.[٣] وذكرت حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها.[٤]

مراتب التلاوة وأساليبها

أبرز مراتب التلاوة هي: التحقيق، والترتيل، والتدوير، والحدر[٥]. ويؤكد ذلك ابن الجزري بقوله: (فإن كلام الله تعالى يقرأ بالتحقيق، وبالحدر، والتدوير الذي هو التوسط بين الحالتين مرتلاً مجوداً بلحون العرب، وأصواتها، وتحسين اللفظ، والصوت بحسب الاستطاعة).[٦] ولهذه المراتب صلة بأحكام التجويد، فعند القراءة بالتحقيق يُؤتى بالمدود كاملة، وعند القراءة بالتدوير يُؤتى بها بشكل متوسط، وتقصر بعض المدود - كالمدّ المنفصل - عند القراءة بالحدر.

التحقيق

وهو عند علماء التجويد: (عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار، والتشديدات، وتوفية الغُنّات، وتفكيك الحروف)،[٧] ويستعمل في التعليم لتدريب الألسن، وتقويم الألفاظ، وإقامة القراءة على وجهها.[٨]

(١) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل القرآن) برقم: (٥٠٤٦).
(٢) انظر: السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي: ٥ / ٢٣.
(٣) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب القيسي: ١ / ٥٧.
(٤) انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) برقم: (٧٣٣)، باب جواز النافلة قائماً أو قاعداً. انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ٧٣.
(٥) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمداني، ص: ١٥١. والموضح في وجوه القراءآت وعللها، أبو عبدالله نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم)، ص: ١ / ١٥٣. والمنح الفكرية، ملا علي القاري، ص: ١١٧.
(٦) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٥.
(٧) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٥.
(٨) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٥. وللمزيد انظر: التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، ص:



الترتيل

قال ابن الجزري (٨٣٣هـ): (كل تحقيق ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقاً)،(١) حيث يشتركان في التأني والتؤدة، وإذا كان التحقيق للتعليم وتدريب الألسن فإن الترتيل يُعنى بالتدبر والتفكر والاستنباط؛(٢) إذ الغاية من التؤدة في الترتيل بيان المعاني، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤] (معناه: بيِّنه تبييناً)،(٣) وقال تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢]، معناه: التبيين والتفسير،(٤) وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦] قال الإمام الطبري: (لتقرأه على الناس على تؤدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك).(٥) وقد تحدثت عن الترتيل قبل قليل.(٦)

التدوير

وهو التوسط بين رتبتي التحقيق والحدر، واختاره كثير من القراء، وصلته بالمعاني من حيث الجانب الجمالي فيه؛ لأنه يأتي على سنن واحد ومتتابع لا تمله الأسماع، والقارئ به مكتنف بين رتبتين، فهو في حرز من التمطيط المفضي إلى السآمة، أو العجلة المفسدة للمباني والمعاني، ويمكن القارئ المتدبر من إبراز المعاني من خلاله.(٧)

الحدر

وهو أن يقرأ القارئ قراءة سهلة سريعة خفيفة من غير أن يخل بأحكام التجويد وقواعد الرواية، وهو لون

٥٩، والتحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، ص: ٧٠. ولطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ٢ / ٤٥٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٦٨، وإبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٨٨.

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٩ن وانظر: التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، ص: ٥٩.

(٢) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٨٩. والنشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١/ ٢٠٧ – ٢٠٨.

(٣) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ١٠٨.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير: ٦ / ٩٩.

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبدالله التركي: ١٥ / ١١٦.

(٦) للمزيد انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، ص: ٦٩، والموضح في وجوه القراءآت وعللها، أبو عبدالله نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم)، ص: ١ / ١٥٤، والتمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، ص: ٦٠، ولطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ٢ / ٤٥٠ن والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٦٩.

(٧) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٩٥، ٩٦، انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٧، ولطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ٢ / ٤٥٠.

متميز من ألوان الأداء يتسم بالسماحة وعذوبة نطق الألفاظ ولطافة أداء المعنى، ولا سيما إذا أدّاه مجود ذو صوت حسن فإنه يرهف الآذان ويملأ الوجدان وتحيي به القلوب، كما الغيث إذا تتابع نزوله وانهمر قطره.(١)

التغني بالقرآن

التغني بالقرآن هو: تحسين الصوت بالقراءة على وجه لا يخرج إلى حد التطريب المذموم مع التخشع في القراءة وترتيلها. وقد روى البخاري رحمه الله أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن. وزاد غيره يجهر به)،(٢) وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به).(٣) وقد ذكر النووي (٦٧٦هـ) رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم: (وقوله: يتغن بالقرآن، معناه عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون: يحسن صوته به)،(٤) ومما استدلوا به في هذا الفهم قول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (زينوا القرآن بأصواتكم)،(٥) وفي رواية: (زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسناً).(٦)

وقد ذكر ابن القيم (٧٥١هـ) رحمه الله أن التغني المحمود هو: (ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا خلي وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين، وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين، كما قال أبو موسى الأشعري للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً).(٧) وقال: ويعلم قطعاً أنهم (أي: السلف الصالح) كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحسنون أصواتهم بالقرآن، ويقرؤونه

---

(١) انظر: الموضح في وجوه القراءآت وعللها، أبو عبدالله نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم)، ص: ١ / ١٥٤، ١٥٦، والنشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٧، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧١. وإبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٩٦.

(٢) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب التوحيد) برقم: (٧٥٢٧).

(٣) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب التوحيد) برقم: (٧٥٤٤)، و(كتاب فضائل القرآن) برقم: (٥٠٢٣)، واللفظ للبخاري. وانظر: صحيح مسلم، كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) برقم: (٧٩٢) في باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.
وقد بسط كل من: الحافظ بن حجر، والإمام النووي، وابن قيم الجوزية الحديث حول الخلاف في معنى (يتغن). انظر: فتح الباري، شرح حديث رقم: (٥٠٢٣)، كتاب (فضائل القرآن): ٨ / ٦٨٦ - ٦٩٠. وانظر: شرح صحيح مسلم، للنووي: ٦ / ٧٨، شرح باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وانظر: زاد المعاد: ١ / ٤٦٤ - ٤٧٤.

(٤) انظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي: ٦ / ٧٨، شرح باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٥) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حديث رقم: (٧٤٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، انظر: ٣ / ٢٥ - ٢٩.

(٦) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني: ٢ / ٤٠١، برقم: (٧٧١)، وقال: إسناده على شرط مسلم.

(٧) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حديث رقم: (٧١٩٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم، انظر: ١٦ / ١٧٠.

بشجا تارة، وبطرب تارة، وبشوق تارة، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم يَنه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به، وقال: ليس منا من لم يتغن بالقرآن). (١)

وأورد القسطلاني (٩٢٣هـ) أن الذي تحصَّل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسنًا فليحسنه ما استطاع... ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم، فإن الحسنَ الصوت يزداد حسنًا بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه...(٢)

وذكر الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله أن التغني بالقرآن هو الجهر به مع تحسين الصوت والخشوع فيه حتى يحرك القلوب؛ لأن المقصود تحريك القلوب بهذا القرآن حتى تخشع وتطمئن... ومن هذا قصة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما مرّ عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ فجعل يستمع له عليه الصلاة والسلام، وقال: لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود، فلما جاء أبو موسى أخبره النبي عليه الصلاة والسلام بذلك قال أبو موسى: لو علمت يا رسول الله أنك تستمع إليّ لحبرته لك تحبيراً). ولم ينكر عليه النبي عليه الصلاة والسلام ذلك، فدلّ على أن تحبير الصوت وتحسين الصوت والعناية بالقراءة أمر مطلوب ليخشع القارئ والمستمع ويستفيد هذا وهذا).(٣)

وقيل في تفسير قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) إن معناه يستغني بالقرآن عن غيره، ذكر ذلك سفيان بن عيينة وتبعه البخاري.(٤)

ومع وجود بعض الشواهد من كلام العرب التي جاء فيها (التغني) بمعنى (الاستغناء) إلا أن ذلك لا يتوافق مع الحديث النبوي السابق؛ لوجود عبارة (يجهر به) التي زادها غير البخاري، وهي تقيّد (التغني) بتزيين الصوت؛ ولأن الحديث مدعوم بأحاديث أخرى تدعو لتحسين الصوت بالتلاوة.

---

(١) انظر: زاد المعاد: فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن، واستماعه، وخشوعه... : ١ / ٤٧٤.

(٢) انظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ٢ / ٤٤٨.

(٣) انظر: الموقع الرسمي للشيخ عبدالعزيز بن باز: http://www.binbaz.org.sa/fatawa/1042

وانظر لحديث أبي موسى: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حديث رقم: (٧١٩٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم، انظر: ١٦ / ١٧٠.

(٤) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب التوحيد) برقم: (٧٥٢٧)، وانظر: (كتاب فضائل القرآن) برقم: (٥٠٢٣)، ورقم: (٥٠٢٤).

القراءة بالألحان

وأما القراءة بالألحان فقد أورد النووي (٦٧٦هـ) رحمه الله أن الشافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله قال في موضع: أكرهها، وقال في موضع: لا أكرهها... قال أصحابنا ليست على قولين، بل فيه تفصيل، فإن أفرط في التمطيط فجاوز الحد فهو الذي كرهه، وإن لم يجاوز فهو الذي لم يكرهه.(١) وقال محمد بن الحسين الآجُرّي (٣٦٠هـ): وأكره القراءة بالألحان والأصوات المعمولة المطربة، فإنها مكروهة عند كثير من العلماء، مثل: يزيد بن هارون، والأصمعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وسفيان بن عيينة...(٢) وقال أبو الحسن الماوردي (٤٥٠هـ) رحمه الله: القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود، أو مدّ مقصور، وتمطيط يخل به اللفظ ويلتبس به المعنى، فهو حرام يفسق به القارئ، ويأثم به المستمع؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج، والله تعالى يقول: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر:٢٨]، فإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته وترتيله كان مباحاً؛ لأنه زاد في تحسينه.(٣)

ويؤكد ابن القيم (٧٥١هـ) رحمه الله بعد عرضه أدلة المانعين والمجوزين لقراءة القرآن الكريم بالألحان: (وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم بُرآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ويسوغوها..).(٤) وقال ابن كثير (٧٧٤هـ): والغرض المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن ينزه على هذا ويُجل ويُعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب.(٥) وقال أيضاً: إن قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب أهل الغناء محذور كبير، وقد نص الأئمة رحمهم الله على النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفاً أو ينقص حرفاً فقد اتفق العلماء على تحريمه.(٦)

---

(١) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبده الكوشك، دار الإحسان، دمشق، ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى، ص:١٥٢-١٥٣.

(٢) انظر: أخلاق أهل القرآن، محمد بن الحسين الآجُرّي، تحقيق أحمد بن العربي، شبكة الألوكة، ص:١٢٣.

(٣) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبده الكوشك، ص:١٥٣.

(٤) انظر: زاد المعاد: فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن، واستماعه، وخشوعه... : ١ / ٤٧٤.

(٥) انظر: فضائل القرآن، إسماعيل بن كثير، تحقيق أبو إسحاق الأثري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ص:١٩٥.

(٦) انظر: فضائل القرآن، إسماعيل بن كثير، تحقيق أبو إسحاق الأثري، ص:١٩٨.

وذكر الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله أنه قد جاء في السنة الصحيحة الحث على التغني بالقرآن، يعني تحسين الصوت به وليس معناه أن يأتي به كالغناء، وإنما المعنى تحسين الصوت بالتلاوة.(١)

القراءة بالتحزين

وقد ذكر عدد من علماء السلف رحمهم الله مصطلح (التحزين) عند حديثهم عن مفهوم التغني في أداء القرآن الكريم المذكور في الحديث السابق، ومنهم الشافعي (٢٠٤هـ)، يقول: ويحسن صوته بأي وجه كان، قال: وأحب ما يُقرأ إليّ حدراً وتحزيناً. وقال النووي: قال أهل اللغة، يقال: حدرت بالقراءة إذا أدرجتها ولم تمططها، ويقال فلان يقرأ بالتحزين إذا أرقّ صوته.(٢) ويقول ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) عن القراءة بالألحان: الدليل على أن معنى الحديث تحسين الصوت والغناء المعقول الذي هو تحزِين القارئ سامعَ قراءته... ما روى سفيان عن الزهري...(٣)

وقال محمد بن الحسين الآجُرّي (٣٦٠هـ): وأكره القراءة بالألحان والأصوات المعمولة المطربة، فإنها مكروهة عند كثير من العلماء، مثل: يزيد بن هارون، والأصمعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وسفيان بن عيينة، وغير واحد من العلماء رضي الله عنهم يأمرون القارئ إذا قرأ أن يتحزن، ويتباكى، ويخشع بقلبه.(٤)

وقال: فأُحبُّ لمن قرأ القرآن أن يتحزن عند قراءته، ويتباكى، ويخشع قلبه، ويتفكر في الوعد والوعيد، ليستجلب بذلك الحزن، ألم تسمع إلى ما نعت الله عز وجل مَن هو بهذه الصفة وأخبر بفضلهم، فقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر:٢٨].(٥)

أما أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) فقد ذكر أن البكاء مستحب مع القراءة وعندها، والطريق في تحصيله أن يُحضِرَ في قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد...(٦) وذكر القرطبي (٦٧١هـ) أن من الأقوال: إن معنى

(١) انظر: الموقع الرسمي للشيخ عبدالعزيز بن باز: http://www.binbaz.org.sa/fatawa/1042
وانظر لحديث أبي موسى: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حديث رقم: (٧١٩٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم، انظر: ١٦ / ١٧٠.

(٢) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبده الكوشك، دار الإحسان، دمشق، ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى، ص:١٥٥. وانظر: فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ: ١٥ / ١٤٢.

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن بطال، ضبطه أبوتميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ: ١٠ / ٢٦٠.

(٤) انظر: أخلاق أهل القرآن، محمد بن الحسين الآجُرّي، تحقيق أحمد بن العربي، شبكة الألوكة، ص:١٢٣.

(٥) انظر: أخلاق أهل القرآن، محمد بن الحسين الآجُرّي، تحقيق أحمد بن العربي، ص:١٢٤.

(٦) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف النووي، ص:١١٦.



يتغنى به، أي: يتحزن به، أي: يَظهر على قارئه الحزن - الذي هو ضد السرور - عند تلاوته وقراءته.[(١)]

وقال النووي (٦٧٦هـ): إن ابن أبي داود روى بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ فحزنها شبه الرثاء.[(٢)] وأخرج أبو عوانة عن الليث بن سعد قال: يتغنى به: يتحزن به ويرقق به قلبه.[(٣)] ويؤكد ابن القيم (٧٥١هـ) رحمه الله أن السلف كانوا (يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويُحسّنون أصواتهم بالقرآن...).[(٤)]

ويقول ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ): (يحسن به صوته جاهراً به مترنمـًا على طريق التحزن...).[(٥)] ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز: بل يجب أن يقرأه كما قرأه سلفنا الصالح من أصحاب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأتباعهم بإحسان، فيقرأه مرتلاً متحزنـًا متخشعـًا حتى يؤثر في القلوب التي تسمعه وحتى يتأثر هو بذلك.[(٦)]

تحديد مفهوم التحزين:

١. من النصوص السابقة يتبين أن علماء السلف يذكرون (التحزين) مع كلمات أخرى، لإيضاح مفهوم (التغني بالقرآن) الوارد في الحديث النبوي المذكور، ومن تلك الكلمات: ترقيق الصوت، وترقيق القلب، والخشوع، والخشية، والخوف من الله، والتفكر في الوعد والوعيد، والترتيل.

٢. أن بعضهم نصّ على جلب الحزن للمستمع، قال ابن جرير: (تحزِين القارئ سامعَ قراءته)، وقال الآجري: (ليستجلب بذلك الحزن). وقال أبو حامد: (أن يُحضر في قلبه الحزن)، وقال القرطبي: (يتغنى به، أي: يتحزن به، أي: يَظهر على قارئه الحزن).

من القواعد في مسألة التحزين:

١. اقترن الحزن والخوف في القرآن الكريم كثيراً، وهذا دليل على أنهما معنيان مختلفان على الرغم من كونهما مرحلتين من المشاعر قد يتعاقبان أو يحدثان في الموقف الواحد، فالأمر المخوف منه إذا وقع أحدث حزنـًا.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله القرطبي، تحقيق د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ: ١ / ٢٥.

(٢) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف النووي، ص:١٥٥. وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني: ١٥ / ١٤٢.

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: ١٥ / ١٤٢.

(٤) انظر: زاد المعاد، ابن قيم الجوزية: ١ / ٤٧٤.

(٥) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: ١٥ / ١٤٤.

(٦) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار القاسم للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ: ٩ / ٢٩٠.



٢. ومفهوم الحزن هو : (ما يحصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي).[(١)] وقال ابن القيم (٧٥١هـ): إنه المكروه الذي يرد على القلب إن كان لما مضى فهو الحزن، وإن كان على ما يستقبل فهو الهم.[(٢)] واتفق مع المفهوم السابق للحزن كل من: المناوي (١٠٣١هـ)،[(٣)] والكفوي (١٠٩٤هـ).[(٤)] وقد ورد في الصحاح،[(٥)] ولسان العرب،[(٦)] وتاج العروس:[(٧)] أن التحزين في القراءة ترقيق الصوت. و(التحزين) بصفته صيغة صرفية هو: جعل المستمع يحزن بسبب ما يسمعه من التلاوة، والتحزّن: تصنع الحزن بين الإنسان ونفسه وهو يقرأ القرآن.

أما الخوف فقد ذكر الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) أنه: (توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة)،[(٨)] وذكر الجرجاني،[(٩)] والمناوي،[(١٠)] والكفوي[(١١)] مفهوم هذا التعريف.

وقيل إن معنى (التحزين) في القراءة أي: التخويف من الله، ولم أجد أصلاً لهذا المعنى، واستدلوا بأن معنى (لا تحزن) في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠]، أي: (لا تخف)، وأرى أن (لا تحزن) على بابها، فهي نهي عن الحزن؛ لأن الذي كان يخاف منه أبو بكر رضي الله عنه وهو مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في طريق الهجرة قد وقع حينما قال: (هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله)، فانتهى خوفه هنا؛ لأنه وقع، فتحولت مشاعره من الخوف إلى الحزن على ما حدث، فقال رسول الله له: (لا تحزن إنّ الله معنا)،[(١٢)] وبهذه العبارة نزلت الآية.

---

(١) انظر: التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣، ص:٧٧.

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق د. ناصر السعوي، د. علي القرعاوي، د. صالح التويجري، د. خالد الغنيم، د. محمد الخضيري، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ: ٣ / ١٢٨٦.

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ص: ١٣٩.

(٤) انظر: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ، ص: ٤٢٨.

(٥) انظر: الصحاح، لأبي نصر إسماعيل الجوهري، مادة (حزن).

(٦) انظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، مادة (حزن).

(٧) انظر: تاج العروس، من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مادة (حزن).

(٨) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ: ٣٠٣.

(٩) انظر: التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق محمد باسل، ٢٠٠٣، ص:٩٠.

(١٠) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، ص: ١٦١.

(١١) انظر: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، ص: ٤٢٨.

(١٢) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل الصحابة) برقم: (٣٦٥٢).



٣. أنه لا يخفى على جميع العلماء السابقين أن جميع المواضع التي ذُكر فيها الحزن في القرآن والسنة هي إما أن يكون الحزن منفياً عن المؤمنين، أو منهياً عنه، أو وصفاً لواقع، أو متعوذاً منه. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ) أن الحزن لم يأت في القرآن إلا منهياً عنه أو منفياً.(١)

٤. أن التحزين والتحزّن ليس من المفردات القرآنية ولا النبوية التي ترشد لكيفية قراءة القرآن الكريم، بل المذكور هو: (الترتيل، والمكث)، و(التغني، وتزيين الصوت وتحسينه). وقد ورد حديثان عن الحزن في قراءة القرآن، الأول: (عليكم بالحزن فإنه مفتاح القلب، قالوا: وكيف الحزن؟ قال: أجيعوا أنفسكم بالجوع وأظمئوها).(٢) والثاني: (اقرأ القرآن بالحزن، فإنه نزل بالحزن).(٣) وكلاهما ضعيف، وقال الألباني عن الثاني إنه ضعيف جداً.

٥. أن الله تعالى قد نهى عن الحزن، وأمر بالخشوع والخشية والخوف منه سبحانه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نَهَى عنه في مواضع، وإن تعلق بأمر الدين.(٤)

٦. أن مشاعر الحزن تختلف عن مشاعر الخشوع والخشية والخوف من الله وما يصاحبهما من تأثر أو بكاء.

٧. أن التغني والتلحين وتحسين الصوت وتزيينه أداء وممارسة يقوم بها القارئ، أما التحزين فهو ممارسة تقع على المستمع ونتيجة تصدر منه؛ لأسباب منها ذلك التغني وتحسين الصوت.

استنتاجات في مسألة التحزين:

١. أن ذكر العلماء لأكثر من كلمة للتعريف بمفهوم (التغني) وتحديد كيفية تلاوة القرآن الكريم حُكمٌ منهم بعدم كفاية أي من الكلمات المذكورة وعدم دقة أي واحدة منها منفردة على المراد.

٢. أن الجمع بين التحزين وتلك الكلمات دليل على أن لديهم مفهوماً للتحزين غير ما نعرف اليوم، وأن مفهومهم قريب من الخشية والخضوع والذل لله تعالى وترقيق الصوت بالقراءة كما ورد في معاجم اللغة، وهذا ما أرجحه.

٣. أن في نصّ بعضهم على جلب الحزن للمستمع، وتحزِين القارئ سامعَ قراءته، وقول بعضهم أن يُحضر في

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق د. ناصر السعوي وآخرون: ٣/ ١٢٨٥.

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ: ٣/ ٥٦٢، رقم الحديث (١٤٦٨).

(٣) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني: ٦ / ٣٣، رقم الحديث (١٠٦٤)، (٢٥٢٣).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ: ١٠ / ١٦.

قلبه الحزن ويظهر عليه مخالفةً لما ورد في الكتاب والسنة عن الحزن ونفيه والنهي عنه، فهل يجوز للقارئ تحزين المسلم؟ وهل يجوز جعل استماع كلام الله تعالى سبباً للحزن؟

وربما أن من أسباب ذكرهم لفظ (التحزين):

١. أن بعضهم قد يكون لديه تداخل بين القراءة بخشية وخشوع وخوف من الله تعالى، والقراءة بالتحزين، فأدخل مفردة الحزن، مع أن مشاعر الحزن تختلف عن مشاعر الخشوع والخشية والخوف من الله وما يصاحبهما من تأثر أو بكاء.

٢. أنه ربما وقع خلط لدى بعضهم بين قراءة القارئ بالتغني وتحسين الصوت، ومشاعر بعض المستمعين حينما يصيبهم حزن في أثناء الاستماع بسبب تذكر ذنوبهم وتقصيرهم، وهذا الأثر الذي أحدثته التلاوة لا يصح أن يكون منطلقاً ولا هدفاً لقارئ القرآن الكريم، بل هو شعور خاص بمن شعُر به في أثناء الاستماع وعليه حث نفسه على التوبة والصبر والاحتساب والرضا، ومدافعة الشعور بالحزن لأنه من الشيطان.

٣. أن بعضهم فيه حزن بطبعه، قال ابن القيم: (والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة)،[1] ولذلك فإن وجود قارئ يقرأ بحزن فقراءته ناتجة عن أمر قد أحزنه خارج القراءة والصلاة ولم يستطع الانفكاك منه.

٤. ولو سلمنا بجواز التحزين - بمفهومنا اليوم للحزن - في قراءة القرآن الكريم فإنه لا يوجد علاقة بين الحزن وكثير من آيات القرآن الكريم، فليس التحزين مقبولاً في أداء آيات الوعد والجنة ونعيمها، ولا في آيات مجادلة الكفار والمشركين والمنافقين، ولا في آيات الجهاد، ولا آيات تعظيم الله تعالى وتمجيده وتقرير التوحيد، ولا آيات التشريع والعبادات والمعاملات، ولا مقبولاً أيضا في آيات الوعيد وعقاب الله للأمم الكافرة وتعذيبهم بأنواع العذاب الدنيوي، بل نهى الله تعالى نبيه عن الحزن على أولئك المعذبين في مواضع متعددة في سور: النحل ولقمان وفاطر ويس.

فلماذا تعميم التحزين على جميع آيات القرآن الكريم، ولعل هذا دليل قوي على أن مفهوم علماء السلف للتحزين مختلف عن مفهومنا اليوم له.

أما فيما يتعلق بقراءة بعض المقرئين والأئمة اليوم فإن بعضهم أقرب إلى التطريب وأبعد عن التحزين، ولبعضهم ممارسات أدائية تُبعد المستمع عن معاني القرآن الكريم، وتؤثر عليه بمشاعر التحزين أو التطريب بعيداً عن معاني الآيات.

---

(١) انظر: زاد المعاد، ابن قيم الجوزية: ١ / ٤٧٤.

وتهتم هذه الموسوعة بالتنظير والتطبيق معـًا في تزيين الصوت بالقرآن خاصة أداء الأساليب اللغوية في القرآن الكريم بنبرات ونغمات تتوافق مع معانيها.

اللحن

من معاني اللحن في لغة العرب: تركُ الصواب في القراءة، ويقال: رجل لُحَنَة: أي يُخْطِئ.(١) واللحن قسمان؛ اللحن الظاهر، واللحن الخفي. فأما اللحن الظاهر فهو: إخلال القارئ بالتجويد إخلالاً يُغيّر المعنى، وأما اللحن الخفي فهو الذي لا يقف عليه إلا حذاق القراء، ومنه عدم التفريق في التنغيم بين الخبر والاستفهام، أوالنفي والإثبات، كما سيتضح في هذه الموسوعة.

وقد ارتبطت دراسة علماء التجويد للأصوات بمعالجة ما سموه باللحن الخفي، وكان أبو بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ) هو صاحب فكرة تقسيم اللحن إلى جلي وخفي، حيث يقول: (اللحن في القرآن لحنان؛ جلي وخفي، فالجلي لحن الإعراب، والخفي ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه).(٢) وقال متحدثـًا عن حروف القرآن وما قد يعتري نطقها: (ومنها: اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا العالم النحرير).(٣) كما ذكر اللحن أبو مزاحم الخاقاني (٣٢٥هـ)،(٤) وسمى أبو الحسن السعيدي (٤١٠هـ تقريبـًا) كتابه (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي)، وقال في مقدمته: (ينبغي لقارئ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ بعد معرفته باللحن الجلي أن يعرف اللحن الخفي؛ لأن اللحن لحنان؛ لحن جلي، ولحن خفي...فاللحن الجلي هو: أن يرفع المنصوب، وينصب المرفوع، أو يخفض المنصوب والمرفوع، وما أشبه ذلك، فاللحن الجلي يعرفه المقرئون والنحويون وغيرهم ممن قد شم رائحة العلم...واللحن الخفي لا يعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقن من ألفاظ الأُستاذين المؤدي عنهم، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه، المتجنب عن الإفراط في الفتحات، والضمات، والكسرات، والهمزات، وتشديد المشددات، وتخفيف المخففات، وتسكين المسكنات، وتطنين النونات، وتفريط المدات وترعيدها، وتغليظ الراءات وتكريرها، وتسمين اللامات وتشريبها الغنة، وتشديد الهمزات وتلكيزها...).(٥)

---

(١) انظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، مادة: (لحن).
(٢) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ١١٦.
(٣) انظر: السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ص: ٤٩.
(٤) انظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراء وحسن الأداء، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ٢ / ٢٢٥.
(٥) انظر: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، ص: ٢٥٩ – ٢٦٠.



وإذا كان أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) لم يطل الوقوف عند هذه القضية في كتابه (التحديد) فإن عبدالوهاب القرطبي (٤٦٢هـ) قد جعلها أساس كتابه (الموضح في التجويد)،[١] وجاء بعده أحمد بن أبي عمر الأندرابي (بعد ٥٠٠هـ) وقال: (واعلم أن اللحن الخفي لا يعرفه إلا النحارير الماهرون من القراء والحذاق المحققون من العلماء بالقرآن)، ثم نقل تقسيم أبي بكر بن مجاهد للحن، ثم تحدث عن عشرات الصور النطقية التي تندرج تحت موضوع اللحن الخفي.[٢] ووسع أبو العلاء الهمذاني العطار الحديث عن اللحن قليلاً فقال: (وإذ قد ثبت ما ذكرناه فاعلم أن اللحن لحنان؛ جلي وخفي، فأما الجلي فهو الظاهر الذي يستوي في معرفته المبتدئ والمنتهي، وهو تصحيف الحروف، وتغيير الحركات، والسكون، وما يجري مجراها... وأما الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما: لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدات، وحدود الممالات، والملطفات، والمشبعات، والمختلسات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام، والحذف، والإتمام، والروم، والإشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيد بالخط واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان والضبط).[٣]

ويستنتج د. غانم قدوري الحمد أن أبا العلاء الهمذاني العطار قد أدرك في الضرب الأول من ضربي اللحن الخفي ظواهر نطقية دقيقة تندرج في باب التنغيم الصوتي للجملة المنطوقة، وذلك مثل: الفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام.[٤] وتقوم هذه الموسوعة - بعنايتها بالأساليب اللغوية - على توضيح ذلك التفريق الذي أشار إليه العلماء وإبرازه ليسهل على قارئ القرآن الكريم تطبيقه بإتقان.

(١) انظر: الموضح في التجويد، عبدالوهاب بن محمد القرطبي، تحقيق د. غانم قدُّوري الحمد، ص: ٥٥، وما بعدها.

(٢) انظر: الإيضاح في القراءات لأحمد بن أبي عمر الأندرابي، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه (مخطوطة) قدمتها: منى عدنان غني، جامعة تكريت، بإشراف الأُستاذ الدكتور غانم قدُّوري الحمد، ١٤٢٣هـ.

(٣) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ٢٠٦ – ٢٠٧. والضرب الثاني من اللحن الخفي عنده يتقيد بالخط ويدرك وصفه بالشكل والنقط، ويحتاج مبتغيه إلى معرفة مخارج الحروف ومدارجها، انظر، ص: ٢٤٢.
ويقصد بالمدات: (أنواع المدود ومقاديرها)، وبالممالات: (الإمالة)، وهي إمالة الفتحة نحو الكسرة في النطق، وبالملطفات: (التلطيف)، وهو الإمالة الخفيفة، وبالمشبعات: (إشباع الحركات)، وبالمختلسات: (اختلاس الحركات)، وهو أقل من الإشباع، وبالإظهار: (إظهار حرفين متلاصقين في النطق)، وبالإدغام: (إدغام أحدهما في الآخر)، وبالروم: (النطق ببعض الحركة، وبالإشمام: (الإشارة بالحركة من غير تصويت). للمزيد انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢ / ٢٢، ٣٠، ١٢١ – ١٢٦، والتمهيد في علم التجويد لابن الجزري، ص: ٧٢، وما بعدها.

(٤) انظر: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٥٣.

كما ذكر ابن الجزري قسمي اللحن؛ الجلي والخفي، وقال: (اللحن خلل يطرأ على الألفاظ فيخلّ بالمعنى والعرف، وخلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالعرف دون المعنى).[١] كما تحدث عن اللحن كل من: الحسن بن قاسم المرادي، ومحمد المرعشي، وحسن بن إسماعيل الدركزلي،[٢] فذكروا مفهوم اللحن، وأنواعه، وما يدخل فيه مستفيدين ممن قبلهم من العلماء، كما درس الشيخ جمال القرش اللحن بنوعيه بالتفصيل بجدولة منظمة دقيقة في الجزء الأول من كتابه: زاد المقرئين أثناء تلاوة الكتاب المبين.[٣]

والبحث في اللحن في القرآن الكريم؛ متى يخل بالقراءة؟ وتبطل به الصلاة؟ ومن يعذر به ومن لا يعذر؟ هو الذي أُثِرَ عن الفقهاء والمجتهدين؛ كالأئمة الأربعة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والعز بن عبدالسلام، والذهبي، وابن كثير، والشوكاني، ولم يشغلوا أنفسهم بغير هذا، وهذه هي الثمرة والغاية من علم التجويد.[٤]

وقد كان حديث أغلبهم عن اللحن في المفردة (اللفظة) أو فيها مع الكلمة التي تليها وما يترتب على ذلك من أحكام التجويد، أما ما يكون من لحن في أداء الجملة من القرآن الكريم، فقد أشار إليه أبو العلاء الهمذاني العطار (٥٦٩هـ) في حديثه قبل قليل، وممن أشار إليه الزركشي (٧٩٤هـ)، والسمرقندي (٧٨٠هـ) في العقد الفريد، والدركزلي (١٣٢٧هـ) وغيرهم، وسيأتي كلامهم في المبحث القادم من هذا الفصل. وتختص هذه الموسوعة بأداء الأساليب اللغوية؛ كالاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، والنفي، والإتمام الذي فُصل بين ركني جملته بفاصل، ويحتاج إلى نغمة توضح قوة ارتباط الركن الأول بالثاني بأن الثاني جواب للأول ومتمم لمعناه خاصة إذا طال الفصل بينهما؛ مثل أداء جملة الشرط بما يتناسب مع طرفيها (فعل الشرط وجوابه)، أو أداء القَسَم بما يتناسب مع طرفي جملته (القَسَم وجوابه).

وقد أمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأن يأخذوا القرآن الكريم من أهل الضبط والإتقان في قوله: (استقرئوا القرآن من أربعة؛ من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل).[٥] قال ابن

---

(١) انظر: التمهيد في علم التجويد، محمد بن الجزري، ص: ٧٧.

(٢) في كتبهم الآتية: الحسن المرادي في كتابيه (المفيد في شرح عمدة المجيد)، و(شرح الواضحة)، وابن الجزري في (التمهيد في علم التجويد)، ومحمد المرعشي (ساجقلي زاده) في (جهد المقل)، وحسن الدركزلي في كتابه (خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة).

(٣) انظر: زاد المقرئين أثناء تلاوة الكتاب المبين، جمال بن إبراهيم القرش: ١ / ١٠٨ – ٢٦٥.

(٤) انظر: فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد، د. سعود بن عبدالله الفنيسان، ص: ١٢.

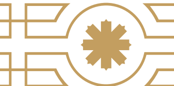
(٥) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب فضائل الصحابة) برقم: (٣٧٦٠)، وانظر: رقم: (٣٨٠٨).

حجر العسقلاني (٨٥٢هـ): (وتخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم إما لأنهم كانوا أكثر ضبطاً له وأتقن لأدائه، أو لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهة وتصدوا لأدائه من بعده، فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم، لا أنه لم يجمعه غيرهم).[١]

وتسهم هذه الموسوعة في تسديد شيء من الخلل الموجود، وعلاج بعض اللحن الخفي، مهتمة بطريقة أداء الأساليب اللغوية؛ كالاستفهام، والإتمام، والأمر، والنهي، والدعاء، والنداء، والجملة التقريرية، وغيرها من الأساليب التي لم تُعط اهتماماً كافياً من بعض الأئمة والناشئين في حلقات تحفيظ القرآن الكريم.



(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، شرح حديث رقم: (٣٧٥٨): ٧/ ١٢٨.



المبحث الثالث: مكانة النبر والتنغيم عند السابقين

اهتم عدد من العلماء السابقين بالنبر والتنغيم وتأثيرهما في أداء المعنى، فمنهم: علماء اللغة، والنحو، والفقهاء، والفلاسفة، وعلماء التجويد، والمختصون في علوم القرآن. ويناقش هذا المبحث مكانة النبر والتنغيم من وجهتي نظر مختلفتين:

الأولى: مكانة النبر والتنغيم في لغة العرب، وتناقش بعض ما استنتجه علماء اللغة والنحو في دراستهم لأشعار العرب وأقوالهم مما يتعلق بتنغيم العرب لكلامهم، وبعض ما استنتجه الفلاسفة من قواعد لتنغيم الكلام وعلاقته بصنع المعنى.

والثانية: مكانة النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم، وتناقش بعض ما ذكره علماء التجويد والقراءات، وعلوم القرآن مما يتعلق بالنبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم.

أولاً: مكانة النبر والتنغيم في لغة العرب

(علماء اللغة والنحو والفلاسفة)

مدخل

لقد كان كلام العرب الشفوي معتمداً على الأداء الصوتي في إيصال المعنى في بعض مواضعه اعتماداً واضحاً، سواء أكان ذلك بالنبر أم بالتنغيم - بمفهومهما الحديث - أم بغيرهما.

ومن أبرز النصوص التي تظهر فيها هذه السمة أحاديث الرسول ﷺ، فقد كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوظف صوته ارتفاعـاً، وانخفاضـاً، وتأكيداً؛ لإيصال المعنى، والأحاديث في هذا كثيرة جدّاً، ومنها حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ، تِسْعَةً، أَوْ ثَمانِيَةً، أَوْ سَبْعَةً، فقالَ: ألا تُبايِعُونَ رَسولَ اللهِ؟ وكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنا: قدْ بايَعْناكَ يا رَسولَ اللهِ، ثُمَّ قالَ: ألا تُبايِعُونَ رَسولَ اللهِ؟ فَقُلْنا: قدْ بايَعْناكَ يا رَسولَ اللهِ، ثُمَّ قالَ: ألا تُبايِعُونَ رَسولَ اللهِ؟ قالَ: فَبَسَطْنا أَيْدِيَنا وقُلْنا: قدْ بايَعْناكَ يا رَسولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبايِعُكَ؟ قالَ: علَى أنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، والصَّلَواتِ الخَمْسِ، وتُطِيعُوا، (وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً)، ولا تَسْأَلُوا النَّاسَ شيئًا فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَما يَسْأَلُ أَحَدًا يُناوِلُهُ إيَّاهُ).[١]

(١) انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، برقم: (١٠٤٣).

فإن تغييره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصوته عند ذكر النهي عن سؤال الناس قد أوصل معنى النهي مع تأكيده. وفي حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حتَّى كَأنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يقولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، ويقولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرُنُ بيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، ويقولُ: أَمَّا بَعْدُ، فإنَّ خَيْرَ الحَديثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ثُمَّ يقولُ: أَنَا أَوْلَى بكُلِّ مُؤْمِنٍ مِن نَفْسِهِ، مَن تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ، وَمَن تَرَكَ دَيْنًا، أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ. [وفي رواية]: كَانَتْ خُطْبَةُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ الجُمُعَةِ يَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُثْنِي عليه، ثُمَّ يقولُ علَى إثْرِ ذلكَ، وَقَدْ عَلَا صَوْتُهُ، ثُمَّ سَاقَ الحَدِيثَ، بِمِثْلِهِ).(١) ومثله حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (تَخَلَّفَ عَنَّا النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فأدْرَكَنَا - وقدْ أرْهَقَتْنَا الصَّلَاةُ - ونَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ علَى أرْجُلِنَا، فَنَادَى بأَعْلَى صَوْتِهِ: ويْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أوْ ثَلَاثًا).(٢) فقد ارتفع صوت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الموقفين؛ خطبة الجمعة، والتحذير من عدم غسل القدم كاملة عند الوضوء؛ توظيفاً منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصوت - نبراً وتنغيماً - لإيصال المعنى المراد كاملاً.

كما أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعطي ما يقوله من الأراجيز حقها الصوتي، فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (لَمَّا كانَ يَوْمُ الأحْزَابِ، وخَنْدَقَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِن تُرَابِ الخَنْدَقِ، حتَّى وارَى عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وكانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وهو يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يقولُ: اللَّهُمَّ لَوْلَا أنْتَ ما اهْتَدَيْنَا... ولَا تَصَدَّقْنَا ولَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا... وثَبِّتِ الأقْدَامَ إنْ لَاقَيْنَا، إنَّ الأُلَى قدْ بَغَوْا عَلَيْنَا... وإنْ أرَادُوا فِتْنَةً أبَيْنَا قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بآخِرِهَا).(٣)

وفي مقام فصل الكلام - بترك حرف العطف مع النفي اعتماداً على وقف الكلام وتنغيمه - أحاديثٌ للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموقف لبعض الصحابة مع أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فمن تلك الأحاديث ما رواه جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عام الفتح وهو بمكة: (إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ)، فقيل: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة؛ فإنها يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود،

(١) انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، برقم: (٨٦٧).
(٢) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، برقم: (٦٠).
(٣) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، برقم: (٤١٠٦).

ويستصبح بها الناس؟ فقال: (لا، هُوَ حَرَامٌ)، ثم قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك: (قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ).(١)

وكذلك ما رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: (مَا هَذَا الْحَبْلُ؟) قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا، حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ).(٢)

وأيضـًا ما رواه علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:كنا جلوسـًا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعه عود ينكت في الأرض، وقال: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ أَوْ مِنْ الْجَنَّةِ)، فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: (لا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ) ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل:٥].(٣)

ومع أنّ (لا) في الجمل الثلاث من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا، هو حرام)، (لا، حُلّوه..)، (لا، اعملوا..) لا يُتوهّم أن تكون دُعائية، إلا أن التنغيم حاضر في نطقها، كما أن للسؤال - في حديثين من تلك الأحاديث - أثره في رفع الإيهام بالدعاء لو كان الإيهام موجوداً؛ لأن المخاطب يسأل عن تصديق، والجواب إما بـ(نعم) أو بـ(لا)، ولأنه أتى الجواب بـ(لا) فإن المخاطب سيدرك أنه جواب لسؤاله، وما بعد (لا) مستأنف، ولا إيهام إذاً، ودلالة السياق وقرائن الحال في مثل هذا معتبرة. وجعل بعضهم ذكر (الواو) في مثل هذا الأسلوب من كلام الأوساط، لا من كلام البلغاء.

وفي الشاهدين القادمين تتداخل (لا) النافية، مع (لا) الدعائية، ولذلك فإن الكلام يحتاج إلى تنغيم، لإزالة هذا التداخل. ومن ذلك مواقف للصحابة الكرام تكشف عن فهمهم الكلامَ الشفوي من أدائه، وليس باعتبار ما ذكر أو لم يذكر من الكلمات فيه. فقد روى مسلم في صحيحه عن عائذ بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن أبا سفيان أتى على سلمان، وصهيب، وبلال في نفر، فقالوا: (والله ما أَخَذَتْ سيوفُ الله من عُنُق عدوِّ الله مأخذها، قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فقال: يا أبا بكر لعلكَ أغْضبْتَهم، لئن كنتَ أغْضبْتَهم فقد أغضبتَ ربَّك. فأتاهم أبو بكر، فقال: يا إخوتاه أغضَبْتُكمْ؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي).(٤) فهذا الحديث الصحيح

(١) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، برقم: (٢٢٣٦)، وانظر: صحيح مسلم، برقم: (١٤٥٦٤).

(٢) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، برقم: (١١٥٠)، وانظر: صحيح مسلم، برقم: (٧٨٤).

(٣) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، برقم: (٤٩٤٧ و٦٦٠٥)، وانظر: صحيح مسلم، برقم: (٢٦٤٧).

(٤) انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، برقم: (٢٥٠٤).

يُثبت فهم المعنى دون الحاجة للواو بعد حرف النفي (لا)، وإنما يُكتفى بالتنغيم لإيضاح المعنى، ولم يفهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غير الدعوة له بالمغفرة.

وفي قصة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إنْ صحت - أنه مر برجلٍ ومعه ثوب فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتبيع الثوب؟ فقال: لا عافاك الله. فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد عُلمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا، وعافاك الله.(١)

إن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه قد فهم المراد دون وجود الواو، ولكنه أراد أن يحتاط أكثر فأرشد المتحدث الذي ربما أنه لم يعط الكلام - في ذلك الموقف - التنغيمَ الذي يستحقه، فرأى أبو بكر ضرورة إرشاده حتى لا يفهم الآخرون كلامه على غير وجهه. ويلحق بهذه القصة ما حُكي أنّ المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء، فقال: لا، وأيد الله أمير المؤمنين، فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو وما أحسنَ وقعها).

كما أن في كلام العرب وأشعارهم وأساليبهم اللغوية ما يدل على اعتمادهم على التنغيم في إيصال المعنى، وقد ظهر في تحليلات علماء اللغة والنحو لبعض نصوص العرب شعراً ونثراً اعتمادهم على التنغيم في التواصل فيما بينهم، وسيُحلل في هذا المبحث كثيرٌ من تلك النصوص مع نسبتها وتوثيقها.

وقد اهتم علماء اللغة والنحو بعدد من القضايا والمسائل سواء تلك المتعلقة بدراسة الأصوات بعامة، أم بالنبر والتنغيم بشكل خاص. فقد عُني عدد من علماء العربية بدراسة الأصوات العربية، وما يعتري نطق الحرف العربي من تغيرات في أثناء الكلام، وأبرزهم - الذين كان لهم تأثير في التأصيل لعلم التجويد - سيبويه وابن جني، اللذان عُنيا بمخارج حروف اللغة العربية، وصفاتها، وأحوالها، ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها، ومهموسها، وشديدها، ورخوها، ومسائل الروم، والإشمام، والإشباع، والقلب، والحذف، والإدغام بين الحروف.(٢)

أما فيما يتعلق بالتنغيم فإنه أساس للتفريق بين بعض الجمل، وهو الفيصل في إدراك معناها، فمثلاً قد يكون في الجملة استفهام دون أن توجد أداته، وقد توجد أداة لاستفهام دون أن تفيد الجملة معنى الاستفهام، ولا يكشف ذلك إلا تنغيم الكلام. وقد أدرك علماء اللغة هذه الحقيقة في اللغة العربية - مع أنه لا توجد عندهم إلا إشارات متفرقة - وبنوا عليها أحكاماً في جواز حذف أداة الاستفهام وفي خروجه - مع وجود أداته - إلى معانٍ كثيرة لا علاقة لها بوظيفته. ولتنغيم الكلام أهمية كبرى، وإذا كانت علامات الترقيم تحدد المعنى في الكلام المكتوب، فإن تنغيم الكلام يحدد المعنى في الكلام الشفوي خاصة فيما يتعلق بمعاني الأساليب اللغوية المختلفة ونقل المشاعر إلى المستمع.

---

(١) انظر: البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ: ١ / ٢٦١.

(٢) انظر: الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ: ٤ / ٢٠٢، ٢١٦، ٤٣٦، و ١ / ٢٨، و ٢ / ٢٢٠. وانظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي: ١ / ٣-٤، ٩.

وقد أشار بعض علماء اللغة في التراث العربي إلى تنغيم الكلام بما يخدم المعنى وإن لم يضعوا (له المعايير والقواعد المفصلة التي على أساسها كان تحققه وجريانه على ألسنة العرب الفصحاء حتى الآن).[(١)]

وفي العصر الحديث قدّم عدد من العلماء حقائق عن ظاهرة تنغيم الكلام في العربية، سواء فيما يتعلق بملامحها، أو وظائفها، أو أنماطها التنغيمية،[(٢)] أو دورها في بنية اللغة.[(٣)]

وممن ناقش هذه المسألة الدكتور أحمد الفيومي، فهو يرى أن التنغيم مذهب من مذاهب العرب في الكلام،[(٤)] فالأنماط التنغيمية تتعدد بتعدد أنواع الجمل، إذ لكل جملة من هذه الجمل نمط تنغيمي وأدائي خاص لا تكاد تشاركها جملة أخرى فيه، وهذا النمط يجب اتباعه ومراعاته في النطق بكل جملة من هذه الجمل وإلا عُدّ ذلك من اللحن وكأن شأنه شأن رفع المفعول أونصب الفاعل.[(٥)] كما بيّن أن للأنماط التنغيمية دوراً في تحديد معاني الأدوات النحوية والترجيح بين معانيها.[(٦)]

أما د.أحمد كشك فتحدث عن الفهم النحوي عند العرب، ودعم حديثه بنصوص من أقوالهم، يقول: (وقدامى العرب وإن لم يربطوا ظاهرة التنغيم بتفسير قضاياهم اللغوية، وهم وإن تاه عنهم تسجيل قواعد لها، فإن

---

(١) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٨٨.

(٢) ومن تلك الدراسات:

- الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني، د.عبدالكريم مجاهد.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد.
- أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد عبدالتواب الفيومي.
- الصوت في الدراسات النقدية والبلاغية التراثية والحديثة، د. عبدالحميد زاهيد.
- التنغيم ودلالته في اللغة العربية، د. يوسف عبدالله الجوارنة.
- ظاهرة التنغيم في التراث العربي، هايل محمد طالب.
- التنغيم في التراث العربي، د.عليان الحازمي.

(٣) ومن تلك الدراسات:

- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان.
- من وظائف الصوت اللغوي: محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك.
- في بنية الوقف وبنية اللغة، د. مبارك حنون.
- التنغيم عند ابن جني، د.أحمد البايبي.

(٤) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ٢٠٧، ٢١٣.

(٥) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٨٧.

(٦) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ٢١٢.

ذلك لم يمنع من وجود خطوات ذكية لماحة تعطي إحساساً عميقاً بأنّ رفض هذه الظاهرة تماماً أمر غير وارد وإن لم يكن لها حاكم من القواعد)،[١] ثم قدم قراءة تفسيرية لبعض الأبواب النحوية منطلقاً من تنغيم الكلام، ومنها: النعت، والشرط، والتعجب، والتوكيد، والبدل، واسم الفعل، والتحذير والإغراء، والنداء، والاختصاص، والاستفهام.[٢] وستتضح علاقة هذه الأبواب بالتنغيم في مبحث (وظائف النبر والتنغيم).

وبناء على ما سبق فإنه يمكن القول بأن معظم اللغويين، والنحاة، والبلاغيين قد صرفوا اهتمامهم في التنظير لأصول النحو وقواعده وتعريف العامة بالخطأ والصواب في الميزان النحوي، والأصوات العربية، ومخارج الحروف، وأحكام اجتماعها، وافتراقها، واهتم البلاغيون بفنون البلاغة، وتنوع أحوالها، وتحليل تراكيب الجملة، وحسب علمي فإنه لم يكن لدى أي من العلماء السابقين إلا إشارات متفرقة تهتم بالتنظير - بشكل عام - لتأثير التنغيم الصوتي على الكلام وأثره في تحديد المعنى المراد، أما التنظير الخاص بأبواب معينة وأساليب محددة فهو قليل جدّاً، فلم يهتم البلاغيون - مثلاً - بالتنغيم الذي يميز الخبر عن الإنشاء - خاصة عند حذف الأداة الدالة على الإنشاء - ولا الذي يميز المعاني التي تخرج إليها أنواع الإنشاء (كالأمر، والنهي، والاستفهام)، مع أنهم فصّلوا القول فيها.

ومع وجود شواهد تتطلب الحديث عن التنغيم، وأن سيبويه وابن جني من أشهر العلماء الذين تحدثوا عن الحروف، والأصوات العربية، ومخارجها، وأوصافها، واجتماعها، وافتراقها إلا أن حديثهم عن النبر والتنغيم كان مجرد إشارات عابرة، ولعل السبب في ذلك راجع إلى أمرين: الأول: أن توحيد اللغة كان يفرضُ سَنّ معيارية تركيبية صوتية، ولأجلها عمد النحاة واللغويون إلى إبعاد الاختلافات اللهجية عند العرب، ومنها الظواهر التنغيمية التي كانت تختلف - دون شك - في النغمات الفرعية من قبيلة إلى أخرى. وهذا يعني أن النحاة واللغويين وضعوا قوالب شكلية خالصة لا ينبغي الانحراف عنها. الثاني: أنه نتيجة للأمر الأول لجأ اللغويون والنحاة - مضطرين بسبب عدم قدرتهم على تدوين التنغيم وضبطه - إلى (تكليف) الأدوات النحوية بالإنابة عن الظواهر التنغيمية، فانصهرت تلك الظواهر في الأدوات، فافتقدت الظواهر التنغيمية هويتها وطبيعتها.[٣]

---

(١) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٥٦.

(٢) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٦١ – ١٠٩.

(٣) انظر: في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، د. مبارك حنون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ص: ٣٤.

ولو وجدتْ قواعد معيارية لتأثير الصوت والنغمة في المعنى، وقواعد لتوظيفها لما رأينا من يطالب بضرورة وجود (الواو) في جملة الدعاء: (لا، شافاك الله)؛ لأن المعنى سيفهم بدونها اتكالاً على ما في الجملة من تنغيم الوقفة والاستئناف،[١] كما فهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشكل صحيح مقالة بعض الصحابة له: (لا، يغفر الله لك) التي ذكرتها قبل قليل، وقد وردت في صحيح مسلم.

ومما ناقشه بعض النحاة واللغويين من ظواهر أسلوبية تهتم بتنغيم الكلام بما يخدم المعنى قول عمر بن أبي ربيعة:

أبرزوها مثلَ المهاةِ تهادى ... بينَ خمسٍ كواعبٍ أترابِ
ثم قالوا: تُحبّها، قلتُ: بهراً ... عددَ الرمل والحصى والتراب[٢]

فجملة (تحبها) استفهامية،[٣] لا يتضح الاستفهام فيها إلا بالتنغيم، والتقدير: (أتحبّها؟)، فحذف أداة الاستفهام.

وكذلك قول الكميت الأسدي:

طربتُ وما شوقًا إلى البيض أطربُ ... ولا لعبًا مني، وذو الشيب يلعبُ؟
ولم يُلهني دار ولا رسم منزلٍ ... ولم يتطربني بنانٌ مخضبُ
ولا أنا ممن يزجر الطير همه ... أصاح غرابٌ أم تعرض ثعلبُ[٤]

فجملة (وذو الشيب يلعب) استفهامية،[٥] لا يتضح الاستفهام فيها إلا بالتنغيم، (أي: أذو)، ولا يمكن أن تكون خبرية مثبتة؛ ذلك أن الكميت شاعر شيعي المذهب، وبيته الأول السابق هو مطلع قصيدة له في مدح آل البيت، وقد تضمنت الأبيات الثلاثة ست جمل منفية تعزز أن جملة (وذو الشيب يلعب) استفهامية إنكارية.[٦]

---

(١) انظر: اللغة العربية، معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٧. بتصرف يسير.
(٢) انظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص: ٢٣١.
(٣) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٢٨١.
(٤) انظر: ديوان الكميت بن زيد الأسدي، ص: ٥١٢.
(٥) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٢٨١.
(٦) ومن النحاة واللغويين الذين يرون أن الجملة استفهامية: ابن هشام في: مغني اللبيب: ١ / ٧٦، والسيوطي في: همع الهوامع: ٤ / ٣٦٠.

ومن ذلك أيضًا: تعليق الكسائي وأبي محمد اليزيدي في مجلس هارون الرشيد على قول الشاعر:

لا يكون العيرُ مُهراً لا يكون، المهرُ مهرٌ

قال الكسائي عن قوله: (المهرُ مهرٌ) قد أقوى الشاعر، فضرب اليزيدي بقلنسوته في الأرض، وقال: الشعر صواب، إنما ابتدأ فقال: المهرُ مهرٌ.(١)

وهذا الفهم من اليزيدي ما جاءه إلا بعد أن استخدم الوقف، وأعطى التنغيم حقه في الجملة الأخيرة: (المهرُ مهرٌ) على أنها جملة مستقلة.

وقول جميل بن معمر:

لا، لا أبوح بحبّ بثنة إنها أخذت عليّ مواثقًا وعهوداً (٢)

فالشاعر قال: (لا) جوابًا لسؤال مقدر محذوف، فأعقب جوابه بسكتة، ثم بدأ كلامًا مستأنفًا يتصدره النفي قائلاً فيه: (لا أبوح بحب بثنة، أي: بثينة). وقد جانبَ بعضُ النحاة الصواب حينما جعلوا هذا البيت من شواهد التوكيد اللفظي،(٣) فلم يتوقفوا عند أهمية التنغيم في تفسير النص، فجعلوا (لا) الأولى حرف نفي مؤكداً توكيداً لفظيًّا.

ويعلق د. تمام حسان على وضع البيت ضمن شواهد التوكيد اللفظي بقوله: (فلو اصطنع النحاة لأنفسهم علامات للترقيم لوجد القارئ نقطة للوقف بعد (لا) الأولى، ولأدركوا أن (لا) هذه بنفسها تكون جملة مفيدة يستحسن في تنغيمها أن تقف عليها لتمام الفائدة، ولَمَا تورطوا في اعتبارها حرف نفي مؤكداً توكيداً لفظيًّا... ومن الواضح أن هناك فرقًا بين أن تكون (لا) الأولى حرفًا مؤكداً أو جملة كاملة الإفادة يحسن السكوت عليها، ويتطلب التنغيم في حالة التوكيد وصل الكلام، وفي حالة الجملة المفيدة وقفة واستئنافًا).(٤)

---

(١) انظر: مجالس العلماء، أبو القاسم عبدالرحمن الزجاجي، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص: ١٩٥. وانظر: الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ: ٦ / ٢١٣ – ٢١٤.

(٢) انظر: ديوان جميل بن معمر، تحقيق أمين يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص: ٥٨.

(٣) انظر: همع الهوامع للسيوطي، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار الكتب العلمية: ٢ / ٢٠٨، وانظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين ابن هشام، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت: ٣ / ٣٣٨.

(٤) انظر: اللغة العربية، معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٨.

علماء اللغة والنحو

ومن أصحاب الجهود المتميزة من اللغويين والنحاة الذين ناقشوا شيئًا مما يتعلق بتنغيم الكلام أو نبره من قريب أو بعيد:

سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر (١٨٠هـ)

تنبه سيبويه – في كتابه الكتاب – إلى أهمية التنغيم في خدمة المعنى، وأن التنغيم يحدد المعنى بدقة، وذلك في توجيه بعض الأساليب اللغوية سياقيّا، فقد أكد أن الصوت يُستعمل للتفريق بين المعاني المختلفة للجملة الواحدة، يقول شارحًا بيت جرير:

أعبداً حلّ في شعبى غريبًا   ألؤمًا لا أبا لك واغترابًا

(وأما (عبداً) فيكون على ضربين: إن شئت على النداء، وإن شئت على قوله: أتفتخر عبداً، ثم حذف الفعل)،[١] فنغمة الصوت هي التي تحدد ما إذا كان السياق يتضمن دلالة نداء أو دلالة استفهام. ويرى أن النغمة الصوتية قد تضيف معنى مختلفًا، يقول: (وقد تقول: تاللهِ! وفيها معنى التعجب)،[٢] فمع أنه أسلوب قسم إلّا أن النغمة الصوتية هي التي أضافت إلى الجملة معنى التعجب. كما أن بعض الجمل لا يتحدد معناها إلا بنوعية التنغيم الذي قيلت به، يقول: (وكذلك: ما أنت وعبدُالله، وكيف أنت وعبدُالله، كأنك قلت: ما أنت وما عبدُالله، وأنت تريد أن تحقر أمره، أو ترفع أمره).[٣] فهذه الجملة قد تفيد التحقير أوالتعظيم تبعًا للنغمة التي تقال بها.

وفي موضع آخر يقول سيبويه: (يقول الرجل: أتاني رجلٌ، يريد واحداً في العدد لا اثنين، فيقال: ما أتاكَ رجلٌ، أي: أتاك أكثر من ذلك، أو يقول: أتاني رجلٌ لا امرأة، فيقال: ما أتاك رجلٌ، أي: امرأة أتتك، ويقول: أتاني اليوم رجل، أي: في قوته ونفاذه، فتقول: ما أتاك رجلٌ، أي: أتاك الضعفاء).[٤]

فقد تضمن الكلام السابق عدة تنغيمات صوتية؛ الأولى: تكشف عن العدد، والثانية: عن الجنس، والثالثة: عن صفة الرجل، ولكل جملة نغمة خاصة بها. (فالنغمة الصوتية للعدد هنا مستوية، وهي عادة تكون إخبارية، أي: أنها لا تحمل أيّ خروج عن المعنى الحقيقي للإخبار، سواء أكان استفهامًا، أم تعجبًا، أم سخرية، أم حزنًا...

---

(١) انظر: الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق عبدالسلام هارون: ١ / ٣٣٩.

(٢) انظر: الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق عبدالسلام هارون: ٣ / ٤٩٧.

(٣) انظر: الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق عبدالسلام هارون: ١ / ٣٠١.

(٤) انظر: الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق عبدالسلام هارون: ١ / ٥٥.

وعند دلالة الجملة على الجنس تبدأ درجة الصوت بالصعود من (أتاك) لتستقر على (رجل) وعند هبوط درجة الصوت توحي النغمة بالنوع.[(١)]

كما ناقش سيبويه بعضاً من الظواهر الأسلوبية التي تتضمن تنغيماً للكلام بما يخدم المعنى، وذلك في حديثه عن بعض الأساليب اللغوية، ومنها باب الندبة، يقول: (اعلم أن المندوب مدعو، ولكنه متفجّع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف؛ لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها).[(٢)] وجعل الندبة من مواطن رفع الصوت دلالة على الحزن والضجر، يقول: (والندبة يلزمها (يا)، و(وا)، لأنهم يحتلطون[(٣)] ويدعون ما قد فات وبَعُد عنهم، ومع ذلك أن الندبة كأنهم يترنمون فيها، فمن ثم ألزموها المدّ، وألحقوا آخر الاسم المدّ مبالغة في الترنم).[(٤)]

(إن دراسة ظاهرة التنغيم عند سيبويه تأخذ في الاعتبار أن القرائن اللفظية والمعنوية هي تكامل في النظرية اللغوية القائمة على نظام دقيق يتحكم في تبادل التأثير العلائقي بين مكونات التركيب الأسلوبي).[(٥)]

أبو زكريا الفرّاء (٢٠٧هـ)

يعطي أبو زكريا الفراء في كتابه - معاني القرآن - التنغيم الصوتي الدال على المعنى أهمية في تعليلاته للاختيارات اللغوية، وقد برز ذلك في حديثه عن بعض مواضع الاستفهام والتناسب الصوتي بين الآيات.

فمن ذلك أنه يشرح الاستفهام وما يقابله في الآية للتفريق بينهما، ففي قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٦٣]، يفرق في المعنى بين (أوَ) التي للاستفهام و (أو) العاطفة، يقول: (هذه واو نسق أدخلت عليها ألف الاستفهام كما ندخلها على الفاء، فتقول: أفعجبتم، وليست بـ(أو)، ولو أريد بها (أو) لسكنت الواو).[(٦)] وفي قوله تعالى: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف:١٩] يقول: (نصب الألف من ﴿أَشَهِدُواْ﴾ عاصم والأعمش، ورفعها أهل الحجاز على تأويل: أُشهدوا خلقهم، لأنه لم يسم فاعله، والمعنى واحد، قرؤوا بغير همز يريدون الاستفهام).[(٧)]

---

(١) انظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، نوزاد حسن أحمد، جامعة قار يونس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص: ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٢) انظر: الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق عبدالسلام هارون: ٢ / ٢٢٠.

(٣) يحتلطون: يضجرون ويغضبون.

(٤) انظر: الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق عبدالسلام هارون: ٢ / ٢٣١.

(٥) انظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، نوزاد حسن أحمد، ص: ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٦) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ١ / ٣٨٣.

(٧) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣/ ٣٠.

ويبرز الفرق بين الاستفهام والتعجب - وهو فرق في الأداء والتنغيم - في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧]، بقوله: ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ يكون تعجبًا، ويكون (ما الذي أكفره؟)، وبهذا الوجه الآخر جاء التفسير، ثم عجّبه فقال: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾، ثم فسّر فقال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾.[١]

ويربط بين الاستفهام ومعناه في حديثه عن قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ [الأحقاف:٢٠] - بغير استفهام على قراءة الأعمش، وعاصم، ونافع، وبالاستفهام على قراءة الحسن وأبي جعفر المدني (أأذهبتم) - يقول الفراء: (والعرب تستفهم بالتوبيخ ولا تستفهم، فيقولون: ذهبت ففعلت وفعلت، ويقولون: أذهبت ففعلتَ وفعلتَ، وكل صواب).[٢]

وحدد معنى الاستفهام لإبراز الطريقة المناسبة لأدائه، يقول شارحًا قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١]: (معناه قد أتى على الإنسان حين من الدهر، و(هل) قد تكون جحداً، وتكون خبراً، فهذا من الخبر؛ لأنك قد تقول: فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرره بأنك قد أعطيته ووعظته، والجحد أن تقول: وهل يقدر واحد على مثل هذا؟).[٣]

وأما في التناسب الصوتي بين فواصل الآيات فيقول معلقًا على حذف الياء وذكرها في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر:٤]: (وقد قرأ القرّاء (يسري) بإثبات الياء، و(يسر) بحذفها، وحذفها أحب إليّ لمشاكلتها رؤوس الآيات، ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها).[٤]

ومن أمثلة ذلك حذف الياء في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، قال الفرّاء: (لم يقل ديني لأن الآيات بالنون فحذفت الياء، كما قال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء:٧٩]،[٥] وكذلك إثبات النون في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٦]، جاء إثبات النون عطفًا على (ولا يؤذن) تحقيقًا للنسق الصوتي.[٦]

---

(١) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣ / ٢٣٧.
(٢) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣ / ٥٤.
(٣) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣ / ٢١٣.
(٤) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣ / ٢٦٠.
(٥) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣ / ٢٩٧.
(٦) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣ / ٢٢٦.

ومن أجل التناسب أيضا بين فواصل الآيات يقول الفراء في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]: أضيف المصدر إلى صاحبه (الزلزال إلى الأرض)، لموافقة رؤوس الآيات التي جاءت بعدها.[١]

وقد يفاضل الفرّاء بين القراءات مختاراً أقربها إلى التناسب الصوتي، يقول راوي كتابه عند شرحه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]: سألت الفرّاء، فقال: (الهمزة في كل القرآن إلا سورة الرحمن لأنه مع آيات غير مهموزات).[٢] وكذلك فعل في ترجيح قراءة (ناخرة) على ﴿نَّخِرَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات:١١]، فقد قرأها ابن عباس وأهل المدينة والحسن البصري ﴿نَّخِرَةً﴾، قال الفراء: (وناخرة أجود الوجهين في القراءة؛ لأن الآيات بالألف، ألا ترى أن (ناخرة) مع (الحافرة) و(الساهرة) أشبه بمجيء التنزيل، والناخرة والنخرة سواء في المعنى بمنزلة الطامع والطمع).[٣]

عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)

وفي إشارة متقدمة لتأثير نبرة الصوت وحركات الجسد على المعنى إضافة إلى الألفاظ ذكر الجاحظ أن أصناف الدلالة على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء؛ أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد (وهو الحساب بأصابع اليد)، ثم الخط، ثم الحال الدالة.[٤]

ومن حديث الجاحظ عن أهمية التنغيم الصوتي ودلالته على المعنى، يقول: (والصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظًا، ولا كلامًا موزونًا، ولا منثوراً إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة باليد والرأس، وحسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدّل، والشكل، والتفتل، والتثني... وغير ذلك من الأمور).[٥]

وهذا يؤكد أهمية القطع والوصل (التقطيع في نطق الكلام) بين الجمل التركيبية وأثر ذلك في الإبانة عن دلالة السياق من خلال التقطيع والتأليف، وهذه الإشارة إلى أهمية التنغيم في الحدث الكلامي تنمّ عن فهم دقيق لأصول الإدراك الذهني في عملية التواصل الدلالي بين المرسل والمتلقي.[٦]

---

(١) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣ / ٢٨٣.
(٢) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣ / ١١٦.
(٣) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣ / ٢٣١ – ٢٣٢.
(٤) انظر: البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ: ١ / ٧٦.
(٥) انظر: البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ: ١ / ٧٩.
(٦) انظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير العزاوي، ص:٤٧.

كما تحدث الجاحظ عن تأثير الأصوات في المخلوقات فقال: وأمر الصّوت عجيب وتصرّفه في الوجوه عجب، فمن ذلك أنّ منه ما يقتل كصوت الصاعقة، ومنه ما يسرّ النفوس حتى يفرط عليها السّرور؛ فتقلق حتى ترقص، وحتّى ربما رمى الرّجل بنفسه من حالق،[١] وذلك مثل هذه الأغاني المطربة، ومن ذلك ما يكمد، ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه، كنحو هذه الأصوات الشجية، والقراءات الملحّنة، وليس يعتريهم ذلك من قِبَل المعاني؛ لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم. وقد بكى ماسرجويه[٢] من قراءة أبي الخوخ، فقيل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدّق به؟ قال: إنما أبكاني الشجا![٣] وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال.

وأضاف الجاحظ: والدواب تصرّ[٤] آذانها إذا غنى المكاري، والإبل تصرّ آذانها إذا حدا في آثارها الحادي، وتزداد نشاطًا وتزيد في مشيها، ويجمع بها الصيادون السمك في حظائرهم التي يتخذونها له، وذلك أنهم يضربون بعصي معهم ويعطعطون،[٥] فتقبل أجناس السمك شاخصة الأبصار مصغية إلى تلك الأصوات حتى تدخل في الحظيرة، ويضرب بالطساس للطير وتصاد بها، ويضرب بالطساس للأسد وقد أقبلت فتروعها تلك الأصوات.

وقال صاحب المنطق: الأيائل تصاد بالصفير والغناء، وهي لا تنام ما دامت تسمع ذلك من حاذق الصوت، فيشغلونها بذلك، ويأتون من خلفها، فإن رأوها مسترخية الآذان وثبوا عليها، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سبيل، والصفير تسقى به الدواب الماء، وتنفّر به الطير عن البذور.[٦]

ولا يعني هذا أن المعنى غير مؤثر على البشر، بل إنه منطلق التأثير ومكونه الأقوى والسبب الأهم في حدوث الصوت، وتتأكد هذه القاعدة حينما يكون المعنى قرآنيًا معجزاً ... ولكن الصوت - أيضًا - يُحدث تأثيراً قويًا في النفوس، ولذلك أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نبيه بترتيل القرآن وأمرنا نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتغني به.

---

(١) الجبل المرتفع.

(٢) طبيب وفيلسوف عراقي يهودي نقل إلى العربية عدداً من كتب الطب.

(٣) قد لا يكون كلامه دقيقًا، فتأثير معاني القرآن الكريم قوي على النفس البشرية، حتى ولو كان الإنسان غير مسلم، أو أن أبا الخوخ هذا قد خرجت تلاوته من التعبير عن المعاني القرآنية إلى التحزين والتطريب.

(٤) تنصب أذنيها للاستماع.

(٥) تتابع أصواتهم وتختلط.

(٦) انظر: الحيوان، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٥هـ الطبعة الثانية: ٤ / ١٩١-١٩٣.

أبو عبدالله الحسين بن خالويه (٣٧٠هـ)

اهتم ابن خالويه في كتابه: (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) بدراسة التركيب القرآني بناءً، ومعنى، واستعمالًا لغويًا، واشتقاقًا، وإعرابًا مدعمًا ذلك بالشواهد المناسبة.

وأكثر المسائل التي أخذت مساحة واسعة في الأهمية عنده خروج بعض الأساليب اللغوية عن معناها الأصلي، ومن ذلك:

خروج الاستفهام إلى معنى التقرير في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى:٦]، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١]، وقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ [العلق:٩-١٠]، وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين:٨].(١)

وخروج الاستفهام إلى معنى التعجب في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة:١-٢] وقوله: ﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:١-٢]،(٢) والأظهر أن معنى الاستفهام في الآيات للتعظيم والتهويل.

وخروج الاستفهام إلى معنى التوبيخ في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد:٥]، وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد:٨]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات:٩].(٣)

وخروج الاستفهام إلى معنى التوكيد بـ(قد)، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية:١]،(٤) والأظهر أن معنى الاستفهام في الآية التقرير والتذكير.

وخروج النداء إلى معنى التعجب، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤]، قال ابن خالويه: (يا حرف نداء، ليتني حرف تمنّ، فإن قيل لك: لمَ نادى (ليت)، وإنما ينادى من يعقل؟ فالجواب في ذلك أن العرب تقول عند التعجب وعند الأمر الشديد تقع فيه: يا حسرتا، ويا عجبًا، فيكون أبلغ من قولك: العجب من هذا، (وما أعجب هذا)، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس:٣٠].(٥)

---

(١) انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، ص: ١١٩، ١٢٤، ١٣٨، ١٣٢ على الترتيب.

(٢) انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، ص: ٩١.

(٣) انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، ص: ٩١، ٩٠، ١٥٩ على الترتيب.

(٤) انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، ص: ٦٤، ٦٥ على الترتيب.

(٥) انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، ص: ٨٤. ومعاني الاستفهام التي ذكرها لبعض الآيات غير دقيقة، انظر: مبحث الاستفهام.

أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)

يُعدّ ابن جني من أهم العلماء اللغويين الذين اهتموا بالأصوات اهتمامًا كبيراً في كتابيه: (سر صناعة الإعراب)، و(الخصائص)، يؤصل، ويحلل، وينظر، ويطبق، هذا مع اهتمامه بالتراكيب والدلالة والمعنى.

وقد ناقش قضايا كثيرة ومتنوعة في باب الأصوات ومعانيها، ودلالة الصوت على المعنى وأهميته في إيصال المعنى المراد.

يقول في مسألة التعويض بالتنغيم عن كلمة محذوفة: (وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب[١] من قولهم: سير عليه ليلٌ، وهم يريدون: ليلٌ طويلٌ، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لمَا دلّ من الحال على وضعها، وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم[٢] ما يقوم مقام قوله: (طويل) أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً، فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي: رجلاً فاضلاً، أو شجاعًا، أو كريمًا، أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانًا، وتمكّن الصوت بإنسان، وتفخمه، فيستغنى بذلك عن وصفه بقولك: إنسانًا سمحًا، أو جواداً، أو نحو ذلك، وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق، قلت: سألناه وكان إنسانًا، وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا، أو لحزاً، أو مبخلاً، أو نحو ذلك).[٣]

فقد استطاع ابن جني أن يوظف التنغيم في الدلالة، فهذا التمطيط وهذه الإطالة والتلوينات الصوتية (التطويح والتطريح ...) تغني عن التصريح بصفات المذكور في مدحه، وتسد مسد التلفظ بالصفة (طويل) والتصريح بها، وهي أبلغ في الدلالة من التصريح بالأوصاف.[٤]

إن الكلام السابق لابن جني يشير إلى ما يسمى (فن أداء الكلام)، وموجزه أن الكلام الصحيح هو ما جاء بنغمات مختلفات منتظمة لظواهر صوتية أخرى من نبر وتطريز وتفخيم لبعض الأصوات أو المقاطع وفقًا للمقصود وطبقًا لمقتضى الحال.[٥]

(١) يقصد: سيبويه. انظر: الكتاب (كتاب سيبويه): ١ / ٢٢٠ وما بعدها.
(٢) التطويح والتطريح عند ابن جني هما (التنغيم)، انظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، د. أحمد البايبي: ١ / ١٤٩.
(٣) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٣٧٠-٣٧١.
(٤) انظر: الدلالة اللغوية عند العرب، عبدالكريم مجاهد، ص: ١٧٧.
(٥) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٥١.

ويفصّل ابن جني القول في خروج أسلوب الاستفهام إلى التعجب ثم إلى الخبر، وتحول الخبر بعد دخول همزة الاستفهام التقريري عليه إلى خبر منفي، يقول: (لفظ الاستفهام إذا ضامّه معنى التعجب استحال خبراً، وذلك قولك: مررتُ برجلٍ أيّ رجل؛ فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهماً، وكذلك: مررتُ برجل أيما رجل! لأنّ (ما) زائدة، وإنما كان كذلك؛ لأن أصلَ الاستفهام الخبر، والتعجب ضرب من الخبر، فكأن التعجب لمّا طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى أصله من الخبرية).[١] فالتنغيم هو الوسيلة التي تكشف تحول المعنى من الاستفهام إلى الخبر، ويدخل في ذلك الاستفهام الذي خرج إلى معاني النفي أو التحقيق أو غيرها، فإن تلك المعاني يدركها المستمع بالتنغيم مع أن الأسلوب استفهامي.

ويضيف: (ومن ذلك - أي: من تحول الأساليب إذا دخل عليها غيرها - لفظ الواجب إذا لحقته همزة التقرير عاد نفياً، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجاباً، وذلك كقول الله سبحانه: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:١١٦]، أي: ما قلت لهم، وقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس:٥٩]، أي: لم يأذن لكم، وأما دخولها على النفي فكقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]، أي: أنا كذلك، وقول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا

أي: أنتم كذلك، وإنما كان الإنكار كذلك؛ لأن منكر الشيء إنما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضده، فلذلك استحال به الإيجاب نفياً والنفي إيجاباً).[٢]

وقد أشار ابن جني إلى تنغيم الصوت ونبر الكلام وأهميتهما في نقل المعنى، وما يحمل الكلام من عواطف وانفعالات، فقد وضع ابن جني باباً للفصل بين الكلام والقول شارحاً استعمال الشعراء لمصطلح (الكلام) للدلالة على الجمل التوامّ بقوله: (ومما يؤنسك بأن الكلام إنما هو للجمل التوام دون الآحاد أن العرب لما أرادت الواحد من ذلك خصته باسم له لا يقع إلا على الواحد، وهو قولهم: (كَلِمة) وهي حجازية، و(كِلْمة) وهي تميمية، ويزيدك في بيان ذلك قول كثير:

لو يسمعون كما سمعتُ كلامَها   خَرُّوا لعَزَّةَ رُكَّعاً وسُجُوداً

ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو ولا تُحزن، ولا تتملك قلب المستمع، إنما ذلك فيما طال من الكلام، وأمتع سامعيه بعذوبة مستمعه ورقة حواشيه... وقد أكثر الشعراء في هذا الموضع حتى صار الدال عليه كالدال

(١) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ٣/ ٢٦٩.
(٢) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ٣/ ٢٦٩.

على الشاهد غير المشكوك فيه، ألا ترى إلى قوله:

وحديثُها كالغيثِ يَسْمَعُهُ ... راعي سِنين تتابعتْ جَدْبا

فأصاخَ يرجو أن يكون حَيًا ... ويقولُ من فَرَحٍ هَيا ربّا

يعني: حنين السحاب وسَجْره، وهذا لا يكون عن نبرة واحدة، ولا رزمة مختلسة، إنما يكون مع البدء فيه والرجع، وتثنّي الحنين على صفحات السمع).[١]

فقوله: (وهذا لا يكون عن نبرة واحدة...) يعني بكلمة (هذا) الشجو، والطرب، والاستحسان، والاستعذاب لحديثها، (لا يكون عن نبرة واحدة)، أي: لا يكون عن كلمة واحدة منبورة، (ولا رزمة مختلسة)، أي: ولا يكون عن مجموعة أصوات أو كلمات مختلسة، أي: لم تنبر؛ ذهب فيها بعض الصوت وبقي بعضه، وإنما يكون مع مدّ الصوت وترديده، ومع النطق بكلمات متوالية منبورة، وبهذا ينتج الانسجام الصوتي عن تعاقب النبرات. ومما يستنتج أن ابن جني لم يدرك النبر لفظًا فحسب، وإنما استوعب معناه وأثره؛ حيث عدّ النبر عملية تدرك بالسمع في صورة ضغط على كلمة أو جزء من كلمة، وبتوالي النبرات (أي: التثني) في السلسلة الكلامية يتحصل الإيقاع في شكل شجو وطرب. ويمكن ملاحظة عدة أمور في كلامه، منها:

١. أنه ربط النبرة بالكلمة، وأن النبرة لا تتم في الكلمة إلا مرة واحدة، وما ينبر هو أهم جزء فيها.

٢. أنه قابل بين النبرة والاختلاس.

٣. أن النبرة تأتي بالتأني في النطق بالأصوات ووضوحها في السمع، والاختلاس ذهاب بعض الصوت.

٤. أن النبر يُبرز الأصوات المتتابعة في السمع متثنية متموجة؛ نتيجة علو الصوت ورفعه ببعضها دون بعض.

٥. أن السمع أساس في إدراك النبرة والوقوف عليها.

٦. أن توالي النبرات في الكلام والجمل هو الذي يكون عنه الشجو، والطرب، والاستحسان، ولا يكون عن كلمة واحدة منبورة، ولا عن مجموعة كلمات لم تنبر.[٢] وما يحدث من شجو، وطرب يكون بسبب النبر والتنغيم معًا، وليس بسبب أحدهما.

---

(١) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ١ / ٢٧ – ٢٩.

(٢) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٨٢-١٨٥.

وفي أثناء مناقشات ابن جني للقراءات الشاذة في كتابه: (المحتسب) اهتم بتحليل الجوانب الصوتية وتأثيرها على المعنى مؤكداً أن الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت.(١)

ومن ذلك تعليقه على قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥]، يقول:

(قالوا في تفسيره: هو كقولك: لا والله، وبلى والله، فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبت فيه والإشباع له والمماطلة عليه من قول الهذلي:

فـوالله لا أنسى قتيلاً رُزئته   بجانب قوسي ما مشيتُ على الأرضِ

أفلا ترى إلى تطعّمك هذه اللفظة في النطق هنا بها، وتمطّيك لإشباع معنى القسم عليها؟ وكذلك أيضًا قد ترى إلى إطالة الصوت بقوله من بعده:

بلى إنها تعفو الكلومُ وإنما   نُوكّلُ بالأدنى وإن جل ما يمضي

أفلا تراه لما أكذبَ نفسه، وتدارك ما أفرط فيه لفظه أطال الإقامة على قوله: (بلى) رجوعًا إلى الحق عنده، وانتكاثًا عما كان عقد عليه يمينه؟ فأين قوله هنا: (فوالله)، وقوله: (بلى) منهما في قوله: (لا والله، وبلى والله)، وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة:٨٩] أي: وكدتموها وحققتموها، وإذا أوليت هذا أدنى تأمل عرفت منه وبه ما نحن بسبيله وعلى سمته).(٢)

إن هذا النص يكشف عن عمق تصور ابن جني للتنغيم ودوره في تشكيل الخطاب وإدراكه لوظيفته التأثيرية؛ فطول الإقامة على (بلى) تعني الرجوع إلى الحق والانتكاث عما كان عقد عليه يمينه، فهي إذاً توبة وندم في حين أن السرعة في نطق اسم (الله) في القسم هو من اللغو في الأيمان، والله لا يؤاخذ عليه، فالتنغيم يؤدي هنا دوراً خطيراً في المجال الشرعي حيث يترتب عليه الجزاء. أما التهاون والتثاقل والتعبير عن عدم الاهتمام بالشيء فيفهم عن العرب إذا ما أخبرت عن الشيء غير معتمدته ولا معتزمة عليه، أي: تُسرع في أدائه.(٣)

كما ذكر أن بعض العرب يعتمدون على الحكاية، ولا يعربون الكلمة حفاظًا على علاقة صحيحة للصوت بالمعنى، يقول ابن جني: (فإن العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى، ألا ترى

(١) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٢١٠.
(٢) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٢٠٩.
(٣) انظر: التنغيم عند ابن جني، د. أحمد البايبي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، السنة (١١)، العدد (٤١) أبريل ٢٠٠٣، ص: ٨.

إلى أن أقوى اللغتين - وهي الحجازية - في الاستفهام عن الأعلام نحو قولهم فيمن قال: مررت بزيد - مَن زيدٍ؟ فالجرّ حكاية لجر المسؤول عنه، فهذا مما احتمل فيه إضعاف الإعراب لتقوية المعنى، ألا ترى أنه لو ركب اللغة التميمية طلباً لإصابة المعنى فقال: مَن زيدٌ؟ لم يضِحْ من ظاهر اللفظ أنه إنما يسأل عن زيد هذا المذكور آنفًا، ولم يُؤمَن أن يُظن به أنه إنما ارتجل سؤالاً عن زيد آخر مستأنفًا).(١)

وفي استطراد منه ذكر قصة كان للتنغيم فيها مخرج لامرأةٍ أمام القاضي، يقول:(وعلى ذكر طول الأصوات وقصرها لقوة المعاني المعبر بها عن وضعها ما يحكى أن رجلاً ضرب ابنًا له، فقالت له أمه: لا تضربه، ليس هو ابنك؛ فرافعها إلى القاضي، فقال: هذا ابني عندي، وهذه أمه تذكر أنه ليس مني، فقالت المرأة: ليس الأمر على ما ذكره، وإنما أخذ يضرب ابنه، فقلت له: لا تضربه ليس هو ابنك [ابناك]، ومدّت فتحة النون جدّاً، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل).(٢)

فما فهمه الأب من تنغيم جملة (ليس هو ابنك) رفضته زوجته أمام القاضي، مدعية أن تنغيمها للجملة جاء بمدّ فتحة النون (فأصبحت ألفا «ابناك»)، وأنها مطلتْ الصوت بها، فأنكر الرجل حصول هذا التنغيم منها، وقال: (والله ما كان هذا الطويل الطويل)، وربما أنها سكتت سكتة تنغيمية بعد (هو)، أي: ليس هو من فعل ما تضربه لأجله، ثم استأنفت كلامًا جديداً، فقالت: (ابناك)، وأطالت فتحة النون في (ابنك) فأوجدت ألفًا بسبب علو صوتها الرافض للضرب، وكأنها تقصد: إنه ابنك فلا تضربه هذا الضرب الشديد. ويُتوقع في مثل هذه المواقف الانفعالية التي تتطلب التدخل بسرعة أن يختل الكلام، ويضطرب نطق الكلمات. وبهذا تتبين الخطورة الدلالية للتنغيم؛ إذ يوازي عبارات كاملة، وتترتب عليه أحكام ومواقف خاصة إذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم.(٣)

عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ)

درس عبدالقاهر الجرجاني النظم في اللغة العربية والقرآن الكريم في كتابه: دلائل الإعجاز، وأشار إلى أهمية التنغيم وانسجام الصوت مع المعنى وأثره في دلالة السياق، ففي حديثه بأن تزايد الألفاظ لا يكون إلا عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النحو وأحكامه، يقول: (ومحال أن يكون اللفظ له صفة تستنبط بالفكر ويستعان عليها بالروية اللهم إلا أن تريد تأليف النغم).(٤)

---

(١) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٢١١.

(٢) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٢١٠.

(٣) انظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، د. أحمد البايبي: ١ / ٢٧٠.

(٤) انظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص: ٣٩٥.

كما تحدث الجرجاني عن الاستفهام وخروجه إلى معانٍ مختلفة، وهذا من الجوانب التي يقوم فيها تنغيم الكلام بمهمة جلية في إيصال المعنى للمستمعين، ومن ذلك تعليقه على الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء:٦٢] بأنه استفهام تقريري دل على توبيخ فاعله، ثم قال:(واعلم أن الهمزة فيما ذكرنا تقرير بفعلٍ قد كان، وإنكارٌ له لمَ كان؟ وتوبيخٌ لفاعله عليه).[١]

كما استشهد للاستفهام الإنكاري بقول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

قال: (فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل، وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه... ومثله أن يطمع طامع في أمر لا يكون مثله، فتجهِّله في طمعه... ومنه قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود:٢٨]،[٢] ثم قال مفسراً الجوانب النفسية لتأثير الاستفهام الإنكاري على المستمع: (وكل ذلك ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع ويعيى بالجواب، إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل ما لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: افعل، فيفضحه ذلك، وإما لأنه همّ بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ، وإما لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه).[٣]

أبو البقاء بن يعيش النحوي (٦٤٣هـ)

ذكر ابن يعيش في كتابه: (شرح المفصل) أن الندبة يُحتاج فيها للترنم؛ لتظهر وتعرف بأنها ندبة، يقول: (اعلم أن المندوب مدعو؛ لذلك ذكر مع فصول النداء، لكنه على سبيل التفجّع، فأنت تدعوه، وإن كنت تعلم أنه لا يستجيب، كما تدعو المستغاث به وإن كان بحيث لا يسمع كأنك تعده حاضراً، وأكثر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهن، وقلّة صبرهن، ولما كان مدعواً بحيث لا يسمع أتوا في أوله بـ(يا) أو (وا) لمدّ الصوت، ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخراً للترنم).[٤]

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص: ١١٣، ١١٤.
(٢) انظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص: ١١٧.
(٣) انظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص: ١١٩ – ١٢٠.
(٤) انظر: شرح المفصل، أبو البقاء بن يعيش: ١ / ٣٥٨.

الفلاسفة

للفلاسفة رأي في مفهوم النغم، ويبدو أنه يدل عندهم على شيئين: على النغم إذا تعلق الأمر بالمفردات، وعلى التنغيم (ويطلقون عليه اللحن أيضـًا) إذا كانوا يتحدثون عن الأقوال.[١] وقد تعرض عدد من الفلاسفة للتنغيم، وذكروه بمصطلحه وتحدثوا عن مواضعه، ومنهم:

أبو نصر الفارابي (٣٣٩هـ)

يرى الفارابي أن التنغيم في مفهومه البسيط هو: (صوت لابث زمانـًا واحداً محسوسـًا ذا قدرٍ في الجسم الذي فيه يوجد).[٢] وفي موضع آخر يشير إلى كيفية حدوث التنغيم وما يحدث من تغييرات في تنغيم الكلام، فأما ما يتعلق بكيفية حدوث التنغيم للحروف المتفاوتة فيقول: (إن النغمة إذا أردنا أن نمدها فلا بد من تطويل الحرف القصير، فيصير ذلك الحرف القصير كأنه طويل، والنغمة التي تبتدئ من غير المصوت تمتد مقترنة بالمصوت الطويل الذي هو رديف غير المصوت... فمتى كان غير المصوت ساكنـًا وجعلناه بداية نغمة، فلا بد من تحريك ذلك الساكن وتطويل المصوت القصير).[٣]

وأما عن التغييرات التي تحدث في التنغيم فيقول: يلحق النغم تغييرات منها أن تخالف في الشِّدَّة واللين، أو في التقصير والتمطيط... وقد يلحقها تغيرات في أنفس النغم وذلك بالإبدالات، فإنه متى كان حق مكانٍ في الجزء الثاني مثلاً أن تكون فيه نغمة حادة، فتبدل مكانها نغمة ثقيلة، أو ثقيلة فتبدل مكانها نغمة حادّة... وهذا التغيير يمكن أن يلحق الأجزاء كلها.[٤]

كما تحدث الفارابي عن تنغيم الكلام ودلالته على ما في النفس من انفعالات وحالات مشيراً إلى الوظيفة الدّلالية للتنغيم، يقول: (ومن فصول النغم الفصول التي بها تصير دالة على انفعالات النفس، والانفعالات عوارض النفس، مثل: الرحمة، والقساوة، والحزن، والخوف، والغضب، واللذة، والأذى، وأشباه هذه، فإن الإنسان له عند كل واحد من هذه الانفعالات نغمة تدل بواحد منها على عارض من عوارض نفسه، وهذه إذا استعملت خيلت إلى

---

(١) انظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، د. أحمد البايبي: ١ / ١٦٣.

(٢) انظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق وشرح غطاس عبدالملك خشبة، مراجعة وتصدير د.محمد أحمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص: ٢١٤.

(٣) انظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة، ص: ١٠٩٨ – ١٠٩٩.

(٤) انظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة، ص: ١١٥٨ – ١١٥٩.

السامع مع تلك الأشياء التي هي دالة عليها).[١] ويقول أيضاً: (النغم الانفعالية هي بالجملة ثلاثة أصناف، منها ما يكسب الانفعالات التي تنسب إلى قوة النفس، مثل: العداوة، والقساوة، والغضب، والتهور، وما جانس ذلك، ومنها التي تكسب الانفعالات التي تنسب إلى ضعف النفس، وذلك مثل: الخوف، والرحمة، والجزع، والجبن، وما أشبه ذلك، ومنها التي تكسب المخلوط من كل واحد من هذين الصنفين، وهو التوسط).[٢]

ولمّا كان التنغيم ظاهرة لغوية أدائية فقد حاول الفارابي تحديد بعض وظائفه، وذكر منها: تحسين الصوت، وإثارة الخيال، وإثارة الانفعال، وتعميق الفهم، يقول: (وسائر الأحوال الأخر أربعة: منها ما يفيد السامع اللذاذة وأنق المسموع، ويكسب اللحن بهاءً وزينة، ومنها ما يوقع في النفس تخيلات أشياء على نحو من التخيلات التي لخص أمرها، ومنها ما يكسب الإنسان انفعالات النفس، مثل: الرضا، والسخط، والرحمة، والقساوة، والخوف، والحزن، والأسف، وما جانس ذلك، والرابع: هو الذي يكسب الإنسان جودة الفهم لما تدل عليه الأقاويل التي قرنت حروفها بنغم).[٣] قلتُ: ومن أجل الوظيفة الرابعة جاءت هذه الموسوعة تحقيقاً لجودة فهم الكلام المسموع.

أبو علي بن سينا (٤٢٧هـ)

يؤكد أبو علي بن سينا أن الكلام يتشكّل من الحروف وممّا يقترن بالكلام من هيئة، ونغمة، ونبرة.[٤] ويقول في حديثه عن الخطابة: (إن للنغم مناسبة ما مع الانفعالات المختلفة والأخلاق، فإن الغضب تنبعث منه نغمة بحال، والخوف تنبعث منه نغمة بحال أخرى، وانفعال ثالث تنبعث منه نغمة بحال ثالثة، فيشبه أن يكون الثقل والجهر يتبع الفخامة، والحاد المخافت فئة تتبع ضعف النفس. ومن أحوال النغم: النبرات، وهي هيئات في النغم مَدّية غير حرفية، يبتدأ بها تارة، وتتخلل الكلام تارة، وتعقب النهاية تارة، وربما تكثر في الكلام، وربما تقلل، ويكون فيها إشارات نحو الأغراض، وربما كانت مطلقة للإشباع، ولتعريف القطع، ولإمهال السامع ليتصور، ولتفخيم الكلام، وربما أعطيت هذه النبرات بالحدة والثقل هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل إنه متحير أو غضبان، أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تضرع أو غير ذلك، وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها، مثل أن النبرة قد تجعل الخبر استفهاماً، والاستفهام تعجباً وغير ذلك).[٥]

(١) انظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة، ص: ١٠٧١.
(٢) انظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة، ص: ١١٧٩.
(٣) انظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة، ص: ١١٧١.
(٤) انظر: الخطابة، أبو علي بن سينا، تحقيق محمد سليم سالم، وزارة المعارف، القاهرة، ١٩٥٤، ص: ٦٧، ١٩٧.
(٥) انظر: الخطابة، أبو علي بن سينا، ص: ١٩٧-١٩٨.

وتدور أهمية كلام ابن سينا السابق على أمور، منها:

١. أنه فسر مراده بالنبر بقوله: هيئات في النغم مَدِّية غير حرفية... فهو إذن أداء مصاحب للكلام، تصاحبه نغمات خاصة؛ لأن كل نوع من أنواع النبرات تصاحبه نغمة تناسبه، كما يقول المحدَثون.(١)

٢. أنه يؤكد علاقة النبر بالتنغيم، وهو موافق لما يقوله المحدَثون، قال فندريس: (ونقصد بالنبر هنا نبر الارتفاع، أي: النغمة).(٢) ويصرح بعضهم بأن من أنواع النبر ما يسمى بـ (النبر النغمي) وهو الناتج عن ارتفاع النغمة.(٣)

٣. أنه تضمن ربطًا للتنغيم بالدراسة النحوية، حينما نبه أن الأساليب تتغير بسبب التنغيم، وتختلف به المعاني، ويشار به إلى الأغراض.

٤. أنه نبه إلى وظائف التنغيم، ومصادره، بوصفه جزءاً من أجزاء لغة التخاطب.

٥. أن فيه دليلاً على أن النبر والتنغيم من جملة الأوضاع الصوتية المعروفة في التراث العربي، خلافًا لما يذكره بعض المحدثين من أن العرب لا يعرفون التنغيم والنبر، وأن اللغة العربية ليست لغة تنغيم ونبر.(٤)

أبو منصور بن زيلة (٤٤٠هـ)

تحدث ابن زيلة عن تنوع النغمات وعلاقاتها بالحالات، فقال: (الانتقال إلى النغمة الحادة يحاكي شمائل الغضب، والانتقال إلى الثقيلة يحاكي شمائل الحلم والدراية، والانتقال إلى هبوط يتدارك بصعود راجع يعطي

(١) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٨.

(٢) انظر: اللغة، ج فندريس، ترجمة عبدالحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤، ص: ١٠٩.

(٣) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٨.

(٤) ممن قال ذلك: المستشرق الألماني برجسترس في كتابه (التطور النحوي للغة العربية، ص: ٧٢) – وهو كتاب مليء بالطعن في العربية، وهنري فليش في كتابه (العربية الفصحى، ص: ٤٩)، وتأثر بهما بعض من الصوتيين العرب، مثل: عبدالرحمن أيوب كما في (محاضرات في اللغة، ص: ١٤٥)، والطيب البكوش، كما في (التصريف العربي، ص:٧٨)، كلاهما نقلاً عن (النبر وبعض ظواهره في القراءات القرآنية. ولاء صادق محسن، في مجلة الرسالة الإسلامية، العدد (٢٣٧)، شعبان ١٤١٠هـ) وكذلك: رمضان عبدالتواب، إذ يقول: (ولم يعالج أحد من القدماء شيئًا من التنغيم ولم يعرفوا كنهه)، (المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص: ٣٧١)، ومحيي الدين عبدالرحمن في مقال له بعنوان: (هل في العربية الفصيحة تنغيم، ص:٦٢)، (مجلة اللسان العربي، العدد (٥٢)، رمضان ١٤٢٢هـ). انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٨، حاشية رقم: (٦).



النفس همة شريفة مقوية مع شجاً مخيل، وضدها يعطي هيئة لذيذة مائلة إلى الحق مع شجا)،[١] ويضيف: (أفضل الانتقالات في تركيب النغم هو الانتقال المحدث للسرور، وهو الذي يكون فيه من ثقل النغمات إلى حدتها، فيتبعه انتقال الصوت من خفض إلى رفع، وأما ما أشبهه فهو الذي يكون الانتقال فيه من حدة النغمات إلى ثقلها، فيتبعه انتقال الصوت من رفع إلى خفض، ومنها انتقالات في تركيب النغم تحدث السخاء، وأخرى تحدث الشجاعة، وأخرى تحدث الحمية والألفة، وأخرى تميل بالنفس إلى القوة، وأخرى تميل بها أضداد هذه الشمائل).[٢]

أبو الوليد محمد بن رشد (٥٩٥هـ)

ويرى ابن رشد (أن عادة العرب في النغم قليلة. والنغم إنما تحدث إما مع المقاطع الممدودة، أو مع المقاطع المقصورة، فلا يستعملون فيها النبرات والنغم إذا كانت في أوساط الأقاويل، وأما إذا كانت في أواخر الأقاويل فإنهم يجعلون المقطع المقصور ممدوداً، فإن كانت فتحة أردفوها بألف، وإن كانت ضمة أردفوها بواو، وإن كانت كسرة أردفوها بياء، وذلك موجود في نهايات الأبيات التي تسمى عندهم القوافي. وقد يمدون المقاطع المقصورة في أوساط الأقاويل إذا كانت بعض الفصول الكبار تنتهي إلى مقاطع مقصورة في أقاويل جعلت فصولها الكبار تنتهي إلى مقاطع ممدودة، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب:١٠]، وبالجملة إنما يمدون المقطع المقصور عند الوقف).[٣] وقوله: عادة العرب في النغم قليلة كلامٌ ناقص وغير دقيق، فقد ذكر اللغويون والفلاسفة ممن سبقه كلاماً مهماً ودقيقاً عن النبر والتنغيم.

ثانياً: مكانة النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم

(الفقهاء، وعلماء التجويد والقراءات وعلوم القرآن)

تحدث عدد من الفقهاء وكثير من علماء التجويد والقراءات وعلوم القرآن عن مكانة النبر والتنغيم في أداء القرآن الكريم، وتأثيرهما على كمال الأداء، وإيصال معنى الآيات المقروءة، وهذه بعض الإشارات والوقفات في تنغيم أداء القرآن الكريم للفقيه أبي الليث السمرقندي، ولعدد من أشهر علماء التجويد والقراءات وعلوم القرآن.

(١) انظر: الكافي في الموسيقى، أبو منصور بن زيلة، تحقيق زكريا يوسف، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤، ص: ٤٣. وانظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، د. أحمد البايبي: ١ / ١٦٣، وما بعدها.

(٢) انظر: الكافي في الموسيقى، أبو منصور بن زيلة، ص: ٦٥. وانظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، د. أحمد البايبي: ١ / ١٦٤.

(٣) انظر: تلخيص الخطابة، أبو الوليد محمد بن رشد، تحقيق د.عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، بيروت، ١٩٥٩، ص: ٢٨٦-٢٨٧.

الفقهاء

أبو الليث السمرقندي (٣٧٣هـ)

علق الفقيه أبو الليث السمرقندي برأي عن تنغيم الكلام تعليقاً منه على ما ثبت في الصحيح من أنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد أمر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يقرأ القرآن على أُبيّ بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فعنْ أنسِ بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُبيّ: (إن اللّه أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال أبيّ: آللهُ سمّاني لك؟، قال: الله سمّاك لي، فجعل أُبيّ يبكي). قال قتادة: فأنبئت أنه قرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾.(١) قال أبو الليث السمرقندي (٣٧٣هـ): (وأما الحكمة في أمره تعالى بالقراءة على أُبيّ فهو أن يتعلم، أي: ألفاظه، وصيغة أدائه، ومواضع الوقوف، وصيغ النغم، فإن نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره، ولكل ضرب من النغم أثر مخصوص في النفوس، فكانت القراءة عليه ليُعَلِّمَه، لا ليتعلم منه).(٢)

علماء التجويد والقراءات وعلوم القرآن

مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)

ذكر مكي بن أبي طالب موضوع النبر والتنغيم في كتابه: (تمكين المد)؛ حيث ردّ على من يقول بأن المدّ - عند اجتماع همزتين - كما في (آمن) و(آتى) يجعل الكلام استفهاماً وليس خبراً، مثل قراءة ورش عن نافع(٣) لقوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة:٦]، وقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:١١٦]، وغيرها. وخلاصة رأيه أن المدّ يأتي في جملة الخبر كما يأتي في جملة الاستفهام، وأن إشباع المدّ وعدمه يختلف من موضع إلى آخر، ولا يصح أن يقال بأن المدّ - عند اجتماع همزتين - يجعل الكلام استفهاماً، ويخرجه من كونه خبراً.(٤) ومما ذكر في ذلك أن من مواضع الاستفهام في كتاب الله عز وجل ما هو غير ممدود، كقوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [سبأ:٨]، ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥]، ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ [المنافقون:٦]... وشبهه كثير غير ممدود، ولفظه لفظ الاستفهام، فليس المدّ من شرط الاستفهام، ثم ذكر أن في القرآن أخباراً ممدودة قدر ألفين، كقوله

---

(١) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب (التفسير)، ٩٨ سورة (لم يكن)، برقم: (٤٩٦٠).

(٢) انظر: بستان العارفين (طبع مع كتاب: تنبيه الغافلين)، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي الفقيه الحنفي، ص: ١ / ٣١٩.
https://ketabonline.com/ar/books/20750/read?part=1&page=20&index=95504

(٣) انظر: تمكين المد، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ص: ٢٧ ، ٣٥.

(٤) انظر: تمكين المد في (آتى)، و(آمن)، و(آدم)، وشبهه، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص: ٢٧ – ٣٥.



تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [المائدة:٢]، وكذلك (آنذرتهم)، و(آقررتم)، و(آنت قلت للناس) مما لفظه لفظ الاستفهام ممدود قدر ألف، فليست المدة من علامات الاستفهام، وعلى هذا فإن (آمن، وآتى) مثل ﴿ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ لم يخرجهما المدّ إلى الاستفهام.(١) ثم قال: (إذا أردنا تسهيل الهمزة في الاستفهام في (آمن) مددنا مداً مشبعاً مطولاً تبينُ به الهمزة محققة، بعدها همزةٌ بين بين، بعد ذلك ألف مبدلة من فاء الفعل، وليس نفعل ذلك في الخبر، بل نمدّ الخبر مداً متوسطاً، فمن أين يتشابهان وأحدهما أطول من الآخر في المدّ وأكثر حروفاً؟ والاستفهام في (آمن) يلزمه في التسهيل همزةٌ بين بين - وليس ذلك في الخبر بين بين - تظهر في لفظ المجودين للقراءة، فذلك فرق بين الاستفهام والخبر).(٢)

وفيما يتعلق بما يمكن أن ينبر في الكلمة المفردة فإن كتاب (الرعاية) مليء بتحديد الحروف التي تنبر من الكلمة الواحدة وبين الكلمتين لرفع الالتباس بين الحروف المتطابقة، والمتشابهة، والمتقاربة، وقد تحدث عن جميع الحروف العربية تقريباً (مع أنه لم يستخدم مصطلح النبر إلا نادراً، وإنما يستخدم كلمة (إظهار)، و(بيان) ومشتقاتهما).(٣)

وفي موضع آخر أكد مكي بن أبي طالب على أن من الكلمات ما حقها التفخيم للتعظيم، يقول: (إذا كان المشدد مفخماً للتعظيم والإجلال وجب بيان التشديد متمكناً؛ ليكون ذلك أمكن لظهور التفخيم، مثل: ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [يوسف:٦٦]، وقوله: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ [يوسف:٦٤]، وشبهه، يظهر التشديد إظهاراً متمكناً؛ ليظهر التفخيم في اللام التي جيء بها للتعظيم والإجلال والإكبار فاعلمه. وليس في كلام العرب لام أظهر تفخيماً وأشد تعظيماً من اللام في اسم الله جل ذكره؛ لأنها لامان مفخمان لإرادة التعظيم والإجلال).(٤)

أبو العلاء الهمذاني العطار (٥٦٩هـ)

ألف أبو العلاء الهمذاني العطار كتاب (التمهيد في معرفة التجويد)، وضمّنه إشارات عن ضرورة توافق تنغيم الكلام مع المعنى والأسلوب اللغوي باعتبارها قضية صوتية ضمن طرق الأداء والتجويد، يقول متحدثاً عن الضرب الأول من اللحن الخفي بأنه (لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة، وبالأخذ

(١) انظر: تمكين المدّ في (آتى)، و(آمن)، و(آدم)، وشبهه، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص: ٢٧.
(٢) انظر: تمكين المد، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، ص: ٣٥.
(٣) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ١١٥ إلى آخر الكتاب.
(٤) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ٢٥٧ – ٢٥٨.



من أفواه أولي الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدات، وحدود الممالات، والملطفات، والمشبعات، والمختلسات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام، والحذف، والإتمام، والروم، والإشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان والضبط).[(١)] ويستنتج د. غانم قدوري الحمد أن أبا العلاء الهمذاني العطار قد أدرك في الضرب الأول من ضربي اللحن الخفي ظواهر نطقية دقيقة تندرج في باب التنغيم الصوتي للجملة المنطوقة، وذلك مثل الفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام.[(٢)]

ويؤكد سمير العزاوي أن كلام العطار يدل على وعيه بأهمية التنغيم في تحديد مسارات الدلالة اللغوية في العربية بعامة والقرآن الكريم خاصة، وأنه يحمل الإشارة إلى مسألتين:

الأولى: التفصيل الدقيق لحدود اللحن الخفي، فقوله: مقادير المدّات تدل على فهم واضح لأهمية الزمن المستغرق في نطق الممدود. أما أهمية الإمالة والملطفات في المخارج والصفات وإشباع الأصوات واختلاسها، فلا يكون إلّا حيث نجد النمط التنغيمي صعوداً واستواءً وهبوطًا، وأما حديثه عن أنماط التركيب والقيم الصوتية فإنه توجيه مبكر لعناية الباحثين بأصول التجويد الأدائي في القرآن الكريم.

الثانية: تأكيده المشافهة في تحديد مسالك التنغيم وتطابق الصوت مع المعنى يدل على أن هذه الصفة لا يمكن من خلالها تحديد الخطوط التنغيمية الصاعدة، والنازلة، والمستوية إلا بالنظر إلى طريقة الأداء الفعلي لنطق التراكيب اللغوية.[(٣)]

محمد السمرقندي الهمذاني (٧٨٠هـ)

نظم محمد بن محمود السمرقندي الهمذاني منظومته: (العقد الفريد في نظم التجويد)، وشرحها في كتاب: (روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد).[(٤)] ويؤكد الدكتور غانم قدوري الحمد أن السمرقندي قد فصّل القول في التنغيم وضرورة تطابق الصوت مع المعنى والأسلوب اللغوي تفصيلاً لم يسبق إليه.[(٥)]

---

(١) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ٢٠٦ – ٢٠٧. والضرب الثاني من اللحن الخفي عنده يتقيد بالخط ويدرك وصفه بالشكل والنقط، ويحتاج مبتغيه إلى معرفة مخارج الحروف ومدارجها، انظر: ص: ٢٤٢.

(٢) انظر: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٥٣، ٤٧٨.

(٣) انظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير العزاوي، ص: ٥٤.

(٤) انظر: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٨. وقد حقق الكتاب إبراهيم عواد إبراهيم، ماجستير، جامعة صدام، بإشراف د. غانم قدوري الحمد، ١٩٩٩.

(٥) انظر: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٨.

يقول السمرقندي في منظومته:

إذا (ما) لنفيٍ أو لجحدٍ فصوتُها (م) ارْفعنْ وللاستفهام مَكّن وعَدِّلا
وفي غير اخفضْ صوتها والذي بما شبيه بمعناه فقِسْهُ لتفضُلا
كهمزة الاستفهام مع مَنْ وأنْ وإنْ وأفعل تفضيلٍ وكيفَ وهلْ ولا[١]

قال السمرقندي في الشرح: (ومثال ذلك: (ما قلتُ)، وبرفع الصوت بـ(ما) يُعلمُ أنها نافية، وإذا خفض الصوت يُعلمُ أنها خبرية، وإذا جعلها بين بين يُعلمُ أنها استفهامية، وهذه العادة جارية في جميع الكلام وفي جميع الألسن)، وهذا كلام في غاية الوضوح والدقة، ويتميز بنظرة شمولية نادرة تتجاوز المثال الجزئي إلى عموم اللغة.[٢]

وقد طبق السمرقندي فكرة رفع الصوت وخفضه على عدة صورة نطقية متماثلة في البنية، ولا يفرق بينها إلا طريقة التنغيم. ومن ذلك صيغة (أفعل) التي تكون للتفضيل، فقد قال: (فينبغي أن يُفرق بالصوت بين الذي بمعنى التفضيل، والذي ليس بمعنى التفضيل). كما فرق بين (لا) النافية، و(لا) الناهية، وكذلك اللام التي لتأكيد الفعل وبعدها همزة وصل، مثل: (لاتبعتم) تشتبه بـ(لا) النافية التي بعدها همزة وصل في التلفظ نحو: (لا انفصام لها)،[٣] قال السمرقندي: (والفرق بينهما أنه في نحو (لا انفصام لها) يكتب بألفين، وفي نحو (لاتبعهم) يكتب بألف واحدة، ويرفع الصوت على (لا) ويخفض على اللام، فهذا ما وصل إلينا من الأئمة رواية، ودراية، ومشافهة، وبيانًا).[٤]

إن النص السابق يؤكد أن لكل باب أو أسلوب بلاغي أو نحوي نمطًا تنغيميًا مستقلاً، وإذا كان النمط قد عُجز عن تقييده فإنه وصل إلى قراء القرآن الكريم اللاحقين عن طريق الرواية والمشافهة، أي: صعُب على القراء توصيله مكتوبًا فاكتفوا بتوصيله منطوقًا، فكان التنغيم الفيصلَ في التمييز بين الأساليب النحوية خاصة تلك التي حمّلها النحاة أكثر من معنى، فتحقيق (لا) التي للنفي ينبغي أن يتميز عن تحقيقها عندما تدل على النهي وهكذا.[٥]

---

(١) انظر: روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، محمد بن محمود السمرقندي، (مخطوط) مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مدرسة الحجّيات، الرقم ٢ / ٢٢، ص: ١٣٩ – ١٤١ ظ. نقلاً عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٨ وما بعدها.
(٢) انظر: روح المريد، محمد السمرقندي، (مخطوط) نقلًا عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٩.
(٣) انظر: روح المريد، محمد السمرقندي، (مخطوط) نقلًا عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٩.
(٤) انظر: روح المريد، محمد السمرقندي، (مخطوط) نقلًا عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٩.
(٥) انظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، د. أحمد البايبي: ١ / ٢٥٩.

كما اهتم السمرقندي بتوافق التنغيم مع الأسلوب اللغوي في حديثه عن الفرق بين نطق (لولا) بناء على نوعها، فقال:(إنها على ضربين: أحدهما: أن تأتي لامتناع الشيء لوجود غيره، ويليها المبتدأ والخبر، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة:٦٤]، والآخر: أن تأتي للتحضيض بمعنى (هلّا)، ويليها الفعل، كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [البقرة:١١٨]، والفرق بينهما في اللفظ أن الداخلة على المبتدأ والخبر يخفض الصوت بـ(لو)،[١] وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:٤٧]، فالأولى امتناعية، والثانية تحضيضية،[٢] ولكل واحدة منهما أداؤها الخاص الذي يبرز معناها).[٣]

بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ)

اهتم بدر الدين الزركشي في كتابه: (البرهان في علوم القرآن) بضرورة مراعاة المعنى في أداء القرآن الكريم، وأن تنسجم قراءة القرآن الكريم مع معاني الأساليب اللغوية التي في الآيات مؤكداً على أهمية أن يراعي قارئ القرآن الكريم معاني الكلام، وأن عليه أن (يستعين على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام، وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١]، وهذا هو الراسخ في العلم، جعلنا الله من هذا الصنف).[٤]

واهتمام الزركشي بضرورة توافق الأداء مع المعنى؛ لأنه في نظره يقود كُلّاً من القارئ والمستمع إلى التدبر في كلام الله تعالى، فهو يرى أن مما ينبغي لقارئ القرآن أنّه (إذا مرّ بآية رحمة فرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك، وسأل الله برحمته الجنة، وإن قرأ آية عذاب وقف عندها وتأمل معناها، فإن كانت في الكافرين اعترف بالإيمان فقال: آمنا بالله وحده، وعرف موضع التخويف، ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار، وإن هو مرّ بآية فيها نداء للذين آمنوا، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وقف عندها. وقد كان بعضهم يقول: لبيك ربي وسعديك،

---

(١) انظر: وقوف القرآن وماءاته وأجزاؤه وتقسيماته، محمد بن محمود السمرقندي (مخطوط). عن كتاب: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٦٤.

(٢) انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش: ٧ / ٣٤٦.

(٣) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٦٤.

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ٢ / ١٨١.



ويتأمل ما بعدها مما أُمر به ونُهي عنه، فيعتقد قبول ذلك، فإن كان من الأمر الذي قصّر عنه فيما مضى اعتذر عن فعله في ذلك الوقت، واستغفر ربه في تقصيره).[(١)]

ويدعو الزركشي إلى الوقوف على بعض المعاني النفسية التي تحملها الآيات الكريمة، يقول: (وينبغي الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من المعاني التي تكلم فيها البليغ مثبتاً ونافياً... ومنها: تمكين الانفعالات النفسانية من النفوس، مثل: الاستعطاف، والإعراض، والإغضاب، والتشجيع، والتخويف، ويكون في مدح وذم، وشكاية واعتذار، وإذن ومنع).[(٢)]

وقد تحدث الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن، وأنها في نحو أربعين وجهاً،[(٣)] ومن وجوه المخاطبات التي ذكر: خطاب المدح، وخطاب الذم، وخطاب الكرامة، وخطاب الإهانة، وخطاب التهكم، وخطاب الاعتبار، وخطاب الإغضاب، وخطاب التشجيع والتحريض، وخطاب التهييج، وخطاب التنفير، وخطاب التحنن والاستعطاف، وخطاب التحبيب، وخطاب التعجيز، وخطاب التحسير والتلهف وغيرها، واستشهد على كل وجه من هذه الوجوه بآيات من القرآن الكريم.[(٤)] وفي الوقت الذي يهتم بذكر هذه الوجوه ويستشهد عليها فإنه يعدّ توافق الصوت في أداء القرآن الكريم مع المعنى من كمال الترتيل، يقول: (فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم، وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكر في معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كل آية معناها...).[(٥)]

فجميع ما سبق من كلام الزركشي يكشف عن أنه يرى أهمية مواءمة التنغيم للمعنى المطلوب، فالتنغيم المتباكي إذا كان مقبولاً - مثلاً - في آيات الاستغفار والتوبة، فلا بد أن يختلف عن تنغيم الآيات التي تحض على القتال، أي: إنه يجب أن يوائم التنغيمُ المعنى ويُظهره، ليجعل المقروء مستقراً في ذهن المستمع وقلبه، فاللين غير الشِّدَّة، والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والخبر غير الاستفهام، والوعد غير الوعيد؛ لذلك اهتم العلماء بطرق الأداء في قراءة القرآن الكريم، ولعلماء التجويد والقراءات إسهامات متميزة في هذا المجال، فالتلوينات الصوتية التي نسمعها من القراء المجودين لقراءات القرآن الكريم داخلة في التنغيم.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١ / ٤٥٠.
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١ / ٣١٣.
(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ٢ / ٢١٧.
(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ٢ / ٢١٧ – ٢٥١.
(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١ / ٤٥٠.

محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)

هو شيخ المقرئين وعلماء القراءات في عصره، ألف في التجويد والقراءات كتبًا كثيرة، كما ألف في الفقه والحديث وغيرها.

وقد ربط ابن الجزري بين تنغيم المدّ والمعنى، يقول عن السبب المعنوي للمدّ: (وأما السبب المعنوي فهو قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قوي مقصور عند العرب، وإن كان أضعف من السبب اللفظي عند القراء، ومنه مدّ التعظيم في قولك: (لا إله إلا الله، لا إله إلا هو، لا إله إلا أنت)، وقد ورد هذا عن أصحاب القصر في المنفصل لهذا المعنى، نص على ذلك أبو معشر الطبري، وأبو القاسم الهذلي، وابن مهران، والجاجاني، وغيرهم. وقرأتُ به من طريقهم، وأختارُه. ويقال له أيضـًا: مدّ المبالغة، قال ابن مهران في كتاب المدات: إنما سمي مد المبالغة؛ لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله سبحانه، وقال: وهذا معروف عند العرب؛ لأنها تمدّ عند الدعاء، وعند الاستغاثة، وعند المبالغة في نفي شيء، ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة، قال ابن مهران: والذي له أصل أولى وأحرى، قلتُ: يشير إلى كونه اجتمع سببان، وهما: المبالغة ووجود الهمزة... وقد استحب العلماء المحققون مدّ الصوت بـ(لا إله إلا الله) إشعاراً بما ذكرنا وبغيره. قال الشيخ محيي الدين النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الأذكار): ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مدّ الذاكر قوله: (لا إله إلا الله)؛ لما ورد فيه من التدبر ... وقد ورد مدّ المبالغة للنفي في (لا) التي للتبرئة في نحو (لا ريب فيه، لا شية فيها، لا مردّ له، لا جرم) عن حمزة...).[(١)] فمدّ الصوت موجود عند العرب للتعبير عن المبالغة في نفي الألوهية عن غير الله تعالى، وكذلك للتعبير عن الدعاء والتبرئة، بل وللتعبير عن أحاسيس أخرى مشابهة، ولذلك قال ابن مهران: (ويمدون ما لا أصل له بهذه العلة)، أي: علة المبالغة، والمبالغة لا تكون في النفي فقط، بل في التعظيم، والتحقير، والدعاء أيضـًا.

ويؤكد محمد الإبراهيمي أنه لمّا كان المدّ المعنوي معمولاً به لغة مرويّـًا عند بعض القراء جاز استعماله في ألفاظ الأذان، وجميع الأذكار؛ كالحوقلة، والاستغفار، والتكبير في الصلاة...[(٢)]

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٢) انظر: المحجة في تجويد القرآن، محمد الإبراهيمي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص: ١٤٩ – ١٥٠.

وأثبت ابن الجزري أن الفرق بين الاستفهام والخبر في بعض المواضع يكون بالمدّ والقصر؛ ذلك أن مدّ الصوت يميز الاستفهام عن الخبر تمييزاً تركيبيّا ودلاليّا، يقول: (فمَدُّوا الاستفهام ليميزوه من الخبر.. فجُعِلَ الفرق.. بالمدّ والقصر).(١)

وعن نبر الهمزة (أي: الشدّ والضغط عليها)، يقول ابن الجزري في الهمزة: (وهي لا صورة لها في الخط، وإنما تعلم بالشكل والمشافهة، والناس يتفاضلون في النطق بها على مقدار غلظ طباعهم ورقتها، فمنهم من يلفظ بها لفظاً تستبشعه الأسماع وتنبو عنه القلوب، ويثقل على العلماء بالقراءة، وذلك مكروه معيب من أخذ به، وروي عن الأعمش أنه كان يكره شدة النبرة، يعني الهمز في القراءة، وقال أبو بكر بن عياش: إمامنا يهمز (مؤصدة)، فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته يهمزها، ومنهم من يغلظ اللفظ بها، وهو خطأ، ومنهم من يشددها في تلاوته يقصد بذلك تحقيقها، وأكثر ما يستعملون ذلك بعد المدّ، فيقول: (يا أيها)، ومنهم من يأتي بها في لفظه سهلة... والذي ينبغي أن القارئ إذا همز أن يأتي بالهمزة سلسة في النطق سهلة في الذوق من غير نبر ولا ابتهار لها ولا خروج بها عن حدها... ولا يقدر القارئ عليه إلا برياضة شديدة، كما كان حمزة يقول: إنما الهمز رياضة).(٢)

كما أشار ابن الجزري إلى أهمية نبر الحرف المشدد وخاصة عند الوقف، يقول: (اعلم أن الوقف على الحرف المشدد فيه صعوبة على اللسان، فلا بد من إظهار التشديد في الوقف في اللفظ وتمكين ذلك حتى يسمع، نحو (من وليّ)، و(من طرف خفيّ)، و(مستمرّ)، و(صوافّ) يقصد كمال التشديد في هذا ونحوه).(٣)

وفيما يتعلق بالتنغيم فقد ذكر ابن الجزري مراتب التلاوة بقوله: (فإن كلام الله تعالى يُقرأ بالتحقيق، وبالحدر، والتدوير الذي هو التوسط بين الحالتين مرتلاً مجوداً بلحون العرب، وأصواتها، وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة).(٤)

---

(١) انظر: التمهيد في علم التجويد، شمس الدين محمد بن الجزري، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص: ٨٥.

(٢) انظر: التمهيد في علم التجويد، شمس الدين محمد بن الجزري، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص: ١١٥ – ١١٦.

(٣) انظر: التمهيد في علم التجويد، شمس الدين محمد بن الجزري، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص: ٢٢٠.

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٥.



وفيما يتعلق بالوقف القبيح ذكر ابن الجزري أن هناك أنواعًا يتعسفها بعض المعربين، ويتكلفها بعض القراء، ويتأولها بعض أهل الأهواء لم يُتحرّ فيها المعنى الأتم والوقف الأوجه، وقد اعتمد في تحليل الوقف وفهم معنى الكلام على تنغيم الجملة المصاحب للوقف، يقول: (وذلك نحو الوقف على ﴿وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ﴾، والابتداء ﴿مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] على معنى النداء، ونحو: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ﴾، ثم الابتداء ﴿بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ﴾ [النساء:٦٣]، ونحو: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ﴾، ثم الابتداء ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ﴾ [لقمان:١٣] على معنى القسم...).[١] إن إدراك ابن الجزري للنداء في قوله: ﴿مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا﴾ الذي تسبب به الوقف على ﴿وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ﴾، وحكمه عليه بالقبح، إنما هو راجع إلى إدراك التنغيم في النداء،[٢] والوقف الحسن عنده أن تكون جملة ﴿وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ إنشائية، وما بعدها جملة خبرية هي: ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا﴾.

محمد بن أبي بكر المرعشي (١١٥٠هـ وقيل ١١٤٥هـ)

ألف محمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بـ(ساجقلي زاده) رسالته (جهد المقل) وحققها الدكتور سالم قدوري الحمد، وتضمنت الحديث عن اللحن، ومخارج الحروف، والإدغام، والمدّ، والإمالة، والوقف والابتداء، وغيرها.

وفي مجال التنغيم وضرورة تطابق الصوت مع المعنى ودلالته عليه قال المرعشي - نقلاً عن النسفي صاحب تفسير (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) -: (قال صاحب المدارك (يعني النسفي) في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [يوسف:٦٦]: بعضهم يسكت على (قال)؛ لأن المعنى: (قال يعقوب)، غير أن السكتة تفصل بين القول والمقول، وذا لا يجوز، فالأولى أن يفرق بينهما بالصوت، فيقصر بقوة النغمة اسم الله تعالى، انتهى. أقول: قوله: (فيقصر) معناه: يمنع اسم الله تعالى عن أن يكون فاعلاً لـ(قال) بقوة النغمة.[٣] ويفهم من كلامه أن يُنبر اسمُ (الله) تعالى بقوة تجعل المستمع يعرف أن لفظ الجلالة (الله) مبتدأ - وليس فاعلاً لـ(قال) - بسبب قوة النبر. وفي تفسير النسفي جاءت هكذا: (فيقصد بقوة النغمة اسم الله)، ولعلها أقرب للمطلوب من (يقصر).

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) انظر: ظاهرة التنغيم في التراث العربي، هايل محمد طالب، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، السنة (٢٣)، العدد (٩١)، سبتمبر ٢٠٠٣، ص: ٨٨.

(٣) انظر: جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي (ساجقلي زاده)، تحقيق د. سالم قدوري الحمد، ص: ٢٨٥. وانظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبدالله بن أحمد النسفي: ١ / ١٢٣.



فإذا كان السكت لا يجوز؛ لأنه يفصل بين القول ومقوله، فإن أداء لفظ الجلالة (الله) بنغمة أقوى من كلمة (قال)، هو الذي يبعد اللبس بأن لفظ الجلالة (الله) هو الفاعل. وهنا صرح المرعشي بالتفريق بالتنغيم وسماه باسم وحدته (النغمة)، وعزا القرينة إلى مستواها اللغوي وهو الصوت، وحدد وظيفتها التركيبية وهي تمييز ركني جملة الإسناد، وهذا يضاف إلى جملة الأقوال الواردة عن علماء العربية في حديثهم عن أهمية التنغيم.

ويؤكد د. محمد حسن جبل أن النسفي بعبارته هذه يقصد النبر بمعناه المصطلحي الحديث، وهو الضغط على نطق كلمة أو مقطع فيرتفع الصوت به، فقول النسفي: فيفرق بينهما - أي: بين القول والمقول - بالصوت، أي: بتنغيمه، بحيث يتميز كل منهما عن الآخر، وقوله: فيقصد بقوة النغمة اسم الله، فهذا يعني نبر لفظ الجلالة، أي: رفع الصوت به، إذ لا معنى بقوة النغمة إلا النبر... وبهذا النبر يُعلم أن لفظ الجلالة هو مبتدأ جملة مقول القول الذي قاله يعقوب. وهذا سبقٌ للنسفي بأهمية النبر في قراءة القرآن الكريم، وكلامه تأصيل لمشروعية نبر الكلم (يقصد نبر الجملة، وهو المعتمد في هذه الموسوعة)، وهو إن لم يُقصد له باب خاص فإنه يعني أنه مشروع في قراءة القرآن عندما يتطلبه تمييز المعاني بتمييز التصويت بألفاظها.[(١)]

حسن بن إسماعيل الدركزلي (١٣٢٧هـ)

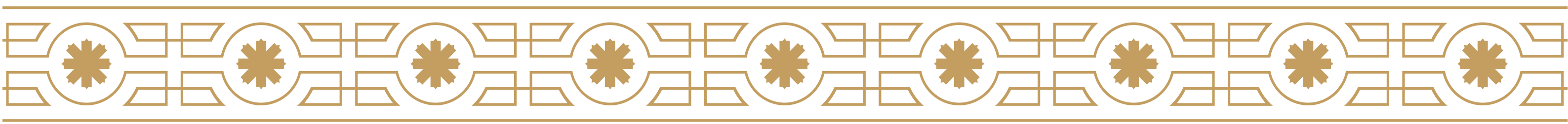
كتب حسن بن إسماعيل الدركزلي رسالته (خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة)، وتتضمن أحكام النون الساكنة والتنوين، ومخارج الحروف، والوقف، وغيرها.[(٢)] وقد اهتم الدركزلي بالتنغيم وضرورة تطابق الصوت مع المعنى، يقول: (قال بعض المحققين: ينبغي أن يقرأ القرآن على سبع نغمات، فما جاء على أسمائه تعالى وصفاته فالتعظيم والتوقير، وما جاء على المفتريات عليه فبالإخفاء والترقيق، وما جاء في ردها فبالإعلان والتفخيم، وما جاء من ذكر الجنة فبالشوق والتطريب، وما جاء من ذكر النار والعذاب فبالخوف والرهبة، وما جاء من ذكر الأوامر فبالطاعة والرغبة، وما جاء من ذكر المناهي فبالإنابة والرهبة).[(٣)] وفي الكلام السابق وعي بأهمية التنويع في التنغيم والأداء بما يتناسب مع المعاني السياقية للموضوعات في الآيات.



(١) انظر: التلقي والأداء في القراءات القرآنية، د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١، ص: ٢٥٤.

(٢) انظر: خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة في علم التجويد، حسن الدركزلي، (مخطوط) مكتبة المتحف ببغداد، الرقم: ٢٣٥١٣، نقلًا عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٨٠. وانظر: خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة في علم التجويد، حسن بن اسماعيل الدركزلي الحبار الموصلي، دراسة وتحقيق خلف حسين صالح الجبوري (دكتوراه) (مخطوطة) جامعة تكريت، بإشراف الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد، ٢٠٠٢، ص: ٤٤٦.

(٣) انظر: خلاصة العجالة، حسن الدركزلي، (مخطوط)، نقلًا عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٨٠.

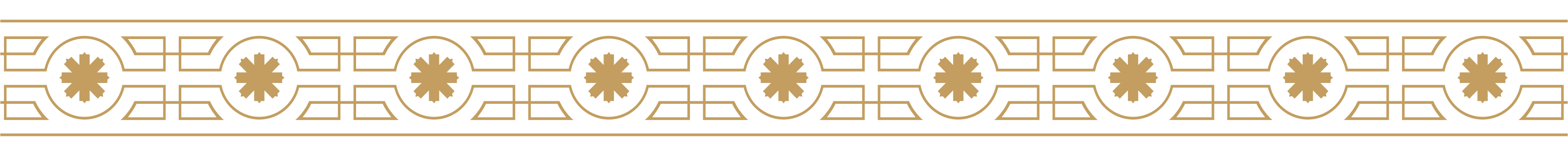


الفَصْلُ الثَّانِي

أنواع النبر والتنغيم ووظائفهما

المبحث الأول: أنواع النبر والتنغيم

المبحث الثاني: وظائف النبر والتنغيم





المبحث الأول: أنواع النبر والتنغيم



أولاً: أنواع النبر

• نبر الجملة

لقد بُنيتْ هذه الموسوعة على علوم النحو، والبلاغة، والتجويد، وما فيها من قواعد ومبادئ لتحديد المعنى، فاعتمدتْ الجملة العربية، وأنواعها، وأركانها لتكون منطلقاً لتحديد مواضع النبر والتنغيم. كما اعتمدتْ من التجويد مواضع الوقف والابتداء، والتفريق بين الخبر والاستفهام، وبين النفي والإثبات، وبين النفي والنهي، وبين الشرط والتحضيض، وأهمية الترتيل بلحون العرب وأصواتها، وغير ذلك مما جاء عند مكي بن أبي طالب،[١] وأبي العلاء العطار،[٢] ومحمد السمرقندي،[٣] وابن الجزري،[٤] وغيرهم.

ونبر الجملة نبر وظيفي يخدم المعنى ويضيف إليه، ولذلك فهو النبر المستعمل في هذه الموسوعة.

مفهوم القراءة النبرية

هي القراءة التي تعطي مفاصل الجملة حقها من النبر لإظهار المعنى، سواء أكان ذلك بتطبيق نبر الجملة الثابت أم المتحرك. وتعدّ من وسائل القراءة التدبرية.

مفهوم نبر الجملة

يقوم مفهوم النبر عامة على: تمييز مقطع، أو حرف، أو كلمة من بين أخواتها بضغطة تخصصها، فتزيد

---

(١) انظر: تمكين المد في: (آتى)، و(آمن)، و(آدم)، وشبهه، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص: ٢٧ – ٣٥.

(٢) انظر: التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمذاني العطار، ص: ٢٠٦ – ٢٠٧، والموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم): ١ / ١٥٩. وانظر الحديث عن اللحن في هذا الفصل.

(٣) انظر: روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، محمد بن محمود السمرقندي، (مخطوط) مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مدرسة الحجّيات، الرقم: ٢ / ٢٢، ص: ١٣٩ – ١٤١ ظ. نقلاً عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٨، وما بعدها.

(٤) انظر: التمهيد في علم التجويد، شمس الدين محمد بن الجزري، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.، ص: ٨٥، وانظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٥.



وضوحاً في السمع،[١] أو هو: (وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام... فالضغط لا يسمى نبراً، ولكنه يعتبر عاملاً من عوامله..).[٢]

أما نبر الجملة فهو تمييز كلمة من كلمات الجملة بضغطة تخصصها لتكون أبرز من غيرها من كلمات الجملة، فتزيد وضوحاً في السمع، وفائدته التنبيه على مفاصل الجملة وتأكيد معناها ليصل المعنى واضحاً ومؤكداً.

ويعمد المتكلم إلى كلمة في جملته، فيزيد من نبرها ويميزها عن غيرها من كلمات الجملة رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص، وقد يختلف الغرض من الجملة تبعاً لاختلاف الكلمة المنبورة المختصة بزيادة نبرها،[٣] فالجملة العربية تتغير وفق أغراض ومقاصد المتكلمين.[٤] وسماه د. تمام حسان نبر السياق، أو النبر الدلالي؛[٥] لأنه يفرق بين دلالة السياق التوكيدية منها والتقريرية. فقوة دفع الهواء في التوكيد - مثلاً - أقوى من دفع الهواء في التقرير، ويترتب على ذلك أن تكون درجة الصوت أقوى في الأول منه في الثاني.[٦] أما د. كمال بشر فيرى أن كل جملة أو عبارة تحتوي عادة على مجموعة من الكلمات ذات الأهمية النسبية، وتختلف الأهمية النسبية باختلاف الجمل نفسها، وباختلاف المقامات المناسبة لها، فتنوع هذه المقامات أو المواقف اللغوية يؤثر حتماً في درجة أهمية الكلمات.[٧] وذكره د. محمد الخولي باسم: النبرة التوكيدية أو النبر التقابلي (نبر النفي والإثبات)، وهو عنده: النبر الذي تأخذه أية كلمة في الجملة من أجل نفي معنى أو توكيده.[٨] وسماه د. سعد مصلوح النبر التأكيدي، وهو عنده: استخدام النبر لإبراز كلمة معينة من كلمات الجملة على نحو يعبر به المتكلم عن موقفه أو انفعاله.[٩] وقيل: هو النبر الرئيس الذي يقع على إحدى كلمات الجملة، فهو ضغط نسبي على كلمة من كلمات الجملة، أو على ما هو في حكم الكلمة

(١) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٤. وانظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ١٧٠، وعلم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥١٢. ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢١.

(٢) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٠. وانظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٣.

(٣) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢.

(٤) انظر: الأصوات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٤، ص: ٢٥٤.

(٥) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٣.

(٦) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٣.

(٧) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥١٩ - ٥٢٠.

(٨) انظر: الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي، ص: ١٦٧.

(٩) انظر: دراسة السمع والكلام؛ صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص: ٢٣٩.

الواحدة ليكون ذلك الجزء المضغوط عليه أبرز من غيره من أجزاء الجملة، وذلك الجزء هو ما يراد تأكيده وإيصاله للمستمع[(١)] لأهميته.

ويرتبط نبر الجملة في اللغة العربية بالمعنى وبالموقف ارتباطاً وثيقاً، ويعدّ نبرُ الكلمات (نبر جملة) أحد محددات معناها بجوار الإسناد، والتقديم والتأخير، وغيرها من المؤثرات البلاغية على المعنى. فجملة (هل سافر أخوك أمس؟) تختلف عن: (هل أخوك سافر أمس؟)، وعن: (أخوك، هل سافر أمس؟)، وعن: (هل أمس سافر أخوك؟). ومع أن التقديم والتأخير - مثلاً - لكلمات الجملة يؤثران على المعنى المقصود إلا أن نبر كلمة من كلمات الجملة في الكلام الشفوي يوصل المعنى المراد ويؤثر عليه أيضاً، فلو قال قائل: (هل سافر أخوك أمس؟) فإن كان النبر على كلمة (سافر) فالمتكلم يشك في حدوث السفر ويريد الإجابة عنه، وإن كان النبر على كلمة (أخوك) فإن المتكلم لا يشك في حدوث السفر، وإنما يشك في فاعل السفر، فربما يكون شخصاً آخر غير الأخ،[(٢)] وإن كان النبر على كلمة (أمس) فإن المتكلم يسأل عن زمن السفر، [(٣)] ولو جاءت الإجابة بغير ما تطلبه الكلمة المنبورة لعدّها مُلقي السؤال إجابةً خاطئة.

ومثل ذلك - في الإثبات - حينما يقال: (قرأ محمد قصيدة الشاعر أمس).

- فإذا كان النبر على الفعل (قرأ) فهذا يعني تأكيد فعل القراءة، أو نفي فعل آخر غير القراءة، (أي: قرأ ولم يكتب مثلاً).
- وإذا كان النبر على الفاعل (محمد) فيعني التأكيد على أن (محمد) هو الفاعل وليس غيره، (وليس أحمد مثلاً).
- وإذا كان النبر على المفعول به (قصيدة) فيعني أن المقروء قصيدة، (وليس مقالة مثلاً).
- وإذا كان النبر على المضاف إليه (الشاعر) فيعني أن المقروء له هو الشاعر، (وليس الطبيب مثلاً)، وأن انتساب القصيدة للشاعر وليس لغيره.
- وإذا كان النبر على الظرف (أمس) فيعني تأكيد الزمان أن القراءة حصلت أمس، (وليس قبل أسبوع مثلاً).

فنبر كلمة من كلمات الجملة يعدّ أحد محددات معنى الجملة بجوار الإسناد، والتقديم والتأخير، وغيرها.

---

(١) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٣٦. وانظر: النظريات النسقية في أبنية العربية، د. عبدالغفار هلال، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩، ص: ٢٦٨.

(٢) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢ – ١٠٣.

(٣) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢ – ١٠٣.

وزيادة النبر في الكلمة داخل الجملة لا يعدو أن يكون زيادة في نبر المقطع الرئيس في تلك الكلمة؛ ففي كلمة (أخوك) - في المثال الأول - يكون النبر على المقطع الرئيس منها، فإذا زِيدَ نبر هذه الكلمة في الجملة فليس المقصود بهذا سوى زيادة نبر ذلك المقطع؛ ليصبح أوضح في السمع مما كان. والنبر في الكلمة أو نبر الجملة ليس إلا شدة في الصوت أو ارتفاع فيه، وتلك الشِّدَّة أو الارتفاع يتوقف على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين، ولا علاقة له بدرجة الصوت أو نغمته.(١)

أهمية نبر الجملة

تتغير الجملة العربية وفق أغراض المتكلمين ومقاصدهم،(٢) وتنوعُ المقاصد يؤثر في درجة أهمية الكلمات؛(٣) لأن القارئ يستخدم النبر لإبراز كلمة معينة من كلمات الجملة على نحو يعبّر به عن موقفه أو انفعاله،(٤) وما يريد تأكيده وإيصاله للمستمع.(٥) إذن، فنبر الجملة مرتبط بالمعنى وبالموقف ارتباطًا وثيقًا.

ومفهوم نبر الجملة وأهميته وتأثيره على المعنى هو الذي استنتجه محمد بن أبي بكر المرعشي (١١٥٠هـ وقيل ١١٤٥هـ)، و د. محمد حسن جبل من عبارة النسفي في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف:٦٦] التي يقول فيها: (بعضهم يسكت على (قال)؛ لأن المعنى: (قال يعقوب)، غير أن السكتة تفصل بين القول والمقول، وذا لا يجوز، فالأولى أن يفرق بينهما بالصوت، فيقصد بقوة النغمة اسم الله تعالى).(٦) فالمرعشي يقول: قوله: (فيقصر(٧)) معناه: يمنع اسم الله تعالى عن أن يكون فاعلًا لـ(قال) بقوة النغمة.(٨) ويفهم من كلامه أن ينبر اسمُ (الله) تعالى بقوة تجعل المستمع يعرف أن لفظ الجلالة (الله) مبتدأ - وليس فاعلاً لـ(قال) - بسبب قوة النبر.

ويقول: د. محمد حسن جبل: إن النسفي يقصد النبر بمعناه المصطلحي الحديث، وهو الضغط على نطق كلمة أو مقطع فيرتفع الصوت به، فقول النسفي: فيفرق بينهما - أي: بين القول والمقول - بالصوت، أي: بتنغيمه،

(١) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢ – ١٠٣.
(٢) انظر: الأصوات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٤، ص: ٢٥٤.
(٣) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥١٩ - ٥٢٠.
(٤) انظر: دراسة السمع والكلام؛ صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص: ٢٣٩.
(٥) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٣٦. وانظر: النظريات النسقية في أبنية العربية، د. عبدالغفار هلال، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩، ص: ٢٦٨.
(٦) انظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبدالله بن أحمد النسفي: ١ / ١٢٣.
(٧) وردت في تفسير النسفي (يقصد) وهي الأدق.
(٨) انظر: جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي (ساجقلي زاده)، تحقيق د. سالم قدوري الحمد، ص: ٢٨٥.

بحيث يتميز كل منهما عن الآخر، وقوله: فيقصد بقوة النغمة اسم الله فهذا يعني نبر لفظ الجلالة، أي: رفع الصوت به، إذ لا معنى بقوة النغمة إلا النبر... وبهذا النبر يُعلم أن لفظ الجلالة هو مبتدأ جملة مقول القول الذي قاله يعقوب. وهذا سبقٌ للنسفي بأهمية النبر في قراءة القرآن الكريم، وكلامه تأصيل لمشروعية نبر الكلم (يقصد نبر الجملة، وهو المعتمد في هذه الموسوعة)، وهو إن لم يقصد له باب خاص فإنه يعني أنه مشروع في قراءة القرآن عندما يتطلبه تمييز المعاني بتمييز التصويت بألفاظها.(١)

ولنبر الجملة أهمية كبيرة في نقل المعنى للمستمع وتقويته وتوكيده؛ لأن الكلمة المنبورة في بعض المواضع توحي بمعنيين اثنين؛ مثبتٍ ومنفيٍّ في وقت واحد عند النطق بها، يثبت أحدهما معنى، وينفي الآخر عكس ذلك المعنى في الجملة نفسها، وبدون النبر سيذهب جزء من المعنى عند سماعها، فمثلاً: نبر ﴿بِمَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ من قوله: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون:١١١] يعزز معنى أن المجازاة - في هذه الآية - كانت بسبب الصبر، وليس بسبب الصدقة مثلاً، فأوحى النبرُ بهذين المعنيين (المثبت والمنفي)، وبدون النبر سيخْفتُ معنى السببية عند سماع الآية خاصة مع سرعة القراءة.

وكذلك الأمر حينما تتعدد الكلمات المنبورة (نبر جملة) وتتتابع في الكلام المنطوق، فكل كلمة منبورة نبر جملة فإن النبر يعزز إثبات معنى في الجملة، كما يعزز نفي معنى آخر فيها، فمثلاً قول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر:٧٣]، فالنبر على ﴿ٱتَّقَوۡاْ﴾ يعزز معنى أنهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾، وينفي أنهم (الذين أجرموا) - مثلاً-، كما أن نبر ﴿إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ يعزز معنى أنهم سيقوا ﴿إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾، وينفي أنهم سيقوا (إلى النار) - مثلاً -.. كل ذلك يحدث عند النطق بالآية وسماعها، أما عند تحليل الجملة لغوياً فإن أركان الكلام وعلاقاتها بغيرها في الجملة هي المسؤولة عن تحديد المعنى.

ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦]، فإذا نبر القارئ ﴿ءَامَنُواْ﴾، و﴿كَفَرُواْ﴾، فإن هذا النبر يعزز تقسيم الناس قسمين بشأن هذا المثل المضروب؛ مؤمنين وكافرين، وهو ما تفيده (أما) التفصيلية الشرطية. وإذا نبر القارئ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾، و﴿رَّبِّهِمۡ﴾ فهو يؤكد للمستمع إيمان المؤمنين ويعززه في نفس المؤمن مبرزاً مرجعية هذا الحق بأنه من عند ﴿رَّبِّهِمۡ﴾، ثم يأتي نبر أركان استفهام الكافرين، وهو: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾، ليُظهر تعنتهم، كما يأتي تنغيم آخر جملة الاستفهام بنغمة صاعدة لإبراز إنكارهم للحق.

(١) انظر: التلقي والأداء في القراءات القرآنية، د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١، ص: ٢٥٤.

أنواع نبر الجملة

لنبر الجملة في هذه الموسوعة أربعة أنواع؛ نوعان بحسب الثبات والحركة، هما: (الثابت والمتحرك)، ونوعان بحسب القوة والأهمية، هما: (الرئيس والخفيف). ويمكن أن يكون النبر الثابت نبراً رئيساً أو خفيفاً، كما يمكن أن يكون النبر المتحرك نبراً رئيساً أو خفيفاً.

أنواع نبر الجملة بحسب الثبات والحركة:

١. نبر الجملة الثابت:

هو نبر الأركان الأساسية للجملة، وسمي ثابتاً؛ لأنه يقع على كلمات محددة في الجملة ذات المكانة الثابتة فيها، ولا يقصد بالثبات أنه نبر ملزم للقارئ، بل لأن وظيفة الكلمات/ الأركان التي تنبر ومكانتها ثابتة لا تتغير ولو تغيرت مواضعها في الجملة بالتقديم والتأخير إن كانت تلك الكلمات/ الأركان مما يمكن أن يتغير موضعه داخل الجملة. فهو النبر الذي يقع على المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، وأركان الجملة الخاصة بالأسلوب نفسه؛ فإن لكل أسلوب أركانه التي لا يقوم إلا بها، ومن أهم أركان الجمل في أغلب الأساليب الأدوات؛ كأدوات: النفي، والنهي، والاستثناء، والاستفهام، والنداء، والشرط، والاستدراك، والقصر، والإضراب، والتنبيه، والعرض والتحضيض، وغيرها، ومن الأركان المكوناتُ الأساسيةُ للجملة الخاصة بالأسلوب - إن كانت مذكورة وهو الأصل فيها - كالمستثنى والمستثنى منه، والمقصور والمقصور عليه، وفعل الشرط وجوابه، والقسم وجوابه، والمنصوبات على الاختصاص، والتحذير، والإغراء، وأول الأساليب الإنشائية؛ كالأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والترجي، والدعاء، وغير ذلك مما هو مشروح بالتفصيل في الدراسة التطبيقية للأساليب اللغوية في هذه الموسوعة.

وتتضمن أغلب الأساليب في هذه الموسوعة كلمات ثابتة تنبر نبراً مطرداً، وهذا الاطراد في تحديد الكلمات تحكمه قواعد علم النحو وتقسيم أجزاء الجملة.

وفائدة نبر الجملة الثابت نقل معنى الجملة كاملاً للمستمع، وتقويته وتوكيده، ومساعدة المستمع على التركيز، وتجاوز المعيقات التي قد تحول دون فهم المعنى كاملاً؛ كطول الجملة وتداخلها مع جملة أخرى، وكثرة المفاعيل، والظروف، والتوابع (كالمعطوفات والنعوت)، والضمائر. وتزداد الحاجة للنبر الثابت إذا كان الفاصل بين ركني الجملة طويلاً، وإن تقارب الركنان خفّت الحاجة للنبر، مع بقاء أهميته في إيصال المعنى والإيحاء للمعنى الخفي الثاني الذي يسببه نبر الجملة.

٢. نبر الجملة المتحرك:

هو نبر كلمة أو أكثر ليست مكونـًا أساسيـًا في الجملة، فينبر القارئ كلمات يختارها، يُعبر بنبرها عن موقفه أو انفعاله،[(١)] حسب المعنى الذي يريد التركيز عليه، ومن ذلك نبر المفاعيل، والمعطوفات، والنعوت، والظروف، والمجرورات، والأحوال، والتوكيد، والتمييز، وغيرها. ويعكس اختيارُ القارئ كلمات محددة لينبرها وجهة نظره في المعنى الذي يريد شدّ انتباه المستمع إليه، ومع التبديل بين الكلمات المنبورة - حسب تفاعل القارئ - يتغير المعنى المرسل للمستمع قليلاً؛ بسبب استجابة المستمع التلقائية للنبر، فتتغير تفاعلاته النفسية، وتداعياته الفكرية، وتتجدد، فيقع التأثير.

ويمكن أن يقع نبر الجملة المتحرك في أول الجملة، أو في وسطها، أو في آخرها حسب متطلبات الموقف والمعنى الذي يريد المتكلم التركيز عليه، أو ما كان استجابة لتفاعلاته النفسية التلقائية مع ما يقرأ، ويمكن أن تكون الكلمة المختارة جزءاً من تركيب الجملة، فيجتمع النبر الثابت مع المتحرك، وقد يكون نبراً رئيسـًا أو خفيفـًا.

وفي أساليب قليلة في هذه الموسوعة - كما في بعض المواضع من الجملة التقريرية والقصر والاستثناء والنداء وغيرها - كلماتٌ تدخل هنا في مفهوم نبر الجملة المتحرك، ففي بعض المواضع من تلك الأساليب يتدخل المعنى الذي يريد القارئ التركيز عليه في تحديد الكلمة التي تنبر.

فتحديد جزء متمم من الجملة التقريرية خاضع للمعنى الذي تفاعل معه القارئ ويريد إيصاله للمستمع، ولا يقصد بقولنا (جزء متمم من الجملة) الخبر فقط، بل قد يكون ذلك الجزء مفرداً، أو جملة، أو فاعلاً، أو مفعولاً، أو حالاً، أو صفة، أو تمييزاً، أو غير ذلك، فمثلاً قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١]، فإن الحال (مخلصـًا) هو الجزء المتمم - في هذه الموسوعة - وهو مركز المعنى في الآية، وليس الفعل ولا الفاعل ولا المفعول به، ولذلك فهو الجزء المختار للنبر المتحرك، ومع ذلك يمكن نبر غيره وتركه، فالأمر واسع، ولكن هذا الاختيار متعلق بالمعنى، وبكلمة ذات أهمية عالية في الجملة.

وكذلك الظرف في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:١٥]، فالظرف مع المضاف إليه (يوم القيامة) هو مركز المعنى، ولذلك فهو أحق بالنبر من غيره من كلمات الجملة غير الأركان.

وقد يكون في الآية أكثر من كلمة تصلح أن تكون مركزاً للمعنى، كما في قوله تعالى :﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٢٥]، فيمكن نبر (العذاب)، أو (لا) من قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، حسب المعنى الذي تفاعل معه القارئ.

(١) انظر: دراسة السمع والكلام؛ صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص: ٢٣٩.

وفائدة نبر الجملة نبراً متحركـًا زيادة تركيز المستمع وإرسال أكبر قدر ممكن من معاني الآيات إليه، وإبراز ما تفاعل القارئ معه، وما أثر فيه من معاني الآيات.

أنواع نبر الجملة بحسب القوة والأهمية:

١. نبر الجملة الرئيس:

هو تمييز كلمة من كلمات الجملة بضغطة تخصصها لتكون أبرز من غيرها من كلمات الجملة، فتزيد وضوحـًا في السمع، وقد يكون هذا النبر ثابتـًا – كما في نبر أدوات الاستفهام – أو متحركـًا يحكمه تفاعل القارئ مع معاني الآيات.

وهذا النوع من النبر هو الذي يحسن بالقارئ التركيز عليه والنطق به قصداً، وسيشار إليه في الدراسة التطبيقية في مواضعه من خط النبر والتنغيم لكل أسلوب.

وفي جملتي القصر والاستثناء مثلاً – وهما متطابقان في تركيب (ما وإلا) – إذا تعددت الكلمات، فإن الكلمة الأكثر تعبيراً عن المقصور أو المقصور عليه أو المستثنى هي التي تنبر نبراً رئيسـًا. وإذا كان المقصور أو المقصور عليه أو المستثنى أو المستثنى منه اسمـًا موصولاً فإن النبر يقع على صلة الموصول فقط؛ للإبهام الموجود في الاسم الموصول منفرداً، فإذا كانت الصلة جملة اسمية نُبر الأوضح من الركنين في الدلالة على المعنى، فقول الله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف:٨١]، ينبر (علمنا).

٢. نبر الجملة الخفيف:

هو تمييز كلمة من كلمات الجملة بضغطة تخصصها أخف من ضغطة النبر الرئيس، فتزيد وضوحـًا في السمع.

وإذا وُجد في الكلمة التي حقها النبر الخفيف مظاهرُ صوتية (حروف وحركات)، منبورة بطبيعتها (كالهمزة، والشَّدَّة، والمد)، فإن تلك المظاهر الصوتية تغني عن النبر الخفيف المستقصد وتقوم مقامه. وقد ذكر بعض تلك المظاهر الصوتية ونبرها في الكلمة – كالهمزة وحروف القلقلة – أبو العباس المبرد،[١] وابن جني،[٢] ومكي بن أبي طالب.[٣]

(١) انظر: المقتضب، أبو العباس المبرد: ١ / ٢٩٢، و٣٣٠، ٣٣٢.
(٢) انظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان ابن جني: ١ / ٦٣.
(٣) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ١١٥ إلى آخر الكتاب.

وهذه المظاهر الصوتية هي الأكثر وضوحـًا في تمييز الكلمة بنبر بعض حروفها نبراً (خفيفـًا) على الرغم من أن مكي بن أبي طالب ذكر أكثر من ذلك.(١)

وتتفاوت قوة النبر في بعض هذه المظاهر الصوتية، فأقواها المكسور، ثم المضموم ثم المفتوح ثم الساكن، إلا في بعض حروف الحلق (كالهمزة، والحاء والخاء، والعين والغين) فإن الساكن أقوى فيها من المفتوح.

والقارئ بمجرد نطق الكلمة التي تتضمن تلك المظاهر الصوتية قد نَبَرَها وميّزها عن غيرها من الكلمات بنبر (خفيف) لا يمكنه تركه، ولأن هذا النوع من النبر يحدث بشكل تلقائي فقد اعتمدتُ بعض تلك المظاهر الصوتية وأدخلتُها في النبر الخفيف في الدراسة التطبيقية، وذكرتُ مواضعه من جُمل الأساليب التي في هذه الموسوعة؛ لإعطاء صورة كاملة عن مواضع النبر في مفاصل الجملة بنوعيه (الرئيس والخفيف).

ويمكن أن يَحل النبر الرئيس محل النبر الخفيف، وقد يلتقيان في كلمة واحدة، فيكون فيها همزةٌ أو شَّدَّة أو مدّ، ويكون حق تلك الكلمة (النبر الرئيس)، فيظهر لأنه الأقوى في النطق ويختفي (الخفيف)، أي: أنه يمكن للكلمة التي حقها نبر خفيف أن تعطى نبراً رئيسـًا.

ومن مواضع النبر الخفيف في هذه الموسوعة: (المنادى، والمنفي، والمتمنى، والمعدود، وأول جملة التقسيم، وأول البدل)، وبعض الأدوات، مثل: (أدوات: النداء، والنفي، والقصر، والإضراب، والاستدراك، والعرض والتحضيض، والترجي، والتمني)، وغيرها.

(١) انظر: للمزيد من المظاهر الصوتية التي تدخل في مفهوم النبر القائم على (الوضوح والتمييز)، انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ١١٥ إلى آخر الكتاب.



وقد ناقش بعض علماء الأصوات مسألتين تتعلقان بنبر الجملة:

الأولى: نبر الكلمات أحادية المقطع

مثل: (قِ، قل، ما، هل)، فكثير منهم يرى أنها تحمل نبراً، مثل: د. تمام حسان،[١] ود. سلمان العاني،[٢] ود. محمد الخولي،[٣] وغيرهم،[٤] وهذا ما أرجحه. ومنهم من يرى أنها لا يقع عليها نبر؛ لما سينتج عن ذلك من التباس وتداخل بين النبر في الكلمة ونبر الجملة حينما تكون جميع الكلمات على مقطع أحادي، مثل: (قل لي: من هو؟)، فيضيع بذلك نبر الجملة، ودلالته في تحديد المعنى؛ لأن كل كلمات الجملة منبورة.[٥]

الثانية: نبر حروف المعاني وبعض الأدوات والضمائر

يرى د. كمال بشر أن الحروف وكثيراً من الأدوات والضمائر الشخصية وأسماء الموصول لا يصاحبها نبر واضح في الحالات الحيادية، وأن الكلمات ذات الأهمية النسبية في الجملة العربية هي التي تنبر، وهي: الأسماء، والصفات، والأفعال، والمكملات بالحال، والتمييز، أو الظرف، وأسماء الإشارة، وأدوات الاستفهام،[٦] ولا يعني هذا بحال أن هناك تفضيلاً بين كلمة وأخرى، وإنما هناك نسبية للكلمات بحسب مقامات مختلفة.[٧] وكلامه في هذه الجزئية غير دقيق في نظري؛ لأنه لا ينطلق من قاعدة منضبطة في تحديد ما ينبر وما لا ينبر من الجملة.

وفي نظري أن جميع الكلمات يمكن أن تنبر نبر جملة (ثابتًا أو متحركًا)، سواء أكانت على مقطع أحادي أم لم تكن، وتنبر حتى لو كانت حرف معنى، أو ضميراً، أو غير ذلك. والذي يحدد الكلمة/ الكلمات التي تنبر نبر الجملة هو المعنى ومقتضى الحال - بعبارة البلاغيين - فأي كلمة يتطلبها المعنى - كأركان الجملة - والحال والموقف وحاجة المستمع تنبر، وتتغير الكلمات المنبورة في بعض كلمات الجملة الواحدة بحسب مواقف المتحدثين ومقتضى أحوالهم. وأحيانا تكون إحدى الكلمات محورَ المعنى في بعض الأحوال والمقامات، مثل:

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ١٧٣.

(٢) انظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، دكتور سلمان العاني، ترجمة د. ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص: ١٣٤.

(٣) انظر: الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي، ص: ١٦٥.

(٤) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٣١٥ - ٣١٦.

(٥) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٣١٦ - ٣١٧.

(٦) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٢٠ - ٥٢١.

(٧) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٢٠ - ٥٢١.

أدوات الاستفهام، وحروف النفي، والاستدراك، والإضراب، أو ضمير الفصل، بل إن حروف الجر قد تكون محور معنى الجملة كما في مثل (عن) و(في) مع الفعل (ترغب).(١)

نبر أدوات الأساليب اللغوية (نبرَ جملة)

تتفاوت أدوات الأساليب اللغوية من حيث عدد حروفها، فبعضها مكون من خمسة حروف، مثل: (كلّما، حيثما، أينما، أيّان، لكنّ)، ومنها ما هو مكون من أربعة حروف، مثل: (أنّى، لولا، ماذا، كلّا، إلّا، لعلّ، أمّا، لمّا، مهما)، ومنها ما هو مكون من ثلاثة حروف، مثل: (ليت، ليس، ألَا، كيف، متى، عسى، إذا، نعمَ، بئس)، ومنها ما هو مكون من حرفين، مثل: (مَن، هل، أمْ، ما، إنْ، لو، لا، لن، لم، بل)، ومنها ما هو مكون حرف واحد، مثل: (الهمزة).

وبما أن النبر المعتمد في هذه الموسوعة هو (نبر الجملة) الذي هو: تمييز كلمة من كلمات الجملة بضغطة تخصصها لتكون أبرز من غيرها من الكلمات، فإن هذه الأدوات ستنبر (نبر جملة)، هي وما يلتصق بها من حروف المعاني أو بعض الضمائر المتصلة بصفتها - مجتمعة - وحدة صوتية واحدة، وستوضع في الدراسة التطبيقية مع ما يلتصق بها في عمود النبر.

ومن ذلك الأدوات الآتية - بعد عدّها وحدة صوتية واحدة مع ما يلتصق بها من حروف المعاني-: (أفمَن، أوَلو، أوَلم، أفلا، أوَلا، فأينما، فإذا، ألَمْ، لئن، فلمّا، فلولا، ومَن، فلمَ، فمَا، فأمّا، وأمّا، ولا، وليس، فلن، ولبئس، ولنعم، ولكنه)، وغيرها.

ولا يدخل هذا الجانب من النبر فيما اهتم به علماء التجويد؛ كالنبر المسبب للوهم في بعض الكلمات إذا نطقت بشكل مستقل، مثل: (فقست، فقعوا، فترى، أفلا)، أو الخلط بين (وَعَدَ، وعَدّ)، وبين (وَجَدَ، وجَدّ)،(٢) فهي مسألة تعالج أخطاء في النبر، بعضها موجود فعلاً عند بعض القراء والأئمة، فبعضهم يخطئ بنبر الفاء في قوله: (فجعلهم، فقعوا، فقست)، وما يشبهها، وهو قليل الحدوث ويرفعه ذكر الجملة كاملة. أما فيما يخص نبر أدوات الأساليب اللغوية فإن على القارئ أن ينبر الجزء من الوحدة الصوتية الواحدة (الأداة مع ما التصق بها من حروف المعاني) نبراً صحيحاً لا يخل بالمعنى، بأن يكون على الأداة نفسها، وليس على حروف المعاني، فإن اجتمع أداتان نُبر كلٌ منهما، مثل: (أإذا).

---

(١) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٣٢٣.

(٢) وجعل منه التفريق بين مخاطبة المفرد المذكر والمؤنث في مثل قولك: (اذكر الله) و(اذكري الله)، أو العناية بإظهار واو الجماعة وألف الاثنين في مثل: (اذكروا الله)، و(كانتا رتقًا)، أو إظهار الضمة والواو: (جاء معلم/ معلمو الدرس)، ومثل هذه المواضع يزول الإشكال فيها بتطويل المدّ قليلا. انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٣٠٨. وانظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ١٥٩ - ١٦١.




• النبر في الكلمة

ذكرت في السابق أن مفهوم النبر عامة يقوم على: تمييز مقطع أو حرف أو كلمة من بين أخواتها بضغطة تخصصها، فتزيد وضوحاً في السمع،(١) وأنه: (وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام... فالضغط لا يسمى نبراً، ولكنه يعتبر عاملاً من عوامله..).(٢) وبناء على ذلك فإن النبر في الكلمة هو تمييز مقطع من مقاطع الكلمة (حروفها وحركاتها) بما يميزه عن غيره من مكونات الكلمة.

مفهوم المقطع الصوتي في الكلمة

يتكون المقطع الصوتي للكلمة الواحدة من عدد من الأصوات (الفونيمات) بترتيب معين، ثم يأتي بعد ذلك (قطار) من المقاطع المتتابعة لتشكيل الكلام. وقد تنوعت الرؤى حول دراسة المقطع، حيث ظهر في تعريف المقطع وترميزه مسالك عديدة فيزيائية، وسمعية، ووظيفية، ودلالية.

وحينما قسم علماء الأصوات الكلام إلى مقاطع صوتية تحدثوا عن درجات النبر وأنواعه؛ باعتبار موقعه من الجملة/ الكلام، وباعتبار الوظائف السمعية، والتأثير على المعنى، وأشكاله مع الهمزة.

ومن أقدم من تحدث عن المقطع الصوتي وحدده أبو نصر الفارابي (٣٣٩هـ) الذي تناول الصوت اللغوي الإنساني الدال بما يظهر قدرته على الإفادة من فكرة المقطع في دراسة أوزان الشعر، وحسن تصرفه بالمصطلح، وإطلاقه تسمية المقطع القصير على ما يقابل الصامت المتبوع بمصوت قصير، والمقطع الطويل على ما يقابل الصامت المتبوع بمصوت طويل، واستعمال كلمة (حرف) بما يقابل مصطلح الصوتية (الفونيم)، وغير ذلك من مسائل الدرس الصوتي الحديث المهمة.(٣)

فالمقطع الصوتي عند الفارابي هو حصيلة اقتران حرف غير مصوت (صامت) بحرف مصوت (صائت)، يقول: (المقطع مجموع حرف مصوت وحرف غير مصوت... وكل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قِبَل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات... وكل حرف لم يتبع بمصوّت أصلاً وهو يمكن أن يقترن به فإنهم يسمونه الحرف الساكن، وكل

---

(١) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٤. وانظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ١٧٠، وعلم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥١٢. ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢١.

(٢) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٠. وانظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٣.

(٣) انظر: الدراسة فوق التشكيلية عند الفلاسفة المسلمين، أمينة طيبي، مدونة الأستاذ: سعد روان:
http://saadrawan.blogspot.com/201203//blog-post_9288.html

حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل).[١] ثم يربط المقطع الطويل بالسبب الخفيف، فيقول: (وكل مقطع طويل فإن قوته قوة السبب الخفيف، فلذلك يعدّ في الأسباب الخفيفة، وكل ما لحق الأسباب الخفيفة لحق المقاطع الطويلة، وسائر ما يركب تركيباً أزيد مما عددناها فإن جميعها مركبة، إما عن أسباب وإما عن أوتاد وإما عنهما جميعاً. وكل سبب خفيف فإنّه يقوم مقام نقرة تامة تعقبهما وقفة، كذلك كل مقطع طويل).[٢] كما تناول الفارابي علاقة الدال (الصوت) بالمدلول (المعنى)، حيث يقول: (وذلك أنهم يقولون: إن كل لفظة دالة ينبغي أن تكون محاكية للمعنى المدلول عليه، ومعرفة بطبعها لذات ذلك الشيء، أو لعرض يكون علامة للمدلول عليه خاصة).[٣]

وقال د.تمام حسان: إن المقاطع: (تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية، أو خنقات صدرية أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية، أو أشكال وكميات معينة).[٤] ومن خلال هذا التعريف فإن الحركات (الصوائت) تدخل في الحسبان كالحروف (الصوامت). ويؤكد د. كمال بشر أن النبر والمقطع متلازمان في الدرس والتحليل، وأن المقطع يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر إحداهما حركة، فلا وجود لمقطع من صوت واحد أو مقطع خالٍ من الحركة.[٥]

وقال سمير العزاوي إن المقطع (تتابع كمي من الأصوات الصامتة الصائتة مؤدياً إلى إنتاج ملامح تمييزية في الدلالة)،[٦] وأضاف أن الصوت (الفونيم) ذو نشاط وظيفي، وأننا لا ننطق أصواتاً أو مقاطع دون وظائف، لذلك كان الإدراك السمعي للأصوات وبخاصة الصائتة أو العلة مهماً في تحديد الإطار الوظيفي في ذلك المقطع.[٧]

---

(١) انظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة، ص: ١٠٧٢ - ١٠٧٩.

(٢) انظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق غطاس عبدالملك خشبة، ص: ١٠٧٢ - ١٠٧٩. والأسباب والأوتاد من مصطلحات علم العروض، فالسبب الخفيف مقطع صوتي يتكون من حرفين؛ متحرك فساكن، والسبب الثقيل مقطع صوتي يتكون من حرفين متحركين، والوتد مقطع صوتي يتكون من ثلاثة أحرف؛ متحركين فساكن، وهو الوتد المجموع، أو متحرك فساكن فمتحرك، وهو الوتد المفروق. انظر: أهدى سبيل إلى علمي الخليل؛ العروض والقافية، محمود مصطفى، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٩٩٦، ص: ١٥، وما بعدها.

(٣) انظر: شرح الفارابي لكتاب أرسطوطاليس في العبارة، عني بنشره وقدم له ولهام كوتش اليسوعي، وستانلي مارو اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، ص: ٥٠.

(٤) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٣٨.

(٥) انظر: علم الأصوات، كمال بشر، ص: ٥٠٣، ٥٠٩.

(٦) انظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير العزاوي، ص: ١٢٨.

(٧) انظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير العزاوي، ص: ١٢٨.



أشكال المقاطع ومواضع النبر:

تعددت أشكال المقاطع وتقسيمها عند اللغويين، كما تعددت مواضع النبر عندهم في المقطع، وقد رمزوا للمقاطع برموز متعددة، فمنهم من انطلق من الحرف الصحيح والمعتل، ورمز لهما بـ(ص)، أي: صحيح، و(ع)، أي: معتل، ومنهم من انطلق من أن المقطع كمية معينة فجعل له ثلاثة رموز: (ق)، أي: قصير، وهو ما كان مبدوءاً بصوت صامت وجاءت بعده حركة، مثل: كتب،[١] و(ط)، أي: طويل، وهو ما كان مبدوءاً بصامت، ثم حركة طويلة، مثل: في،[٢] وزاد بعضهم: (م) للمتوسط.[٣] وأضافوا: رمز: (ف)، أي: مفتوح للمقطع المنتهي بحرف صحيح،[٤] أو هو المنتهي بصوت صائت سواء أكان طويلاً أم قصيراً، مثل: كاتب،[٥] ورمز: (ل)، أي: مقفل للمقطع المنتهي بحرف علة،[٦] أو هو المنتهي بصوت صامت، مثل: كمْ.[٧]

تفاوت آراء العلماء في تحديد موضع النبر من المقطع:

ومع اختلاف المتخصصين المعاصرين في علم الأصوات في تحديد مفهوم النبر في العربية،[٨] فقد تفاوتت آراؤهم في تحديد موضع النبر من المقطع في الكلمة العربية:

١. فمنهم من يرى أن النبر يكون على المقطع ولم يحدد موضعه من الكلمة، مثل: د. إبراهيم أنيس الذي يؤكد أن النبر - وعبر عنه بالضغط - يقع على المقطع، يقول: والمرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة؛ ليجعله بارزاً أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط الذي نسميه النبر.[٩] وجعل د. تمام حسان النبر على مقاطع الكلمة مشيراً إلى أنه نبر صرفي، ويختلف موضعه باختلاف عدد مقاطع الكلمة، فقد يكون النبر على المقطع الأخير، أو على ما قبل الأخير، أو على الذي يسبقه، كما جعل النبر نوعين أوليّا وثانويّا، ولكلٍ مواضعه من المقطع.[١٠] وسيأتي الحديث عن مفهوم المقطع ومواضع النبر عند د.

---

(١) انظر: التنوعات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، ص: ٨٢، وما بعدها.
(٢) انظر: التنوعات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، ص: ٨٢، وما بعدها.
(٣) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٣٨ - ١٤٠.
(٤) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٣٨ - ١٤٠.
(٥) انظر: علم وظائف الأصوات، عصام نور الدين، ص: ٩٤، وما بعدها.
(٦) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٣٨ - ١٤٠.
(٧) انظر: علم وظائف الأصوات اللغوية - الفونولوجيا، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص: ٩٤، وما بعدها.
(٨) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ١١٤ - ١٤٥. ١٧١ - ٢٠٥.
(٩) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ٩٨.
(١٠) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦١، ١٦٢.

إبراهيم أنيس، ود. تمام حسان بالتفصيل بعد قليل. كما يؤكد د. كمال بشر أن النبر والمقطع متلازمان في الدرس والتحليل، وأن المقطع يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر إحداهما حركة، فلا وجود لمقطع من صوت واحد أو مقطع خالٍ من الحركة.(١)

٢. ومنهم من يرى أن النبر يكون على الصوت الأخير من المقطع، مثل: د. عبدالكريم أسعد قحطان الذي يرى أن النبر يقع على الصوت الأخير من المقطع، سواء كان صائتاً أم صامتاً، مؤكداً أن قمة المقطع الصوتي العربي إنما تكون في الصوت الأخير منه، سواء أكان صائتاً أم صامتاً، وفي هذه القمة يتبين أثر النبر من حيث هو مدّ في الصائت أو ضغط في الصامت.(٢)

٣. ومنهم من يرى أن النبر يقع على الحركة فقط (الصائت)، فالدكتور سعد مصلوح يرى أن الحركة (الصائت) هي التي تحمل النبر، قصيرة كانت أم طويلة،(٣) وأن ذلك قد ثبت عنده في التجارب المعملية.(٤) وكذلك د. محمد علي الخولي،(٥) ود. حسام العفوري،(٦) و د. عبدالحميد زاهيد، الذي اقترح قواعد للنبر، وحدد مواضع النبر فيها تحديداً يفتقر للدقة،(٧) ود. وليد مقبل الديب في الميزان النبري وسيأتي الحديث عنه.(٨)

٤. ومنهم من جعل الحرف الصامت يتحمل نبراً مستقلاً؛ كالدكتور أيمن رشدي سويد الذي يرى أن النبر يقع على القاف الأولى من كلمة (الحَآقَّةُ)، وأن النبر يقع عند الانتقال من حرف مدّ إلى الحرف المشدّد؛ لأن الحرف الساكن يخرج بالتصادم بين طرفي عضو النطق.(٩) والنبر على الصامت ممكن إذا كان نبر طول أو النبر الزمني، وسيأتي الحديث عنه.

(١) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٠٣، ٥٠٩.
(٢) انظر: المقطع والكم والنبر في بنية اللسان العربي، د.عبدالكريم أسعد قحطان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص: ٩.
(٣) انظر: دراسات نقدية في اللسانيات المعاصرة، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤، ص: ١٦٥.
(٤) انظر: التناسب الزمني بين الحركات القصيرة والطويلة، دراسة صوتية معملية في القافية العربية، د. سعد مصلوح، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤، ص:٤.
(٥) انظر: الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي، ص: ١٥٨.
(٦) انظر: النبر في العربية دراسة نطقية فيزيائية، د. حسام العفوري، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ٢٠٠٦، ص: ٤٠.
(٧) انظر: نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية دراسة صوتية، د. عبدالحميد زاهيد، دار وليلي للطباعة والنشر، ١٩٩٩، ص: ٢٩، وما بعدها.
(٨) انظر: دور الصرف والنحو في توجيه نبر الشعر، د. وليد مقبل الديب، دكتوراه، ص: ٢٧، والآثار الصرفية والنحوية والدلالية للأداء النطقي في القرآن الكريم، وليد مقبل الديب، ماجستير، ص: ٢٣.
(٩) انظر: أبحاث تجويدية، د. أيمن رشدي سويد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، سوريا، ٢٠٠٦، ص: ٣٢.



٥. **والذي يترجح عندي أن النبر عمومًا** – غير نبر الطول كما سيأتي – يكون على الحرف والحركة معـًا، فهو على الصامت (الحرف) والصائت (الحركة)، ولا أدري كيف يمكن نطق الصائت دون صامته، فلا صائت دون صامت. وهذا هو اختيار د. عصام أبو سليم الذي أكد أن النبر أحد سمات المقطع بصفته وحدة بنيوية مكوَّنة من صائت وصامت أو أكثر، وليس كما يعتقد بعضهم من أنها سمة خاصة بالصوائت أو أصوات العلة.(١) وكذلك اختيار د. عائشة التركاوي التي أشارت إلى أن النبر سمة يتميز بها المقطع الصوتي بصوامته وحركته، ولا يختص بالصامت دون الحركة، أو الحركة دون الصامت، فالنبر من الملامح الفونولوجية التي تسم المقطع، أو سلسلة المقاطع.(٢) وكذلك د. أحمد زين الدين حينما اختار أن النبر يأتي على الحركة والصامت الذي يحملها فقط (الصامت والصائت معـًا)، وعلّل لذلك بتعليلات منها: أنه لا يمكن فصل الصامت عن الحركة التي يحملها حسب نتائج الراسم الطيفي، وأن قوة دفع الهواء المتعلقة بشدة الصوت تبدأ مع الصامت الأول في المقطع الذي يحمل الحركة.(٣)

دراسة النبر في الكلمة المفردة من داخل اللغة العربية

بذل المتخصصون في الدراسات الصوتية العربية الحديثة جهوداً كبيرة لخدمة اللغة العربية في محاولة لتحديد مواضع النبر في الكلمة المفردة (نبر مقطع منها)، واجتهدوا في ذلك فتنوعت آراؤهم وتعارضت أحيانـًا كثيرة.(٤) ومنهم من مارسَ الإسقاط على اللغة العربية الفصيحة بأن طبق معايير تحديد موضع النبر في المقطع من لغات أخرى، كما شرحتُ قبل قليل.

وأوجز وجهة نظري في النبر في الكلمة المفردة في العربية في هذه النقاط:

١. سيبقى الاختلاف بين المتخصصين المعاصرين في علم الأصوات، وقد تزيد الفجوة بين آرائهم، والمخرجُ في نظري هو في تغيير طريقة التفكير وطريقة التعامل مع النبر في العربية. أما التفكير من داخل أنظمة صوتيّة من لغات أخرى وإخضاع اللغة العربية لأحدها، فلا أتوقع له نجاحـًا مهما بذل لأجله من جهود بحثية أو تقنية.

---

(١) انظر: البنية المقطعية في اللغة العربية، د. عصام أبو سليم، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ذو القعدة ١٤٠٧هـ ربيع الثاني ١٤٠٨هـ، السنة ١١، العدد (٣٣)، ص: ٤٥.

(٢) انظر: النبر والتنغيم في القرآن الكريم دراسة لغوية حاسوبية، د. عائشة يوسف عبدالحميد التركاوي، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٣، ص: ١٣٥.

(٣) للمزيد انظر: نظرية الميزان النبري للدكتور وليد مقبل الديب؛ دراسة تحليلية، د. أحمد زين الدين محمد أحمد، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ٢٠٢١، ص: ٤٢.

(٤) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ١١٤ – ١٤٥. ١٧١– ٢٠٥.

٢. بعض اجتهادات المتخصصين لها ما يسندها لغويّاً ومنطقيّاً، وهي من داخل اللغة العربية، مثل: اعتماد المشتقات الصرفية معياراً لتحديد النبر في الكلمة المفردة، ولكن هذا لا يستند إلى مرجعية في اللغة الفصيحة، إنما هو اجتهاد لا نعلم عن مدى وجوده في العربية الفصيحة قديماً.

٣. للغة العربية الفصيحة اليوم ظروفها الخاصة فيما يتعلق بالنبر في الكلمة المفردة، فهو نبر دقيق المأخذ، ولا يمكن نسبة النبر في الكلمة في العاميات العربية اليوم إلى اللغة الفصيحة؛ لأنها مختلفة، ولا يُعلم أيها الأقرب للفصيحة إن كان شيء منها قريباً لها، وليست اللغة الفصيحة مستعملة اليوم في البلاد العربية بشكل صحيح حتى نستمع إليها ونستنتج منها مثلما يصنعه علماء اللغات الأخرى.

٤. لا يوجد لدينا نص مسموع من العربية الفصيحة، وإنما هي نصوص مكتوبة، وتُتلقى صوتيّاً، ويؤثر في التلقي عوامل تأثير بيئية ولغوية كثيرة. ويمكن أن نعدّ أجود نص فصيح مسموع - من حيث النبر في الكلمة - هو ما التزم به جميع قراء القرآن الكريم من نبر في الكلمة على اختلاف شيوخهم، ومدارسهم، وأماكنهم، وأزمانهم إذا كانوا يؤدونه فرضاً لغويّاً لا اختياراً ولا ترنماً منهم؛ كإعطاء الأصوات صفاتها، وإدغام الأصوات، أو قلبها، أو قلقلتها.[١]

٥. **ويبرز هنا سؤال:** هل يلزم أن يُحدد موضع النبر في الكلمة المفردة العربية؟ وأن يكون فيها نبرٌ مثلما في الكلمة الإنجليزية مثلاً؟ لماذا هذا الإصرار على إيجاد نبر للعربية بإجبار معاييرها الصوتية للخضوع إلى ما ليس منها؟ هكذا هي العربية إن كان فيها نبر في الكلمة المفردة فهو غالباً لا يؤثر على معنى الكلمة منفردةً[٢] إلا في نبر الطول أو النبر المسبب للوهم والخطأ في الفهم، ولهذا تركه القدماء، ولم يتطرقوا له إلا بإشارات يسيرة جدّاً، منها ما جاء تحت مصطلح الهمز.[٣] أما النبر الذي يرى بعضهم أنه يحيل المعنى بين الكلمات (مثل: نبر: فقست، فقعوا....)، فهو خطأ في الكلام، أو في أداء القرآن الكريم، وقد ناقشته في آخر حديثي عن مفهوم النبر وأهميته. ومسألة تتبع هذا النوع من النبر وإبرازه وتصحيحه مسألة مختلفة، ولا بدّ أن تُعطى قدرها من الأهمية، لكنها لا تسوغ الذهاب بعيداً لفرض مواضع للنبر على اللغة العربية، وإسقاط تلك المواضع على كلمات القرآن الكريم، وهي ليست منطلقة من الأنظمة الصوتية للعربية، ولا من قواعدها الصوتية التي في داخلها.

---

(١) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٢٠، ٢١.

(٢) أما نبر الكلمة ضمن جملة كاملة فهذا هو نبر الجملة الذي سبق الحديث عنه.

(٣) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ١١٤ - ١٤٥. ١٧١- ٢٠٥.

٦. أن مواضع النبر التي حددها العلماء العرب اليوم للنبر في الكلمة المفردة في العربية هي من النوع الذي لا يخدم معنى الكلمة المفردة غالبـًا، أما النبر الذي اهتم به بعض علماء التجويد؛ كالنبر المسبب للوهم في بعض الكلمات إذا نطقت بشكل مستقل، مثل: (فقست، فقعوا، فترى، أفلا)، أو الخلط بين (وَعَدَ، وعَدّ)، وبين (وَجَدَ، وجَدّ)،[1] فهي مسألة تعالج أخطاء بعضها موجود فعلًا، وهذه مسألة منفصلة عن النبر كما ذكرت قبل قليل. ومع تأثير هذا النبر الخاطئ في المعنى إلا أنه يفتقد أهميته؛ لأنه لا يظهر إلا عند نطق الكلمة منفردةً، ونطقها منفردة لا فائدة منه، أما نطق الكلمة ضمن الجملة فإن تماسك الجملة ومعناها يزيل تأثير الخطأ - لو حصل - بنسبة كبيرة. وقد فصّلت الحديث عن هذه الجزئية في الفصل الأول في تحديد مفهوم النبر وأهميته.

٧. إذا لم يكن النبر في الكلمة (نبر مقطع منها) ذا قيمة وظيفية يخدم معناها منفردةً أو يؤثر عليه - كما في نبر الطول مثلاً، أو تصحيح النبر المسبب للوهم والخطأ في الفهم كنبر الفاء في قوله: (فجعلهم، فقعوا، فقست)، وما يشبهها، وهو قليل الحدوث ويرفعه ذكر الجملة كاملة- فهو غالبـًا نبر عشوائي، ولا قيمة له في العربية، والمناقشة حول تحديده ودراسته بذلٌ للجهود بلا فائدة، وكثير من العلماء خلال العقود الماضية إنما ناقشه في العربية؛ لأنه جزء من علم الأصوات الحديث، وأن على العلماء العرب أن يتعرفوا على النبر في العربية، ويحددوا مواضعه، ويقعّدوا له، فبدأت الجهود متفرقة وتعارض بعضها، وتأثرت أغلب الدراسات بالرؤى الصوتية في اللغات الأجنبية، أو في العاميات العربية، وتُرك التأصيل من العربية نفسها لتحديد مواضع النبر فيها.

٨. بناء على ما سبق فإنه يمكن القول بأن سبب ضعف النتائج التي خرجت بها الدراسات في تحديد موضع النبر في الكلمة العربية المفردة خلال عقود ماضية هو عدم التفكير في نظام اللغة العربية من داخلها، فكثرت الإسقاطات على اللغة الفصيحة من كل جانب، ولذلك من المهم إعادة النظر في طريقة التفكير في النبر في الكلمة في اللغة العربية، والتغيير فيها للخروج بنتائج مختلفة.

٩. وهناك قاعدة صحيحة منطقيـًا ومهمة، خلاصتها أن لكل لغة مظاهر للنبر خاصة بها، ومن المهم أن يُنظَرَ إلى كل لغة بما يناسب طريقة نطقها، ولا يحكم على صفة نطقية في لغة ما بأن تتوافق مع غيرها من اللغات. وبناء على هذه القاعدة، فإنه لا يصحّ فرض قواعد للنبر من لغة أخرى على اللغة العربية، ثم نسبتها إلى العربية الفصيحة، لا من اللغة الإنجليزية، ولا من العاميات العربية التي انتشر الاعتماد عليها في بعض الدراسات الصوتية العربية

(١) وجعل منه التفريق بين مخاطبة المفرد المذكر والمؤنث في مثل قولك: (اذكر الله) و(اذكري الله)، أو العناية بإظهار واو الجماعة وألف الاثنين في مثل: (اذكروا الله)، و(كانتا رتقـًا)، أو إظهار الضمة والواو: (جاء معلم/ معلمو الدرس)، ومثل هذه المواضع يزول الإشكال فيها بتطويل المدّ قليلا. انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٣٠٨. وانظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ١٥٩ - ١٦١.



الحديثة على الرغم من تنوعها وتعددها وتقلباتها عبر الزمان، ولا من الإعلام العربي، ولا حتى من المقرئين للقرآن الكريم اليوم، مع أنهم الأقرب لأداء النبر في العربية الفصيحة، إلا إذا كان مما التزم به جميع القراء على اختلاف شيوخهم، ومدارسهم، وأماكنهم، وأزمانهم كما ذكرت قبل قليل.

١٠. إذا وضعنا في الاعتبار تعريفات النبر التي ذكرتْ في الفصل الأول من هذه الموسوعة، فإن النبر: وضوحٌ نسبي لصوت أو مقطع،[(١)] كما أنه تمييز مقطع أو حرف أو كلمة بضغطة تخصصها، فتزيد وضوحاً في السمع.[(٢)] فالمفهوم يدور حول (الوضوح والتمييز الصوتي)، وفي اللغة العربية مظاهر صوتية كثيرة تعطي الحرف وضوحاً وتميزه عن غيره من الحروف - فتستلزم ضغطاً أقوى عند نطقها - يمكن الإفادة منها ودراستها؛ كالشَّدَّة، والهمْز، والتسهيل، والمدّ، ومدّ الصلة، والقلقلة، والتفخيم، والترقيق، والإدغام، والغنة، وغير ذلك كثير مما يعرفه المتخصصون.[(٣)] وقد ذكر بعض تلك المظاهر الصوتية ونبرها في الكلمة؛ كالهمزة وحروف القلقلة أبو العباس المبرد،[(٤)] وابن جني،[(٥)] ومكي بن أبي طالب،[(٦)] الذي تنبه لهذه الظاهرة الصوتية وطبقها على مفردات القرآن الكريم، فكتابه (الرعاية) مليء بتحديد الحروف التي تنبر من الكلمة الواحدة وبين الكلمتين لرفع الالتباس بين الحروف المتطابقة، والمتشابهة، والمتقاربة،[(٧)] وقد تحدث عن جميع الحروف العربية تقريباً (مع أنه لم يستخدم مصطلح النبر إلا نادراً، وإنما يستخدم كلمة (إظهار)، و(بيان) ومشتقاتهما)، وقد اعتمدتُ بعض هذه المظاهر الصوتية وأدخلتُها في النبر الخفيف في الدراسة التطبيقية.

١١. لا أعلم سبباً يجعل المتخصصين المعاصرين في علم الأصوات ينصرفون عن دراسة هذه الظواهر الصوتية الموجودة في العربية إلى تطبيق قواعد علم الأصوات الحديث عليها وإلى الاكتفاء بالنظر إليها من منظور علم الأصوات الحديث، وهذا - بلا شك - أضرّ بالعربية وبدراسة النبر فيها، ولعل الدراسات المستقبلية تحاول صياغة رؤية للنبر في العربية من داخلها بإذن الله.

---

(١) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٠. وانظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٣.

(٢) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٤، وانظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ١٧٠، وعلم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥١٢، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢١.

(٣) للمزيد من الظواهر اللغوية التي تدخل في مفهوم النبر القائم على (الوضوح والتمييز)، انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، ص: ٩٥ - ١٠١. وانظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ١١٥ إلى آخر الكتاب.

(٤) انظر: المقتضب، أبو العباس المبرد: ١ / ٢٩٢، و٣٣٠، ٣٣٢.

(٥) انظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان ابن جني: ١ / ٦٣.

(٦) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ١١٥ إلى آخر الكتاب.

(٧) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ١١٥ إلى آخر الكتاب.

ثلاث رؤى صوتية في النبر في الكلمة المفردة

هذه ثلاث رؤى في النبر في الكلمة المفردة في اللغة العربية، وضعها ثلاثة من المتخصصين، وسأذكرها بالتفصيل فيما يتعلق بأشكال المقطع الصوتي في الكلمة، ومواضع النبر منها، كما سأوحّد الرمز بينهم معتمداً الرمز (ص = الحرف)، والرمز (ح = لحركة الحرف)، والرمز (ح ح = لحرف المدّ)، والمتخصصون الثلاثة هم: د. إبراهيم أنيس، ود. تمام حسان، ود. وليد مقبل الديب.

أولاً: د. إبراهيم أنيس

ذكر د. إبراهيم أنيس خمسة أشكال للمقطع في الكلمة الواحدة:

١. صوت ساكن + صوت لين قصير، مثل: (بِ)، ورمزه: (ص ح).

٢. صوت ساكن + صوت لين طويل، مثل: (في)، ورمزه: (ص ح ح).

٣. صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن، مثل: (قَدْ)، ورمزه: (ص ح ص).

٤. صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن، مثل: (طين)، ورمزه: (ص ح ح ص).

٥. صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان،[١] مثل: (قُرْبْ)، ورمزه: (ص ح ص ص).

والأشكال الثلاثة الأولى هي الأكثر شيوعاً، والرابع والخامس قليلة الشيوع، ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف.[٢]

أما مواضع النبر عنده فهي أربعة:

- **الأول**: أن ينظر إلى المقطع الأخير، فإن كان من الشكل الرابع (ص ح ح ص) أو الخامس (ص ح ص ص)، فهو المقطع الذي يحمل النبر، ولا يكون هذا إلا في حالة الوقف، مثل: (نستعين، المستقر).[٣]
- **الثاني**: أن ينظر إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإن كان من الشكل الثاني (ص ح ح) أو الثالث (ص ح ص) فهو موضع النبر، وأغلب الكلمات العربية على هذا الموضع، مثل: (استفهِمْ، قاتَلَ، يُنادي، يكتُبُ).[٤]
- **الثالث**: أن ينظر إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإن كان من الشكل الأول (ص ح) نظرنا إلى ما قبله، فإن

(١) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ٩٢.
(٢) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ٩٢، ٩٣.
(٣) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ٩٩.
(٤) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٠.

كان مثله كان النبر على المقطع الثالث، كالفعل الماضي الثلاثي، مثل: (كتب، فرح، صعب) يكون على المقطع الثالث عدّاً من آخر الكلمة، أي: على (ك، ف، ص)، وإما في الكلمات أمثال: (اجتمع، انكسر)، وإما في أمثال المصادر: (لعبٌ، فرحٌ)، أو الأسماء: (عِنَبٌ، بلحٌ)، فالنبر على المقطع الثالث عدّاً من آخر الكلمة.(١) ويلاحظ في أمثلة هذا الموضع أن المقطع الذي قبل الأخير من الشكل الأول، ومسبوق بمثله من الشكل الأول أيضـًا.

• **الرابع:** حين تكون المقاطع الثلاثة التي قبل المقطع الأخير في الكلمة من الشكل الأول (ص ح)، مثل: (بَلَحَةٌ، عَرَبَةٌ، حَرَكَةٌ)، ففي هذه الحالة يكون النبر على المقطع الرابع عدّاً من آخر الكلمة، فيكون النبر على (ب، ع، ح)، وهذا الموضع نادر.(٢)

ثم يؤكد د. إبراهيم أنيس أنه قد يطرأ على الكلمة من الأحكام اللغوية ما يستوجب انتقال النبر من موضعه إلى مقطع قبله أو آخر بعده من الكلمة. فاشتقاق كلمة من أخرى قد يؤدي إلى تغير موضع النبر، فالفعل الماضي (كتبَ) يكون نبره على المقطع (كَ)، وفي المضارع (يكتُب) ينتقل النبر إلى المقطع الذي يليه، وهو (تُـ)، وفي الفعل الماضي (انكسر) يكون النبر على (كَ)، ويكون على (سا) في المصدر (انكسار). وتؤثر العوامل اللغوية على موضع النبر، فالنبر في الفعل (يكتبُ) على المقطع (تُـ) فإذا جزم الفعل انتقل النبر إلى المقطع الذي قبله، وهو (يَكْ)، كما أن النبر ينتقل حين يسند الفعل إلى الضمائر، فالنبر في الفعل الماضي (كتب) على المقطع (كَ)، فإذا أسند إلى معظم ضمائر الرفع المتصلة انتقل إلى المقطع الذي يليه، ففي (كتبتُ) أو (كتبنا) نجد النبر فوق المقطع (تبْ)، وكذلك المصدر (استفهام) إذا اتصل بالضمير (نا) فأصبح (استفهامنا) انتقل النبر من المقطع (ها) إلى المقطع (مُ). وقد ينتقل النبر إلى مقطعين؛ ففي إسناد الفعل الماضي (سمع) إلى جماعة المخاطبات يصبح (سمعتُنّ)، فينتقل النبر من (سَ) إلى (تنْ) مجاوزاً في انتقاله مقطعين.(٣)

في نظري أنه قد هدم القواعد التي وضعها بنفسه، وهو على علم بهذا، فاضطر لعدد كبير من الاستثناءات أخلت بالمعايير التي وضعها بشكل كبير، وذلك حينما قال: إنه قد يطرأ على الكلمة من الأحكام اللغوية ما يستوجب انتقال النبر من موضعه إلى مقطع قبله أو آخر بعده من الكلمة. وما أوقعه في هذا إلا أنه يريد أن يكون

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٠.
(٢) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٠.
(٣) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٤ – ١٠٥.

للعربية شأن في النبر في الكلمة ولم تنجح محاولته. وقد أخذ عليه د. عبدالصبور شاهين، ود. وليد الديب، ود. أحمد زين الدين بعض المآخذ فيما يتعلق بأشكال المقاطع عنده، وبتحديده مواضع النبر من الكلمة.(١)

ثانياً: د. تمام حسان

ذكر د. تمام حسان أنه اختار أن ينظر للمقاطع في الكلمة العربية على أنها تعبيرات عن أنساق منظمة من الجزئيات التحليلية.(٢) والمقاطع عنده ستة أشكال في الكلمة الواحدة، هي:

١. **القصير**: (ص ح)، مثل: بِ.

٢. **المتوسط المقفل**: (ص ح ص)، مثل: لَمْ، تُبْ.

٣. **المتوسط المفتوح**: (ص ح ح)، مثل: مَا، (وجعل رمزه: ص م).

٤. **طويل المدّ**: (ص ح ح ص)، مثل: بابْ، المقطع الأول من ضالين، (وجعل رمزه: ص م ص).

٥. **طويل التسكين**: (ص ح ص ص)، مثل: المقطع الثاني في (دويبّة).

٦. **مقطع الوقف**: (ص ح ص ص)، (وجعل رمزه: ص م ص ص).(٣)

أما مواضع النبر الأولي (الرئيس) عنده في الكلمة، فهي خمسة:

• **الأول**: يقع النبر على المقطع الأخير إن كان طويلاً، سواء أكان من الشكل الرابع، أم الخامس، أم السادس، فيقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة أو الصيغة التي عليها الكلمة، مثل: مفعول - يفعلان - فعلْتْ - البارّ.(٤)

• **الثاني**: يقع النبر على الكلمات ذات المقطع الواحد على ذلك المقطع، أيا كانت كميته، مثل: قمْ، قلّ، قالْ.(٥)

---

(١) للمزيد انظر: علم الأصوات، د. عبدالصبور شاهين ١٥٤، وقوانين النبر في اللغة العربية، عرضـًا ونقداً وتأسيسـًا لنظرية جديدة، د. وليد الديب، ص: ٧٠ - ٧٧، ونظرية الميزان النبري للدكتور وليد مقبل الديب، د. أحمد زين الدين محمد أحمد، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ٢٠٢١، ص: ٦٥ - ٦٩.

(٢) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٣٨. وقد رمز للمقاطع في كتابه: مناهج البحث في اللغة بـ(ص، ع) (أي: الصحيح والمعتل، وفي كتابه: البيان في روائع القرآن رمز لبعض المقاطع باستخدام (م) بدلا من (ح ح)، ولتوحيد الرمز سأستخدم (ص، ح) أي: (الصامت والمتحرك).

(٣) انظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣، ص: ٢٦٠. وانظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٤٠، ١٤١. وكلامه في كتاب: البيان في روائع القرآن عن النبر والمقاطع الصوتية أكثر وضوحـًا ونضجـًا من غيره من الكتب.

(٤) انظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص: ٢٦٣.

(٥) انظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص: ٢٦٣.

• **الثالث:** يقع النبر على المقطع الذي قبل الأخير في الحالات الآتية:

١. إذا كان ما قبل الأخير قصيراً، والأخير متوسطًا أو قصيراً في كلمة ذات مقطعين أو مبدوءة بهمزة وصل قبلهما، كما في: (كُتُبْ، صُوَرْ، انطلقْ، اخرجي).

٢. إذا كان ما قبل الآخر متوسطًا، وكان الآخر متوسطًا أو قصيراً، كما في: (عَلَّمْ، قاتلْ، معلّمْ، مقاتلْ، استوثقْ، استلقِ، حذارِ).

٣. إذا كان ما قبل الآخر طويلاً، واغتفر فيه التقاء الساكنين، والآخر غير طويل، كما في: (ضآلّة، طآمة، دُوَيّبَة، حُوَيّقَة).[١]

• **الرابع:** يقع النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الآخر إذا كان هذا المقطع قصيراً أو متوسطًا بعده قصيران أو قصير ومتوسط، مثل: (عَلَّمَكَ، عَلَّمَكمْ، بَيْنَكُمْ، بَيْتُكَ، نظرْةٌ، ابتسامةٌ).[٢]

• **الخامس:** يقع النبر على المقطع الثالث مما قبل الآخر إذا كان الآخر قصيراً، أو متوسطًا قبله ثلاثة قصار، مثل: (ضَرَبَكَ، بَقَرةٌ، يَرِثُني، تَعِدُهُمْ، وَجَدَكَ، نَكِرَهُمْ).[٣] ويؤكد د. تمام أنه لا يقع النبر على مقطع سابق للمقطع الثالث مما قبل الآخر، أي: المقطع الرابع من الآخر.[٤]

كما ذكر د. تمام حسان النبر في الكلمة بعد أن يلتحق بها كلمات جديدة تختلف طولاً وقصراً، منها ما هو حرف واحد؛ كالعطف وبعض حروف الجر، والتنفيس، أو الضمائر، وكل ذلك يتطلب توزيعًا جديداً للنبر يقسم الأصوات إلى دفعات، كل دفعة منها بوزن كلمة عربية حتى إن امتدت هذه الدفعة على نهاية كلمة وبداية ما بعدها فمزجت نهاية السابقة وبداية اللاحقة في خفقة واحدة من خفقات النفس عند التكلم.[٥] وقد مثل لذلك بالفعل (سارعوا) بنبر ألف المدّ في حالة الإفراد، فإذا عطف بالواو (وسارعوا) تغيرت خطة النبر فيه، فاشتمل على نبر ثانوي على حركة الواو ونبر أولي على حركة الراء، فصار كأنه كلمتان إحداهما (وسا) والثانية (رِعوا)، وكلتاهما تشبه الفعل (رمى) من حيث مطلق الحركات والسواكن، فتستحق من النبر ما يستحق الفعل (رمى)، ويصدق على ذلك قوله تعالى: ﴿وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾ [آل عمران:٢٠٠].[٦]

(١) انظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص: ٢٦٣.
(٢) انظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص: ٢٦٣-٢٦٤.
(٣) انظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص:٢٦٤.
(٤) انظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص:٢٦٤.
(٥) انظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص: ٢٦٦.
(٦) انظر: البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ص: ٢٦٦.

كما أكد د. تمام حسان على أن النبر يؤثر في معنى الجملة، وقد مثل لذلك بتفريقه بين (اذكر الله) و(اذكري الله)، حيث تفقد الياء كميتها فتصبح بمقدار الكسرة في الكلام، وتصبح أحوال الأصوات في الجملتين واحدة، فلا يعرف السامع ما إذا كان المتكلم يخاطب رجلاً أو امرأة؛ فيتدخل النبر فيفرق بين الإسنادين، فيكون النبر في الجملة الأولى على مقطع همزة الوصل، ويكون في الجملة الثانية على مقطع الكاف؛ ليدل على طول الياء.[١]

وقد أخذ عليه د. وليد الديب، ود. أحمد زين الدين بعض المآخذ فيما يتعلق بأشكال المقاطع عنده وتحديده لمواضع النبر من الكلمة.[٢]

ثالثاً: د. وليد الديب (الميزان النبري)

وضع د. وليد مقبل الديب نظرية الميزان النبري لتحليل مقاطع الكلمة الواحدة، وتحديد موضع النبر منها، وجعل هدفه دراسة النبر في القرآن الكريم والنظر في الأداء النطقي للقرآن الكريم، واستنباط ما قد ينتج من آثار سلبية للأداء غير المستقيم، ومحاولة وضع حدّ فاصل بين الأداء المستقيم وغير المستقيم.[٣] والميزان النبري عنده: عبارة عن مجموعة من الصيغ التي تأتي قوالب محدِّدَةً لمواضع الضغط[٤] ومواضع عدم الضغط في الكلام.[٥] وقد استنبط تلك الصيغ من الأداء القرآني، ويؤكد أن الدراسات الحديثة قد أثبتت أن النبر يصاحب الحركة، وأن كل حركة قد تتحمل نبراً ما، وأن هذا النبر يتفاوت من حيث مقدار قوته، فالحركة التي تظهر فيها قوة النبر تكون منبورة، والتي لا تظهر فيها قوته تعدّ غير منبورة ليسهل التفريق بينهما.[٦] ونظراً للارتباط القوي لحروف المعاني والضمائر بالكلمة الواحدة فقد عالج الكلمة الواحدة في حال استقلالها وحال اتصالها بحروف المعاني أو الضمائر وفي حالتي الوصل والوقف.

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٣٠٨.

(٢) للمزيد انظر: قوانين النبر في اللغة العربية، د. وليد الديب، ص: ٨١ – ٩٣، ونظرية الميزان النبري للدكتور وليد مقبل الديب، د. أحمد زين الدين محمد أحمد، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ٢٠٢١، ص: ٧٥- ٧٦.

(٣) انظر: النبر في القرآن الكريم؛ نظرية جديدة في استقامة الأداء القرآني، د. وليد مقبل الديب، مطبعة دار الحكمة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٩، ص: ١٨.

(٤) يقصد بالضغط مطلق القوة، بصرف النظر عن نوع الوسيلة المصاحبة لهذا الضغط أو المؤدية إليه.

(٥) انظر: النبر في القرآن الكريم؛ نظرية جديدة في استقامة الأداء القرآني، د. وليد مقبل الديب، ص: ٢٠.

(٦) انظر: النبر في القرآن الكريم؛ نظرية جديدة في استقامة الأداء القرآني، د. وليد مقبل الديب، ص: ٢٠.

وللميزان النبري (٦) قواعد، لكل قاعدة عدد من الصيغ، أهمها ١٦ صيغة، ولكل صيغة عدد من المواضع، ولكل صيغة من الصيغ حروف معينة هي التي تنبر من الكلمة ولا ينبر غيرها.

يقوم الميزان النبري على عدّ الحركات والسكنات في الكلمة ويرمز للحركة بـ(-) شرطة، وللسكون بـ(ه)، ويسمي مجموع الحركات والسكنات (تتابعاً)، وإذا كان النبر يخص الوقف على الكلمة فإن آخر التتابع يكون حرفين ساكنين (ه ه).

قواعد الميزان النبري (باختصار):

القاعدة الأولى: فَعِل للتتابع (--ه)، ولها صيغتان:

الصيغة الأولى: أن يكون النبر على أول حرف من تتابع (--ه)، وأهم مواضعها:

١. إذا كانت الكلمة على تتابع (--ه)، أو تتابع (--)، مثل: (أحد، لكم، وَهَبَ، هو)، فالنبر على أول الكلمة.

٢. إذا كان آخر الكلمة تتابع (--ه)، أو (--) وقبلهما ساكن مهماً كان ما قبل الساكن من حروف، مثل: (يومهم، حاضري، يستهزئ)، فالنبر - بالترتيب - على: (الميم، الضاد، الزاي).[(١)]

الصيغة الثانية: أن يكون النبر على الحرف الثاني من تتابع (--ه)، وأهم مواضعها:

١. إذا كان أول الكلمة تتابع (--ه)، والكلمة مكونة من أكثر من تتابع، مثل: (أدلكم، ضراراً، محلقين)، فالنبر - بالترتيب - على: (الدال، الراء الأولى، الحاء).

٢. إذا كان التتابع (--ه)، وسط الكلمة، وقبله تتابع وبعده تتابع، فالنبر يكون على المتحرك الثاني منه، مثل: (استكانوا، قاتلوهم، مهطعين)، فالنبر - بالترتيب - على: (الكاف، اللام، العين).

٣. إذا كان التتابع (-- ه ه)، في الوقف، أو أكثر أيّاً كان موضعه سواء أكان الحرف الأخير مشدداً أم لا، أو توالى فيه ساكنان، فالنبر يكون على المتحرك الثاني، مثل: (أشق، لهن، يكسبون)، فالنبر - بالترتيب - على: (الشين، الهاء، الباء).

---

(١) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٢٦ - ٢٧.

٤ . إذا شارك أحد حروف المعاني في تكوين التتابع (--ه)، (باستثناء حروف الجر التي على حرف واحد إذا اتصلت بـ(ما) الاستفهامية أو بضمير أحد حروف المعاني، أو الكاف المتصلة بـ(ما)، فالنبر يكون على المتحرك الثاني، مثل: (فلك، وقد، فقد)، فالنبر - بالترتيب - على: (اللام، القاف، القاف).[١]

القاعدة الثانية: فَعْلُن للتتابع: (- ه - ه)، ولها صيغتان:

الصيغة الأولى: أن يكون النبر على المتحرك الأول من التتابع، وأهم مواضعها:

١ . إذا تكونت الكلمة من التتابع (- ه - ه)، أو (- ه -)، فالنبر يكون على المتحرك الأول، مثل: (انحر، قلن، عمّ، لكن)، فالنبر - بالترتيب - على: (همزة الوصل، القاف، العين، اللام).

٢ . إذا كان التتابع (- ه - ه)، أو (- ه -)، هو آخر الكلمة، فالنبر يكون على المتحرك الأول، مثل: (كالوهم، أخذناهم، تخفوها)، فالنبر - بالترتيب - على: (اللام، النون، الفاء).[٢]

الصيغة الثانية: أن يكون النبر على الحرف الثالث وهو المتحرك الثاني من التتابع، وأهم مواضعها:

١ . إذا كان التتابع الأول من الكلمة (- ه - ه)، والكلمة مكونة من أكثر من تتابع، فالنبر يكون على المتحرك الثاني، مثل: (أخلصناهم، أتممناها، استكباراً، مقصورات)، فالنبر - بالترتيب - على: (اللام، الميم الأولى، التاء، الصاد).

٢ . إذا كان التتابع (- ه - ه)، في وسط الكلمة، وقبله تتابع وبعده تتابع، فالنبر يكون على المتحرك الثاني، مثل: (أخلصناهم، أتممناها، استكباراً، مقصورات)، فالنبر - بالترتيب - على: (النون، النون، الباء، الراء)، ثم أشار إلى اجتماع هذين الموضعين في كلمات محددة، مما يعني جواز نبر تلك الكلمات في أي من الموضعين.[٣]

٣. إذا كان التتابع (- ه - ه ه)، في الوقف، أيّاً كان موضعه بسبب تشديد آخر الكلمة أو اجتماع ساكنين، فالنبر يكون على المتحرك الثاني، مثل: (يؤمن، تأثيم، الميعاد، المعتر)، فالنبر - بالترتيب - على: (الميم، الثاء، العين، التاء).

---

(١) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٣١ - ٣٦.
(٢) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٣٨- ٣٩.
(٣) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٤٣، ٤٥.

٤. إذا كان التتابع (– ٥ – ٥)، أو التتابع (– ٥ – ٥ ٥)، في الوقف، موجوداً في كلمتين تقاسمتا التتابع بالتساوي في الحركات حتى يخرج صوتيًّا، أيًّا كان موضعه بسبب تشديد آخر الكلمة أو اجتماع ساكنين، فالنبر يكون على المتحرك الثاني، مثل: (أَمْ هم، أَوْ لا، قُلْ لا، قُلْ هل، قُلْ إن)، فالنبر – بالترتيب – على: (الهاء، اللام، الهاء، الهمزة).(١)

القاعدة الثالثة: فَعِلُن للتتابع: (- - - ٥)، ولها ثلاث صيغ:

الصيغة الأولى: أن يكون النبر على المتحرك الأول من التتابع، وأهم مواضعها:

١. إذا كان تكونت الكلمة من التتابع (– – – ٥)، أو (– – –)، فالنبر يكون على المتحرك الأول، مثل: (أبداً، أحداً، أفلت، رغباً، صبروا)، فالنبر – بالترتيب – على: (الهمزة، الهمزة، الهمزة، الراء، الصاد).

٢. إذا كان آخر الكلمة هو التتابع (– – – ٥)، أو (– – –)، والكلمة مكونة من أكثر من تتابع، فالنبر يكون على المتحرك الأول من هذا التتابع، مثل: (بارئكم، نرزقكم، أصابعهم، بضاعتنا)، فالنبر – بالترتيب – على: (الراء، الزاي، الباء، العين).(٢)

الصيغة الثانية: أن يكون النبر على المتحرك الثاني من التتابع، وموضعها:

١. إذا شارك أحد حروف المعاني في تكوين التتابع (– – – ٥)، أو (– – –)، فالنبر يكون على المتحرك الثاني، مثل: (فقست، فقعوا، فيمت، فأبى، فسقى)، فالنبر – بالترتيب – على: (القاف، القاف، الياء، الهمزة، السين).(٣)

وأقول: ولا ينبر الحرف الأول، كالفاء في قوله: (فجعلهم، فقعوا، فقست)، وما يشبهها، حتى لا يسبب وهمًا في المعنى، وهو قليل الحدوث ويرفعه ذكر الجملة كاملة.

الصيغة الثالثة: أن يكون النبر على المتحرك الثالث من التتابع، وأهم مواضعها:

١. إذا كان التتابع الأول من الكلمة هو (– – – ٥)، والكلمة مكونة من أكثر من تتابع مهما اتصل بها من سوابق ولواحق، فالنبر يكون على المتحرك الثالث، مثل: (خطوات، فأتاهم، متجانف، فأخذناهم)، فالنبر – بالترتيب – على: (الواو، التاء، الجيم، الخاء).

٢. إذا كان التتابع (– – – ٥)، وسط الكلمة، أي: إن قبله تتابعًا وبعده تتابعًا، فالنبر يكون على المتحرك الثالث، مثل: (والمؤتفكات، ابتدعوها، يقتتلان، يتخذونك)، فالنبر – بالترتيب – على: (الكاف، العين، اللام، الذال).

---

(١) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٤٣ – ٤٧.
(٢) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٥٢ – ٥٣.
(٣) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٥٥.

٣. إذا كان التتابع (– – – ه ه)، في الوقف، أياً كان موضعه وسط الكلمة، أي: إن قبله تتابعاً وبعده تتابعاً، فالنبر يكون على المتحرك الثالث، مثل: (المتعال، مستمعون، لثمود، زينتهن)، فالنبر – بالترتيب – على: (العين، العين، الميم، الهاء).

٤. إذا اشترك ثلاث كلمات في تكوين التتابع (– – – ه)، وأغلب هذه المواضع تكون الكلمات فيها من حروف المعاني، فالنبر يكون على المتحرك الثالث، مثل: (أولو، أولم، أومن، أفلم، أفلا، أفمن)، فالنبر – بالترتيب – على: (اللام، اللام، الميم، اللام، اللام، الميم).[١]

القاعدة الرابعة: مُفَعِلُن للتتابع: (- - - - ه)، ولها أربع صيغ:

الصيغة الأولى: أن يكون النبر على المتحركين؛ الأول والثالث من التتابع، وأهم مواضعها:

١. إذا تكونت الكلمة من التتابع (– – – – ه)، أو (– – – –)، فالنبر يكون على المتحركين؛ الأول والثالث، مثل: (سبقكم، مثلهم، أجلها، تبعك)، فالنبر – بالترتيب – على: (السين والقاف، الميم واللام، الهمزة واللام، التاء والعين).

٢. إذا كان التتابع (– – – – ه)، أو (– – – –) هو آخر الكلمة، فالنبر يكون على المتحركين؛ الأول والثالث، مثل: (أسلحتكم، أمتعتكم، آلهتنا، يبدلهما)، فالنبر – بالترتيب – على: (اللام والتاء، التاء والتاء، اللام والتاء، الدال والهاء).

٣. إذا اشترك ثلاث كلمات في تكوين التتابع (– – – – ه)، أو (– – – –)، فالنبر يكون على المتحركين؛ الأول والثالث، مثل: (فسيرى، أفمن، ولأخي، أفَهُم، ولَمَن، ولَعَلا، ولقد، ولئن)، فالنبر – بالترتيب – على: (الفاء والياء، الهمزة والميم، الواو والهمزة، الهمزة والهاء، الواو الميم، الواو والعين، الواو والقاف، الواو والهمزة).[٢]

الصيغة الثانية: أن يكون النبر على المتحرك الثاني من التتابع، وموضعها:

١. إذا اشترك حرف معنى في تكوين التتابع (– – – – ه)، أو (– – – –)، فالنبر يكون على المتحرك الثاني، مثل: (ولكم، فلهما، فمكث، فصبروا، فضحكت)، ، فالنبر – بالترتيب – على: (اللام، اللام، الميم، الصاد، الضاد).[٣]

---

(١) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٥٧ – ٥٩.

(٢) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٦٥ – ٦٦.

(٣) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٦٦.

الصيغة الثالثة: أن يكون النبر على المتحركين؛ الأول والرابع من التتابع، وأهم مواضعها:

١. إذا كان التتابع الأول في الكلمة (– – – – ه)، والكلمة مكونة من أكثر من تتابع على أن يكون الحرف الأول إما حرفًا أصليّا أو لام توكيد، والثاني حرف جر أو حرف عطف، والثاني لام التوكيد، أو لام التعليل، أو حرف جر، فالنبر يكون على المتحركين؛ الأول والرابع، مثل: (ولنعلمه، فلنذيقنّ، وليزيدنّ، ولسليمان، ولتكبروا)، فالنبر – بالترتيب – على: (الواو والعين، الفاء والذال، الواو والزاي، الواو واللام، الواو والكاف).

٢. إذا كان التتابع (– – – – ه)، في وسط الكلمة، أي: إن قبله تتابعًا وبعده تتابعًا، مثل: (أنلزموكموها)، فالنبر – بالترتيب – على: (الزاي، والميم الثانية).

٣. إذا كان التتابع الأول (– – – – ه ه)، في الوقف على أن يكون الحرف الأول إما حرفًا أصليّا أو لام توكيد، والثاني حرف جر أو حرف عطف، والثاني لام التوكيد، أو لام التعليل، أو حرف جر، فالنبر يكون على المتحركين؛ الأول والرابع، مثل: (أجلهن، خلقهنّ، لبإمام، وليقول)، فالنبر – بالترتيب – على: (الهمزة والهاء، الخاء والهاء، اللام والميم، الواو والقاف).[(١)]

الصيغة الرابعة: أن يكون النبر على المتحركين؛ الثاني والرابع من التتابع، وأهم مواضعها:

١. إذا كان التتابع الأول في الكلمة (– – – – ه)، والكلمة مكونة من أكثر من تتابع على ألّا يكون الحرف الأول حرفًا أصليّا، ولا الحرف الثاني لام توكيد، أو لام التعليل، أو حرف جر، فالنبر يكون على المتحركين؛ الثاني والرابع، مثل: (أفعصيت، وبركاته، لأجدنّ، أفرأيت)، فالنبر – بالترتيب – على: (الفاء والصاد، الباء والكاف، الهمزة والدال، الفاء والهمزة).

٢. إذا كان تتابع الكلمة (– – – – ه ه)، في الوقف على ألّا يكون الحرف الأول حرفًا أصليّا، ولا الحرف الثاني لام توكيد، أو لام التعليل، أو حرف جر، فالنبر يكون على المتحركين؛ الثاني والرابع، مثل: (وشفتين، وعربي، فحملته، فلمسوه)، فالنبر – بالترتيب – على: (الشين والتاء، العين والباء، الحاء واللام، اللام والسين).[(٢)]

---

(١) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٦٧ – ٦٩.

(٢) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٦٩ – ٧٠.



القاعدة الخامسة: مُتَفَعِلُن للتتابع: (- - - - - ه)، ولها خمس صيغ:

ذكر أن شواهدها في القرآن الكريم قرابة ٨٥ كلمة فقط.(١)

الصيغة الأولى: أن يكون النبر على المتحركين؛ الأول والثالث من التتابع، وأهم مواضعها:

١. إذا تكونت الكلمة من التتابع (- - - - - ه)، أو (- - - - -)، فالنبر يكون على المتحركين؛ الأول والثالث، مثل: (رزقكم، كلمتنا، صدقكم، أحدهما، شجرتها)، فالنبر - بالترتيب - على: (الراء والقاف، الكاف والميم، الصاد والقاف، الهمزة والدال، الشين والراء).

٢. إذا كان التتابع (- - - - - ه)، أو (- - - - -)، في آخر الكلمة، فالنبر يكون على المتحركين؛ الأول والثالث، مثل: (عاقبتهما، ألسنتكم، اتبعكما، آلهتهم)، فالنبر - بالترتيب - على: (القاف والتاء، السين والتاء، التاء والعين، اللام والتاء).

٣. إذا اشترك ثلاث كلمات في تكوين التتابع (- - - - - ه)، أو (- - - - -)، فالنبر يكون على المتحركين؛ الأول والثالث، مثل: (أفحسب، أفأمن، أفأمنوا، أوأمن، ولأمة)، فالنبر - بالترتيب - على: (الهمزة والحاء، الهمزة والهمزة، الهمزة والهمزة، الهمزة والهمزة، الواو والهمزة).(٢)

الصيغة الثانية: أن يكون النبر على المتحركين؛ الأول والرابع من التتابع، وليس لها أمثلة من القرآن الكريم.

الصيغة الثالثة: أن يكون النبر على المتحركات؛ الأول والثالث والخامس من التتابع، وأهم مواضعها:

١. إذا كان التتابع الأول (- - - - - ه)، والكلمة مكونة من أكثر من تتابع على أن يكون الحرف الأول حرف معنى، والحرف الثاني لام التوكيد، أو لام التعليل، أو حرف جر، فالنبر يكون على الحروف المتحركة؛ الأول والثالث والخامس، مثل: (ولتجدنّ، ولتجدنّهم، وليتمتعوا، ولأبويه)، فالنبر - بالترتيب - على: (الواو والتاء والدال، الواو والتاء والدال، الواو والياء والميم، الواو والهمزة والواو).(٣)

الصيغة الرابعة: أن يكون النبر على المتحركين؛ الثاني والرابع من التتابع، وموضعها:

١. إذا كان شارك حرف معنى في تكوين التتابع (- - - - - ه)، أو (- - - - -)، فالنبر يكون على

---

(١) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٧١.

(٢) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٧٤ - ٧٥.

(٣) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٧٥.

المتحركين؛ الثاني والرابع، مثل: (وحفدة، ستجدني، فيذرها، فجعلهم، بكلمة)، فالنبر - بالترتيب - على: (الحاء والدال، التاء والدال، الياء والراء، الجيم واللام، الكاف والميم).[١]

الصيغة الخامسة: أن يكون النبر على المتحركين؛ الثاني والخامس من التتابع، وأهم مواضعها:

١. إذا كان التتابع الأول في الكلمة (- - - - - ه)، والكلمة مكونة من أكثر من تتابع على ألّا يكون الحرف الأول حرفاً أصليّاً، ولا الحرف الثاني لام توكيد، أو لام التعليل، أو حرف جر، فالنبر يكون على المتحركين؛ الثاني والخامس، مثل: (أفبعذابنا، بخمرهن)، فالنبر - بالترتيب - على: (الفاء والذال، الخاء والهاء).[٢]

القاعدة السادسة: مُسَتَفعِلُن للتتابع: (- - - - - - ه)، ولها سبع صيغ:

ولا يوجد منها في القرآن الكريم إلا صيغة واحدة هي: أن يكون النبر على المتحركين؛ الثاني والرابع من التتابع، وأهم مواضعها:

١. إذا شارك حرف معنى في تكوين التتابع (- - - - - - ه)، أو (- - - - - -)، فالنبر يكون على المتحركين؛ الثاني والرابع، مثل: (فَأَخَذَهُمُ، لأحدهما، ليُريهما، وكلمَتُهُ، ولَعنهُمُ)، فالنبر - بالترتيب - على: (الهمزة والذال، الهمزة والدال، الياء والياء، الكاف والميم، اللام والنون).[٣]

وعلى الرغم من دقة التفاصيل في الميزان النبري للدكتور وليد الديب إلا أن عليه ملحوظات مهمة، وجوانب نقص وتناقض أحياناً، ومنها:

١. وضع د. وليد مقبل الديب هذا الميزان المتشعب في عدد من القواعد والصيغ والمواضع، وأغلب المواضع لها شروط وإضافات على الكلمة الواحدة، ولكل صيغة من الصيغ حروف معينة هي التي تنبر من الكلمة ولا ينبر غيرها. وقد انطلق في وضع تلك القواعد والصيغ ومواضع النبر في الكلمة الواحدة، - وما يلحق بها من حروف المعاني - من الاستقراء والسماع، وقال بأنه: استنبط من أشكال الأداء النطقي مجموعة من الصيغ، وأن الناطق يستطيع أن يجد فيها ضالته في استقامة الأداء القرآني.[٤]

(١) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٧٧.
(٢) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٧٧.
(٣) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٧٩.
(٤) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ١٨.

ويمكن مناقشة هذه الجزئية من ثلاثة جوانب:

الأول: شرحت قبل عدة صفحات تحت عنوان: (دراسة النبر في الكلمة المفردة من داخل اللغة العربية) وجهة نظري في الدراسات الحديثة التي تناولت النبر في الكلمة المفردة، وذكرت أهمية أن يُنظرَ إلى كل لغة بما يناسب طريقة نطقها، ولا يحكم على صفة نطقية في لغة ما بأن تتوافق مع غيرها من اللغات. ولذلك فإنه لا يصح فرضُ قواعد للنبر من لغة أخرى على اللغة العربية، ثم نسبتها إلى العربية الفصيحة، لا من اللغة الإنجليزية، ولا من العاميات العربية، ولا حتى من المقرئين للقرآن الكريم اليوم مع أنهم الأقرب لأداء النبر في العربية الفصيحة إلا إذا كان مما التزم به جميع القراء على اختلاف شيوخهم، ومدارسهم، وأماكنهم، وأزمانهم إذا كانوا يؤدونه فرضًا لغويًا لا اختياراً ولا ترنمًا منهم؛ كإعطاء الأصوات صفاتها، وإدغام الأصوات، أو إقلابها، أو قلقلتها،[١] فقد يعتدّ بذلك، ولذلك فإن ما ذكر في تلك الفقرة جزء من مناقشة نظرية الميزان النبري هنا.

الثاني: أن هذا الميزان بقواعده وصيغه وما فيه من نبر لم ينطلق من اللغة العربية الفصيحة، ولا مما فيها من مظاهر النبر ومواضعه في الكلمة العربية. وإذا كان د. وليد الديب قد انطلق في وضع تلك القواعد والصيغ ومواضع النبر في الكلمة الواحدة من الاستقراء والسماع،[٢] فإن السؤال المطروح: استقراء ماذا؟ ومِمّن السماع؟ وهل يمكن أن تنسب المواد المستقرأة والمسموعة في هذا الزمن إلى اللغة العربية الفصيحة؟ حتى ولو كانت لبعض المقرئين المجتهدين، واحتكم فيها للمتخصصين اللغويين كما ذكر.[٣]

وإذا وضعنا في الاعتبار تعريفات النبر التي ذكرت في مواضعها من هذه الموسوعة فإن النبر: وضوح نسبي لصوت أو مقطع،[٤] كما أنه تمييز مقطع أو حرف أو كلمة بضغطة تخصصها، فتزيد وضوحًا في السمع،[٥] فمفهوم النبر يدور حول (الوضوح والتمييز الصوتي)، وفي اللغة العربية مظاهر صوتية كثيرة تعطي الحرف وضوحًا وتميزه عن غيره من الحروف - فتستلزم ضغطًا أقوى عند نطقها - يمكن الإفادة منها ودراستها؛ كالشَّدَّة، والهمْز، والتسهيل، والمدّ، ومدّ الصلة، والقلقلة، والتفخيم، والترقيق، والإدغام، والغنة، والإطباق، وغير ذلك كثير

---

(١) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٢٠، ٢١.
(٢) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ١٨.
(٣) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ١٨.
(٤) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٠، وانظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٣.
(٥) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٤. وانظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ١٧٠، وعلم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥١٢، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢١.

مما يعرفه المتخصصون،[١] وقد ذكر بعض تلك المظاهر الصوتية ونبرها في الكلمة؛ كالهمزة وحروف القلقلة أبو العباس المبرد،[٢] وابن جني،[٣] ومكي بن أبي طالب[٤] الذي تنبه لهذه الظاهرة الصوتية وطبقها على مفردات القرآن الكريم، فكتابه (الرعاية) مليء بتحديد الحروف التي تنبر من الكلمة الواحدة وبين الكلمتين لرفع الالتباس بين الحروف المتطابقة، والمتشابهة، والمتقاربة،[٥] وقد تحدث عن جميع الحروف العربية تقريباً (مع أنه لم يستخدم مصطلح النبر إلا نادراً، وإنما يستخدم كلمة (إظهار)، و(بيان) ومشتقاتهما). وجميع مواضع النبر التي وضعها مكي بن أبي طالب معللة صوتيّاً لإظهار معنى الكلمة، وهي اجتهادات من داخل نظام اللغة العربية، ولا يوجد أي تعليل علمي لتحديد مواضع النبر في قواعد الميزان النبري وصيغه، وقد اعتمدتُ بعض هذه المظاهر الصوتية وأدخلتُها في النبر الخفيف في الدراسة التطبيقية.

الثالث: أن الميزان النبري قد بُنِيَ على اجتهاد في الرصد لبعض المقرئين، واحتكام للمتخصصين اللغويين[٦] لتحديد مواضع النبر، ومع إتقان المقرئين والمتخصصين اليوم - أيّاً كانت درجة إتقانهم بمقاييسنا - إلا أنه من غير المقبول نهائيّاً اعتمادهم مرجعاً في مسألة دقيقة المأخذ قابلة للتفاوت، مثل تحديد مواضع النبر في اللغة العربية الفصيحة والقرآن الكريم، فإننا لا نعلم عن درجة تطابق نبر أحدهم مع قراءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقرآن الكريم. ثم إن الجزم بأن الناطق سيجد في صيغ الميزان النبري ضالته في استقامة الأداء القرآني كلام غير مقبول علميّاً، فهي صيغ اعتمدتْ على رصد شخصي، وتلاوة شخصية، فكيف تنسب إليها استقامة الأداء، ولغيرها - ضمناً - عدم استقامة الأداء؟ فهذا الجزم لا يصح في مثل هذه المسألة الاجتهادية القائمة على الاستقراء الشخصي المحدود.

٢. أن د. وليد الديب قد انطلق - في وضع تلك القواعد والصيغ - من بعض الأخطاء المخلة بالمعنى التي يقع فيها بعض القراء في النبر في الكلمة الواحدة وما التصق بها من حروف، مثل: (فقست، فقعوا، فترى، أفلا)، أو الخلط بين (وَعَدَ، وعَدّ)، وبين (وَجَدَ، وجَدّ)،[٧] أو نبر الكلمتين المتجاورتين، وقد ذكرتُ في مناقشة هذه المسألة

(١) للمزيد من الظواهر اللغوية التي تدخل في مفهوم النبر القائم على (الوضوح والتمييز)، انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ٩٥ - ١٠١. وانظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ١١٥ إلى آخر الكتاب.

(٢) انظر: المقتضب، أبو العباس المبرد: ١ / ٢٩٢، و٣٣٠، ٣٣٢.

(٣) انظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان ابن جني: ١ / ٦٣.

(٤) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ١١٥ إلى آخر الكتاب.

(٥) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ١١٥ إلى آخر الكتاب.

(٦) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ١٨.

(٧) وجعل منه التفريق بين مخاطبة المفرد المذكر والمؤنث في مثل قولك: (اذكر الله) و(اذكري الله)، أو العناية بإظهار واو الجماعة وألف الاثنين في مثل: (اذكروا الله)، و(كانتا رتقًا)، أو إظهار الضمة والواو: (جاء معلم/ معلمو الدرس)، ومثل هذه المواضع يزول الإشكال فيها بتطويل المدّ قليلا. انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٣٠٨. وانظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ١٥٩ - ١٦١.

في مفهوم النبر في الفصل الأول بأن هذا النبر الخاطئ لو وقع فإنه يزول بمجرد ذكر الجملة كاملة. وقادت الرغبةُ د.وليد في الاستقصاء والضبط النظري لهذا المجال إلى افتراض أخطاء في النبر ليست موجودة في الواقع، فبنى الميزان النبري ليجعله مقياساً يحدد به استقامة الأداء القرآني من عدمها، مع أنه انطلق من أخطاء حقيقية، وأخطاء أخرى مفترضة. وهذا الاستقصاء والمنطلق التنظيري جعله ينصّب الميزان النبري حكماً على الأداء القرآني بالاستقامة وعدم الاستقامة في النبر،[(١)] وهو حكم يصعب القبول به في قضية اجتهادية مقترحة - كما ذكر ذلك في كتابه [(٢)] - إلا في بعض مواضع النبر المحيلة للمعنى، وهي مواضع قليلة وفي كلمات محددة تقدر بقدرها.

٣. وإذا كان المعنى يتغير لمعنى آخر غير مقصود بسبب النبر الخاطئ لكلمات، مثل: (فقست، فقعوا، فترى، أفلا...) - مع أن ذكر الجملة كاملة يرفعه، وحجم هذا الموضع في نظرية الميزان النبري قليل جدّاً مقارنة بالمواضع الأخرى - فما الذي سيحدث لو أخطأ قارئ في نبر كلمة من مواضع أخرى؟ هل سيتغير المعنى؟ وبناء على قواعد النظرية وصيغها ومواضعها، فما حجم الأخطاء التي - لو حدثت - أحالت المعنى؟ وما حجم الأخطاء التي لو حدثت لن يتغير المعنى؟ وهل حجم الأخطاء التي تُغيِّر المعنى - لوحدثت - يستحق مثل هذه النظرية المتشعبة المتكلفة في تفاصيلها أم أن الأمر أسهل من ذلك بكثير؟ فحجم الأخطاء المفترضة كبير جدّاً، وحجم التنظير الذي لا تأثير له على المعنى كبير أيضاً فضلاً عن أنه لم ينطلق من معايير منضبطة ومستقرة!

٤. يؤكد د. وليد الديب بأن: (المعجم والصرف والنحو يعدّ كل منها بمنزلة الحاكم العدل الذي يؤكد وجود نبر في موضع ما، أو ينفي ذلك عندما يرى أن وجود النبر في هذا الموضع يؤدي إلى التباس أو إخلال بفصاحة أداء الكلام).[(٣)] وأقول: هذا كلام متفق عليه بلا شك، ولكن هذا لم يكن منطلقاً لتحديد قواعد الميزان النبري، ولا صيغه، ولا تحديد مواضع النبر داخل تلك القواعد والصيغ. ويعلق د. أحمد زين الدين على الكلام السابق بقوله: (ومن هنا تأتي معيارية الأداء المستقيم والأداء غير المستقيم في الميزان النبري، وقد بيّن الدكتور وليد أن الآثار المباشرة للنبر كانت السبيل إلى الوقوف على الآثار غير المباشرة للنبر بتحكيم مستويات اللغة في توجيه النبر، فالآثار المباشرة للنبر (هي التي ستحدد لنا في كثير من الأحيان مواضع النبر، وسيكون الاتكاء عليها في استنباط الآثار غير المباشرة للنبر).[(٤)]

---

(١) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ١٨.
(٢) انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ١٨.
(٣) انظر: دور الصرف والنحو في توجيه نبر الشعر، وليد مقبل الديب، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص: ٤.
(٤) انظر: دور الصرف والنحو في توجيه نبر الشعر، وليد مقبل الديب، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص: ٢٧. ونظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٦٥.

ولم يشرح الباحثان ما الآثار المباشرة للنبر التي انطلق منها الميزان النبري؟ ولا كيف سيكون الاتكاء في استنباط الآثار غير المباشرة؟ وما معايير ذلك الاتكاء التي تضبط الموضوعية وتبعد الذاتية والأحكام الشخصية؟

٥. ذكر د. أحمد زين الدين أن الميزان النبري يعتمد في وضع قواعده على حدسية المسموع وتذوق المنطوق من خلال الإدراك السمعي الذاتي للفرق بين الأداءات المختلفة للتتابع الصوتي الواحد، والقدرة على نطق التتابع بالطريقة الصحيحة والخاطئة... ثم يقول: ومع كون السماع مبنيًّا على الحدْس والظنّ فإن بناء الحقائق الصوتية اعتماداً عليه أمر ممكن إلى حد بعيد.[١]

وأقول: كيف يكون ممكنـًا؟! كيف تبنى حقائق صوتية على حدس وظن؟! وكيف يُنسب ذلك للعربية الفصيحة، مع أن د. أحمد زين الدين نفسه قد طرح في أول رسالته للدكتوراه خصائص العلم، فتكلم عن: الموضوعية، وإمكانية التحقيق والضبط، والحتمية أو القياس، والتماسك، وعدم التناقض![٢] والسؤال: أين خصائص العلم المذكورة هذه من الانطلاق من الحدس والظن لبناء حقائق صوتية يحتكم إليها في تحديد النبر في العربية الفصيحة؟

٦. ذكر د. أحمد زين الدين أن الميزان النبري ينسجم مع معايير العربية من حيث اعتماده على حدسية المسموع، وتذوق المنطوق، والتركيز على الجانب الوظيفي للنبر دون الاعتماد على مرئية المنطوق بالاعتماد على المكون المادي الفيزيائي للنبر... أو بعبارة أخرى يعتمد الميزان النبري على الانطباع الذاتي دون الوصف الفيزيائي الدقيق.[٣]

وأقول: ربما أنه يقصد أن الميزان النبري لم يعتمد التقنية، ولا المعامل الصوتية في تحديد مواضع النبر، بل اعتمد على الجانب البشري الطبيعي ليكون الأمر في متناول الناس عند التطبيق. إن كان الأمر كذلك فهو مقبول. ولكنّ جانب الحدس في الميزان النبري تجاوز ترك الجوانب التقنية وعدم الاعتماد عليها إلى اعتماد الحدس الذاتي في تحديد الحرف المنبور في الأوزان التي حددها، وليس هذا فحسب، بل جعل حدسه والانطباع الذاتي وتحديد المنبور بناء على ذلك الحدس وذلك الانطباع معياراً لاستقامة الأداء من عدم استقامته، وهو مجرد حدس وانطباع ذاتي.

---

(١) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ٥٧.

(٢) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٥٨ - ١٦٠.

(٣) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٦٣.

٧. يمثل الميزان النبري بقواعده وصيغه تكلفاً واضحاً في تحديد مواضع النبر، وأغلب المواضع لها شروط وإضافات على الكلمة الواحدة، ولكل صيغة من الصيغ حروف معينة هي التي تنبر من الكلمة ولا ينبر غيرها. إن ذلك صعب جدّاً على المتخصص أن يضبطه، فكيف بغير المتخصصين من المسلمين وهم المخاطبون بهذه النظرية؟ ولم تكن النظرية مستندة على مرجعية لغوية دقيقة - كما ذكرت - تقود إلى تحديد المستقيم من غير المستقيم في الأداء. ويرى د. أحمد زين الدين أن الميزان النبري لا يمثل خروجاً عن وجه الصواب حتى يُعَدَّ ذلك تكلفاً، وإنما يبحث عن الأداء الذي يتوافق مع مستويات اللغة صحة واستقامة، إما بالتلقي أو من دون مخالفته.[١] وأقول: بالتلقي ممن؟ وإذا افترضنا صواب النظرية - وهو بعيد - فإن صعوبة تطبيقها يعدّ كافياً للحكم عليها بالتكلف، ولم تقدم النظرية ما يدعم وما يثبت وجود علاقة بين تحديد مواضع النبر من الكلمة ومستويات اللغة.

٨. أن د. وليد الديب نفسه واضع الميزان النبري قد ذكر في أكثر من موضع تنازع عدد من الصيغ فيما بينها،[٢] وعلل لذلك في بعض المواضع، لكن هذا يضعف الاعتماد على الصيغ المتنازعة ويضعف دقتها.

٩. كما استدرك د. أحمد زين الدين استدراكات على الميزان النبري في رسالته للدكتوراه التي تقدم بها إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ٢٠٢١، ومن أهمها:

١. عدم وجود تطابق بين مفهوم د. وليد الديب للنبر ومفهوم الميزان النبري الذي وضعه.[٣]

٢. ضعف بعض التحديدات الدقيقة لحروف المعاني التي ألحقها بالكلمات، مثل:

- معاملة الكاف معاملة حرف المبنى إذا اتصلت بـ(ما) المصدرية.[٤]
- شروط نبر حرف العطف ولام التوكيد.[٥]
- النبر وتوالي الساكنين.[٦]
- نبر همزة الاستفهام في جميع مواضعها.[٧]

---

(١) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٧١.

(٢) لمواضع تنازع الصيغ، انظر: النبر في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، ص: ٤٢، ٦١، ٦٩، ٧١، ٧٧، ٧٨.

(٣) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٤٧.

(٤) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٧٧.

(٥) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٨٠.

(٦) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٨١.

(٧) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٨٢.

١٠. عدم المرونة في التتابع (– ه ––)، ومنه أفعل التفضيل، ووجود دراسة د. أحمد الجنادبة التي جعلت نبره على المقطع الأول.[(١)]

١١. استدراكات في صوغ القواعد ونماذجها، ومنها: [(٢)]

- موقف الميزان النبري من الهمزة المسهلة.
- غياب التنبيه إلى مواطن اللبس المتعلقة بالقاعدة في كلمات القرآن.
- اشتراك أكثر من كلمة في تكوين الصيغة.

مواضع النبر في الكلمة المفردة عند علماء التجويد

نبّه بعض علماء التجويد إلى ضرورة تعلم النبر في الكلمة، وذكروا بعض مواضعه المهمة في كلمات القرآن الكريم، وهو ما يسميه بعض العلماء الضغط على الحرف حتى تكمل حركته، ويتميز عما قبله وبعده بارتفاع الصوت. فقد ينطق القارئ الكلمة بتشكيل صحيح ومخارج وصفات سليمة، ثم يعطي معنى مخالفاً للمراد. ومن أهمهم الدكتور أيمن رشدي سويد.[(٣)]

ومن مواضع النبر (الضغط) على بعض الحروف عند تلاوة القرآن الكريم التي ذكرها د. أيمن سويد:

- الوقف على المشدد، مثل: كلمة (الحيّ)، و(بمصرخيّ)، و(المستقرّ)؛ لأن الحرف المشدد مكون من حرفين؛ ساكن ومتحرك، والمتحرك في الوقف يسقط، فيعوض عنه بالنبر. ويستثنى الميم والنون المشددتان؛ لأن الغنة حلّت محل النبر، مثل: (جانّ)، أو كان الحرف الموقوف عليه من حروف القلقلة، مثل: (وتبّ)، و(الحقّ).
- عند النطق بواو مشددة مضموم ما قبلها أو مفتوح، مثل: (القوة)، و(قوامين).
- عند النطق بياء مشددة مكسور ما قبلها أو مفتوح، مثل: (شَرقيّا)، و(صبِيّا).
- عند الانتقال من حرف مد إلى حرف مشدد، مثل: (الضالين)، و(الحاقَّة)، و(دابّة).
- عند الوقف على همزة مسبوقة بحرف مدّ أو لين، مثل: (السماء)، و(السَّوء).

---

(١) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٨٤.

(٢) انظر: نظرية الميزان النبري، د. أحمد زين الدين، ص: ١٨٥ – ١٩١.

(٣) انظر: التجويد المصور، د. أيمن رشدي سويد، الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ: ٢/ ٤٠٣ – ٤١٠.

▪ عند نطق كلمة في آخرها ألف التثنية، وقد سقطت لالتقاء الساكنين، مثل: (وقالا الحمد لله)، و(فلما ذاقا الشجرة)، و(واستبقا الباب).[١]

وقد طور علماء التجويد النبر كثيراً بعنايتهم بالمدود، وأنواعها، وألقابها، وطرق قياسها، ومنها: المدّ المتصل، والمدّ المنفصل، والمدّ اللازم، والمدّ العارض، وغيرها.[٢]

أنواع النبر باعتبارات أخرى

تحدث علماء الأصوات عن أنواع النبر بالنظر إلى عدة اعتبارات، منها: اعتبار القوة والضعف، واعتبار موقعه من الجملة/ الكلام، واعتبار الوظائف السمعية والتأثير على المعنى، وبعض هذه الأنواع متداخل مع بعض، وبعضها متداخل مع التنغيم.

ومن أنواع النبر التي سأتحدث عنها بعد قليل ما جعله العلماء من النبر وهو - في الحقيقة - زوايا نظر متعددة لظاهرة التنغيم حسب مفهوم النبر والتنغيم في هذه الموسوعة الذي تحدثت عنه في الفصل الأول، وقد ذكرت هذه الأنواع هنا في النبر؛ لأن كثيراً من العلماء عدّها من النبر وهي ليست منه، وهي:

١. تقسيم النبر باعتبار الوظائف السمعية (باعتبار التأثير على المعنى)، وأنواعه: النبر اللحني، والنبر الرتيب (الديناميكي)، والنبر الزمني أو الإيقاعي.

٢. تقسيم النبر باعتبار الصعود والهبوط (الرفع والخفض)، وأنواعه: نبرة الرفع (وتتداخل جزئيًّا مع النغمة الصاعدة)، ونبرة العدل أو (بين بين) (وتتداخل جزئيًّا مع النغمة المستوية)، ونبرة الخفض (وتتداخل جزئيًّا مع النغمة الهابطة).

ولن أستعمل في دراستي التطبيقية من أنواع النبر إلا نبر الجملة بأنواعه - ويسميه الدكتور تمام حسان (النبر السياقي)-[٣] تفاديًا للتداخل والاضطراب في المفاهيم بين أنواع النبر المذكورة من جهة، وبينها وبين التنغيم وأنواعه من جهة أخرى، ولأنه هو النبر الوظيفي الذي يقدم معنى إضافيًّا للكلام بعيداً عن الاختلافات المتفاوتة[٤] في النبر في الكلمة المفردة ومدى وجوده في اللغة العربية من عدمه.

(١) انظر: التجويد المصور، د. أيمن رشدي سويد، الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ: ٢ / ٤٠٣ - ٤١٠. وانظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص: ٢٤٥ - ٢٦١.

(٢) للمزيد: انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبدالفتاح السيد المرصفي، ص: ١ / ٢٥٦، وما بعدها، وانظر: حق التلاوة، حسني شيخ عثمان، ص: ٢٢٥، وما بعدها.

(٣) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٣.

(٤) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ١١٤ - ١٤٥، و١٧١- ٢٠٥.



١. أنواع النبر باعتبار موقعه من الكلمة

أشار علماء الأصوات إلى ثلاثة أنواع للنبر باعتبار قوته وضعفه، وبعضهم سماها (درجات النبر وفقًا للوضوح السمعي والبروز)، هي:

- النبر الرئيس.
- النبر الثانوي.
- النبر الضعيف.[١]

فالنبر الرئيس أو (الأوليّ) يقع:[٢]

- على المقطع الأخير في الكلمة، مثل: اسْتَقَال.
- على المقطع ما قبل الأخير في الكلمة، مثل: علْم، اكْتب.
- على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير، مثل: عَلَّمَكْ.

وأما النبر الثانوي:

فيكون في الكَلمة أضيق منه في الجملة أو المجموعة الكلامية، ويوجد في الكلمات المتكونة من مقطعين فأكثر، فالمقطع المنبور نبراً ثانويًا يمكن أن يوجد في السياق الأصواتي على فترات من النبر الرئيس (الأوليّ)، ومواضع النبر الثانوي هي:

- على المقطع الذي يسبق المنبور نبراً (رئيسًا) أوليًا إذا كان الصوت المنبور نبراً ثانويًا طويلاً، مثل: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ .
- على المقطع السابق للمقطع المنبور، ويليه مقطع منبور نبراً (رئيسًا) أوليًا، مثل: ﴿عَلَّمْنَٰهُ﴾.
- على المقطع المنبور نبراً (رئيسًا) أوليًا ويكوِّن نسقًا صوتيًا، مثل: (ما عرفناهم).

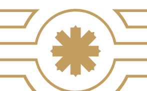
وأما النبر الضعيف: فهو النبر الذي يقع على مقاطع الكلمة التي لم تنبر نبراً رئيسًا (أوليًا) ولا ثانويًا.[٣]

---

(١) انظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢٣، والأصوات اللغوية، د. محمد الخولي، ص: ١٦٣ - ١٦٥.

(٢) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦١، وما بعدها، وانظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ١٧٢.

(٣) انظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، دكتور سلمان العاني، ترجمة د. ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص: ١٣٤.



٢. أنواع النبر باعتبار القوة والضعف وموقعه من الكلمة / الجملة

النبر باعتبار القوة والضعف وموقعه من الكلمة/ الجملة ثلاثة أنواع، هي: النبر في الكلمة، ونبر الجملة، والنبر التقابلي، (وهو داخل في نبر الجملة)، وقد سبق الحديث عن النوعين الأخيرين في نبر الجملة.

١. النبر في الكلمة (باعتبار الشِّدَّة والطول)

هو النبر الرئيس الذي يقع على أحد مقاطع الكلمة الواحدة، مثل: (صائمون)،[١] وهو نبر صرفي، أي: نبر صيغة.[٢]

وهو قسمان: نبر الشِّدَّة، ونبر الطول، ويدخل في الصوامت والصوائت.[٣]

- **فنبر الشِّدَّة هو**: ضغط يستلزم علواً سمعيّاً نسبيّاً لمقطع معين أكثر من غيره من مقاطع الكلمة المفردة، فتكون دفعة الزفير في أحد المقاطع أقوى من الآخر،[٤] ويسمى نبر التمكين، أي: تمكين النطق بأصوات المقطع وتحقيقها فوق بقية المقاطع الأخرى في الكلمة،[٥] وقد تحدثت عنه بالتفصيل في الصفحات السابقة.

وهو نبر يتغير موضعه من الكلمة حسب الاشتقاق، فالكلمات الآتية: (درس، دراسة، دارسون) يختلف موضع النبر بينها،[٦] وهذا النوع من النبر هو المقصود إذا أطلقت كلمة النبر دون قيود، وهو الذي قسمه علماء الأصوات إلى نبر رئيس (أولي) وثانوي وضعيف،[٧] وأسهل طريقة لتحديد موضع النبر من الكلمة هو تقسيمها إلى مقاطع فهو أيسر من الاعتماد على الصيغ الصرفية.[٨]

---

(١) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦١، وما بعدها، وانظر: الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي، ص: ١٦٤-١٦٥.

(٢) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦١.

(٣) الصوامت هي الحروف، والصوائت هي الحركات وحروف المدّ، وأشباه الصوائت هي الياء والواو إذا كانت حرف لين، مثل: (صوم، بيت).

(٤) انظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص: ٢٨١.

(٥) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٧٧.

(٦) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٤٢، ٤٣.

(٧) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٤٤.

(٨) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ١٧١.

• **ونبر الطول هو:** طول التلفظ النسبي بالصوت ليكون أطول زمنًا في النطق[١] لغرض معين، فالمقصود تطويل الصوت وليس طوله. ويسمى: نبر الزمن، والنبر الزمني، والنبر المدّي، والنبر الطولي.[٢] والمقصود به الطول المكتسب - وليس الطول الأصلي الذي لا يعدّ من النبر، كما في كلمة (قال) - للدلالة على مطابقة أداء الكلام للسياق والرغبة في التعبير عن أمر ما. ويستعمل هذا الطول وسيلة من وسائل التوكيد أو إظهار الانفعال والاندهاش. وعن المعنى وراء المدّ قبل الهمزة يقول أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ): (وكان المد قبل الهمزة مستحبًا؛ بدلالة أن القراء قد مدّوا قوله: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:١٣] أكثر مما مدّوا: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [النحل:٩٦] ... والعرب تفعل هذا في حال التطريب وإذا أراد أحدهم الرقة والترتيل).[٣]

ويدخل نبر الطول في الصوامت والصوائت معًا؛ فمن دخوله في الصوامت أن المتكلم قد يطيل من الحرف الساكن، مثل: كلمة (تحفة، مدهش)، ويختلف نبر الطول بين الصوامت، فبعضها يمكن تطويل النفَس به أكثر من غيره؛[٤] كالصوامت الاحتكاكية، مثل: (س، ش)، وكذلك الصوامت الأنفية والجانبية والتكرارية، مثل: (م، ن، ل، ر) وغيرها، بخلاف الصوامت الانفجارية التي يكون التطويل فيها أقل من غيرها، وربما أن بعض هذا النبر من تأثير التأمل في العاميات العربية وليس له علاقة بالفصحى.

أما نبر الصوائت فهو أن يطيل المتكلم من الحركة، (مثل: مدّ كلمة (رااائع)، (هدوووء)، (بطيييئ) بمدّ زائد للألف والواو والياء أكثر من المعتاد، ويدخل فيه ما سماه سيبويه (الإشباع)، والمدّ، ومدّ التذكر، ومدّ حرف الندبة. [٥]

وقد طور علماء التجويد نبر الصوائت كثيراً بعنايتهم بالمدود، وأنواعها، وألقابها، وطرق قياسها، ومنها: المدّ المتصل، والمدّ المنفصل، والمدّ اللازم، والمدّ العارض، وغيرها.[٦]

---

(١) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٤٢، ٤٣.

(٢) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٥٠.

(٣) انظر: الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، تحقيق عادل عبدالموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣: ١ / ١٨٥ - ١٨٦.

(٤) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٥١.

(٥) انظر: الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق عبدالسلام هارون: ٤ / ٢٠٢، ٢١٦، ١ / ٢٨، ٢ / ٢٢٠.

(٦) للمزيد: انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبدالفتاح السيد المرصفي، ص: ١ / ٢٥٦، وما بعدها. وانظر: حق التلاوة، حسني شيخ عثمان، ص: ٢٢٥ وما بعدها.

٢. أنواع النبر باعتبار الوظائف السمعية (باعتبار التأثير على المعنى)

من علماء الأصوات من نظر إلى النبر باعتبار التأثير على المعنى، فقسمه بحسب الوظائف السمعية إلى ثلاثة أنماط،[١] والمرجح أن هذه الأنماط الثلاثة تمثل زوايا نظر متعددة لظاهرة التنغيم، يتشكل ذلك من خلال الخواص اللحنية ودرجة الصوت. وهذه الرؤية للنبر داخلة في التنغيم، وتبحث تحته، وإدراجها ضمن الحديث عن النبر يخالف ما سبق أن تقرر في مفهوم النبر وحدّه في الفصل السابق. وقد تحدثتُ عن الفروق بين النبر والتنغيم في موضع سابق من هذه الموسوعة.

١. النبر اللحني

وهو النبر المتطابق مع سياق الكلام والأسلوب اللغوي، وتتوقف خاصيته اللحنية على درجة النغمة، وذلك عائد إلى الذبذبات التنغيمية في نطق الوحدات الصوتية، والمقاطع، والبنى في الجمل.[٢] وعليه، فإنه - بصفته نبراً صوتيًا - يميز أنواع الصور النطقية للأساليب اللغوية، ويتم ذلك بالمقارنة بين النغمة الختامية المتجهة إلى أسفل في الجمل التقريرية مع النغمة الصوتية المرتفعة إلى أعلى في الجمل الاستفهامية التي تحمل معنى الإنكار مثلاً. وهذا في الحقيقة داخل في تنغيم الكلام، وليس جزءاً من النبر كما ذكرت قبل قليل.

٢. النبر الرتيب (الديناميكي)

وهو نوع من النبر يتطابق مع تفاعل المتحدث (أو القارئ) بموضوع الكلام الذي يتكلم به، ويتوقف على تزايد حدة المقطع المنبور تلاؤمًا مع لحن الكلام، وهذا يعني أن الأصوات والمقاطع المنبورة تنطق بدرجة تنغيمية أقوى وأشد.[٣]

٣. النبر الزمني أو الإيقاعي

أما هذا النوع من النبر فيتوقف على ظاهرتين اثنتين: الأولى: التأرجح بين المقاطع والكلمات الطويلة والقصيرة، والثانية: طول الوقفات بين الكلمات، وفي حالات كثيرة يتفق ذلك كله مع إيقاع الكلام، كإطالة المؤكد، ويتم ذلك - في قراءة الشعر مثلاً - من خلال التوزيع الفني للوزن أوالجانب التشريحي المتمثل في حركات النطق، والحجرات الصوتية، وأسلوب النطق المستخدم.[٤]

---

(١) انظر: أطلس أصوات اللغة العربية، د. وفاء البيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ص: ١٥٦، وما بعدها.

(٢) انظر: أطلس أصوات اللغة العربية، د. وفاء البيه، ص: ١٥٦، وما بعدها.

(٣) انظر: أطلس أصوات اللغة العربية، د. وفاء البيه، ص: ١٥٦، وما بعدها.

(٤) انظر: أطلس أصوات اللغة العربية، د. وفاء البيه، ص: ١٥٧، وما بعدها.

٣. أنواع النبر باعتبار الصعود والهبوط (الرفع والخفض)

أدرك بعض علماء التجويد أهمية التنوع في التنغيم ودرجات النبر، ومنهم السمرقندي (٧٨٠هـ) حيث ذكر بعض الأنواع في قصيدته (العقد الفريد) التي ذكرت بعض أبياتها [١] في حديثي عن مفهوم النبر في الفصل السابق، وهي أنواع بعضها يدخل تحت النبر وبعضها تحت التنغيم. وقد قال السمرقندي في الشرح: (مثال ذلك: (ما قلتُ)، ويرفع الصوت بـ(ما) ليعلم أنها نافية، وإذا خفض الصوت عُلم أنها خبرية، وإذا جعلها بين بين عُلم أنها استفهامية. وهذه العادة جارية في جميع الكلام وفي جميع الألسن).[٢] وقد حدد السمرقندي ثلاث نبرات صوتية هي:

- نبرة الرفع.
- نبرة العدل أو (بين بين) (مع التمكين).
- نبرة الخفض.

وقد ربط هذه النبرات بالأدوات (حروفا وأسماء) في علاقتها بمعانٍ محددة.

نبرة الرفع (وتتداخل جزئيّاً مع النغمة الصاعدة)

وتكون النبرة نبرة رفع (نغمة صاعدة) بحيث يرتفع الصوت بها - على رأي السمرقندي - مع (ما) إذا دلت على النفي أو الجحد. وتأتي نبرة الرفع أيضـاً مع ما دل على التعجب والوعد والوعيد، ولإثبات الخبر وتأكيده،[٣] والقسم، والتعبير عن الدعاء،[٤] ونداء التفجع، وجملة فعل الشرط،[٥] وغير ذلك.[٦]

---

(١) هي قوله:

إذا (مـا) لـنـفـيٍ أو لـجـحـدٍ فـصوتُـهـا ارْ ... فَـعَـنْ ولـلاسـتـفـهـام مـكِّـنْ وعـدِّلا

وفي غـيـرِ اخـفـضْ صـوتَـهـا والـذي بما ... شـبـيـهٌ بـمـعـنـاه فـقِـسـه لـتـفـضُـلاَ

كـهـمـزة الاسـتـفـهـام مَـع مَـنْ وأن وإن ... وافـعـلَ تـفـضـيـلٍ وكـيـفَ وهـلْ ولا

(٢) انظر: روح المريد، محمد السمرقندي، (مخطوط) نقلاً عن: الدراسات الصوتية، د. غانم قدوري الحمد، ص: ٤٧٩.

(٣) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء: ٣ / ٢٣. وانظر: إعراب القراءات السبع وعللها، أبو عبدالله الحسين بن خالويه، تحقيق د. عبدالرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢: ٢ / ٢٨٣.

(٤) انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبدالله الحسين بن خالويه: ٣٤ - ٣٥.

(٥) انظر: إعراب القراءات السبع وعللها، أبو عبدالله الحسين بن خالويه: ٢ / ٤٤٦.

(٦) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، ص: ٦١، وانظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، د. أحمد البايبي: ١ / ٢٧٢، وما بعدها.

وقد ذكر جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) أنه يستحب إذا قرأ الرجل قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف:٩٧] أن يرفع بها صوته.[١]

نبرة العدل أو (بين بين) (وتتداخل جزئيّاً مع النغمة المستوية)

وتوظف هذه النبرة وفقًا لنص السمرقندي في الاستفهام، ويعضد بالتمكين، وهو عبارة عن مدّ الصيغة أيضًا، وقد يعبر به عن المدّ العرضي، يقال منه مَكِّنْ، إذا أريدت الزيادة.[٢] فمع العدل هناك زيادة في المدّ، وعلماء القراءات يجعلون التمكين أحيانًا دليلاً على الاستفهام، وذكر مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ): أن الحرميين[٣] وأبا عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) كانوا إذا استفهموا حققوا الأولى وخففوا الثانية بين الهمزة والياء.[٤]

ويعمد القراء إلى المدّ الذي يرافق العدل، وهو المقصود بقول السمرقندي (٧٨٠هـ): (مكّن وعدّلا)، للدلالة على الاستفهام، وهم يصرون على التنغيم حتى لا يلتبس الاستخبار بالخبر، وهذا ما عبروا عنه بوضوح، يقول الزجاج: (فإن السبعة اجتمعت على مدّ ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾، وأما قوله: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، وقوله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ فإنهم أجمعوا على مدّ هذه الأحرف، ولم يحذفوا المدّ كي لا يشتبه الخبر بالاستفهام لو قيل: الآن).[٥]

نبرة الخفض (وتتداخل جزئيّاً مع النغمة الهابطة)

ونبرة الخفض عند السمرقندي للجملة الخبرية. وتستعمل نبرة الخفض أيضًا في مجالات، منها: الجمل التي تعتبر مفتريات، يقول النووي (٦٧٦هـ): ومن الآداب إذا قرئ قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤] أن يخفض بها صوته، وكذا كان النخعي يفعل.[٦]

---

(١) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عبدالله التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ: ٦ / ٤٨٦.

(٢) انظر: التمهيد في علم التجويد، شمس الدين محمد بن الجزري، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص: ٦٨.

(٣) يقصد عبدالله بن كثير المكي (١٢٠هـ)، ونافع المدني (١٦٩هـ).

(٤) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ: ١ / ٧٩.

(٥) انظر: إعراب القرآن، المنسوب لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦: ١ / ٣٦٢. وقد رجح محقق الكتاب أن المؤلف هو مكي بن أبي طالب لاعتبارات عديدة قوية، انظر: الدراسة: ٣ / ١٠٩٨. وانظر للاستفهام في الآية النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري: ١ / ٣٧٧.

(٦) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ: ١ / ٢٢٦.

التحليل الصوتي التقني للنبر والتنغيم

للتحليل الصوتي - مثل تحليل: (PRAAT) - عدد من الإجراءات في تحليل الأصوات، ومن أهمها: إجراءات تحويل الصوت فيه إلى موجات صوتية، وصور طيفية، وفصل المقاطع الصوتية عن بعضها، وتتبع القيم الفيزيائية للنبر (الطول والشِّدَّة والتردد)، وتحديد أعلى قيمة في كل منها، وتحديد نسبة الاطراد في الأداء، وغير ذلك مما يعرفه المختصون في تقنية الصوتيات اللغوية.

وهذا التوجه في تحسين أداء القرآن الكريم توجه مهم ومفيد للمختصين والباحثين في مسائل كثيرة من الأداء، وتدقيق يليق بكتاب الله تعالى وإتقان تلاوته في مخارج الحروف، والوصل والوقف، وأداء أحكام التجويد الأخرى، وليس فقط في أداء النبر والتنغيم.

أما فيما يتعلق بالبرامج والمشاريع التي تهتم بتحسين أداء المسلمين للقرآن الكريم والموجهة لعموم المسلمين، ففي نظري أنه يمكن الإفادة من التقنية والتحليل الصوتي للأداء القرآني بكل جوانبه بمعيارين:

١. **المعيار الشرعي:** بأن لا يُلزمَ المسلمون بما لم يُلزمهم الله تعالى به في تلاوة كتابه، بل إنّ كل مسلم مأجور- بإذن الله - على حرصه على إتقان تلاوة القرآن الكريم، وعلى تلاوته أيـًا كانت درجة إتقانه للقراءة إذا بذل جهده، ويمكن الرجوع لرأيي في حكم تطبيق التجويد في التمهيد من هذه الموسوعة.

٢. **معيار القدرة البشرية:** بأن لا يُطالبَ عموم المسلمين بالدقة والإتقان اللذين تحددهما التقنية، وأن يكون سقف المطالبة هو الإتقان البشري الطبيعي الممكن كلٌّ حسب قدراته ومهاراته.

المعيار في هذه الموسوعة:

ولذلك فإن المعيار المعتمد في هذه الموسوعة هو: المستوى الصوتي البشري الطبيعي أداء وإدراكـًا (استماعـًا) لمسائل النبر والتنغيم، ويخرج بذلك ما تشترطه التقنية صوتيـًا ليتطابق مع شروطها في الحكم بالصواب أو الخطأ على صوت بشري في مخارج الحروف أو غيرها. ويتضح المعيار في هذه الموسوعة في تعريفات أنواع النغمات ومواضعها من الجملة، وفي الكلمات المنبورة نبر جملة، وأن كل ما فيها من مواضع للنبر والتنغيم في جميع الأساليب مقترح لخدمة المعنى، وليس معياراً للخطأ والصواب.

ثانياً: أنواع التنغيم ودرجاته

تنغيم الأساليب اللغوية

يعد التنغيم ركنًا أساسيًا في أداء اللغة؛ لأنه يؤثر في تحديد المعنى الانفعالي وتوجيهه بما يضفيه على التراكيب المنطوقة من معانٍ إضافية لا يوصل إليها بمجرد معرفة معاني المفردات أو فهم تراكيب الجملة. فالتنغيم هو الذي يمكننا من التعبير عن المشاعر، وهو الذي يحمل معاني مثل: العتاب، أو الامتعاض، أو إظهار الرضا، أو الغضب، أو اليأس، أو الأمل، أو التأثر، أو اللامبالاة، أو الإعجاب؛ لأن هذه المعاني ليس لها أدوات لغوية محددة، وقد لا يكون منصوصًا عليها في الجمل المكتوبة، وإنما تفهم من خلال السياق وتنغيم الكلام.[(١)]

إن للتنغيم دلالة على معنى الجملة، وله أيضًا دلالة على مشاعر المتحدث (أو القارئ)؛ لأن التنغيم يفصح عن الرضا، والسخط، والدهشة، والازدراء، والكراهية، والتهكم، والزجر، والموافقة، والرفض، وغيرها.[(٢)] ويمكن لقارئ القرآن الكريم بث تفاعلاته النفسية – في حدود ما تجيزه قواعد التلاوة ومعاني القرآن – مع الآيات التي يقرؤها بتلوينات تنغيمية تكشف عن نوع تفاعله مع تلك الآيات وقوة ذلك التفاعل مما يكون له الأثر على المستمعين، ومن أبرز مواضعه المدود بأنواعها والغنن. كما يظهر هذا النوع أيضًا في ألفاظ الأذان (النداء إلى الصلاة)، فإن المقام مقام نداء، والألفاظ التي تمدّ هي: (الله، ولا، وإله، والصلاة، والفلاح)، وقد يرفع الصوت ويمدّ في الأذكار؛ كالحوقلة: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، حيث تمدّ: (لا) و(الله)، وفي الاستغفار حيث الندم يستلزم مدّ الصوت بلفظ الجلالة: (الله) في قولك: (أستغفر الله)، وفي التكبير في أثناء الصلاة: (الله أكبر) يستلزم تعظيمُ الله رفع الصوت بلفظه ومدّه.

وفرق بين أن يقول قائل (سبحان الله) ذاكراً لله تعالى بعد الصلاة، وأن يقولها عندما يرى بديع صنع الله في الكون مثلاً؛ فالأولى بنغمة مستوية ثم هابطة، والثانية التعجبية بنغمة صاعدة ثم مستوية. وقد روى الجاحظ (٢٥٥هـ) أن طاووس بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٠٦هـ) تلميذ عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وفقيه اليمن، كان ذات يوم راجعًا من مجلس محمد بن يوسف الثقفي والي اليمن، فقال: ما ظننت أن قول (سبحان الله) يكون معصية لله حتى كان اليوم، فقد سمعت رجلا أبلغ ابن يوسف عن رجل كلامًا، فقال رجل من أهل المجلس: (سبحان الله)، كالمستعظم لذلك الكلام، فغضب ابن يوسف.[(٣)]

(١) انظر: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام أنموذجًا)، د. مزاحم مطر حسين، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العراق، العددان: (٣، ٤)، مج ٦، سنة ٢٠٠٧، ص: ٤١.

(٢) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٤، والمدخل في علم الأصوات المقارن، د. صلاح حسنين، ص: ١٠٢، والنبر في العربية، د.خالد العبسي، ص: ٨٦.

(٣) انظر: البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون: ١ / ٣٩٥. وانظر: دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، ص: ١٥. أي: تسبب تنغيمه لـ(سبحان الله) في غضب الوالي على الرجل المتحدث عنه.

ومن تنغيم التعبير ما يقع على العبارات المختصرة، مثل: (يا ولد، يا شيخ، لا)، فالتنغيم يجعلها أكثر إبرازاً للمعاني، وتعبيراً عن مشاعر متنوعة، من مثل قولك: (عليٌّ قائم) حينما تؤدى على أنها خبرية أو على أنها استفهامية. وبناء على ذلك كله وضع بعض الدارسين ما يسمى التنغيم التعبيري،[(١)] أو تنغيم التعبير.

ومن تنغيم الأساليب اللغوية (وقف التنغيم/ سكت التنغيم)، وهذا يطبقه بعض المتحدثين بشكل تلقائي في نطقه لبعض الأساليب اللغوية كما في أسلوب التعديد، فيقول في تعديد الأخبار: (فلان / كريم / محب للخير / محسن إلى الناس)، وهذا التنغيم يعطي إيحاءات معنوية تأثيرية على المستمع، وقد يكون الوقف لمجرد التأثير بالتنغيم وللمزيد من جذب المستمع وإعطائه زمناً للتفاعل مع الكلام - وأدخل بعضهم هذا في تنغيم التعبير[(٢)] - كما في تنغيم كلمة أو مجموعة الكلمات التي تقع بين وقفين أو أكثر ويجمعها سياق واحد كما في اجتماع النداء والاستفهام في مثل قولهم: (يا دارُ / تكلمي أين الأحبة)، ويمكن أن يتغير التنغيم بتغيير موضع الوقف (يا دارُ تكلمي / أين الأحبة؟)، أو بوجود وقفتين: (يا دارُ / تكلمي / أين الأحبة؟).[(٣)]

وتختص هذه الموسوعة بالمواضع المؤثرة في النبر والتنغيم في مفاصل الجملة في الأساليب اللغوية في القرآن الكريم بنغماتها: (الصاعدة، والهابطة، والمستوية)، ونبر ما ينبر منها.

أما ما يتعلق بتنغيم الأساليب اللغوية فإن لكل أسلوب نغمته الأساسية في لغة العرب؛ فنغمة الاستفهام تختلف عن نغمة الخبر وجملة التقرير، ونغمة جواب القسم تختلف عن نغمة القسم نفسه، ونغمة جملة جواب الشرط تختلف عن نغمة جملة فعل الشرط؛ لأن نغمة الانتظار نغمة صاعدة في كثير من مواضعها، ونغمة التقرير ونغمة الإتمام هابطتان في كثير من مواضعهما.

وفي وسط هذا التنوع في التنغيم بين الأساليب اللغوية فإنه يجب في قراءة القرآن الكريم أن يتوافق التنغيم والنبر (الكيفيات الصوتية) مع قواعد التجويد ومعاني الألفاظ ومشاعر القارئ ووجدانه؛ إذ التجويد هو الضابط لتفخيم الحروف وترقيقها، وانحباس الصوت وجريانه، وأيضاً المعاني وما تحدثه من انفعال وجداني للمستمع، فهما العاملان في ارتفاع الصوت، وانخفاضه، وسرعته، وبطئه.[(٤)]

---

(١) انظر: النبر في العربية، د. خالد العبسي، ص: ٨٦.

(٢) انظر: الأنماط التنغيمية في اللسان العربي، د. رضوان القضماني، ص: ٢١٠.

(٣) انظر: الأنماط التنغيمية في اللسان العربي، د. رضوان القضماني، ص: ٢١٠.

(٤) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٤٥ وما بعدها.

ويلتقي التنغيم بـ(علم المعاني) في البلاغة العربية؛ لأنهما معنيّان بإظهار المعاني الإضافية التي لا تكون مذكورة في بنية الكلام الأصلية، وإنما تفهم ضمناً بمعونة السياق والقرائن المحيطة بالمنطوق؛ إذ إن الكلام كثيراً ما يتضمن معاني يُرشد إليها سياقُ الحال الذي قيل فيه.[(١)] كما يساعد التنغيم علم المعاني في تحديد أطر الكلام وتمييز تراكيبه للوصول إلى أمن اللبس والمساهمة في تحديد تنوع الجملة التي تُؤدى بأكثر من تلوين تنغيمي للدلالة على المعاني البلاغية التي تتضمنها وفق ما يتطلبه حال المخاطب.[(٢)]

ولذلك فإن التنغيم عامل مهم في التمييز بين الجمل الخبرية والإنشائية؛ لأن تنغيم الجمل الخبرية يميل إلى تقرير الأمر وحدوثه وقد يتضمن الكلام بعض المؤكدات، وليس فيها التنويع التنغيمي الذي في الجمل الإنشائية. أما الجمل الإنشائية فإن في تنغيم بعضها مواجهة وشدة؛ كالاستفهام الإنكاري، والأمر، والنهي، ويتصف تنغيم بعضها باللطف واللين؛ كالدعاء، والتنبيه،[(٣)] فالمتطلبات التنغيمية كثيرة فيها ومتنوعة بتنوع الأساليب الإنشائية وباختلاف متطلباتها لإظهار المعنى.

ومن الظواهر التنغيمية في اللغة العربية أن كل نوع من أنواع الجمل يتفق مع خط تنغيمي خاص،[(٤)] فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي خطوط من الأنساق النغمية ذوات الأشكال المحددة، فالخط التنغيمي الذي تأتي فيه الجملة الاستفهامية وجملة العرض غيرُ الخط التنغيمي الذي تأتي فيه جملة الإثبات، وهنّ يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة، فلكل جملة صيغةٌ تنغيمية خاصة؛ بعضها مرتفع، وبعضها منخفض، وبعضها يتفق مع النبر، وبعضها لا يتفق معه، وبعضها صاعد، وبعضها هابط... فالصيغة التنغيمية منحنى نغمي خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي.[(٥)]

وإذا كان هذا المنحنى النغمي ثابتاً في نغماته الأساسية بشكل تقريبي، فإنه مختلف - في نغماته الفرعية - حسب سياقات المعنى قبل الجملة وبعدها، وفيه مساحة حرة للقارئ ليؤكد بعض المعاني ويبرزها استجابة لتفاعلاته النفسية مع الآيات التي يقرؤها، وكل هذا مفصل في حديثي عن (نبر الجملة) وأنواعه.

---

(١) انظر: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام أنموذجًا)، د. مزاحم مطر حسين، ص: ٤١.

(٢) انظر: ظاهرة التنغيم في العربية، آلاء حسين داود الشرع، ودريد عبدالجليل الشاروط، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العراق، العددان: (١، ٢)، مج ٣، سنة ٢٠٠٤، ص: ١٥٩.

(٣) انظر: أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام أنموذجًا)، د. مزاحم مطر حسين، ص: ٤١.

(٤) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٣٠٨.

(٥) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٦.

ولفصل الخطوط التنغيمية عن الكلام وإبرازها مستقلة، فإنه يمكن أن يطلب من أحد المتكلمين أن يحاول نطق بعض الجمل وهو مغلق الشفتين، ففي هذه الحالة يمكن الاستماع إلى الخط التنغيمي للجملة المرادة دون سماع ألفاظ الجملة نفسها، وسيكون بالإمكان التعرف على الجملة التي لم تسمع ألفاظها، وتحديدُ ما إذا كانت استفهامـًا، أو إثباتـًا، أو تأكيداً، ويظهر ذلك دون الحاجة إلى تفكير أو استنتاج؛ لأن سياق النغمات - الأساسية - في كل جملة له من الطابع العرفي المشروط المحدد ما للكلمة في دلالتها على معناها.(١)

إن الكلام يقوم بدور مهم في الحياة اليومية أكثر من الكتابة؛ لأن عملية التواصل والتفاهم التي تعتمد على الكلام تستغرق أكثر من نصف وقت الإنسان الذي يقضيه متكلمـًا ومستمعـًا، فالأصل في اللغة أن تكون كلامـًا منطوقـًا (مشافهة)، أما الكتابة أو لغة الكتابة فهي لغة أخرى تقصد تمثيل الكلام المنطوق بطريقة منظورة، فالكتابة اختراع إنساني لاحق على اللغة المنطوقة... وهذه الأشكال الكتابية - التي هي الحروف - ثانوية بالنسبة إلى رموز الكلام الملفوظة التي هي الأصوات، أي: إن الأشكال الكتابية هي (رموز الرموز) كما ذكر إدوارد سابير.(٢)

وقد حاولت الكتابة أن تستعيض عن التنغيم بالترقيم، غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة، وربما أن ذلك بسبب أن ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر مما يستعمله الترقيم من علامات؛ كالنقطة، والفاصلة، والشرطة، وعلامة الاستفهام، وعلامة التأثر؛(٣) ولأن التنغيم هو الهيئة اللحنية التي تؤديها المعاني المختلفة، فالاستنكار له هيئة لحنية معينة، والاستفهام التصديقي له هيئة أخرى، والتعجب له هيئة ثالثة، والتأكيد له هيئة رابعة، وهكذا ...وهذه المعاني هي معانٍ نفسية ولغوية يُقصد منها أن تحدث أثراً نفسيـًا لدى المخاطب إلى جانب المعنى الذي تؤديه الجملة من حيث وجهها اللغوي التركيبي،(٤) وكل هذا يدعو لدراسة اللغة المنطوقة - (اللغة الانفعالية) إن صحت التسمية - كما تدرس اللغة التركيبية المكتوبة. ولعل مجال تصوير النغمة كتابيـًا يتطور، فتصورُ النغمات كما صُوِّرتْ الكلمات والحركات والشدات كتابيّـًا، وقد طوَّر بعض الصوتيين رموزاً للتنغيم، ولعلها تخرج فتكون علامات عامة للتنغيم في تلاوة القرآن الكريم، وقد وُجد في العربية بعض من هذا منذ قديم، مثل: الإشارة إلى الإمالة بمثلث فوق الحرف أو تحته.

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٦.

(٢) انظر: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، ص: ٥٥.

(٣) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٦.

(٤) انظر: اللسانيات؛ المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتية، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، إربد، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨، ص: ٤٨٨.

ولكن الذي لا شك فيه أن الكتابة تتميز عن النطق بميزة الثبات والدوام، وإمكان الاستحضار مرة أخرى، وإعادة التجربة، وتخطي حدود الزمان والمكان، أما النطق فيتميز بالحياة والحركة والموقف الاجتماعي.[١] وخطوط التنغيم المتنوعة بتنوع الجمل جزءٌ أساسي من الحياة والحركة التي جاء الموقف الاجتماعي مشحونًا بها.

لقد كانت اللغة العربية الفصحى في عصرها الأول - ككل اللغات - ربما أهملت أن تذكر الأدوات في الجملة اتكالاً على التعليق بالنغمة، فكان من الممكن مثلاً أن نفهم معنى الدعاء من قولهم: (لا وشفاك الله) بدون الواو اتكالاً على ما في تنغيم الجملة من وقفة واستئناف.

وقد أوردتُ أحاديث للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وموقفين لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع هذه الواو؛ الأول في صحيح مسلم، والثاني قصة تروى، وذلك في حديثي عن: مكانة النبر والتنغيم في لغة العرب (علماء اللغة والنحو والفلاسفة المبحث الثالث من الفصل الأول (المدخل).

ومع ذلك لا مفرّ لمن دونوا التراث من الاحتفاظ دائمًا بهذه الأدوات بسبب عدم وجود ذلك الترقيم أو التنغيم في الكتابة، فكان لا بد لهم من ضمان أمن اللبس في المعنى بواسطة اطراد ذكر الأدوات.[٢]

ويؤكد الدكتور أحمد الفيومي أن التنغيم مذهب من مذاهب العرب في الكلام،[٣] وأن الأنماط التنغيمية تتعدد بتعدد أنواع الجمل، فلكل أسلوب من الأساليب؛ كالإثبات، والنفي، والتأكيد، والتعجب، والاستفهام، والأمر، والنهي، والتمني، والترجي، والعرض والتحضيض، والشرط، والقسم، والنداء خطوطه التنغيمية لا يكاد يشاركه أسلوب آخر فيه، وأن الخروج عن الخط التنغيمي للأسلوب يعدّ لحنًا، يقول: (وتجب مراعاة ذلك القالب التنغيمي في نطق الجملة الخاصة به وإلا عُدّ المتكلم لاحنًا وكان شأنه شأن رفع المفعول ونصب الفاعل، فالخروج بالجملة عن قالبها التنغيمي وأدائها الصوتي الذي كان العرب يتبعونه في النطق بها لحن أيضًا، ومخلّ ومنتقص به من درجة صحتها الصوتية... فالتنغيم من سمات اللغة العربية، وقد أشار بعض علماء اللغة في التراث العربي إلى تنغيم الكلام بما يخدم المعنى، بيد أنه لم يقنن، ولم توضع له المعايير والقواعد المفصلة التي على أساسها كان تحققه وجريانه على ألسنة العرب الفصحاء).[٤] أما في العصر الحديث فقد قدم عدد من

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٦، ٢٢٧.
(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، ص: ٢٢٧.
(٣) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ٢٠٧، ٢١٣.
(٤) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٨٧ - ١٨٨.



العلماء اجتهادات متميزة في تفاصيل ظاهرة تنغيم الكلام في العربية، سواء فيما يتعلق بدورها في بنية اللغة، أو بملامحها، أو وظائفها، أو أنماطها التنغيمية.[١]

الخطوط الستة للتنغيم

يمكن تقسيم تنغيم الجملة العربية إلى ستة خطوط (نماذج) تنغيمية،[٢] تنطلق من نوعين من التنغيم (صاعد وهابط)، وثلاثة مستويات من العلو، والتوسط، والانخفاض، وذلك بالتفصيل الآتي:

نوعا التنغيم

١. **التنغيم الصاعد**: أن يكون التنغيم صاعداً إلى أعلى، ويُنطق به غالباً آخر جملة الاستفهام المبدوءة بـ(الهمزة أو هل)، كقولك: (هل جاء علي؟)،[٣] أو المبدوءة بأي أداة استفهام على أن يكون الاستفهام قد خرج عن معناه الأصلي إلى معنى آخر،[٤] كقولك: (كيف خرج علي؟)، وأنت تتعجب من خروجه. كما ينطق به آخر الجملة المعلقة؛ كنغمة الجزء الأول من الجملة الشرطية،[٥] كقولك: (كلما سعيت في طريق الخير زادك الله فضلاً). ويرى د. تمام حسان أن تكون نغمة الجزء الأول من الجملة المعلقة نغمة مستوية

---

(١) ومن تلك الدراسات:
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان.
- علم الأصوات، د. كمال بشر.
- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر.
- التشكيل الصوتي، د. سلمان العاني.
- من وظائف الصوت اللغوي: محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك.
- في بنية الوقف وبنينة اللغة، د. مبارك حنون.
- أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد عبدالتواب الفيومي.

(٢) للدكتور تمام حسان أكثر من مصطلح في تقسيم النماذج التنغيمية العربية، ومنها ما ذكره في كتابه: مناهج البحث في اللغة؛ حيث استخدم مصطلحات: اللحن الأول، واللحن الثاني، والمدى الإيجابي والنسبي والسلبي. انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٥، وانظر: أصوات اللغة، الدكتور عبدالرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨، ص: ١٥٣، وما بعدها.

(٣) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٩، ٢٣٠، وانظر المعاني التي يخرج إليها الاستفهام في مبحث الاستفهام.

(٤) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٩، ٢٣٠. وانظر من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام في هذه الموسوعة: (مجموعة الشِّدَّة والقوة وإثارة الانفعال) فحقها نغمة صاعدة.

(٥) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٦- ٥٣٧، ٥٤١.

(مسطحة)،[١] ولا أوافقه على هذا الاختيار في جملتي الشرط والقسم - خاصة المفصول بين طرفيها بفاصل طويل - لأنه لا يتناسب مع حالة الانتظار التي يطلبها فعلُ الشرط من المستمع. ولا علاقة للتنغيم الصاعد بعلو الصوت وانخفاضه، فمثلاً يمكن أن يتحقق التنغيم الصاعد في آخر جملة الاستفهام الإنكاري بصوت منخفض، وليس بالضرورة أن يكون الصوت عاليًا ليظهر المعنى الإنكاري.

٢. **التنغيم الهابط**: أن يكون التنغيم منحدراً إلى أسفل. ويُنطق به غالبًا آخر الجملة الخبرية والتقريرية المثبتة - أما المنفية فقد يكون آخرها بنغمة صاعدة أو مستوية حسب معناها وعلاقتها بالجملة التي بعدها - كما ينطق به غالبًا آخر الجملة الطلبية في بعض المواضع،[٢] ونهاية الجملة الشرطية، أما الجملة الاستفهامية فلا بد أن تكون أداة الاستفهام غير (الهمزة، وهل)، أما إذا كان الاستفهام بمعناه الحقيقي كقولك: (كيف جاء علي؟) مستفهمًا عن طريقة مجيئه، فتكون مستوية وليست هابطة خلافًا لبعض الباحثين المعاصرين.[٣]

فخلاصة القول في نغمة الجملة الاستفهامية أن النغمة الصاعدة - في أغلب الأحوال - تكون في آخر الجملة الاستفهامية المبدوءة بـ(الهمزة أو هل)، أو المبدوءة بغيرهما إن خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخر، أما إن كانت أداة الاستفهام غير (الهمزة وهل)، وكان الاستفهام بمعناه الأصلي فإن آخر جملته يكون بنغمة مستوية غالبًا.

مستويات التنغيم

- **المستوى الواسع**: ما كان نتيجة إثارة أقوى للأوتار الصوتية فيعلو به الصوت، ويستعمل في التدريس، والخطابة، والصياح الغاضب.
- **المستوى المتوسط**: ما كان أقل طلبًا للهواء وأقل في علو الصوت، ويستعمل للمحادثات العادية.
- **المستوى الضيق**: ما كان بين اثنين يحاولان أن لا يسمعهما ثالث، ويستعمل في الهمس، والتشاور، والعبارات اليائسة والحزينة.[٤]

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣٠.

(٢) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٥- ٥٣٦.

(٣) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٩، ٢٣٠. وانظر: الأنماط التنغيمية في اللسان العربي، د. رضوان القضماني، ص: ٢٦٢، ٢٦٨. مع تعديل يسير.

(٤) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٩، ٢٣٠.



خلاصة الخطوط الستة

وبناء على التقسيم أعلاه تكون الخطوط (النماذج) الستة لتنغيم الجملة العربية كما يأتي:

- الصاعد الواسع.
- الصاعد المتوسط.
- الصاعد الضيق.
- الهابط الواسع.
- الهابط المتوسط.
- الهابط الضيق.(١)

وفي الخطوط (النماذج) التنغيمية الستة السابقة يمكن أن يكون الكلام عاديـًا أو مؤكداً، ويأتي التأكيد بزيادة نسبية في كمية الهواء المسلط على الأوتار الصوتية عند النطق بالمقطع الذي يُوقع عليه النبر وأريدَ تأكيدُه، فتأتي النتيجة في صورة نبر أقوى ومدى تنغيمي أوسع.(٢)

وقد تتداخل نغمة الاستفهام الصاعدة أو الهابطة مع نغمة الانفعال في الكلام - في غير القرآن - وقد يرى بعضهم أن النغمة بحسب السياق؛ لأن من الاستفهام الحقيقي - مثلاً - ما يكون هادئًا، كسؤال الصديق أو المريض عن حاله، وقد يكون بنغمة متوسطة؛ كالاستفهام الحقيقي المصحوب بتعجب عن علة بطرح سؤال (لماذا؟)، وقد يكون بنغمة عالية؛ كالاستفهام الحقيقي المصحوب بانفعال شديد (قل لي: من أين لك هذا؟).

إن علو الصوت بالكلام وانخفاضه مختلف عن نغمة الاستفهام الصاعدة والهابطة، فمثلاً يمكن أن يتحقق التنغيم الصاعد في آخر جملة الاستفهام الإنكاري بصوت منخفض، وليس بالضرورة أن يكون الصوت عاليـًا ليظهر المعنى الإنكاري.

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣٠.

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣١.



درجات التنغيم

تتغير نغمات الكلام من أداء إلى آخر، ومن موقف إلى موقف، ومن حالة نفسية للمتحدث (أو القارئ) إلى أخرى، فللأداء أدوار دلالية متنوعة يتم التعبير عنها بالانتقال بين النطاقات التنغيمية حيث توظف الحدة والثقل[١] إلى جانب عمليتي الصعود والهبوط، فعندما ترتفع درجة التلوين التنغيمي نحصل على نغمة صاعدة، وعندما تنخفض هذه الدرجة نحصل على نغمة هابطة، أما إذا لزمت هذه الدرجة مستوى واحداً فنحصل على نغمة مستوية.[٢]

وإمكانات التنويع في النغمات واسعة إلى حد كبير وفقـًا لنوع الكلام وظروفه، وهذا التلوين يعطى الكلام روحـًا ويكسبه معنى، فهو يعدّ عاملاً مهمّـًا من عوامل توضيح المعاني وتفسيرها وتمييز أنماط الكلام بعضها عن بعض.

فالجملة الواحدة يتنوع معناها بتنوع صور نطقها وكيفية التنويع في تنغيمها، فمثلاً عبارة: (يا الله) قد تعني التحسر، أو عدم الرضا، أو الدهشة، وفقـًا للحالة المعينة.[٣]

تنغيم نهاية الجملة

والتنغيم على الرغم من اختلاف صوره وإمكاناته فإنه يمكن أن ينظر إلى نغماته من منظورين اثنين:

- النغمات الداخلية قبل نهاية تنغيم نهاية الجملة.
- تنغيم نهاية الجملة.

فأما النغمات الداخلية فإنها تضم عدداً من التنويعات الداخلية المتناثرة في جملة معينة.

وأما تنغيم نهاية الجملة فيمكن حصر نغماته الرئيسة في ثلاث نغمات:[٤]

- **النغمة الصاعدة، هي**: نغمة تتصف بالصعود في نهاية الجملة (نهاية بعض جمل الاستفهام، أو نهاية الجزء الأول من جملة الشرط والقسم مثلاً، أو نهاية جملة النفي أو النهي في بعض المواضع)، ومعيارها أن

---

(١) انظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، د. أحمد البايبي: ١/ ١٦٤.

(٢) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٤.

(٣) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٤.

(٤) انظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢٧.

المستمع إذا فهم منها الإنكار - إن كانت في سؤال - ففهمه صحيح، أو النفي أو النهي بقوة ففهمه صحيح، وإذا فهم منها انتظار تمام المعنى - في جملة الشرط والقسم مثلاً - ففهمه صحيح، وهي نغمة تثير في المستمع صدمة انفعالية، وتسبب له حيرة وتشتتاً نسبيّاً - قد يطول أو يقصر - وتهيئ المستمع:

- إما لانتظار تمام الكلام، أو جواب السؤال، أو البدء في صنع الجواب.
- أو تشعره بوجود مسؤول عنه إذا كان الاستفهام حقيقياً.
- أو توصل له - بأسلوب الاستفهام - معنى آخر خرج إليه الاستفهام.
- أو توصل قوة النفي والنهي في أسلوبهما.

وفائدتها إبراز معنى الجملة التي جاءت بنغمة صاعدة في آخرها.

أما بدايتها فتتضمن تلوينات جزئية داخلية تؤدى بنغمة مستوية غالباً، وقد تحكمها درجة تفاعل ناطقها مع المعنى، ومن مواضعها:

- الجمل الاستفهامية التي تتطلب إجابة بـ(نعم أو لا)، مثل: (هل عليٌ في البيت؟).[١]
- بعض الجمل الاستفهامية التي خرج الاستفهام فيها عن المعنى الأصلي له؛ كالإنكار، والتهديد، والتهكم، والتعجب، وغيرها. (انظر: مجموعة الشِّدَّة والقوة وإثارة الانفعال في مبحث الاستفهام).
- آخر الجزء الأول من الجملة المعلقة، والمقصود بالجملة المعلقة: الكلام غير التام لارتباطه بما بعده، ويظهر ذلك - مثلاً - في آخر الجزء الأول من جملة فعل الشرط،[٢] أو جملة القسم، وتظهر الحاجة للنغمة الصاعدة إذا كان الفاصل بين الشرط وجوابه، أو القسم وجوابه طويلاً.
- بعض أواخر الجمل في أسلوبي النهي والنفي.

ولا علاقة للنغمة الصاعدة بعلو الصوت وانخفاضه، فمثلاً يمكن أن يتحقق التنغيم الصاعد في آخر جملة الاستفهام الإنكاري بصوت منخفض، وليس بالضرورة أن يكون الصوت عالياً ليظهر المعنى الإنكاري.

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٩، ٢٣٠. وانظر المعاني التي يخرج إليها الاستفهام في مبحث الاستفهام.

(٢) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٦ - ٥٣٧. وانظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٨ - ١٦٩. وسيكون تفصيل الحديث عن نغمات أسلوبي الاستفهام والإتمام في مبحثيهما.



- **النغمة الهابطة، هي:** نغمة تتصف بالهبوط في نهاية الجملة - كنهاية بعض الجمل التقريرية، وجمل الإضراب، والاستدراك، أو نهاية جملة النفي أو النهي في بعض المواضع - ومعيارها أن المستمع إذا فهم منها أن القارئ سيتوقف عن القراءة نهائيًا ففهمه صحيح، وقد يكون الهبوط من أول الجملة إلى نهايتها، وقد يكون في نهايتها فقط، أما بدايتها فتتضمن تلوينات جزئية داخلية تؤدى بنعمة مستوية غالبًا، وقد تحكمها درجة تفاعل ناطقها مع المعنى، ومن المواضع التي يغلب أن تؤدى بنغمة هابطة - بشرط أن لا تخرج الجملة عن معناها الأصلي، ولا يوجد في سياق الكلام ما يدعو لنغمة أخرى صاعدةً أو مستوية - ما يأتي:
    - جملة جواب الشرط وجواب القسم.
    - الجزء الثاني من الجملة المعلقة.
    - آخر الجملة في أغلب أساليب الإضراب، والاستدراك، والتعليل في بعض المواضع.
    - الجملة التقريرية: وهي الجملة التامة ذات المعنى الكامل غير المعلق، مثل: (علي في المنزل).
    - الجملة الطلبية: وهي الجملة التي لم تخرج عن معناها الأصلي، ولا يوجد في الكلام ما يتطلب نغمة صاعدةً أو مستوية، وتتضمن فعل أمر أو نحوه، مثل: (أخرج القلم).[١]

    وفائدتها الإشارة إلى تمام معنى الجملة التي جاءت بنغمة هابطة في آخرها.

- **النغمة المستوية، هي:** نغمة تلزم درجة أو مستوى واحداً بين الصاعدة والهابطة،[٢] ومعيارها أن المستمع إذا فهم منها أن القارئ مستمر في القراءة ولن يتوقف ففهمه صحيح، وهي نغمة تثير في المستمع انفعالاً خفيفًا، وتهيئه:
    - إما لانتظار تمام الكلام، أو جواب السؤال، أو البدء في صنع الجواب.
    - أو تشعره بوجود مسؤول عنه إذا كان الاستفهام حقيقيًا.
    - أو توصل له - بأسلوب الاستفهام - معنى آخر خرج إليه الاستفهام؛ كالتقرير، والتنبيه، والإرشاد، والتحضيض، وغيرها. (انظر: مجموعة الهدوء واللين في مبحث الاستفهام).

    ومن مواضعها:

    - بداية جميع الأساليب اللغوية ووسطها.

---

(١) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٤ - ٥٣٦، وانظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٤.

- الجمل الاستفهامية المبدوءة بأدوات استفهام (غير الهمزة وهل)، مثل: (أين، ومن، ومتى، وكيف)، مثل: (أين علي؟)[١] على أن لا يكون الاستفهام قد خرج فيها عن المعنى الأصلي إلى مجموعة الشِّدَّة والقوة وإثارة الانفعال.
- أول الجزء الثاني من الجملة المعلقة، وقد يكون بنغمة هابطة ابتداء.
- بعض المواضع في جمل أساليب النفي، والنهي، والاستدراك، والإضراب، والتعليل وغيرها.

وفائدتها الإشارة إلى استمرار معنى الجملة التي جاءت بنغمة مستوية في آخرها.

خط النبر والتنغيم

يبدأ خط النبر والتنغيم - أول ما يبدأ - بالنبر؛ لأن النبر يختص بالجزء (الحرف والجزء من الكلمة)، فجاءت البداية به وجُعل التنغيم بعده؛ لأنه يخص الكل (الجملة وأداءها بما يناسبها كاملة).

وإذا كان مفهوم النبر هو: تمييز مقطع أو حرف أو كلمة من بين أخواتها بضغطة تخصصها، فتزيد وضوحاً في السمع،[٢] فإن مفهوم التنغيم هو: (النغمات المنتظمة والمتتابعة في حدث كلامي معين، تصاحب التراكيب، وتساعد على فهم معنى الكلام).[٣]

أما خط النبر والتنغيم فهو: مجموع النبرات والنغمات المتتابعة المختلفة من بداية الجملة إلى نهايتها، وتختم بوقف تنغيمي. أو هو: مجموع النبرات والنغمات المتتابعة، التي تتكون - على الأقل - من نبرات على الكلمات المهمة في الجملة، ونغمة تواكب بداية القول، ونغمة ثانية تواكب ما قبل نهاية القول، ونغمة ثالثة تواكب نهاية القول، ووقف تنغيمي.

وقد يسمى نمط التنغيم أو قالب التنغيم، ويستطيع من يسمع خط النبر والتنغيم أن يعرف ما إذا كان القول جملة إخبارية، أو استفهامية، أو تعجبية دون معرفته بالضرورة لمحتوى القول، وأن يعرف ما هي مفاتيح الجملة

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٩، ٢٣٠. وانظر: الأنماط التنغيمية في اللسان العربي، د. رضوان القضماني، ص: ٢٦٢، ٢٦٨. مع تعديل يسير.

(٢) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٣٧٤. وانظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢، واللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ١٧٠، وعلم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥١٢، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص: ٢٢١.

(٣) انظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية، د. عبدالقادر مرعي الخليل، ص: ١٩٧.

للوصول للمعنى، وماذا يرسل كلٌّ من النبر والتنغيم من معانٍ ليست موجودة على شكل كلمات، وهذا يدل على أن خط النبر والتنغيم له نظام صوتي مستقل؛ لأن له معنى مستقلاً.(١)

ويغيّر نبر الجملة في المعنى المسؤول عنه في سؤال مثل: (هل سافر أخوك أمس؟)، فإن كان النبر على كلمة (سافر)، فالمتكلم يشك في حدوث السفر ويريد الإجابة عنه، وإن كان النبر على كلمة (أخوك) فإن المتكلم لا يشك في حدوث السفر، وإنما يشك في فاعل السفر فربما يكون شخصاً آخر غير الأخ، وإن كان النبر على كلمة (أمس) فإن المتكلم يسأل عن زمن السفر...(٢) ولو جاءت الإجابة بغير ما تطلبه الكلمة المنبورة لعدها المستمع إجابة خاطئة.

كما أن تعدد كلمات النبر في الجملة الواحدة وتتابعه يؤدي معاني دقيقة جدّاً، فهو يعزز إثبات معنى وانتفاء معنى آخر تماماً كما في جملة أسلوب القصر التي تتضمن جملة مخفية معاكسة للجملة الظاهرة، فأسلوب القصر في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] معناه أن محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولٌ وليس ملكاً من الملائكة.

وكذلك فإن الكلمات المنبورة (نبر جملة) تتضمن جملة مخفية في داخلها، فمثلاً قول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧٣]، فالنبر على ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾ يعزز معنى أنهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾، وينفي أنهم (الذين أجرموا) – مثلاً– كما أن نبر ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ يعزز معنى أنهم سيقوا ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾، وينفي أنهم سيقوا (إلى النار)... هذه الجمل المخفية التي توحي بنفي أنهم (الذين أجرموا، وأنهم سيقوا إلى النار) ويوحي بها النبرُ للمستمع لم تكن لتتضح بهذه الصورة لولا النبر الذي حصل على ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾، و﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾، وهذه القاعدة تنطبق على جميع الكلمات المنبورة. ويدخل النبر في جميع الأساليب اللغوية في هذه الموسوعة.

وسيُذكر في التأصيل النظري لكل أسلوب من الأساليب اللغوية وفي جداول الدراسة التطبيقية للأساليب في هذه الموسوعة مفاصل الجملة وخط النبر والتنغيم الخاص بكل أسلوب.

---

(١) انظر: معجم علم الأصوات، د. محمد علي الخولي، ص: ٦٣. والأصوات اللغوية، د. محمد الخولي، ص: ١٧٠.

(٢) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢ – ١٠٣.

وقف التنغيم

مقدمة عن الوقف في القرآن

ذكر الزركشي (٧٩٤هـ) أن فن الوقف والابتداء فنٌ جليل به يعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات.[١] وقال ابن الجزري (٨٣٣هـ): إن للقدماء مصطلحات يريدون بها الوقف غالبًا، وهي: القطع، والوقف، والسكت، وقال عن الوقف: إنه: (عبارة عن قطع الصوت زمنًا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله لا بنية الإعراض، ويأتي في رؤوس الآي وأواسطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسمًا، ولا بد من التنفس معه). وقال عن السكت: إنه (عبارة عن قطع الصوت زمنًا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس).[٢]

ولعلم الوقف والابتداء أهمية كبرى في فهم القرآن الكريم، فقد روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. وقال ابن عمر: لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها.[٣] قال ابن الجزري معلقًا: (في كلام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليل على وجوب تعلمه ومعرفته، وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلمه إجماع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).[٤]

وقد قال أبو حاتم السجستاني (٢٤٨هـ): من لم يعرف الوقف لم يعلم القرآن. واشترط جماعة من الأئمة المتقدمين على الشيخ أن لا يجيز الطالبَ إلا بعد معرفته الوقف والابتداء؛ فبمعرفتهما تظهر معاني التنزيل، وتعرف مقاصده، وتستعد القوة المفكرة للغوص في بحر معانيه على درره وفوائده.[٥]

وقد قسمه كثير من العلماء عدة أقسام؛ فهو عند أبي حاتم السجستاني (٢٤٨هـ) خمسة: تام، وحسن، وكاف، ومفهوم، وصالح، وعند أبي بكر الأنباري (٣٢٨هـ) ثلاثة: تام، وحسن، وقبيح، وعند أبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ) أربعة : تام، وكاف، وحسن، وصالح، وعند أبي عمرو الداني (٤٤٤هـ) أربعة: تام، وكاف، وحسن، وقبيح، وعند

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ١ / ٣٣٩.
(٢) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٣٩ - ٢٤٠. انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد الأشموني، تعليق شريف أبو العلا العدوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص: ٢٥.
(٣) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٢٥.
(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٢٥.
(٥) انظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني: ٢ / ٤٩٣ - ٤٩٤.

السجاوندي (٥٦٠هـ) ستة: لازم، ومطلق، وجائز، ومجوز لوجه، ومرخص لضرورة، وما لا يوقف عليه،(١) وعند أحمد الأشموني (القرن١١هـ) عشرة: تام وأتم، وكاف وأكفى، وحسن وأحسن، وصالح وأصلح، وقبيح وأقبح.(٢) وبالتأكيد ليس المقصود بالوقف القبيح أن في القرآن العظيم معنى قبيحًا - وهو كتاب الله العظيم - بل المقصود أن المعنى الذي سينشأ عن وقف خاطئ سيغير معنى الآية إلى غير المقصود منها، هذا هو وجه قباحته، وهي قباحة محصورة في أداء البشر، وليس في القرآن الكريم.(٣) ومن أهمية الوقف عند علماء التفسير، والتجويد، واللغة أن زاد عدد المؤلفات فيه على مئة كتاب.(٤)

وللعلماء تعريفات متعددة لتلك الأقسام لا تختلف في جوهرها، ومن تعريفات الأقسام المقبولة للوقف أن التام هو: الذي لا يتصل ما بعده بما قبله لا لفظًا ولا معنى، وأن الكافي هو: الذي يتصل ما بعده بما قبله معنى لا لفظًا، أما الحسن فهو: الذي يتصل ما بعده بما قبله لفظًا لا معنى.(٥)

ومن الوقف التام الوقفُ على قوله تعالى: ﴿وَبِٱلَّيۡلِۚ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الصافات:١٣٧-١٣٨]، والوقف على ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أتم، وقد يكون الوقف تامًا في قراءة دون قراءة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:١-٢] حيث إن الوقف على ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ وقف تام على قراءة من رفع لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾، وأما على قراءة من خفض لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ كما في قراءة حفص عن عاصم، فليس الوقف تامًا، بل هو وقف حسن. وسيأتي عدد من الشواهد على هذه الأنواع من الوقف بعد قليل.

وقد نبه العلماء على المواضع التي لا يجوز الوقف عندها، ومنهم أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ) الذي ذكر أنه لا يتم الوقف في اثنين وأربعين موضعًا، عدّ منها: أنه لا يوقف على المضاف دون ما أضيف إليه، ولا المنعوت دون نعته، ولا على الرافع دون المرفوع، ولا على الناصب دون المنصوب، ولا على

(١) انظر: علل الوقوف، أبو عبدالله محمد بن طيفور السجاوندي، تحقيق د. محمد بن عبدالله العيدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ: ١ / ١٠٨ - ١٣٢. وانظر: القطع والائتناف، أبو جعفر أحمد النحاس، تحقيق د. عبدالرحمن المطرودي، دار عالم الكتب الرياض، ١٤١٣هـ، ص: ٣٠. وانظر: وقوف القرآن وأثرها في التفسير، د. مساعد الطيار، ص: ٢٢.

(٢) انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد الأشموني، تعليق شريف أبو العلا العدوي، ص: ٢٥ ٢٦، ٢٨.

(٣) انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد الأشموني، تعليق شريف أبو العلا العدوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص: ١٨ (الحاشية).

(٤) انظر: وقوف القرآن وأثرها في التفسير، د. مساعد الطيار، ص: ٢، وانظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد الأشموني، تعليق شريف أبو العلا العدوي، ص: ١٢ - ١٧.

(٥) انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد الأشموني، تعليق شريف أبو العلا العدوي، ص: ٢٧ - ٢٨.

المؤكد دون التوكيد، ولا على المنسوق دون ما نسقته عليه، ولا على (إن) وأخواتها، و(كان) وأخواتها، و(ظن) وأخواتها دون أسمائها، ولا على أسمائها دون أخبارها، ولا على المقطوع منه دون القطع، ولا على المستثنى دون الاستثناء، ولا على (الذي، وما، ومن) دون صلاتهن، ولا على حروف الاستفهام دون ما استفهم بها عنه، ولا على حروف الجزاء دون الفعل الذي يليها، ولا على الفعل الذي يليها دون جواب الجزاء، ولا على الأمر دون جوابه، ولا الأيمان دون جواباتها).[1] وتبعه في ذكر هذه الأجزاء المتلازمة وأنه لا يوقف عليها أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)،[2] وابن طيفور السجاوندي (٥٦٠هـ)،[3] ومحمد بن الجزري (٨٣٣هـ)،[4] و د. كمال بشر وغيرهم.[5]

وأقول: جميع المواضع السابقة تُطلب من القارئ القادر على وصل القراءة وعدم الوقف، أما حينما يكون الأمر فيه صعوبة - كما في أسلوب الشرط في سورة التكوير، وأسلوب القسم في سورة الشمس، وغيرها من مواضع أسلوب الإتمام - فيمكن الوقوف بنغمة الانتظار الصاعدة أو المستوية على مفاصل جمل الشرط أو القسم قبل استكمال جوابهما؛ لأن هذه النغمة تغني في بعض مواضع أسلوب الإتمام عن إعادة قراءة كلام سابق ليظهر المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك. وللمزيد يمكن الرجوع إلى هاتين النغمتين في أسلوب الإتمام.

وهنا بعض الوقفات والجوانب التي لها علاقة بالوقف والابتداء:

١. من أهم الجوانب التي توضح علاقة علم الوقف والابتداء بالنبر والتنغيم في هذه الموسوعة أنه إذا كان علم الوقف والابتداء يحدد مواضع الوقف وحكمه بالإجابة على سؤال: أين يكون الوقف؟ وما حكمه؟ فإن الموسوعة تجيب على سؤال: كيف يُوقف؟ هل بنغمة صاعدة أو مستوية أو هابطة، ولماذا؟

٢. أنه يوجد في الدراسة التطبيقية للأساليب اللغوية في هذه الموسوعة تحديدٌ لبعض المواضع التي يقترح فيها وقفٌ على كلمة معينة، فإن كان الوقف اضطراريّاً - قبل نهاية الجملة - فيحسن أن يكون الوقف بنغمة تتوافق مع النغمة المقترحة لآخر الجملة نفسها، صاعدة كانت أو مستوية أو هابطة، وإن كان «وقف التنغيم»، فله نغمته المقترحة التي تتناسب مع معنى الجملة وارتباطها بما بعدها ومع سياق الآية العام.

(١) انظر: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١، ص: ١١٦ - ١١٩، ولجميع الشواهد إلى ص: ١٥٠.

(٢) انظر: التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ص: ١٧٥ - ١٧٦.

(٣) انظر: علل الوقوف، أبو عبدالله محمد بن طيفور السجاوندي، تحقيق د. محمد بن عبدالله العيدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ: ١ / ١٣٢ - ١٣٧. وانظر: كتاب الوقف والابتداء، ابن طيفور السجاوندي، تحقيق محسن هاشم درويش، دار المناهج، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ. ص: ١١٣ - ١١٥.

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٣٠، ٢٣١.

(٥) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٥٦ - ٥٥٧.



٣. أما في الأساليب الآتية: الإتمام، والشرط، والقسم، والجمل التقريرية، والاستثنائية التي فصل بين طرفيها بفاصل طويل، فإن الوقف يكون بنغمتين مناسبتين يحسن بهما أداء الجمل التي فُصل بين ركنيها بفاصل خاصة حينما يكون الركنان منفصلين في آيتين طويلتين أو أكثر، أو يكون الفاصل بين الركنين طويلاً – سواء أكان الفاصل من توابع الركن الأول أم من غير توابعه – كما يحصل بكثرة في جملتي الشرط وجوابه، والقسم وجوابه، الداخلتين في أسلوب الإتمام، مثل: ما في سورتي التكوير والشمس، أو غير الداخلة في الإتمام، وغير ذلك من أنواع الجمل التي فُصل بين ركنيها بفاصل. ويمكن أن تخفف هاتان النغمتان من تأثير الوقوف على المعنى؛ سواء أكان الوقوف اختيارياً على رؤوس الآي، أم اضطرارياً قبل تمام الجزء الأول من الجملة.

وأما النغمتان المناسبتان فهما في أسلوب الإتمام، حيث تُؤدى الجملة ذات الركنين المفصولين – سواء أكان الفاصل من توابع الركن الأول، أم من غير توابعه – بتلك النغمتين للمحافظة على استمرار تركيز المستمع للآيات؛ النغمة الأولى سميتُها (نغمة الانتظار)، وتكون في آخر الجزء الأول من الجملة، وهي تغني في بعض مواضع أسلوب الإتمام عن إعادة قراءة كلام سابق ليظهر المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك، أما النغمة الثانية فسميتُها (نغمة الإتمام) وتكون في أول الجزء الثاني من الجملة إلى نهايتها، وسيبسط هذا كله في مواضعه النظرية والتطبيقية من هذه الموسوعة بإذن الله تعالى.

وقد فصلتُ الجمل ذوات الركنين المنفصلين بفاصل طويل في هذا الأسلوب عن أساليبها الأساسية (الشرط، والقسم، والجملة التقريرية، والاستثناء)، وجعلتُها في أسلوب مستقل سميتُه (أسلوب الإتمام)؛ لأن مواضع نغمة الانتظار – صاعدة أو مستوية – متعددة في أكثر من موضع، ولأنها أكثر عرضة للتجاهل والأداء التنغيمي القاصر الذي يُفقِد الجملة جزءاً كبيراً من معناها؛ بسبب قِصَر النفَس عند بعض القراء، أو سرعة قراءته، أو جهله بما يمكن أن يساعده تنغيميّاً على الاحتفاظ بالمعنى كاملاً مع طول الفصل.

ولعلم الوقف والابتداء صلة وثيقة بعدد من العلوم؛ منها: علم النحو، وعلم المعاني (من البلاغة)، وعلم القراءات، فقد يوجد وقف حسن في قراءة، وقبيح في قراءة أخرى، كما أن له علاقة بعلم التفسير وعلم الفقه.

وقف التنغيم

وقف التنغيم – في هذه الموسوعة – وقف لطيف – بتنفس قصير جدّاً – يمكّنُ القارئ من القراءة التدبرية، ويساعدُ المستمع على فهم الجملة، وتدبرها، والارتواء من معناها فكريّاً وعاطفيّاً؛ لأنه يُظهر أكبر قدر ممكن من معنى الآية، ويعطي فرصة للمستمع للتعمق فيها.

وبعض المواضع التي حُددت في الدراسة التطبيقية لهذه الموسوعة على أن فيها وقف تنغيم تصلح أن تكون لسكت التنغيم - بدون تنفس - أيضـًا، وقد اعتمدتُ جميع الوقوف الموجودة في مصحف المدينة النبوية، وأضفتُ بعض الوقوف التي تساعد على تحقق الغرض التدبري من وقف التنغيم على أن يكون الموضع داخلاً عند علماء الوقف والابتداء - الذين اعتمدت كتبهم في هذه الموسوعة وذكرتهم في المقدمة - إما في مفهوم الوقف التام، أو الكافي، أو الحسن؛ ليكون المعنى الذي يأتي عند الوقف كاملاً وصحيحـًا غير مخل بالمعنى.

ويسهم وقف التنغيم في تحقيق الترتيل والمكث اللذين أمر الله تعالى بهما بقوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء ١٠٦]. فقول العرب: رَتَّلَ الكلامَ، أي: أَحسن تأْليفه، وأَبانَه، وتمَهَّلَ فيه. وقال مجاهد: ورَتَّلته ترتيلاً بعضه على أَثر بعض.[١] وقال ابن الجزري (٨٣٣هـ): من رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضـًا على مكث وتفهم من غير عجلة، وهو الذي نزل به القرآن. وقال ابن عباس: رتل القرآن، أي: بيّنه، وقال مجاهد: تأنّ فيه، وقال الضحاك: انبذه حرفـًا حرفـًا، يقول تعالى: تلبث في قراءته وتمهل فيها، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده.[٢]

وتسهم هذه الموسوعة في تفعيل ما هو موجود في كتب الوقف والابتداء من ضوابط ومعايير ونماذج لهذا العلم وتنشرها باستثمارها للمتاح والجائز وتوظيفه لخدمة المعنى. ومن هنا تأتي أهمية وقف التنغيم الذي يساعدُ المستمعَ بشكل جيد على إكمال عملية الفهم والإدراك للمعاني والمعلومات التي يتلقاها من الآية عند استيفائه العمليات العقلية التي يقوم بها دماغه. فإن عقل الإنسان يقوم بأربع عمليات عقلية رئيسية لاشعورية بسرعة عالية عند سماع كلام أو رؤية موقف أو صورة، هي: (الاستقبال، ثم التفسير والفهم، ثم الربط، ثم التقييم والحكم، وقد يكون الحكم إيجابيّـًا أو سلبيّـًا، أو حكمـًا بالتوقف، أو الحياد، أو تأجيل الحكم والتقييم).[٣] ويختلف طول عملية عن أخرى من شخص إلى آخر، ومن جملة إلى أخرى، وإذا تلقى المستمع الكلام بسرعة عالية قصّر في إشباع عملية، وانتقل إلى التي بعدها دون أن يستقر فهمه على شيء مقنع له فيما قبلها، وهنا تأتيه الجملة الجديدة وهو لم يكمل فهم الأولى بعمق، فتتفلّت المعاني من أمامه وتطيش الأفكار، ولا يستقر عقله على شيء مفيد، فيضعف بذلك تأثره بما سمع. هذا في الاستماع لكلام البشر، فكيف سيكون فهم المستمع عند سرعة قراءة القرآن الكريم، وهو الوحي الإلهي المعجز ذو المعاني التي لا تنتهي؟

(١) انظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، مادة: (رتل).
(٢) انظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري: ١ / ٢٠٨.
(٣) انظر: التفكير واللغة والتفاعل النفسي، أ.د. عبدالله بن محمد المفلح، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨، ص: ٤٥.

ويرتبط الأداء الصحيح لوقف التنغيم ارتباطًا وثيقًا بعنصرين مهمين من عناصر التوصيل اللغوي: الأول: هيئات التراكيب وما تنتظمه من قواعد وأحكام تحدد نوعيتها وخواصها النحوية. الثاني: المعنى الذي يفصح عنه هذا التركيب أو ذاك. والعنصران متلازمان، فإذا صح التركيب صح المعنى، والعكس بالعكس تمامًا.(١)

ولكي يكون هناك شيء من الملاءمة بين المعنى وتنغيم الأداء، فمن المهم أن يكون المقرئ ومن يُعنى بأمور التلاوة عارفًا بالحد الأدنى من الثقافة اللغوية وأحكام النحو والبلاغة العربية، فالقارئ الذي لا يملك من أدوات المعرفة اللسانية شيئًا سيخفى عليه كيف ينطق بالألفاظ في حالة الاستفهام، والزجر، والرفق، و الشِّدَّة، واللين، والبدء، والانتهاء. إن قواعد الأداء الصوتي لا تكفي وحدها للتعبير السليم ما لم يكن هناك قدر كاف من اللغة والنحو واستيعاب احتمالات وجوه الكلام.(٢)

ويدخل وقف التنغيم فيما سماه الشيخ جلال الحنفي التقطيع في العبارات القرآنية، وجعله من محاسن التلاوة،(٣) وسماه الدكتور كمال بشر (الفواصل الصوتية) - التي لها أهميتها في صحة الأداء الصوتي وتجويده(٤) - في التحليل النحوي والدلالي للتراكيب، وأشار إلى أن هذا النوع من الوقف لا يكون ولا يتحقق إلا عند تمام الكلام في مبناه ومعناه، ويأتي أحيانًا بنغمة هابطة دليلاً على إتمام الكلام،(٥) أو بنغمة صاعدة إن كان آخر الكلام استفهامًا يستحق نغمة صاعدة.

وتعني (الفواصل الصوتية) عند د. كمال بشر تغييراً يسيراً في مسيرة النطق بتغيير نغمات الكلام وجعلها مصحوبة بنغمة صاعدة دليلاً على عدم تمام الكلام،(٦) وهي ليست كذلك في هذه الموسوعة، فالدلالة على عدم تمام الكلام في هذه الموسوعة تكون بنغمة (الانتظار)، وليس بمجرد وقف في زمن قصير قد يكون بنغمة صاعدة - كما ذكر د. كمال بشر - وقد يكون بنغمة مستوية. وقد سمى د. أحمد الفيومي سكت التنغيم (الوقفة الخفيفة)،(٧) وسمته د. نادية النجار (تنغيم التعديد)؛(٨) أي: (ذكر الأوصاف المتعددة).

---

(١) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٥٣.

(٢) انظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، جلال الحنفي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٤٠٧هـ، ص: ٣٥٩.

(٣) انظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، جلال الحنفي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٤٠٧هـ، ص: ٣٦٠.

(٤) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٥٣، وما بعدها.

(٥) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٥٤.

(٦) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٥٧.

(٧) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ٩٣، وما بعدها.

(٨) انظر: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، د. نادية رمضان النجار، ص: ٩١.

ويرى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أن وقف التنغيم من بلاغة الكلام، يقول: (بلاغة الكلام لا تنحصر في أحوال تراكيبه اللفظية، بل تتجاوز إلى الكيفيات التي تؤدى بها تلك التراكيب؛ فإن وقوف المتكلم البليغ في جملة وقوفًا خفيفًا قد يفيد من التشويق إلى ما يأتي بعده ما يفيده إبهام بعض كلامه ثم تعقيبه ببيانه، فإذا كان من مواقع البلاغة نحو الإتيان بلفظ الاستئناف البياني فإن الوقوف على كلمة وتعقيبها بما بعدها يجعل ما بعدها بمنزلة الاستئناف البياني وإن لم يكنْهُ عينه، مثاله قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات:١٥-١٦]، فإن الوقف على قوله: ﴿مُوسَىٰٓ﴾ يُحدث في نفس السامع ترقبًا لما يبين حديث موسى، فإذا جاء بعده ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ إلخ حصل البيان مع ما يحصل عند الوقف على كلمة موسى من قرينة من قرائن الكلام لأنه على سجعة الألف مثل قوله: ﴿طُوًى﴾، ﴿طَغَىٰ﴾، ﴿تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات:١٦ - ١٨] إلخ).(١)

وللشيخ جلال الحنفي تعليقات على أهمية وقف التنغيم وجودته في بعض المواضع من القرآن الكريم، ومن ذلك تعليقه على الوقف على كلمة ﴿تَشَآءُ﴾ في مواضعها الأربعة، وكلمة ﴿ٱلۡخَيۡرُ﴾ من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦]، فيمكن الوقف عليهما وقف تنغيم، يقول: والمعنى لا ينقطع بتلاوة أحد الجزأين النظيرين، إذ إنه واضح من إيراد أحدهما ما يتضمنه الجزء الآخر، وإفراد هذه الأجزاء بعضها عن بعض أولى من قرنها بقرن واحد، وذلك لموطن التركيز على العبرة، وتذوق المعنى القرآني المتضمن سلطان الله تعالى وحكمه لخلقه.(٢)

ويقول معلقًا على الوقف على قوله: ﴿فَانٖ﴾ من قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]: (فالوقوف على ﴿فَانٖ﴾ أكثر تثبيتًا لمعنى الفناء العام، وأكثر جلبًا للرهبة والخشوع، وتذوق المعنى القرآني، والإقرار بسلطان الله في ملكوته.(٣)

ويعلق على الوقف على ﴿نَعۡبُدُ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] بقوله: الوقوف على ﴿نَعۡبُدُ﴾ لا يخلو من تأثير وجداني على السمع والنفس.. كما أنه ينضّ عن مذاق تعبدي رائع يستقر في سمع السامع عند الصلاة خاصة، فيذكي في ضميره حماس العبادة ووهج التقوى، فإذا تم ذلك واستقر معناه في

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤: ١ / ١١٧ (المقدمة العاشرة).

(٢) انظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، جلال الحنفي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٤٠٧هـ، ص: ٣٦٢.

(٣) انظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، جلال الحنفي، ص: ٣٦٣.

النفس استأنف القارئ الجزء الثاني من النص فقال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فقال بمعنى الاتكال على الله في أمور الرزق وسائر مطالب العبد الكثيرة.(١)

ومع أنني لا أتفق معه في الوقوف على ﴿نَعْبُدُ﴾ إلا أن للوقف تأثيراً قويـًا، وللمعاني التي ذكرها حضور في النفس عند الوقف. كما أن الحنفي نفسه ذكر أن أبا جعفر النحاس منع الوقف على ﴿نَعْبُدُ﴾، وناقشه في منعه،(٢) كما ناقش الشعبي في الوقف على قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ...﴾ الآية.(٣)

ويكون وقف التنغيم في القرآن الكريم بين الجمل. ومن المواضع التي يظهر فيها تأثير وقف التنغيم على جودة المعنى تتابعُ جُمل الأمر، أو جُمل النهي، وما قبل جملة التعليل، وتعدد الأخبار، والأوصاف، والأحوال، وتقسيم الكلام، وجعل منها د. كمال بشر ما بين جملتي الشرط والجزاء، وبين النعت المقطوع ومنعوته، وبين المبتدأ والخبر إن كانا معرفتين، وقبل أداة الاستدراك (لكن)، وأداة الإضراب (بل)، وبعد القول وحكايته،(٤) ثم علق على صعوبة حصر ذلك مبينـًا أنه ليس من السهل تحديد تلك المواضع وحصر أمثلتها؛ لأن الوقفات الصحيحة مرتبطة أشد الارتباط بصور التراكيب ونوعياتها ومعانيها المنتظمة له، وما أكثر هذه التراكيب وما أكثر معانيها، ولاسيما عند مراعاة المقامات والسياقات الاتصالية للكلام، ومعلوم أن هذه المقامات والسياقات لا حدود لها على الإطلاق، إذ هي مرتبطة بأحوال المتكلم والسامع وما يلفهما من أوضاع ثقافية، واجتماعية، ونفسية.(٥)

من مواضع وقف التنغيم

تتضمن أكثر الأساليب اللغوية في هذه الموسوعة موضعـًا أو أكثر يصلح أن يكون لوقف التنغيم، وفي أغلب المواضع يتأكد الوقف بين الأساليب حينما ينتهي أسلوب ويبدأ أسلوبٌ آخر، كتتابع أساليب: الأمر، والتعليل، والنهي، والاستفهام، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، فإن وقف التنغيم يكون على (الظن) الأولى، و(إثم)، و(لاتجسسوا)، و(بعضـًا)، و(فكرهتموه).

(١) انظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، جلال الحنفي، ص: ٣٦١.
(٢) انظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، جلال الحنفي، ص: ٣٦١، ٣٦٢.
(٣) انظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، جلال الحنفي، ص: ٣٦٢.
(٤) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٥٨ - ٥٦٠.
(٥) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٥٥.

ومن المواضع التي إذا وُقف عليها خدمت المعنى:

١. بعد انتهاء الأسلوب اللغوي، فأكثر الأساليب اللغوية يمكن أن يوقف بعد انتهائها - بتوابعها - وقف تنغيم إن كانت الجملة في وسط الآية، فيوقفُ إما بنغمة مستوية - وهو الأغلب -أو صاعدة حسب ما يتطلبه سياق الآية. ومن تلك الأساليب: الاستفهام، والإتمام، والنداء، والأمر، والنهي، والاستثناء، والنفي، والشرط، والقسم، والتنبيه، والعرض والتحضيض، والاستدراك، والإضراب، والتمني، والترجي، والتعجب، والدعاء، والمدح والذم، والقصر، وغيرها.

٢. بعد انتهاء جملة فعل الشرط، وجملة القسَم، والجزء الأول من جملة الإتمام على أن يوقف بنغمة الانتظار (صاعدة أو مستوية) وقف تنغيم؛ لأنها تغني في بعض مواضع أسلوب الإتمام عن إعادة قراءة كلام سابق ليظهر المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك ثم يكمل بعد هذا الوقف.

٣. بعد انتهاء جملة جواب الشرط، وجواب القسَم، والجزء الثاني من جملة الإتمام على أن يكون الوقف بنغمة (الإتمام) الهابطة.

٤. بين مكونات (عناصر) التقسيم.

٥. بين المعطوفات إن كانت جُملاً قصيرة.

وسأذكر في الدراسة التطبيقية للأساليب اللغوية كثيراً من مواضع وقف التنغيم التي تخدم المعنى وسأرمز لها برمز خاص.

ومن الشواهد على مواضع وقف التنغيم:

- **تتابع الأساليب**

في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فيكون وقف التنغيم على قوله: (وسعها)، و(اكتسبت)، و(أخطأنا)، و(قبلنا)، و(به)، و(عنا)، و(لنا)، و(ارحمنا)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، ويكون وقف التنغيم على قوله: (اصبروا)، و(صابروا)، و(رابطوا)، و(الله).

■ أسلوب الشرط (المفصول بين ركنيه بفاصل قصير)

إذا كان الفاصل بين ركني أسلوب الشرط قصيراً ويمكن نطقه من أغلب القراء فإن الاضطرار للوقف يكون على آخر جملة فعل الشرط بنغمة صاعدة أو مستوية، ثم نبر أول جملة جواب الشرط وتنتهي الجملة بنغمة هابطة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ [الحج:٥]، فيكون الوقف الاضطراري بعد ﴿ٱلۡبَعۡثِ﴾، والنبر على ﴿فَإِنَّا﴾.

ومن نماذج وقف التنغيم في تعدد الشرط قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤]، ويكون وقف التنغيم في نهايات الجمل بعد (أجسامهم)، و(لقولهم)، و(مسندة)، و(عليهم)، و(احذرهم)، و(الله).

■ بين الجمل في أسلوب التقسيم

ومن نماذج وقف التنغيم في أسلوب التقسيم قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النور:٤٥]؛ فالوقف يكون بعد الكلمات الآتية: (ماء)، و(بطنه)، و(رجلين)، و(أربع)، وتنبر الكلمات التي بعد كل كلمة منها.

■ بين الجمل في أسلوب تعديد الجمل:

ومن نماذج وقف التنغيم في تعدد الخبر - إذا كان جُملة - قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص:٧٠]؛ فيكون الوقف بعد (الله)، و(هو) الثانية، (والآخرة)، وتنبر الكلمات التي بعد كل كلمة منها، وهي: (لا)، و(له)، (وله).

أما بشأن تعدد المعطوفات - إذا كانت جُملاً - فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧]؛ فالوقفات تكون بعد كلمة (الملك) الأولى، وبعد (تشاء)، في المواضع الأربعة، وبعد (النهار)، و(الليل)، و(الميت)، و(الحي)، وتنبر المقاطع الأولى من الكلمات الآتية: (تؤتي)، و(تنزع)، و(تعز)، و(تذل)، و(تولج) في الموضعين، (وتخرج) في الموضعين.

ومن نماذج وقف التنغيم في تعدد الأحوال - إذا كانت جُملاً - قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧]؛ فخبر

المبتدأ هو ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا﴾، وبقية الجمل أحوال.[(١)] فوقف التنغيم يكون بعد الكلمات الآتية: (بمثلها)، و(ذلة)، و(عاصم)، و(مظلمًا)، وتنبر أوائل الكلمات الآتية: (وترهقهم)، و(مالهم)، و(كأنما)، و(أولئك).

تنوع التنغيم بتنوع مواضع وقف التنغيم

وقف التنغيم يكون إما في أواخر الآيات (الفواصل)، أو بين الأساليب داخل الآية الواحدة، وأغلب وقف التنغيم في أواخر الآيات يكون بنغمة هابطة، وأغلب وقف التنغيم بين الأساليب في الآية الواحدة يكون إما بنغمة مستوية أو صاعدة.

ولكن: قد يكون وقف التنغيم في أواخر الآيات (الفواصل) بنغمة مستوية أو صاعدة في إحدى ثلاث حالات:

١. أن يكون الأسلوب في آخر الآية مما يتطلب نغمة صاعدة أو مستوية؛ كالاستفهام مثلاً، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]، فنغمة الاستفهام الإنكاري: ﴿أَفَلَا﴾ صاعدة في آخر الآية، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، فإن نغمة الاستفهام التقريري: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ مستوية في آخر الآية، أو كالنفي مثلاً في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٨]، فإن النفي يبدأ بأداة النفي في قوله: ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ ويتكرر النفي في قوله: ﴿وَلَا﴾، وبتتبع تدرج الآية وتأثيرها على المستمع فإنها تبدأ بالنداء: ﴿رَبَّنَآ﴾، ثم جواب النداء: ﴿إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُ﴾، وهو جملة تقريرية، ثم يبدأ النفي: ﴿مَا يَخۡفَىٰ﴾، - وهو تأكيد لمعنى الجملة التقريرية - ثم مجيء كلمة: ﴿شَيۡءٍ﴾ مع ﴿مِن﴾ البيانية، ثم يتكرر النفي: ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، وجميع تلك المراحل المتصاعدة تتطلب أن تكون نغمة نهاية جملة النفي مستوية مع وقف تنغيم على: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾.

٢. أن يكون بين الآيتين ارتباط قوي في المعنى؛ إما من حيث الإعراب، أو أن القائل والموضوع واحد، أو غير ذلك من روابط الكلام، فيعطى آخر الآية الأولى نغمة تتناسب مع بداية الثانية، فمثلاً جاء أول الآية الثانية صفة لآخر الآية الأولى في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ

---

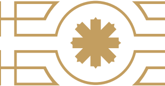
(١) انظر: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود محمد بن محمد العمادي: ٤ / ١٣٩. وانظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ١١ / ١٤٨.



﴿مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٦ – ٢٧]، فتكون نغمة ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ مستوية لترتبط بالصفة ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وكذلك آخر الآية الأولى من قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر: ١٩ – ٢٠]، فإن نغمة قوله: ﴿مَّوۡزُونٖ﴾ مستوية؛ لارتباط الآية بما بعدها، فالموضوع واحد هو الأرض، وفي الآية الثانية ضمير يعود على ما في الأولى، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ [الحجر:٣٧-٣٨]، فنغمة ﴿ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ مستوية؛ لارتباط الآية ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ﴾ بها إعرابيا، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٧١ – ٧٢]، فإن نغمة ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مستوية لارتباط الآية الأولى بآية ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ..﴾ بأكثر من وجه إعرابي ومعنوي، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١– ١٢]، فنغمة آخر جملة القصر نغمة مستوية على ﴿مُصۡلِحُونَ﴾؛ لأن الآية الثانية جواب ينقض ادعاءهم بأنهم مصلحون، ولذلك من المهم الانسجام التنغيمي بين الآيتين، ومثله قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البقرة:١٤ – ١٥]، فالآية الثانية رد على سلوك الاستهزاء الذي صدر منهم، ولذلك من المهم الانسجام التنغيمي بين الآيتين.

٣. وأما إذا كان الفاصل بين طرفي جملتين مترابطتين طويلاً، فإن النغمة التي تجمع ذينكِ الطرفين مهمة جدّاً تنغيميا، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور:٤ – ٥]، فإن المستثنى في الآية الثانية، والمستثنى منه في الآية الأولى، وحق آخرها نغمة صاعدة. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يونس:٧-٨]، وذلك لأن اسم (إن) في الجملة الأولى، وحق آخرها نغمة صاعدة، وخبرها في الآية الثانية، ولا بد من ارتباط تنغيمي يربط الجملتين ببعضهما يتمثل في نغمة الانتظار ونغمة الإتمام. وكثير من آيات أسلوب الإتمام داخلة في هذا القسم.



المبحث الثاني: وظائف النبر والتنغيم



مدخل

يظهر النبر والتنغيم في كثير من اللغات تقريباً غير أنهما يختلفان من لغة إلى أخرى حسب طريقة النطق، فلكل لغة أنماطٌ نبرية وتنغيمية، وفي اللغة العربية أنواع مختلفة من النبر والتنغيم استخدمها العرب ويمكن أن يفسر بها كثير من الأساليب والتعابير التي ترد في نصوصهم. وإن غلبة التنغيم على الجمل لا يجعله بمنأى عن النبر، فإن الغالب أن تلوينات التنغيم تصدر من مقاطع منبورة، كما أن النبرة ينشأ عنها تنويع في التنغيم صعوداً وهبوطًا، فالارتباط بين التنغيم والنبر قائم لا محالة، وفي مواطن كثيرة قد يتداخلان تداخلاً شديداً بسبب التفاعل الصوتي مما يصعب معه نسبة الوظيفة إلى أحدهما دون الآخر.(١)

ويعدّ التنغيم إحدى القرائن التي تسهم في إيصال المعنى بوضوح، وتنقله إلى المستمع دون لبس، وقد ذكر الدكتور تمام حسان عدداً من القرائن اللغوية المتنوعة،(٢) وعدّ منها التنغيم، وقال إنها جميعـًا تتضافر لتوضيح المعنى وأمن اللبس، وهي:

- **العلامة الإعرابية:** أي: ما يظهر على الكلمة من علامات للرفع، والنصب، والجر، وقد اهتم بعض النحاة بهذه العلامة أكثر من غيرها مع أن المعربات التي تظهر عليها علامات الإعراب قد تكون أقل من مجموع ما يمكن أن يرد في بعض النصوص، فهناك محذوفات من الكلام، والإعراب المقدر، والمبنيات، وإعراب الجمل كل هذه لا تأثير للعلامة الإعرابية فيها.(٣) والعلامة الإعرابية غير كافية لإيصال المعنى؛ لأننا نسمع الكلام الملحون ونفهمه – غالبـًا – ولا فرق في هذا بين الجاهل والمتعلم.(٤)

- **الرتبة:** يرتبط ترتيب الكلمة (التقديم والتأخير) بالمعنى وبالموقف ارتباطـًا وثيقـًا في أغلب الأحوال، فجملة (هل سافر أخوك أمس؟) تختلف عن: (هل أخوك سافر أمس؟)، وعن: (أخوك، هل سافر أمس؟)، وعن:

---

(١) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤١٢ .
(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣١ – ٢٤٠.
(٣) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣١.
(٤) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣٦.

(هل أمس سافر أخوك؟). ويشارك النبرُ والتنغيم الرتبة في تحديد المعنى كما سيتضح بعد قليل. وقد تلزمُ بعض الكلمات موضعًا واحداً إذا تضمنت الجملة رجوعًا للضمير على متقدم يوضح المعنى، ولذلك لا يجوز عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة إلا إن أمن اللبس، كقولك: (خاف ربَّه عمرُ).(١)

- **الصيغة،** أي: الصيغة القياسية التي يجب أن تكون عليها الكلمة، وقد يحدث تغيير إملائي أو صرفي في هذه الصيغة، وهو مقبول إن أمن اللبس؛ كقصر الممدود، ومد المقصور، ومجيء الحال جامدة، وغير ذلك.
- **المطابقة،** أي: المطابقة بين الضمير ومرجعه إفراداً وتثنية وجمعًا وتذكيراً وتأنيثًا.(٢)
- **الروابط،** أي: ذكر روابط الكلام، وقد تحذف إن أمن اللبس؛ كحروف العطف.
- **التضام،** أي: ذكر المتلازمين المتضامين يوضح الكلام؛ كالمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، والصفة والموصوف، والمضاف والمضاف إليه، وغيرها، مع أن كل ما دلت القرينة على حذفه منها أمكن حذفه.(٣)
- **الأداة:** توضح المعنى إن وجدت، وقد تحذف إن اتضح المعنى بدونها؛ كأدوات الاستفهام، والنداء، وحروف العطف، وغيرها.
- **النغمة،** أي: نغمة الكلام التي يؤدى بها، ويرى الدكتور تمام حسان،(٤) أنها قد تسقط إذا اتضح الكلام بدونها، ثم استشهد بقول الله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة:١١٦]، يقول: (فإنك لو وقفت عند لفظ الجلالة فإنك لا تقف في التلاوة بنغمة الاستفهام، ولكن بنغمة الترتيل العادي، ولا يحس السامع غرابة في ذلك كما يحسها لو سمع منك جملة: (هل رأيت محمداً؟) بنغمة التقرير التي في: (قد رأيت محمداً) مثلاً.(٥) والاستفهام في الآية من باب التفهيم – كما ذكر ذلك أبو عبيدة–(٦) وليس للإنكار، فتكون نغمة آخر جملة الاستفهام نغمة مستوية وليست صاعدة، وقد تحدثت عن هذه الآية ومعنى الاستفهام في تنغيمها في مقدمة الموسوعة وفي مبحث الاستفهام.

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣٦.
(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣٧.
(٣) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣٨ – ٢٣٩.
(٤) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣١ – ٢٤٠.
(٥) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٤٠.
(٦) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة: ١ / ١٨٣ – ١٨٤. وانظر: دلالات التراكيب، د. محمد أبوموسى، ص: ٦٩، ٧٠.

- **النبر:** ومن المهم إضافة النبر (نبر الجملة) هنا فإنه يحدد المعنى، كما في المثال (هل سافر أخوك أمس؟) - وقد ذكرته في حديثي عن مفهوم النبر- ذلك أن الكلمة المنبورة هي الكلمة المسؤول عنها، فإذا نُبر (سافر) فالمسؤول عنه حدثُ السفر، وإذا نُبر (أخوك) فالمسؤول عنه فاعلُ السفر، وإذا نُبر (أمس) فالمسؤول عنه زمنُ السفر.[(١)] كما أن الكلمة التي وقع عليها النبرُ (نبر الجملة) في بعض المواضع توحي للمستمع بمعنيين اثنين؛ مثبتٍ ومنفيٍّ في وقت واحد عند النطق بها، يُثبت أحدهما معنى، وينفي الآخر عكس ذلك المعنى في الجملة نفسها، وبدون النبر سيذهب جزء من المعنى عند سماعها.

ويؤكد الدكتور تمام حسان أن القرائن توزع اهتمامها بالقسطاس، وأنها جميعًا مسؤولة عن إنتاج المعنى وأمن اللبس، ولا تستعمل واحدة بمفردها للدلالة على المعنى، وإنما تجتمع القرائن متضافرة لتدل على المعنى وتنتجه بشكل واضح لا لبس فيه.[(٢)]

وهو يعوّل على هذا التضافر بين القرائن، ويرى أنه لو ضعف تأثير قرينة ما فإن القرينة الأخرى تسد الخلل في إيصال المعنى؛ لأن بعض القرائن يغني عن بعض عند أمن اللبس، فإذا أمكن إيصال المعنى واضحًا لا لبس فيه بدون قرينة من القرائن جاز الاستغناء عنها.[(٣)]

وهذا الكلام وجيه وله ما يدعمه، ولكن السؤال الذي أطرحُه هنا: هل هذه القرائن في درجة واحدة من الأهمية؟ وهل هي في درجة واحدة من القدرة على سدّ الخلل؟ حتى مع اختلاف تراكيب الجمل وطرق الأداء؟ ثم ماذا لو تنافرت قرينة أو أكثر من القرائن؟ ما القرينة الأقوى التي ستوصل معناها الذي تحمله هي ولا تحمله القرينة الأخرى؟ وبما أن جميع القرائن لغوية أسلوبية، والتنغيم قرينة صوتية، فماذا لو وقع تنافر بين أحدها والتنغيم، فما المعنى الذي سيصل للمستمع؟ وما حجم تأثر المعنى سلبًا بفقدان قرينة أو ضعفها في الكلام أو فقدان تنغيمه؟ وهل تنوع الجمل يجعل القرائن في درجات متفاوتة من الأهمية وقوة التأثير؟ أسئلة تحتاج إلى تفكير وفحص علمي ميداني ومعملي.

إن تضافر القرائن في نقل المعنى وإيصاله مسألة واضحة لكل متأمل، ولكن القرائن متفاوتة في الأهمية، فلو انتفت قرينة في جملة ما فقد يحصل لبس وغموض، ولا يصل المعنى المطلوب للمستمع، ولو انتفت قرينة أخرى في الجملة نفسها لبقي الكلام واضحًا.

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣٢.

(٣) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٣٣.

إن الكلام الشفوي - قراءة أو حديثاً شفويّاً - يتكون من ركنين أساسيين؛ الأول: الأفكار، والثاني: المشاعر والانفعالات (المواقف الانفعالية). وبناء على هذا فإن التنغيم أقوى القرائن في نقل المشاعر والمواقف الانفعالية مع أن القرائن اللغوية أقوى منه في نقل الأفكار والمعاني.[١] وإذا كانت أغلب المعاني التي يخرج إليها الاستفهام - مثلاً - معاني تثير انفعالاً لدى المستمعين، مثل: (الإنكار، والتهديد، والتهكم، والأمر، والنهي، والتعجب، والترغيب، والتمني، والعرض، والتحضيض، والعتاب، والدعاء)، فإن الأداة الأهم في نقل تلك المعاني وإثارة الانفعال هي التنغيم، ولو حدث - لأي سبب من الأسباب - ضعفٌ أو انعدامٌ لقرينة التنغيم، فسيتأثر انتقال المعاني وتخفّ إثارة الانفعال لدى المستمع.

إن نوعية قرينة التنغيم تؤثر كثيراً على المعنى المنتقل إلى المستمع، بل قد يتغير معنى عبارة ما عمّا هي موضوعة له في أصل اللغة عند العرب بسبب التنغيم، كما شرحت ذلك في حديثي في التمهيد عن (أهمية أداء القرآن الكريم وتنغيمه بمراعاة معاني الأساليب اللغوية) عن عدد من العبارات، منها: عبارة: (أهلاً وسهلاً)، وقول الأب مهدداً ابنه: (العب)، فعبارة: (أهلاً وسهلاً) حينما تقال بنغمة انتقاد وعتب يختفي منها معنى الترحيب بسبب التنغيم، فتحمل معنى سياقيّاً جديداً وضعه المتكلم نفسه هو الانتقاد، وهذا لا علاقة له بالمعنى الأصلي نهائيّاً. ومن هنا تأتي أهمية التنغيم وأن له شأناً كبيراً في تحديد المشاعر والانفعالات (المواقف الانفعالية)، فلن يصل إثبات حب الأم لطفلها حينما تقول له بغضب: (أنا أحبك). كما أن فعل الأمر: (العب) إذا قيل بتنغيم التهديد أصبح نهياً: (لا تلعبْ)، وليس التغيير مقتصراً على معاني الكلام في أصل اللغة، بل أيضاً صيغ الكلام - كالأمر، والنهي، والاستفهام، والخبر - يتغير معناها تغيراً جذريّاً بسبب طريقة الأداء، فقد تقال جملة: (محمد قائم) نفسها مرتين؛ الأولى بنغمة الاستفهام، والثانية بنغمة الإخبار، فاختلفت الصيغة بسبب طريقة النطق والأداء.

إن النبر والتنغيم من أهم القرائن التي توصل المعنى، وترفع اللبس، وتؤثر على المشاعر والمواقف الانفعالية، وهذا يكشف أهمية ترتيل القرآن الكريم بمراعاة معاني الأساليب اللغوية، وإعطاء مفاصل الجملة في الأساليب اللغوية - التي تؤثر انفعاليّاً على المستمع - حقها من النبر والتنغيم ووقف التنغيم الذي يوصل معناها كاملاً إليه، وكل ذلك يُظهر أهمية هذه الموسوعة في تركيزها على نبر الأساليب اللغوية وتنغيمها.

---

(١) انظر: التفكير واللغة والتفاعل النفسي، أ.د. عبدالله بن محمد المفلح، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ٢٠١٨، ص: ٤٧.

وإذا كان للتنغيم تأثير مهم في أداء اللغة فلأنه أحد عناصر الفصاحة والصحة الصوتية وأركانها،[(١)] وهذا يعني أن أحد أسباب تحقيق الصحة الصوتية للمنطوق به تنغيمُهُ بالصورة المناسبة له.[(٢)] وقد تحدث علماء الأصوات عن وظائف عديدة للتنغيم؛ فالدكتور كمال بشر جعلها أربع وظائف،[(٣)] وأغلبهم يجعلها ثلاث وظائف: التأثيرية (التعبيرية)، والتركيبية، والدلالية. وقد جعلت وظائف التنغيم وظيفتين: التأثيرية (التعبيرية)، والتركيبية الدلالية؛ لأن التركيب والدلالة لا ينفكان عن بعضهما، فالتنغيم مرتبط بالتركيب، والدلالة مرتبطة بالتركيب، وكل تغيير في التركيب يصاحبه تغير في الدلالة.[(٤)] وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى أن للنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثيرية المختصرة، مثل: (لا، نعم، يا سلام) أن تقال بنغمات متعددة ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام، والتوكيد، والإثبات لمعانٍ مثل: الفرح، والحزن، والشك، والتأنيب، والاعتراض، والتحقير.[(٥)]

الوظيفة التأثيرية

يعد التنغيم إحدى القرائن المهمة التي توصل المعنى،[(٦)] فهو يساعد المتكلمَ والقارئ في التعبير عن مشاعره التي تتغير بتغير المواقف التي يمرّ بها، ونغمات الكلام في تغير مستمر من أداء إلى آخر ومن موقف إلى آخر ومن حالة نفسية إلى أخرى.[(٧)]

فتغيير النغمة أحد طرق التعبير عن الشعور بقصد التأثير في المستمع ومحاولة إشراكه في الحالة النفسية للمتكلم أو القارئ؛ فالتنغيم يذلل الصعوبات أمام المتكلم في التعبير عن حالته النفسية ونوعية تفاعله مع ما يقول أو يقرأ ونوعية موقفه من المستمع شخصياً، والتنغيم سبيل المتكلم للتعبير عما في نفسه من فرح، أو رضا، أو غضب، أو حزن، أو دهشة، أو تأمل، أو غير ذلك. وبناء على ذلك فإن الوظيفة التأثيرية تتعلق بالمتكلم (أو

---

(١) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٨٦.
(٢) انظر: مصاحبات الكلام وأثرها في الدلالات القرآنية، د. إيهاب سعد شفطر، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٨، ص: ٦٩.
(٣) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٩ - ٥٤٢.
(٤) انظر: مصاحبات الكلام وأثرها في الدلالات القرآنية، د. إيهاب سعد شفطر، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٨، ص: ٧٠.
وهناك فرق بين وظائف التنغيم المرتبطة بالتركيب، ووظائف النغم المرتبطة بالمفردة.
(٥) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٨٨.
(٦) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٦، ٢٤٠.
(٧) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٣.

القارئ)، أكثر من تعلقها بنظام اللغة. وتتسم الوظيفة التأثيرية للتنغيم بعدم الثبات، ولذلك فالناس متفاوتون فيها. ويخضع التنغيم للحالة النفسية الراهنة التي عليها المتكلم أو قارئ القرآن الكريم، فقد يكون أميلَ لنغمة الحزن، أو الخوف، أو الفرح؛ بسبب ظروف يعيشها زمن القراءة. وإذا انسجم التنغيم مع معنى الكلام الذي يقرأ أو يقال صار التأثير مضاعفاً؛ لوجود عاملين مؤثرين: المعاني، والتنغيم. وما يتوفر فيه هذا العاملان يثير انتباهاً عجيباً ويشدّ المستمع بقوة؛ لما فيه من قوة اتصال تفاعلي مع الكلام المسموع، فتصبح النفس مهيأة لكل جملة تهيئة عالية، فتحدث الاستجابة للمطلوب والتفاعل معه.

إن من أبرز مظاهر الوظيفة التأثيرية للتنغيم أنه يكشف عن الأساليب المتنوعة في الكلام، فإنه يستعمل للتعبير عن العواطف، والتقرير، والإنكار، والإثارة، والنفي، والتوكيد، والنداء، والقسم، والإجابة بالموافقة أو عدمها، والزجر، والتعجب، والاستغراب، والتحذير، والإغراء، والاستفهام، والاستبعاد، والتهديد، والوعيد، والأمر، والنهي، ونحو ذلك من الأساليب المتنوعة التي يُوظف لها التنغيم، ويندر أن يخلو كتاب من كتب الصوتيين من شرح هذه الوظيفة للتنغيم فهي محل اتفاق بينهم.(١)

وهذا النوع من التنغيم مثل النبر في شيوعه في اللغة، ولأجل ذلك أمكن إدراكه في مواطن متعددة من كلام المتقدمين في وصفهم للغة وفي أحكامهم النحوية، ولكنهم لا يعبرون عنه عادة بلفظ (التنغيم) كما لا يعبرون عن النبر بلفظه هذا، وإنما يعبرون بألفاظهم الدال على مرادهم؛ لأن هذه السمات النطقية والأحوال النغمية تكون مصاحبة للألفاظ، فهي بمنزلة الأحوال المشاهدة، ويغلب عدم التعبير عنها بألفاظ معينة اكتفاء بالكلمات التي تعد رموزاً على المعاني بأصواتها وتراكيبها وطرق نطقها.(٢)

ومما يمكن أن يدخل ضمن الوظيفة التأثيرية للتنغيم ما ذكره سيبويه - وقد سبقت الإشارة إليه - بقوله: (يقول الرجل: أتاني رجلٌ، يريد واحداً في العدد لا اثنين، فيقال: ما أتاكَ رجلٌ، أي: أتاك أكثر من ذلك، أو يقول: أتاني رجلٌ لا امرأة، فيقال: ما أتاك رجلٌ، أي: امرأة أتتك، ويقول: أتاني اليوم رجل، أي: في قوته ونفاذه، فتقول: ما أتاك رجلٌ، أي: أتاك الضعفاء).(٣) فهذا الكلام مبني كله على التنغيم، غير أن سيبويه فسر دلالات التنغيم بأسلوبه المعهود وألفاظه المعروفة في زمانه، ولم يصرح بلفظ (التنغيم)، ولكنه أشار إليه بالمعاني التي أنتجها،

(١) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤٢٠. وانظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٤٣، وغيرهما.

(٢) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤٢٠. وانظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٤٣، وغيرهما.

(٣) انظر: الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق عبدالسلام هارون: ١ / ٥٥.

فدل على النغمة الصاعدة بالمعنى الذي أظهرته، وهو (القوة والنفاذ والكثرة)، ودل على النغمة التي دون ذلك بالمعنى الذي أظهرته، وهو (النفي والضعف)، ودل على النغمة المسطحة المستوية بالمعنى الذي أظهرته، وهو (إرادة الإخبار بظاهر اللفظ) في قوله: (يريد واحداً في العدد لا اثنين)؛ لأن هذا هو منطوق اللفظ، فلما لم يكن شيء من التنغيم المصاحب بوصفه قرينة على أحد هذه المعاني استعمل القرينة اللفظية، وهي: كلمة (أحد) لنفي الجميع كما صرح.[١] وهذا الذي شرحه سيبويه هنا هو الذي جاء به المحدثون، فسموه (خط التنغيم)، وهو أن المستمع يميز مراد المتكلم العام عن طريق تنغيم الجمل حتى لو لم يعرف محتوى ما سمع.[٢]

وإنه من المتوقع في تلاوة القرآن الكريم أن تظهر مشاعر القارئ تجاه الآيات التي يقرؤها في تنغيمه وتلاوته، وهنا يجب عليه أن يحرص على أن يتوافق التنغيم والنبر وطبقة الصوت مع ما يتطلبه الأسلوب اللغوي والمعنى السياقي للآية المقروءة، وعليه أن يحرص أيضاً على التحكم في مشاعره التي قد تظهر في أثناء التلاوة، وأن ينوع في التنغيم ونبرات الصوت وطبقاته بما يناسب المعنى؛ ليسهم ذلك في انتقال أكبر قدر ممكن من معنى الآية الكريمة إلى المستمع، فمتى ما توافق تنغيم الكلام مع الأسلوب اللغوي ظهر المعنى بوضوح - وهذا ما يسميه الدكتور تمام حسان تضافر القرائن، وعدّ منها التنغيم[٣] - أما إن اختلف التنغيم عن الأسلوب اللغوي، فقد لا يظهر معنى الآية كما يجب، وقد يضطرب الفهم لدى المستمعين، فلا تؤثر الآية فيهم التأثير المرجو، فمثلاً لو أن إماماً يصلي بالناس وهو في حالة حزن لسبب من الأسباب، فإنه يجب أن يتنبه لهذه الحالة المسيطرة عليه وهو يقرأ الآيات التي فيها وصف الجنة وما أعده الله تعالى لعباده المتقين من النعيم المقيم، والآيات التي تتحدث عن سعة فضل الله تعالى، وعفوه، ومغفرته، وحبه لعباده المتقين، فما يحتاج إلى السرور لا يستوي في التنغيم مع ما يقتضي الحزن والأسى، وما يحتاج إلى القوة والشِّدَّة - كما في أغلب آيات سورة التوبة مثلاً - لا يستوي مع ما يقتضي الرحمة والعطف - كما هو الحال في آخر سورة آل عمران.

وفي المقابل فإن من الضروري في تلاوة القرآن الكريم أن لا يُستخدم التنغيم إلا بما يخدم معنى الآيات وإلا حدث خلل في فهم المستمع، وأن يتنبه القارئ للقرآن الكريم للآيات التي يقرؤها، ويحاول التوافق مع أساليبها اللغوية ومعانيها، وأن لا يقصد بتنغيم آيات كتاب الله التطريب بصوته، والتغني به، وإظهار قدراته الصوتية في

(١) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤٢١. وانظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٤٣. وغيرهما.

(٢) انظر: الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي، ص: ١٧٠. ومعجم الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي، ص: ٦٣ (خط التنغيم).

(٣) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٦، ٢٤٠.

القراءة دون أن يكون هناك ارتباط واضح بين تنغيمه والآيات التي يقرؤها، فيصبح من يتأثر به ويتفاعل معه من المستمعين متأثراً بقدراته الصوتية، وتحزينه أو تطريبه ومشاعره هو أكثر من تأثره بمعاني آيات القرآن الكريم.

الوظيفة التركيبية الدلالية

تعدّ هذه الوظيفة (النحوية) الدلالية الوظيفة الأساسية التي يؤديها التنغيم، وتعدّ العامل الفاعل في التمييز بين أنماط التركيب والتفريق بين أجناسه النحوية. فالتنغيم بأنماطه المنوعة عامل أساسي في بيان أن المنطوق مكتمل في مبناه ومعناه أم غير مكتمل،[(١)] يظهر ذلك بوضوح في الجمل الشرطية حيث تنتهي جملة فعل الشرط بنغمة صاعدة أو مستوية دليلاً على عدم تمام الكلام، فتمامه يحصل بجواب الشرط الذي ينتهي بنغمة هابطة دليلاً على الاكتمال في المبنى والمعنى معاً.

وبهذه الوظيفة يؤدي التنغيم مهمته في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة، من تقريرية، واستفهامية، وتعجبية؛[(٢)] فالجمل التقريرية لها نمط خاص من التنغيم في نهاياتها يتمثل في النغمة الهابطة التي تدل على تمام المنطوق واكتماله، في حين أن الجملة الاستفهامية - وخاصة تلك التي تستوجب الإجابة بنعم أو لا؛ كالجمل المبدوءة بالهمزة أو هل - تنتهي بنغمة صاعدة دليلاً على أن الكلام لم يتم، وتمامه بالإجابة التي تنتهي بنغمة هابطة. والمعيار في النغمة الصاعدة في آخر جملة الاستفهام هذه أن يكون المقصود من الجملة هو الاستفهام، وحينئذ يجب أن تؤدى تنغيمياً على أنها استفهام، سواء أُوجدت أداة استفهام في الجملة أم حذفت؛ نظراً لكثرة حذف أداة الاستفهام في الكلام العربي.[(٣)]

كما يعدّ التنغيم ركناً أساسيّاً في فهم الجمل التي تتشابه مكوناتها، وتتنوع وظائفها؛ كوجود جملة واحدة يتنازعها أكثر من احتمال دلالي أو تركيبي وليس من سبيل يرجح أحد الاحتمالات إلا التنغيم، فجملة: (أهلاً وسهلاً) الترحيبية قد يقولها الشخص مُرحباً، أوعاتباً، أو ساخراً. ومن الحالات المهمة التي يكون فيها التنغيم ركناً مهماً أيضاً في أداء المعنى تلك الجمل التي تركيبها بعكس معناها، فالتركيب - مثلاً - خبري والمعنى استفهامي، أو التركيب استفهامي والمعنى خبري، وهذا الأخير يسمى الاستفهام الخبري أو الخبر الاستفهامي،[(٤)] ويسمى في هذه الموسوعة الاستفهام الصوري.

---

(١) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٤١.
(٢) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٤٣.
(٣) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٤١ - ٥٤٢. بتصرف.
(٤) انظر: علم الأصوات اللغوية (ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم)، د. أحمد عبدالتواب الفيومي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٩، ص: ١٦٤، ٢٠٥، وما بعدهما، وانظر: مبحث الاستفهام.

وبناء على ذلك يقول الدكتور تمام حسان: إن من وظائف التنغيم الأساسية تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام، فقد تقول لمن يكلمك: (أنت محمد) مقرراً ذلك أو مستفهماً عنه، ولا يتغير شيء من الجملة في الحالين إلا التنغيم.[١] فالجمل الخبرية لفظاً الإنشائية معنى لها قالب تنغيمي خاص، والجمل الإنشائية لفظاً الخبرية معنى لها قالب تنغيمي آخر، ويستأثر التنغيمُ بهذين الأسلوبين ليكون وحده دليلاً على المعنى.[٢]

كما تتجلى هذه الوظيفة التركيبية للتنغيم بوضوح كبير في وقف التنغيم، ومنه الوقف بنغمة صاعدة تشعر بعدم تمام الموقوف عليه،[٣] وأسميها نغمة (الانتظار) - وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل في أسلوب الإتمام- فيكون التنغيم بمنزلة الوصل المؤلِّف للتركيب النحوي؛[٤] كالوقف بنغمة صاعدة في نهاية الجزء الأول من الجملة التي فُصِلَ ركناها بفاصل طويل، لتدل تلك النغمة على عدم تمام الكلام، وأنه مرتبط بما بعده معنى وإعراباً.[٥] ولأن نغمة الانتظار - صاعدة أو مستوية - تغني في بعض مواضع أسلوب الإتمام خاصة عن إعادة قراءة كلام سابق ليظهر المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك (ويُحتاج إلى هذه النغمة بشدة حينما يكون الفاصل طويلاً نسبياً بين رُكني الجملة)، ومع أن جميع الجمل يمكن أن يقع فاصل بين ركنيها؛ كالجملة الاسمية والجملة الفعلية، إلا أن الفصل الطويل يكثر بين جملة فعل الشرط وجوابه، وجملة القسم وجوابه، والجمل المربوطة بأدوات الربط. وإذا كانت نغمة الجزء الأول هي نغمة (الانتظار) صاعدة أو مستوية فإن نغمة الجزء الثاني من التركيب (المكمل للجملة) تكون هابطة، وأسميها نغمة (الإتمام).

وليست نغمتا (الانتظار والإتمام) مقصورتين على نطق ركني الجملة، بل قد تكون بين الصفة والموصوف إذا ارتبط وضوح المعنى وتمامه بتلازمهما؛ كقول الله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤، ٥]، ففي الوقت الذي يقف فيه القارئ على الموصوف ﴿لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ كما هو متواتر وبيّنٌ في المصحف، لأن الفاصلة عليها، فإنه ينبغي أن يكون الوقف بنغمة صاعدة أو مستوية للدلالة على أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة، وليس مسنداً إليه،[٦] وعلى عدم تمام جملة الوعيد والتهديد؛ لأنه موجه للساهين عن صلاتهم، كما نصّت الآية التي بعدها، وليس لعموم المصلين.

(١) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: ١٦٤.
(٢) انظر: أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د. أحمد الفيومي، ص: ١٩٥.
(٣) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤١٢.
(٤) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٤١-٥٤٣.
(٥) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤١٢.
(٦) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤١٣.

ومن المواضع التركيبية التي تتضح فيها الحاجة للنبر والتنغيم ليظهر معنى الجملة ما يأتي:

أولاً: فيما يتعلق ببعض الأدوات اللغوية

يؤدي النبر والتنغيم مهمة رئيسة تمييزية في التنويع الأسلوبي في الأدوات والكلمات، وأمثلته كثيرة؛ كالتفريق بين الأدوات المتشابهات للنفي، والنهي، والاستفهام، وأحياناً لا يتضح معنى الأداة إلا بالنبر أو التنغيم، ومن الأمثلة على ذلك:

١- **التفريق بين دلالة (لا) النافية و(لا) الناهية بالتنغيم**: فعندما ينفي الإنسان أمراً مذكوراً فيقول: (لا)، يريد: (لا يكون ذلك)، وعندما ينهى عن أمر ما، فيقول: (لا)، يريد: (لا تفعل)، فإن التنغيم في النوعين مختلف، والغالب أن تنبر (لا) الناهية نبر شدة أو نبر طول، وقد يجتمع النبران إذا كان المنهي عنه خطيراً أو مرفوضاً بقوة من قبل المتكلم ويصاحب ذلك نغمة صاعدة.

أما (لا) النافية فإن كان المتكلم يريد النفي بقوة فإنها تنبر نبر شدة ويصاحبها نغمة مستوية.

كقول الشاعر:

قُلْنَ اتَّضَعْتِ فقالتْ: لا، فقلْنَ لها ... فكيف تَقْوَيْنَ يا سلمى على الجملِ[١]

فالنغمة المستوية هي المناسبة لقولها: (لا)، ومع كون هذه اللفظة مفيدة للنفي بلفظها إلا أنها في مثل هذا السياق تحتاج إلى تلوين صوتي يفيد أنها جواب لما قبلها ويميزها عن النهي.

٢- **التفريق بين (لا) و(ما) المراد بهما النفي، و(لا) و(ما) المراد بهما النفي مع الإنكار أو مع التعجب**: فإن النبر والتنغيم هما القرينة الدالة على هذه المعاني الأسلوبية، وهذا النوع أيضاً مما أدركه بعض المتقدمين من علماء العربية، قال السمرقندي (٧٨٠هـ): (وأن العرب ترفع الصوت بـ(ما) النافية والجاحدة، وتخفض بالخبرية، وتمكّن بالاستفهامية بحيث يصير بين بين، أي: بين النافية والخبرية، مثال ذلك: إن قال قائل: (ما قلت) ويرفع الصوت بها يعلم أنها نافية، وإذا خفض الصوت يعلم أنها خبرية، وإذا جعلها بين بين يعلم أنها استفهامية)،[٢] فقد بين أن العرب تفرق بين المعاني بدرجات الصوت وتنوعاته وارتفاعه وانخفاضه.[٣]

---

(١) انظر: الفاضل، أبو العباس المبرد، تحقيق عبدالعزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥، ص: ٤٧. قال: (زعموا أن المؤدَّب من الإبل يقال له: (ضع ضع)، فيطأطئ رأسه ليُركب. يقول: وأنت لو لم يفعلن هذا ما قدرت على ركوبه).

(٢) انظر: نجوم البيان في الوقف وماءات القرآن، محمد بن محمود السمرقندي، تحقيق محمد بن مصطفى بكري بن محمد السيد، (رسالة مخطوطة)، ص: ١٥٣.

(٣) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص:٤٠١.

٣- التفريق بين (لولا) الامتناعية، و(لولا) التحضيضية: فقد ذكر محمد السمرقندي (٧٨٠هـ) في التفريق بين نطق (لولا) بناء على نوعها: (إنها على ضربين: أحدهما: أن تأتي لامتناع الشيء لوجود غيره، ويليها المبتدأ والخبر، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة:٦٤]، والثاني: أن تأتي للتحضيض بمعنى (هلّا) ويليها الفعل، كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [البقرة:١١٨]، والفرق بينهما في اللفظ أن الداخلة على المبتدأ والخبر يخفض الصوت بـ(لو)،[١] ويرفع بـ (لا)، وأما التي للتحضيض فإن الصوت فيها يرفع بـ (لو) دون (لا)،[٢] وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:٤٧]؛ فالأولى امتناعية، والثانية تحضيضية،[٣] ولكل واحدة منهما أداؤها الخاص الذي يبرز معناها).[٤] يريد أن العرب جعلت نبر مقطعي (لولا) قرينة على الامتناع، وجعلت نبر المقطع الأول وهو (لَوْ) قرينة على معنى التحضيض، وعبر عن النبر بـ (رفع الصوت)، وهو المعنى اللغوي للنبر كما ذكر المتقدمون والمتأخرون.[٥]

٤- التفريق بين (ما) الاستفهامية، والتعجبية، والنافية: فإن (ما) تؤدى على درجات ثلاث حيث يرتفع الصوت بـ(ما) الاستفهامية، وأعلى منه بدرجة بـ(ما) التعجبية، وأعلى منهما بدرجة أيضًا بـ(ما) النافية، وقد لخصها برهان الدين الجعبري بقوله:

موصولة وصفوا كشيء ثم كيـــ ـــف استفهموا وتعجَّبوا واثنانِ
خبرٌ ونفيٌ، فارفعنَّ الصوت في نفي الثلاث وقد أتى وَسَطانِ
ما لـلتعجـب ثم الاستفهام والـ بـاقي على سنن التلاوة عانِ
هـذا مِـنِ اعـرابِ الـقـران فلا تَـرُم سنداً ورفع الصوت للفرقانِ[٦]

---

(١) انظر: وقوف القرآن وماءاته وأجزاؤه وتقسيماته محمد بن محمود السمرقندي (مخطوط). عن كتاب: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د.إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٦٤.

(٢) انظر: نجوم البيان في الوقف وماءات القرآن، محمد بن محمود السمرقندي، ص: ١٩٠-١٩١.

(٣) انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش: ٧ / ٣٤٦.

(٤) انظر: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص: ٦٤.

(٥) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص:٤٠٢.

(٦) انظر: عقود الجمان في تجويد القرآن، برهان الدين الجعبري، تحقيق مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ص: ٧١. ومن الضرورة الشعرية أن تكون همزة كلمة: (إعراب) همزة وصل، وأن تنطق كلمة: (القران) بألف فقط دون همزة قبلها.

ويقصد بقوله: (لا تَرُم سنداً)، أي: لا تنتظر سنداً لهذا الخبر وإنما هو من قبيل الدراية، وعلى هذا فيكون الإخلال به ليس في قوة الإخلال بالقراءات الثابتة بالرواية.(١)

٥- **التفريق بين الاستفهام، والنفي، والتوكيد**: فمن مواضع وجود الوظيفة التركيبية للتنغيم التفريقُ بين الاستفهام، والنفي، والتوكيد، كقول القائل: (هذا موجود)، فيمكن أن تقال هذه الجملة بنغمة تفيد الاستفهام فيكون حرف الاستفهام مقدراً كأن القائل قال: هل هذا موجود؟ وقد يكون مع ذلك نغمة تفيد الإنكار أو التعجب، كما قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لمن قال له: (قرأتُ المفصَّل في ركعة): (هذّا كهذّ الشعر)،(٢) فحذف أداة الاستفهام المتضمن للإنكار والتعجب ثقة بالقرينة الصوتية المتمثلة في تنغيم الجملة.

وقد تقال العبارة السابقة بنغمة تفيد الإخبار كذلك، كأنه قال: نعم هذا موجود، ويكون كلام ابن مسعود على هذا التفسير بمعنى: نعم إنك هذذت كهذّ الشعر .. كل ذلك يعرف عن طريق اختلاف درجات النغمة برفع الصوت وخفضه أو ترقيقه وتفخيمه بما يناسب المعنى المراد.(٣)

٦- **التفريق بين مقدار المدّ في تركيب الخبر، ومقداره في تركيب الاستفهام**: فقد ذكر مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) أن مقدار المدّ للهمزتين الملتقيتين في تركيب الخبر أقل منه في تركيب الاستفهام لأجل التمييز بينهما، مثل: (آمن، آتى)، فالمدّ فيها أقصر صوتـاً وأضعف نبراً من المدّ في مثل: (آنذرتهم - آنت - آمَنْتم) من قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة:٦]، وقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:١١٦]، وقوله: ﴿ءَامَنتُم لَهُۥ قَبۡلَ﴾ [الأعراف:١٢٣] في الاستفهام عند من يسهل الهمزة الثانية أو يبدلها مداً من العرب، وجاءت بذلك رواية ورش عن

---

(١) إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ، ص: ٦٧.

(٢) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (كتاب الأذان) برقم: (٧٧٥). وانظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها) برقم: (٨٢٢). وقد ورد أن جملة (هذّا كهذّ الشعر) استفهام إنكاري محذوف الأداة في:

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني: ٦ / ٤٤.
- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (شرح سنن النسائي)، محمد بن علي الإثيوبي الوَلَّوِي: ١٢ / ٦٠٧.
- كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضِر الشنقيطي: ٦ / ٢٣٥.
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د.موسى لاشين: ٤ / ١٨.

(٣) انظر: علم الأصوات في القرن العشرين نظريات القواعد ونظريات التمثيل لاستيفن ر.اندرسون، تحليل محمد سامي أنور، في مجلة عالم الفكر الكويتية، المجلد ١٨. العدد (٣)، ص: ٩٣٣.

نافع،[١] والأصل فيهن: (أأنذرتهم - أأنت - أآمنْتم)؟ ومن ثم يشبع القراء المدّ هنا (في الاستفهام) للتفريق بينه وبين الخبر، وليس في اللفظ فرق بين الأسلوبين سوى المدّ.[٢]

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ [يونس:٩١] تمثل همزة الاستفهام مركزاً للنبر الذي يقع فوقها فيجب تحقيقها، ولذلك يسمى هذا المدّ (مدّ الفرق)؛ لأنه يفرق بين الخبر والاستفهام،[٣] ولو تغير مركز النبر إلى غير الهمزة أو لم تمدّ فسيتغير المعنى إلى الخبر، ولذلك فقد أجمع القراء على مدّ هذه الأحرف، ولم يحذفوا المدّ كي لا يشتبه الخبر بالاستفهام.[٤]

٧. **تحديد نوع التركيب محذوف الأداة:** ويقوم التنغيم بتحديد نوع التركيب إذا كان محذوف الأداة؛ كالاستفهام والنداء. ومع أن بعض النحاة واللغويين يرى أن حذف حرف (أداة) الاستفهام والنداء وغيرها ليس بقياس؛ لأن الحرف نائب مناب الفعل، فهمزة الاستفهام مثلاً نابت عن: (أستفهم)، و(ما) النافية نابت عن: (أنفي)، و(إلا) عن: (أستثني)، فالأداة نابتْ مناب الفعل، قال ابن جني: (فلو ذهبتَ تحذف الحرف لكان ذلك اختصاراً، واختصار المختصر إجحاف به، إلا أنه إذا صح التوجه إليه جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه).[٥]

إن التنغيم يدل على معنى الجملة، وحذف الأداة لا يعني حذف التنغيم الصوتي. ولذلك يقول الزجاج: (وحذف الهمزة في الكلام حسن جائز إذا كان هناك ما يدل عليه)،[٦] والسؤال: ما الذي سيدل على الأسلوب حينما تسقط أداته؟ وما الذي سيُظهر دلالة الكلام ومعناه في الأمثلة التي سقطت أدواتها؟ إنه التنغيم، فلا دليل أقوى منه في هذا الموقف.

---

(١) انظر: تمكين المدّ، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ص: ٢٧، ٣٥.

(٢) انظر: تمكين المدّ، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، ص: ٢٧، ٣٥.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ: ١/ ٢٠٨.

(٤) انظر: إعراب القرآن، المنسوب لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦: ١/ ٣٦٢. وقد رجح محقق الكتاب أن المؤلف هو مكي بن أبي طالب لاعتبارات عديدة قوية، انظر: الدراسة: ٣/ ١٠٩٨. وانظر للاستفهام في المقاطع من الآيات: النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري: ١/ ٣٧٧.

(٥) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني: ١/ ٥١.

(٦) انظر: إعراب القرآن، المنسوب لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري: ١/ ٣٥٢.

قال الزجاج في (بابه السادس عشر: ما جاء في التنزيل وقد حذفت منه همزة الاستفهام): (فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٧]، أي: أهذا ربي؟ فحذف الهمزة فكذلك في أختيها. وقيل في قوله تعالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]، أي: أتلقون إليهم بالمودة؟ فحذف الهمزة. وقيل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف:٧٠] تقديره: أإنكم؟ لأنه في الظاهر يؤدي إلى الكذب).[١] ويرى فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) في قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] أنه استفهام بمعنى التوبيخ، ومعناه: أفظن أن لن نقدر عليه).[٢] وتختلف قوة الدليل من آية إلى أخرى بأن الأسلوب استفهام محذوف الأداة وليس خبراً.

ومن الأدوات التي تشترك في الحذف مع أدوات الاستفهام: حروف النداء، وهو كثير في القرآن الكريم،[٣] قال السيوطي: (حذف حرف النداء كثير، كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [يوسف:٢٩]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم:٤]، وقوله: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر:١].[٤] ويوضح ابن يعيش أن النداء يحتاج إلى تصويت وإلى امتداد بحروفه، أي: إلى تنغيم ندائي يتسم بالعلو، يقول: (الغرض بالنداء التصويت بالمنادى ليقبل، والغرض بحروف النداء امتداد الصوت وتنبيه المدعو).[٥] هذا التنغيم يكون مع وجود حرف النداء، أما إذا كان حرف النداء محذوفاً فإن أهمية التنغيم تكبر ليقوم التنغيم بتعويض حرف النداء المحذوف والمحافظة على معنى الجملة.

إن التنغيم يقوم بوظيفته كاملة في جملة النداء، سواء مع وجود حرف النداء أم في غيابه التام. ويؤكد هذا الأمر أن جمل النداء محذوفة الحرف في القرآن الكريم قاربت - من حيث العدد- الجمل مذكورة الحرف، وهذا يؤكد أهمية مراعاة المعاني في الأداء القرآني. وحذف حرف النداء كثير في لغة العرب ودرجوا عليه في الشعر والخطابة مما يعطي إحساساً واضحاً بأنه يوجد في أداء كلام العرب من نبرات تنغيمية جلية ما يجعل حذف حرف النداء مسلماً به تسليماً يصل إلى حد نسيان وجود حرف نداء أصلاً.[٦]

(١) انظر: إعراب القرآن، المنسوب لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري: ١ / ٣٥٣.
(٢) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ: ٢٢ / ٢١٥.
(٣) عقد الزجاج في الكتاب المنسوب إليه (إعراب القرآن) فصلًا كاملًا لحذف حرف النداء والمنادى. انظر: إعراب القرآن، المنسوب لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري: ٢ / ٦٤٨ - ٦٥٢.
(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرناؤوط: ١ / ٥٤٦.
(٥) انظر: شرح المفصل، أبو البقاء بن يعيش: ١ / ٣٦١ .
(٦) انظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، د. أحمد البايبي: ١ / ٣٧٦.

ثانياً: فيما يتعلق ببعض الأساليب التركيبية

للتنغيم والنبر وظيفة مهمة جدّاً - ربما لا تؤدى إلا بهما أو بأحدهما - توجد في بعض الأحوال التي تتعلق بالأساليب التركيبية، ومن ذلك:

١. **أسلوب النعت:** تظهر الحاجة للتنغيم في مسائل النعت (الصفة والموصوف) في ثلاثة مواضع: عند النعت بالجملة الإنشائية، وعند حذف النعت، وعند قطع النعت. فقد اشترط النحاة أن تكون جملة الصفة خبرية وليست إنشائية، ولذلك أوّلوا قول الشاعر:

حتـى إذا جـن الـظـلام واختـلـط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط؟

بأن الصفة جملة مقول القول، أي: جاؤوا بلبن مقول عند رؤيته: هل رأيت الذئب قط؟ [1] وما وضعوا التنغيم - الذي سيُظهر أن الاستفهام استفهام غير حقيقي - في الاعتبار، وأنه استفهام يراد به التشبيه، كما يقال عند الحديث عن رجل طويل: هل رأيت النخلة؟ [2] ولو أعطوا التنغيم حقه في هذه المسألة، وأنه يزيل الالتباس المتوقع لقبلوا أن تكون الجملة الإنشائية صفة دون الحاجة للتأويل.

وأما حذف الصفة والتعويض عنها بالتنغيم فقد أشار إليه ابن جني وسيبويه في حديثهما عن قولهم: سير عليه ليل، أي: طويل، قال ابن جني: (وكأن هذا إنما حذفت الصفة لما دلّ من الحال على وضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم[3] ما يقوم مقام قوله: (طويل) أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً، فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة وتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي: رجلاً فاضلاً، أو شجاعاً، أو كريماً أو نحو ذلك).[4]

---

(١) انظر: شرح المفصل، أبو البقاء بن يعيش: ٢ / ٢٤٠ .

(٢) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٦٣ .

(٣) التطويح والتطريح عند ابن جني هما: (التنغيم)، انظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، د. أحمد البايبي: ١ / ١٤٩ .

(٤) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٣٧٠-٣٧١ . وانظر: كتاب سيبويه: ١ / ٢٢٠، وما بعدها. وسبق الحديث عن هذه الجزئية عند شرح جهود ابن جني وإشاراته بشأن التنغيم في الفصل السابق.

ومنه قول الشاعر:

ورب أسيلة الخدين بكر مهفهفة لها فرع وجيد[١]

فسياق البيت يثبت وجود صفتين محذوفتين لكلمتي: (فرع وجيد)، كشف عنهما التنغيم بتفخيمهما مدحًا فيهما، فكأنه قال: فرع أسود فاحم وجيد طويل.[٢]

وأما مسألة النعت المقطوع - وقيل إنها من باب الاختصاص - فإن للتنغيم أهمية كبيرة في إظهار النعت المقطوع وتنغيم أجزاء الجملة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ [المسد:٤-٥]، فإن على قارئ القرآن الكريم أن يُشعر المستمع - بتوظيف التنغيم - أن خبر المبتدأ هو جملة: ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ﴾، ولذلك فخط النبر والتنغيم المناسب لهذه الآية هو أن تنبر كلمة ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾، وكلمة ﴿حَمَّالَةَ﴾، ويوقف وقف تنغيم بعد كلمة ﴿ٱلۡحَطَبِ﴾ بنغمة مستوية، ثم تنبر كلمة ﴿فِي﴾ مع نغمة الإتمام الهابطة للآية الأخيرة كاملة. وخط النبر والتنغيم للجملة المتضمنة نعتًا مقطوعًا متطابقٌ مع جملة أسلوب الاختصاص كما سيأتي.

٢. **أسلوب الشرط**: ومن الأساليب التي يبرز فيها أثر التنغيم في الكلام أسلوب الشرط حيث تظهر فيه بوضوح أهمية التنغيم في أداء الجملة. والشرط من المواضع التي تركز عليها هذه الموسوعة؛ لأنه أسلوب تبرز فيه الحاجة لنغمة الانتظار في آخر جملة فعل الشرط، ونغمة الإتمام في أول جملة جواب الشرط إلى نهايتها إذا كان الشرط والجواب في آيتين طويلتين، أو وُجد فاصل طويل بين الشرط وجوابه. كما أن نغمة الانتظار هذه تغني في بعض مواضع أسلوب الإتمام - وبعض مواضع الشرط داخلة فيه - عن إعادة قراءة كلام سابق ليظهر المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك.

إن أسلوب الشرط من أشد الأساليب حاجة للتنغيم لإبراز ركنيه؛ جملة فعل الشرط، وجملة جواب الشرط. فمثلاً عند قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾ [هود:١٥]، فإن من وقف بعد الانتهاء من جملة فعل الشرط ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ - وقفًا اضطراريًا - فإنه يقف بنغمة صاعدة أو مستوية؛ ليبدأ الجواب بعد ذلك بنغمة إتمام هابطة لإكمال معنى الجملة؛ لأن الجواب فيه تمام الفائدة، والجملة دون جواب الشرط ناقصة المعنى، وهذا ما يميز نغمة جملة الشرط عن نغمة جملة الاستفهام التي لها نغمة واحدة في نهايتها.

(١) انظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، القاهرة: ٣/ ٤٩٣.

(٢) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٦٥.



وتبعًا لرغبة المتحدث (أو القارئ) في الإسراع بالجواب أو الإبطاء به يمكن أن تقترن جملة جواب الشرط بالفاء في مواضع ذكرها النحاة،[١] فيكون ظهور النبر على أول كلمة في جملة الجواب، وليس بالضرورة على الفعل الممثل لجواب الشرط.

وهذا النوع من التنغيم يكون في الترتيب الأصلي لجملة الشرط. أما إذا تقدم ما يدل على جواب الشرط؛ كقولك: (أنت حر إن انتهيت من واجبك) فإن وظيفة التنغيم تضعف في التأثير على المعنى. صحيح أن المعنى لا يتغير كثيراً، لكن قيمة الشرط لا تكمن في معناه فقط، وإنما في الطبيعة التأثيرية التنغيمية التي فيه، وإلا فإنه يمكن التعبير عن المعنى بتقديم الجواب أو حتى بإلغاء الشرط والإتيان بأسلوب آخر.[٢] وحينما تستخدم جملة الشرط فإن التردد والاستثارة وضغط الانتظار الذي تحدثه جملة فعل الشرط وتنغيمها تعدّ أموراً قائمة يهدّئ منها مجيء الجواب الذي يريح المستمع ويكفل إفادته. إن للتنغيم أثراً كبيراً في إيصال معنى الشرط للمستمع يتضح ذلك حينما نقف على الفرق بين تقديم دليل جواب الشرط أو وضع الجواب في مكانه الأصلي (التأخر)، فحينما يقال: (إن راعيت الله...) بادئين بالشرط فإن النفْس تنتظر الجواب، وهنا تعطى الجملة حقها من التنغيم لإثارة مشاعر الانتظار، فإذا جاء الجواب بقول: (فالثواب محقق) هدأتْ النفْس وسكنتْ وحصلت على ما تريد.

أما إذا بدأنا بما يدل على الجواب: (الثواب محقق) فإنه لا يوجد مشاعر يظهرها التنغيم، ولا تبحث النفس عن شرط وإنما عن مزيد من التوضيح. وبعض أدوات الشرط لها الصدارة فلا يتقدم عليها غيرها، ومن ذلك: (مَن، ما، متى، أينما)، وإن تقدم عليها الجواب فقد يتغير معناها.[٣]

٣. **أسلوب التعجب**: تظهر أهمية التنغيم في أسلوب التعجب أيضًا، كما في القصة المشهورة التي تروى عن ابنة أبي الأسود الدؤلي التي قالت له: (ما أحسنُ السماءِ)، قال: (نجومها)، فقالت: إني لم أسأل عن أحسنها، إنما تعجبت من حسنها.[٤] ومع أن الشك محيط بهذه القصة إلا أن للاستفهام نغمة تختلف اختلافًا كبيراً عن نغمة التعجب، وإذا كانت الفتاة يمكن أن تخطئ بالرفع فلا يمكن أن تخطئ في تنغيم ما تريد؛ لأن تنغيم الكلام لا ينفك عن الانفعال به، وذلك مما يتعلمه الإنسان منذ طفولته المبكرة، وهذا ما يدعو للشك في القصة. ولو أن الفتاة قد

(١) انظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، القاهرة: ٤ / ٤٦٣.

(٢) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٦٦ – ٦٧.

(٣) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٦٨.

(٤) انظر: البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٣هـ: ٨ / ٣١٢.

نغّمت جملتها تنغيماً يظهر دهشتها لما كان لأبيها أن يظنّ أنها تستفهم حتى لو لحنت فرفعت الفعل (أحسن)؛ لأن التنغيم سيوصل الدهشة ويضعف تقدير الاستفهام حينئذ ويترجح الخطأ النحوي، وفي هذه الحال يكون المخطئ في الفهم هو الأب وليس الفتاة، وربما أن الأب أظهر عدم الفهم وتعمّد الخطأ؛ لينبهها على اللحن الذي وقعت فيه وإلا فإن تنغيمها أوصل له أنها تتعجب وليست تستفهم.

وإذا كانت الأساليب القياسية للتعجب: (ما أفعله، أفعل به) قد أخذت ملمحاً إعرابيّاً فابتعدت قليلاً عن الانفعال،[١] فإن الأساليب السماعية للتعجب التي لا ضابط لها ولا حصر لها[٢] تقوم على التنغيم بشكل أساسي.

٤. أسلوب التوكيد: أما في أسلوب التوكيد المعنوي واللفظي فإن الحاجة للتنغيم فيهما بارزة لإيصال المعنى إلى المتلقي، ذلك أن المتحدث حينما يقول: (جاء الأستاذ نفسه) فإنه يقف وقفة يسيرة قبل التوكيد ليعطي لفظة التأكيد نغمة مختلفة يؤكد بها ما سبق من معنى، ويتضح هذا حينما تتقدم لفظة التوكيد، فيقال: (جاء نفس الأستاذ) حيث ينتفي التنغيم والحاجة للتوكيد.[٣] أما ما ظاهره أنه توكيد لفظي في قول جميل بن معمر:

لا. لا أبـــوح بـحـب بـثـنـة إنـهـا أخـذت علـيّ مـواثـقـاً وعـهـودا[٤]

فإن (لا) في حقيقة الأمر جواب لسؤال مقدر محذوف، ثم تأتي بعدها سكتة، ثم كلام مستأنف ابتدأ بالنفي قائلاً: (لا أبوح بحب بثنة، أي: بثينة)، ولم يتوقف النحاة [٥] عند أهمية التنغيم في تفسير البيت، فجعلوا (لا) الأولى حرف نفي مؤكداً توكيداً لفظيّاً. وقد تحدثت عن هذا البيت في المبحث الثالث من الفصل الأول.

٥. أسلوب البدل: أما في مسائل البدل والمبدل منه فإن أهمية التنغيم تتضح في إيصال المعنى في بدل الغلط والنسيان – وهو لا يقع في القرآن الكريم -. ففي مثال النحاة: (خذ نبلاً مُدى) يتبين أن المتكلم لا يمكن أن ينطق كلمة (مُدى) إلا بتنغيم يكشف انتقاله من طلب أخذ (النبل) إلى أخذ (المُدى)، والذي يحدد نوع البدل

---

(١) جعل النحاة جملتي التعجب: (ما أفعله وأفعل به) من قبيل الإخبار الذي يراعي ثنائية تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية، وهذا أبعدهم كثيراً عن اعتبار الدهشة والانفعال الذي تحمله الجملتان. انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٧٣. الحاشية.

(٢) للتعجب السماعي في العربية ألفاظ كثيرة لا يتعرض لها النحاة في باب التعجب، مثل: أبيت اللعن، ولله درك، وقاتله الله من رجل، ويا لك من رجل، وتبارك الله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله ، ولا حول و لا قوة إلا بالله، ومنه الاستفهام الخارج إلى التعجب، كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾.

(٣) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٧٦.

(٤) انظر: ديوان جميل بن معمر، تحقيق أمين يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص: ٥٨.

(٥) انظر: همع الهوامع للسيوطي، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار الكتب العلمية: ٢ / ٢٠٨. وانظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين ابن هشام، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت: ٣ / ٣٣٨. وانظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٨.

هو المتكلم وحده أو ما يظهره من تنغيمات ترجح أنه أخطأ أو نسي. إن الانفعال هو قرين جملة بدل الغلط والنسيان، والانفعال يُحدِث التنغيم في الكلام، فلا ريب أن المتكلم حينما ذكر (نبلاً) شعر بالخطأ فأسرع بالتغيير والتصحيح، فأصحبت الجملة مشحونة بالدهشة والانفعال.[1]

٦. **التمييز بين أسلوبي الاستفهام والإخبار**: يقدم التنغيم تمييزاً بين جملة الإخبار وجملة الاستفهام، كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

أبـرزوهـا مـثـلَ الـمـهـاةِ تـهـادى ... بـيـنَ خـمـسٍ كـواعـبٍ أتـرابِ
ثـم قـالـوا: تُـحـبّـهـا، قـلـتُ: بـهـراً ... عـددَ الرمـل والحصى والـتـراب[2]

في هذا البيت شاهدان للتنغيم ذي الوظيفة التركيبية، الأول: قوله: (تحبها)، أي: أتحبها؟ لأن البيت الذي قبله يدل عليه،[3] فأسقط أداة الاستفهام اكتفاء بنغمة الاستفهام.[4] والثاني: قوله: (بهراً)، أي: عجبًا! كيف لا أحبها؟! أو: نعم، أحبها كثيراً، أو أحبها حبّا بهرني بهراً،[5] فقد اختزل الكلام، واكتفى بهذه اللفظة ثقة بما قارنها من التنغيم المتمثل في طريقة تلحينها، وتفخيمها، وتنكيرها.

وجعل ابن هشام منه قول المتنبي:

أحـيـا وأيـسـر مـا قـاسـيـت مـا قتلا ... والبين جار على ضعفي وما عَدَلا

أي: أأحيا؟.[6]

ومن ذلك قول عمران بن حطان:

فأصبحتُ فيهم آمنـًا لا كمعشرٍ ... أتـوني فقالوا: من ربيعةَ أو مضرْ؟
أمِ الـحيِّ قحطان؟ وتلكم سفاهةٌ ... تـقـربني منه وإن كـان ذا نـفرْ[7]

(١) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٨١ – ٨٢.
(٢) انظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص: ٢٣١.
(٣) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٢٨١.
(٤) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٤٤.
(٥) انظر: شرح المفصل، أبو البقاء ابن يعيش: ١/ ٢٩٦ – ٢٩٨. وانظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام: ١ / ٧٦. وانظر لمعنى (بهراً): كتاب سيبويه: ١ / ٣١١.
(٦) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام: ١ / ٧٧ – ٧٨.
(٧) انظر للبيت: الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧: ٣/ ١٢٧.

فقوله: (من ربيعة أو مضر؟) استفهام،[١] والمعنى: أمن ربيعة أنت أم من مضر؟ فحذف أداة الاستفهام واكتفى بالصورة الصوتية المسايرة للسياق، ولولا ذلك لما عطف عليه بقوله: (أم الحي قحطان)؟ بمعنى أنه لو أراد الإخبار، أي: (أنت من ربيعة أو مضر) لقال بعده: (أو الحي قحطان) بـ (أو) العاطفة، لا بـ (أم) المعادلة؛ لأنه أراد التسوية بين حي ربيعة ومضر وحي قحطان، فجاء الخط التنغيمي كاشفاً عن هذا الأسلوب التركيبي في أثناء أداء الجملة. ولا ريب أن تنغيم الاستفهام غير تنغيم الخبر، ولن يُسوِّيَ بينهما في النطق عند أداء الكلام إلا من لا يراعي المعنى، ولا تحذف الألفاظ الدالة على هذه الأساليب إلا لقوة القرينة النائبة عنها.[٢] فالجملة الخبرية لفظاً ومعنى لها أداؤها وقالبها الصوتي الأدائي، والجملة الخبرية لفظاً الإنشائية معنى (الخبر الاستفهامي بالاستفهام الضمني) لها أداؤها، والجملة الإنشائية لفظاً الخبرية معنى (الاستفهام الخبري) لها أداؤها وأسلوب تأديتها، ومقام التعجب والاستنكار يخالف مقام الإعجاب والإشادة والإكبار. والأداء الصوتي الصحيح هو الذي يُلقي المعنى المقصود في نفس المستمع وفي قلبه ووجدانه، ويحمل بتلويناته الصوتية إليه كافة الأبعاد الدلالية لهذا التركيب أو ذاك في شفافية ووضوح ويكشف له عن مضامينها ويجلي له مغزاها.[٣]

ومما تظهر فيه أهمية التنغيم فيما يتعلق بالاستفهام والإخبار التفريقُ بين (كم) الاستفهامية والخبرية عند فَقْد قرينة لفظية أخرى، كأن يكون ما بعد (كم) اسماً مقصوراً، كقولك: (كم فتىً فيكم)، و(كم مستشفى بنيت). فهذا الكلام يعتمد على نغمته عند أدائه، إن كانت نغمته مستوية أو صاعدة فـ(كم) استفهامية، وإن كانت نغمته هابطة فـ(كم) خبرية.[٤]

٧. **أسلوب النداء:** وللتنغيم أهمية جلية في أسلوب النداء؛ لأنه ضابط مميز للتفريق بين صور النداء؛ لأن الغرض من النداء التصويت للمنادى ليقبل، والغرض من حروف النداء امتداد الصوت وتنبيه المدعو. إن النداء سواء أكان للبعيد أم للقريب مرتبط بالتصويت والتنبيه، وبسببهما يأتي التنغيم الدال عليهما، وتقسيم النداء إلى قريب وبعيد ما هو إلا مراعاة للصوت وإطالته أو تقصيره.

---

(١) انظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢ / ٢٨١.

(٢) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤٢٣.

(٣) انظر: علم الأصوات اللغوية (ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم)، د. أحمد عبدالتواب الفيومي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٩، ص: ٨٣.

(٤) انظر: التنغيم في التراث العربي، د. عليان الحازمي، مجلة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد (٢٣)، ١٢ / ٧ – ٨.

ويكثر حذف أداة النداء خاصة في الشعر، وإذا حذفت فإن المنادى يتحمل قيمتها بالضغط والمط والتطويل.
وما يقال عن النداء يقال عن الندبة والاستغاثة، فلا ندبَ بدون تصويت ولا تطريح - كما قال ابن جني - ولا استغاثة بلا ارتفاع صوت يسمعه المغيث، وكل ذلك لا يمكن أن يتم بدون التنغيم.[١]

ومما يقدمه التنغيمُ لجملة النداء التمييزُ بين جملة النداء وجملة الإخبار في مثل: (زيد الفاضل عندنا)، فإن نغمة النداء تختلف عن نغمة الإخبار، ولذا ينطق (زيد) بنغمة صاعدة مرتفعة في حال النداء، وربما وُقف عليه؛ ليدل ذلك على أن الجملة بعده مستأنفة، فإذا نُطقت الجملة كلها ابتداء من كلمة (زيد) - في خطها التنغيمي[٢] - بنغمة واحدة مستوية دل ذلك على أنها إخبارية، ولا يراد بها نداء (زيد).[٣]

٨. **أسماء الأفعال:** وأما أسماء الأفعال فإنها تحمل شحنة من التنغيم تؤدي بها معنى لا يؤديه الفعل الذي قال النحاة إن اسم الفعل قد ناب منابه.[٤] وهذه بعض أسماء الأفعال ومعانيها: (هيهات) بمعنى: (بَعُد)، و(شتان) بمعنى: (افترق)، و(أفّ) بمعنى: (أتضجر)، و(أوّه) بمعنى: (أتوجع)، و(صهْ) بمعنى: (اسكت).

إن أسماء الأفعال السابقة تحمل انفعالاً وتنغيمًا في أدائها ليسا موجودين في الأفعال التي بمعناها، فليست جملة (بعُد الفشل) مثل: (هيهات الفشل)؛ فالجملة الأولى تكشف عن أن هناك فشلاً ولكنه ابتعد، أما جملة اسم الفعل فإنها تصور الإحساس القائم بأن هناك فشلاً محتملاً، ولكنْ لا علاقة له بالمتكلم، فجاء الجواب: هيهات الفشل. إن جملة اسم الفعل يمكن أن تستقل بنفسها وليس لديها قابلية للمتعلقات من مجرورات أو غيرها، ولا يدخلها النفي، ولا تلتحق بها ضمائر أو غيرها، ويمكن أن يوضع بعدها علامة التعجب والاندهاش وينتهي الكلام. أما جملة الفعل فإنها تحتاج إلى متعلقات ليكتمل معناها سياقيًا، ويمكن نفي الفعل وإثباته، وإلحاق تاء الفاعل والتأنيث. ولذلك قال ابن يعيش: إن الغرض من أسماء الأفعال الإيجاز، والاختصار، والمبالغة.[٥]

وإذا توقفنا عند (أفّ)، و(أوّه) - ومعناهما: (أتضجر)، و(أتوجع) - فإن هذين الاسمين يحملان شحنات انفعالية يؤديها التنغيم المصاحب لنطقهما ليست في الأفعال التي بمعناهما، فالفعل (أتضجر) - مثلاً - جملته

(١) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٩٨ - ١٠٠.
(٢) انظر لمفهوم (خط التنغيم): معجم علم الأصوات، د. محمد الخولي، ص: ٦٣. والأصوات اللغوية، د. محمد الخولي، ص: ١٧٠.
(٣) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤٢٢.
(٤) انظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف بمصر، القاهرة: ٤ / ١٤٠.
(٥) انظر: شرح المفصل، أبو البقاء بن يعيش: ٤ / ٢٥.

خبرية تحتمل الصدق والكذب، ويثير سؤالاً عن سبب التضجر، ويقبل السوابق واللواحق، أما (أفّ) فلا تصديق ولا تكذيب، ولا تثير أي سؤال، إنما هو نقل الضجر والانفعال بالتنغيم الصوتي.[(١)]

٩. أسلوب الاختصاص: أما جملة الاختصاص فإن فيها نبراً وسكتَ تنغيم، وهو الذي يكشف الأسلوب ويحدد أركانه ومعناه. ففي قولك: (نحن الأمةَ العربيةَ لدينا لغة عظيمة) فإن السكت الموجود بعد الضمير (نحن)، وبعد كلمة (العربية)، ثم نبر كلمة (لدينا)، كل ذلك يبين بوضوح لمن لديه وعي بقواعد اللغة أن كلمة (الأمة) منصوبة على الاختصاص، ولو لم تكن موجودة لتوهمنا أن تكون كلمة (الأمة العربية) خبراً.[(٢)] وفي هذه الموسوعة فإن مجرد نبر المنصوب على الاختصاص، ثم نبر الخبر بعده يؤدي هذا الغرض.

١٠. أسلوب التحذير والإغراء: وفي أسلوب التحذير والإغراء يبرز التنغيم المصاحب للانفعال، ذلك أن المتكلم حينما يقول محذراً: القطارَ القطارَ فإنه يرفع صوته منفعلاً، ولا يمكن أن ينشغل المستمع بتقدير الفعل هل هو: (احذر) أو غيره؛ لأن التنغيم قام بالمهمة، ولا يمكن أن يوجد أي بديل (مقدر) عن الحذر في ظل هذا الموقف الانفعالي وحالة الطوارئ التي تسيطر عليه. ومن المناسب لأهمية التنغيم في هذا الباب، وأنه لا مجال للإتيان بالفعل المحذوف قول السيوطي بأن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء.[(٣)]

كما تبرز أهمية التنغيم في التمييز بين أسلوبي الإغراء والتحذير؛ لأنهما من الأساليب التي تحتاج إلى تنغيم ليفرق بينهما خاصة حينما تكون الكلمة المنصوبة على التحذيرأو الإغراء مشتركة بينهما، أي: يمكن أن يحذر منها أو يغرى بها، مثل كلمة: (الرجلَ الرجلَ، البابَ البابَ)، فإن المستمع لا يعرف هل هو يُحذّر من الرجل أو يُغرى به إلا من خلال تنغيم الصوت، فإن كانت نغمة الصوت صاعدة فالجملة للتحذير، وإن كانت مستوية فالجملة للإغراء. أما الكلمات التي يغلب على الظن أنها للإغراء، مثل: (الصلاةَ الصلاةَ)، أو يغلب على الظن أنها للتحذير، مثل: (الأسدَ الأسدَ)، فإن نوعية المفردة تحدد المعنى المطلوب، فيقلّ تأثير التنغيم في تحديد المعنى ولا يختفي. ومع ذلك فإنه يجب أن تعطى الكلمة المنصوبة على التحذير أو الإغراء نغمة تميزها عما قبلها وما بعدها من الكلمات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس:١٣]، فإن دلالة الفتحة

(١) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ٨٤ – ٨٩.

(٢) انظر: من وظائف الصوت اللغوي؛ محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د. أحمد كشك، ص: ١٠٢.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ: ١ / ٥٣٥.

على المحذوف يمكن أن تصاحَب بنبر يبرز أسلوب التحذير ويناسب معناه. وقد اكتفت هذه الموسوعة بنبر المحذر منه والمغرى به دون تنغيمهما.

١١. الجملة المعترضة والتفسيرية وما في حكمهما: إذا كانت نغمة (الانتظار) تكون في نهاية الجزء الأول من الجملة التي فصل بين ركنيها بفاصل، ونغمة (الإتمام) تكون في بداية الجزء الثاني إلى نهايته، فإن الكلام الفاصل بين ركني الجملة - أو شبه الجملة - يحتاج إلى نبر في موضعين ليتحدد أنه كلام يفصل بين ركني الجملة التي ابتدأ الكلام بها. ومن أمثلة ذلك قول النابغة الجعدي:

ألا زعمتْ بنو كعب بأني - ألا كذبوا - كبيرُ السنِّ فاني[١]

فصل بين المسند إليه (بأني) والمسند (كبير السن) بجملة (ألا كذبوا)، فلو قرئ البيت كله بنغمة مستوية لما ظهر ارتباطُ المسند بالمسند إليه بسهولة، ولكن إذا مُيّزت الجملة المعترضة بنغمة مغايرة لما قبلها وما بعدها، ظهر الإسناد بجلاء، ويُؤدى آخر المسند إليه (بأني) بنغمة مستوية، ثم ينبر أول الجملة المعترضة، ثم ينبر أول كلمة بعد انتهائها، وهي (كبير) ويؤدى المسند (كبير السنّ) بنغمة هابطة.[٢]

ومنه قول عمرو بن الحميس:

تقول لي عَمْرة ما ذا الذي تهذي به في السر والجهر
قلتُ لها- والجود من شيمتي- آمركم في العُسرِ واليُسرِ[٣]

فجملة (والجود من شيمتي) معترضة بين القول ومقوله، ويظهر هنا أثر النبر والتنغيم في ربط (قلتُ لها) بـ (آمركم ...)، ويكون ذلك بتنغيم جملة (والجود من شيمتي) تنغيماً يتناسب مع معناها مغايراً لركني جملة القول ومقوله، فيكون التركيب بهذا منسجماً صوتياً.[٤] وفي هذه الموسوعة يكفي نبر أول الجملة المعترضة، ونبر أول الجملة التي بعدها ليبرز المعنى.

---

(١) انظر: ديوان النابغة الجعدي، تحقيق د. عبدالعزيز رباح، ص: ١٦٢.
(٢) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤١٦.
(٣) انظر: كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار الطلائع، القاهرة، ص: ٤٦.
(٤) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤١٣.



١٢. التعبير بكلمة تغني عن جملة كاملة: وتوجد وظيفة التنغيم التركيبية في التعبير بكلمة تغني عن جملة تركيبية كاملة، ويغلب على هذا النوع من التنغيم مصاحبة النبر؛[١] لأنه عامل مهم من عوامل التنغيم،[٢] كأن يلفظ الإنسان باسم من يناديه بنغمة مشعرة بالنداء، أو الاستغاثة، أو التعجب، كقولك: (الله)، فإن لفظ الجلالة هنا كلمة غير مركبة فلا تؤلف كلاماً مفيداً بمفردها، ولكن التنغيم هنا جزءٌ من التركيب؛ لأنه يُفَرَّقُ به بين الأساليب من نداء، واستفهام، واستغاثة، وتعجب... وقد تكون تعبيراً عن الألم، أو الفرح، أو الإعجاب، ونحو ذلك من المشاعر العاطفية.[٣]

ومن ذلك أيضاً الجمل التأثيرية المختصرة، مثل: (نعم)، (لا)، (يا سلام)؛ لأنها تقال بنغمات متعددة، ويتغير معناها الدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام، والتوكيد، والإثبات لمعانٍ، مثل: الحزن، والفرح، والشك، والتأنيب، والاعتراض، والتحقير... حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي يحدث بسببه تباين هذه المعاني؛ لأن هذه الجملة لم تتعرض لتغير في بنيتها ولم يضف إليها أو يستخرج منها شيء ولم يتغير فيها إلا التنغيم.[٤]

ولو أن إنساناً قال: (الله) هكذا بنغمة مسطحة مجرداً من أي تلوين صوتي، لما كان كلامه مفيداً لدى المستمعين؛ لأنه غير مركب، قال ابن معطٍ في ألفيته:

اللفظ إنْ يُفدْ هو الكلام[٥]

ومفهوم هذا أنه إذا لم يُفد فليس كلاماً، وهذه الإفادة قد تكون بدلالة الحال، وقد تكون بالتنغيم أو بقرائن أخرى، ومن هنا صح الاستغناء باللفظة الواحدة إذا أفادت بمصاحبة القرائن ما تفيده الجمل، قال ابن أبي الربيع: (وإطلاقُ الكلام على اللفظة الموضوعة لمعنىً صحيحٌ ومستعملٌ عند أئمة الصنعة).[٦] ويدل على هذا استكفاء المخاطب وعدم سؤاله عن المراد عندما يسمع اللفظة المركبة بالتنغيم.[٧]

---

(١) انظر: علم الصوتيات، د. عبدالعزيز علام ود. عبدالله ربيع، مكتبة الرشد-الرياض، ١٤٣٠هـ، ص: ٣٢١-٣٢٢.

(٢) انظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: ٥٣٣.

(٣) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤١٤.

(٤) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص: ٢٢٨.

(٥) شرح ألفية ابن معطي للقواس الموصلي، تحقيق د. علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ: ١/ ١٩١.

(٦) انظر: البسيط في شرح جمل الزجاجي، ابن أبي الربيع القرشي السبتي، تحقيق د. عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦: ١/ ١٥٨.

(٧) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤١٥.

ومن المواضع التي توجد فيها وظيفة التنغيم التركيبية - في مسألة التعبير بكلمة عن جملة تركيبية كاملة - أن يُحذف المسند أو المسند إليه أو هما معًا، فيكون للتنغيم أثر بارز في الدلالة على المحذوف، كقولك: (محمد) جوابًا لمن سأل: من حضر؟ أو قولك: (كتاب) جوابًا لمن سأل: ما هذا؟ فإن قرينة السياق تنضم إليها قرينة التنغيم للدلالة على المحذوف، والتقدير: حضر محمد، وهذا كتاب، فاستُغْنِيَ بالتنغيم مع قرينة السياق عن المحذوف من ركني الإسناد، والدليل على ذلك أن الإنسان قد ينطق بهاتين الكلمتين بعد هذين السؤالين من غير أن يدل ذلك على الإجابة، وذلك بسبب ما يصاحبها من التنغيم، فقد يقول: (محمد) بنغمة ندائية أو استئنافية تدل على أنه يريد أن يخبر عن محمد بكلام تالٍ، فكأنه لم يبال بسؤال السائل، أو لم يسمعه، أو أراد الالتفات إلى غيره، وكل ذلك يظهر بالتنغيم المصاحب للكلمة المنطوقة.(١)

ومما يلحق بهذه المسألة إضمار جملة القول، كقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [آل عمران:١٠٦]، أي: (فيقال لهم أكفرتم)، وقول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، فلولا التلوين النغمي لكان ثمة احتمال إيهام كون جملة ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾ خبراً عن: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، وذلك لا يصح، بل الصواب أن المعنى: يقولون ما نعبدهم،(٢) وشواهده من القرآن الكريم كثيرة.(٣)

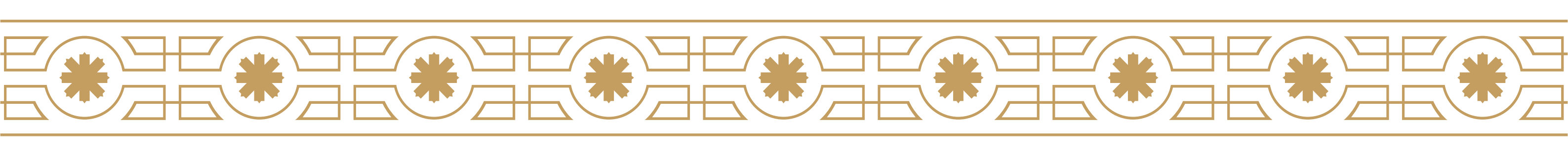
والحمد لله رب العالمين



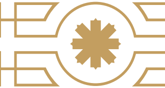
(١) انظر: القرينة الصوتية في النحو العربي، د. عبدالله الأنصاري، ص: ٤١٩.

(٢) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق: ٩ / ٤٠٧.

(٣) انظر: معاني القرآن، أبوزكريا الفراء: ١ / ٢٢٨ - ٢٢٩، وانظر: الدر المصون، السمين الحلبي: ٣ / ٣٤٠ - ٣٤٣.







خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد انتهت الدراسة النظرية لهذه الموسوعة، ويليها الدراسة التطبيقية لواحد وثلاثين أسلوبـًا من الأساليب اللغوية.

وقد تتبعت في هذه الدراسة النظرية طريقة العرب في أداء الأساليب اللغوية بما يناسب معانيها، وحرصت على ربط ذلك بالقرآن الكريم بصفته نزل بلغة العرب، ورجعت في إعدادها إلى كثير مما ذكره علماء الأمة السابقين من إشارات عن النبر والتنغيم؛ كعلماء اللغة والنحو، وعلماء علوم القرآن والتجويد والقراءات، وما ذكره بعض الفلاسفة الذين أشاروا إلى ضرورة أن تعطى الأساليب اللغوية حقها من الأداء بما يناسب معانيها. بدأت ذلك التتبع من القرن الثاني الهجري، فقمت بتحليل إشارات العلماء عن النبر والتنغيم وأداء الكلام للأساليب اللغوية المختلفة، ووضعت بعض القواعد والمصطلحات التنغيمية نظريّـًا وتطبيقيّـًا، لتسهيل الفهم، والإفهام، والإقناع، والتطبيق.

كما شرحتْ الدراسة النظرية مفاهيم النبر والتنغيم، وأهميتهما، وأنواعهما، ووظائفهما، والفرق بينهما، وكان التركيز على نبر الجملة؛ لأنه المعتمد في هذه الموسوعة، كما اهتمت الدراسة بكيفية إعطاء مفاصل الجملة العربية حقها من النبر والتنغيم ووقف التنغيم.

ونظراً لتشعب موضوع الموسوعة وأهميته فإنه من المتوقع أن يثير أسئلة مهمة تحتاج إلى إجابات قد لا تكون موجودة في هذه النسخة من الموسوعة، وقد أجيب عنها في نسخ قادمة إن استطعت، أو أتركها لمن يأتي بعدي من العلماء والمهتمين بدراسات أداء القرآن الكريم وبتحسين أداء المسلمين لكتاب ربهم، ليطوروا هذا العمل ويسهموا في نضجه وييسروا تطبيقه على الناس.

وقد خصصت واحداً وثلاثين أسلوبـًا من الأساليب اللغوية الموجودة في القرآن الكريم بالدراسة التطبيقية، وهي: الاستفهام، والإتمام، والقسم، والأمر، والشرط، والنداء، والنهي، والاستثناء، والنفي، والقصر، والإضراب، والدعاء، والتفضيل، والاستدراك، والجملة التقريرية، والتعليل، والجملة المعترضة، والجملة التفسيرية، والعرض والتحضيض، والتنبيه، والمدح والذم، والتقسيم، والتعديد، والترجي، والتمني، والجواب، والبدل، والتوكيد، والاختصاص، والتعجب، والتحذير والإغراء.

وفي كل أسلوب عرض نظري لمفهومه، وأنواعه، وأدواته، ومظاهر وجوده في القرآن الكريم، وخط نبره وتنغيمه، ثم تفصيل جداول الآيات التي تحمل ذلك الأسلوب.

وبعد:

فهذا جهدي لتحرير هذه القضية المهمة من أداء القرآن الكريم تنظيراً وتطبيقـاً، وبالتأكيد سيكون فيها نقص وخلل، فهما مستوليان على أعمال البشر، ولكنني أنتظر من العلماء والمهتمين ومن القراء الكرام تسديد النقص وتطوير مجالات التطبيق، فما هذه الموسوعة إلا خطوة في طريق العناية بأداء القرآن الكريم بمراعاة معاني الأساليب اللغوية تنظيراً وتطبيقـاً.

أسأل الله تعالى القبول والغفران، إنه سميع مجيب

عبدالله بن محمد المفلح

الرياض

١٨ محرم ١٤٤٥هـ

للتواصل:

أ.د. عبدالله بن محمد المفلح

MFLH66@YAHOO.COM

تويتر: @Prof_almuflih



مسرد مصطلحات الموسوعة [١]

- **الإتمام (أسلوب الإتمام)**: كل أسلوب أو جملة جاء ركناها المتلازمان - أو المتعلقان ببعضهما - في آيتين طويلتين أو أكثر، أو فُصِل بينهما بفاصل طويل - سواء أكان الفاصل من توابع الركن الأول أم من غير توابعه - يحتاج معه المستمع لمراعاةٍ عند القراءة - أو الإلقاء والتحدث في غير القرآن - ليفهم كامل المعنى. ومن أهم مكوناته: بعض الجمل في أسلوب الشرط - كما في سورة التكوير - وأسلوب القسم - كما في سورة الشمس - ويحتاج الركنان إلى نغمتي: الانتظار والاتمام.
- **الاختصاص**: إصدار حكم على ضمير لغير الغائب، بعده اسم ظاهر معرفة، معناه معنى ذلك الضمير مع تخصيص هذا الحكْم بالمعرفة وقَصْره عليها.
- **أداء القرآن الكريم**: تجويد القراءة والمهارة في تصحيح الحروف وتقويمها، وإخراجها من مخارجها، وترتيبها مراتبها، من غير إفراط يؤدي إلى التشنيع، ولا نقصان يفضي إلى التضييع.
- **الاستثناء**: الإخراج بـ (إلا) أو إحدى أخواتها لما كان داخلاً أو منزلاً منزلة الداخل. ومن أدواته: (إلا، وغير، وسوى، ولا يكون).
- **الاستدراك**: رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعـًا شبيهـًا بالاستثناء. وأداته: (لكن) المخففة أو المشددة.
- **الاستفهام الصوري**: تركيب في صيغة أسلوب الاستفهام لفظـًا لا معنى، فلا يصح أن يكون استفهامـًا لا حقيقة ولا مجازاً، مع أنه قد يحمل معاني يخرج إليها الاستفهام، كما في همزة التسوية.
- **الاستفهام**: طلب العلم بشيء لم يكن معلومـًا من قبل، أو في منزلة مالم يكن معلومـًا من قبل. ومن أدواته: (الهمزة، وهل، وأم، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان)، ويخرج في القرآن الكريم إلى معانٍ عديدة، منها: (الإنكار، والتعجب، والتوبيخ، والتهكم، والتهديد، والأمر، والنهي، والاستبطاء، والإلزام، والإفحام، والسخرية، والتقرير، والتمني، والنفي، والدعاء، والتفهيم، والتنبيه، والعرض، والحث والتحضيض، والتشويق، والتعظيم، واستحضار الصورة).
- **الإضراب**: الرجوع عن الأول حتى يصير بمنزلة ما لم يذكر، وإيجاب المعنى للثاني.
- **(أم) الاستفهامية**: أداة استفهام تكون في صدر جملة الاستفهام، ولا يسبقها أداة أخرى، فتكون هي الأداة، وليس همزتها فقط.
- **الأمر**: طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام. ومن صيغه: (فعل الأمر، ولام الأمر الداخلة على الفعل المضارع، واسم فعل الأمر).
- **البدل**: التابع المقصود وحده بالحكم المنسوب إلى تابعه من غير أن تتوسط - في الأغلب - واسطة لفظية بين التابع والمتبوع.

---

(١) تفاديـًا لتداخل مصطلحات النبر والتنغيم وأنواعهما وعدم دقة بعضها فلن أستعمل في الدراسة التطبيقية إلا المصطلحات الآتية: النبر، والتنغيم، وخط النبر والتنغيم، ووقف التنغيم، والنغمة الصاعدة، والنغمة الهابطة، والنغمة المستوية، ونغمة الانتظار، ونغمة الإتمام، ونبر الجملة الرئيس، ونبر الجملة الخفيف.





- **التحذير والإغراء.** التحذير: تنبيه المخاطَب على أمر مكروه ليتجنبه. ومن صوره: تكرار المحذر منه، أو استخدام (إياك). والإغراء: تنبيه المخاطب على أمر محبوب ليفعله. ومن صوره: تكرار المغرى به.
- **التحقيق**: إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار، والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف.
- **التدوير**: التوسط بين رتبتي التحقيق والحدر.
- **الترتيل**: إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار، والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف.
- **الترجي**: ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله، ويدخل في الارتقابِ الطمعُ والإشفاق؛ فالطمع ارتقاب المحبوب، والإشفاق ارتقاب المكروه. ومَن جعله طلباً فهو عنده: طلب حصول الأمر المحبوب الممكن المتوقع. ويخرج في القرآن الكريم إلى معانٍ متعددة، منها: (الإطماع والترغيب، والتفاؤل بحسن المآل، والتعليل، والنهي، والتمني، وترك القطع بالأمر، وطرد الشك، وإثبات أن الأمر بيد الله وحده، والترهيب والتخويف).
- **التصديق**: إثبات النسبة بين شيئين أو نفيهما، وأدواته: الهمزة، وهل. ويجاب عنه بـ(نعم)، أو (لا)، أو (بلى)، أو غيرها من حروف الجواب.
- **التصور**: الذي يُطلب به تعيين المفرد، وجميع أدوات الاستفهام تكون للتصور.
- **تضافر القرائن**: أي تضافر القرائن اللغوية وغير اللغوية التي تسهم في إيصال المعنى بوضوح وتنقله إلى المستمع دون لبس، وأهمها: العلامة الإعرابية، والرتبة، والصيغة، والمطابقة، والروابط، والتضام، والأداة، والنغمة، والنبر.
- **التعجب**: استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها، وخرج بها المتعجب منه عن نظائره أو قل نظيره.
- **التعديد**: إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد. وقد يقع التعديد في الجمل.
- **التعليل**: تحديد الدافع - أو الغرض - على إحداث الأفعال ووقوعها، وإظهار علة إحداث المعلول.
- **التغني بالقرآن**: تحسين الصوت بالقراءة على وجه لا يخرج إلى حد التطريب المذموم مع التخشع في القراءة وترتيلها.
- **التفضيل**: الوصف المبني على (أفعل) لزيادة صاحبه على غيره في أصل الفعل.
- **التقسيم**: استيفاء المتكلم أقسام الشيء الموجودة لا الممكنة عقلاً.
- **التمني**: تشهي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون ولا يكون. وأداته (ليت)، ويصاحبها أداة التنبيه والنداء (يا) كثيراً في القرآن الكريم.
- **التنبيه**: إعلام المخاطب واستدعاء ذهنه بأدوات مخصوصة للالتفات إلى الكلام الذي سيلقى عليه؛ لأهميته أوخطره وينبغي له التفطن إليه والوقوف عليه. وأهم أدواته: (ألَا)، و(أما)، و(ها)، و(يا) في (يا ليت)، و(كلّا) في بعض المواضع.

- **تنغيم الأساليب اللغوية**: إحداث نغمات متتابعة تناسب معاني الأساليب اللغوية المتنوعة؛ كالاستفهام، والإتمام، والأمر، والنهي، والدعاء...، وتظهر معناها، وتساعد على فهم الكلام.
- **تنغيم التعبير**: التنغيم الذي يدل على معنى الجملة وعلى مشاعر المتحدث (أو القارئ) مفصحًا عن الرضا، أو السخط، أو الدهشة، أو الازدراء، أو الكراهية، أو التهكم، أو الزجر، أو الموافقة، أو الرفض، وغيرها، وليس له أداة محددة.
- **التنغيم**: إحداث نغمة أو نغمات متتابعة من أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة من الكلام، وهي نغمات تصاحب التراكيب، وتظهر معناها، وتميز بعض الأساليب عن بعض، وتساعد على فهم المعنى، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل وليس للكلمات.
- **التوكيد**: تابع يقصد به كون المتبوع باقيًا على ظاهره، ويقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول، ويزيل عن متبوعه ما لا يراد من احتمالات معنوية.
- **الجزآن المتعلقان ببعضهما**: جزآن وعنصران مرتبطان ببعضهما بأنواع مختلفة من الروابط والعلائق؛ أخفّ من ارتباط الركنين المتلازمين؛ كجُزأي الاستثناء، وجُزأي المتعلقات، وجُزأي الاستفهام وجوابه، وجُزأي جملة التعليل. ويحتاجُ ذلك الجزآن المتعلقان ببعضهما – إذا كانا في آيتين طويلتين أو أكثر، أو فُصل بينهما بفاصل طويل – إلى نغمتي (الانتظار والإتمام).
- **الجملة التفسيرية**: الجملة الكاشفة لحقيقة ما تليه مما يفتقر إلى ذلك، فتزيل الغموض والإشكال عن مضمون الجملة السابقة.
- **الجملة التقريرية** – في هذه الموسوعة –: الجملة الخبرية المثبتة (غير المنفية) التي تحتمل الصدق والكذب أو التصديق والتكذيب لذاتها. وفي هذه الموسوعة فُصلت بعض الجمل عنها لأهميتها وتأثيرها على المعنى، مثل: جملة الاستثناء المثبتة، وجملة التعليل، وجملة القصر في بعض أحوالها، وجملة الاختصاص، ودرست في أقسام مستقلة.
- **الجملة المعترضة**: جملة تعترض بين كلامين، وتفيد زيادة في معنى غرض المتكلم، إما تقوية، أو تسديداً، أو تحسينـًا.
- **الجملة المعلقة**: الجملة التي إذا نُطق الجزء الأول ووُقف على نهايته أصبح الكلام معلقـًا، فهي تحتاج إلى نغمة الانتظار ليشعر المستمع بأن إتمام الكلام سيأتي في الجزء الثاني من الجملة؛ كما في أسلوبي: الشرط والقسم، إذا جاء الركنان في آيتين طويلتين أو أكثر، أو كانا مفصولين بفاصل طويل. وتغني نغمة الانتظار في بعض مواضع أسلوب الإتمام عن إعادة قراءة كلام سابق ليظهر المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك.
- **جواب الاستفهام**: جملة تأتي بعد الاستفهام، ويمكن أن تكون جوابًا له، أو جزءاً من الجواب له، حقيقة أو مجازاً.
- **جواب الطلب**: نوع من التعليل لحدوث الطلب، واستحق الجزم؛ لأن تعلقه بالطلب كتعلق جواب الشرط بالشرط، فحملوه عليه. ويأتي بعد أنواع الطلب، ومنها: (الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والترجي، والدعاء، والعرض والتحضيض)، وكثيراً ما يأتي فعلاً مضارعـًا مجزومـًا أو منصوبـًا، وقد يأتي مرفوعـًا أو جملة اسمية تبعـًا لحاجة ذكر الطلب إلى تعليل مقنع.

- **الجَوَاب**: رجع الكلام، وهو صفة من صفات الحروف التي يجيب المتكلّم بها، وتسمّى حروف الجواب، ويكون رَدًّا على سؤالٍ، أَو دعاءٍ، أَو دَعْوَى، أَو رسالةٍ، أَو اعتراضٍ، ونحو ذلك.
- **الحدر**: أن يقرأ القارئ قراءة سهلة سريعة خفيفة من غير أن يخل بأحكام التجويد وقواعد الرواية.
- **خط النبر والتنغيم**: مجموع النبرات والنغمات المتتابعة المختلفة من بداية الجملة إلى نهايتها، وتختم بوقف تنغيمي. أو هو: مجموع النبرات والنغمات المتتابعة التي تتكون - على الأقل - من نبرات على الكلمات المهمة في الجملة، ونغمة تواكب بداية القول، ونغمة ثانية تواكب ما قبل نهاية القول، ونغمة ثالثة تواكب نهاية القول، ووقف تنغيمي.
- **الخطوط الستة للتنغيم**: ستة خطوط تنغيمية تنطلق من صعود التنغيم وهبوطه، وكونه ضيقـًا، أو متوسطـًا، أو واسعـًا. فالخطوط الستة للتنغيم: (الصاعد الضيق، الصاعد المتوسط، الصاعد الواسع، الهابط الضيق، الهابط المتوسط، الهابط الواسع).
- **الدعاء**: استدعاء العبد من ربه عَزَّوَجَلَّ العناية واستمداده إياه المعونة على سبيل التضرع من الأدنى إلى الأعلى.
- **الركنان المتلازمان (جملة الإسناد)**: أصل الجملة العربية وغيرهما متكونٌ منهما أومتعلق بهما؛ الأول: المسند (الخبر، أو الفعل)، والثاني: المسند إليه (المبتدأ، أو الفاعل)، وما يلحق بهما؛ كنواسخ الابتداء (كان وأخواتها، وإن وأخواتها، وظن وأخواتها، وغيرها)، أو يرتبط بهما؛ كالمفاعيل، أو المتعلقات.
- **الشرط**: عقد الصلة بين جملتين مستقلتين، فلما دخلت أداة الشرط أوجدت التلازم بينهما وعُلقت إحدى الجمل على الأخرى، فالشرط أداة تدخل على جملتين فتربط إحداهما بالأخرى فتصيرهما كالجملة، وتسمى الجملة الأولى فعل الشرط، والثانية جواب الشرط. ومن أدواته: (إنْ، وإذا، ومَن، وما، ومتى، ومهما، وأين، وأنَّى، وحيثما).
- **الصاعد الضيق**: خط تنغيمي من الخطوط الستة للتنغيم، وهو التنغيم الصاعد الذي يكون بين اثنين يحاولان أن لا يسمعهما ثالث، ويستعمل في الهمس، والتشاور، والعبارات اليائسة والحزينة.
- **الصاعد المتوسط**: خط تنغيمي من الخطوط الستة للتنغيم، وهو التنغيم الصاعد المتوسط الذي يكون أقل طلبـًا للهواء وأقل في علو الصوت، ويستعمل للمحادثات العادية.
- **الصاعد الواسع**: خط تنغيمي من الخطوط الستة للتنغيم، وهو التنغيم الصاعد الواسع الذي يكون نتيجة إثارة أقوى للأوتار الصوتية فيعلو الصوت، ويستعمل في التدريس، والخطابة، والصياح الغاضب.
- **العرض والتحضيض**. العرض: أن تعرض الأمر على المستمع لينظر في المعروض عليه ويفعله. والتحضيض: المبالغة في الحث على الشيء والحض على فعله. والجامع بينهما التنبيه على الفعل، إلا أن التحضيض فيه زيادة تأكيد وحث على الفعل. ومن أدواتهما: (أَلَا، وأَمَا، وأَلَّا، وهَلَّا، ولَوْلَا ولَوْمَا).
- **علم الأصوات**: علم يبحث في نطق الأصوات اللغوية، وانتقالها، وإدراكها.
- **علم البلاغة**: علم مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

- **علم التجويد**: علم يبحث في تحسين تلاوة القرآن الكريم من جهة مخارج الحروف، وصفاتها، وترتيلها، بإعطائها حقها من الوصل، والوقف، والمدّ، والقصر، والروم، والإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإمالة، والتحقيق، والتفخيم، والتشديد، والتخفيف، والقلب، والتسهيل.
- **علم القراءات**: علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله.
- **علم النبر والتنغيم في القرآن الكريم**: علم يبحث في إعطاء مفاصل الجملة في القرآن الكريم حقها من النبر والتنغيم ووقف التنغيم منطلقًا من علوم النحو، والبلاغة، والتجويد، وما فيها من قواعد ومبادئ لتحديد المعنى.
- **علم الوقف والابتداء**: علم يعرف به كيفية أداء القرآن الكريم من حيث مراعاة المواضع الصحيحة للوقوف والإكمال وما يترتب على ذلك من معاني الآيات القرآنية. وإذا كان هذا العلم يحدد مواضع الوقف وحكمه بالإجابة على سؤال: أين يكون الوقف؟ وما حكمه؟ فإن الموسوعة تجيب على سؤال: كيف يُوقف؟ هل بنغمة صاعدة أو مستوية أو هابطة، ولماذا؟
- **القراءة التدبرية**: نوع من القراءة يساعد القارئ والمستمع على تدبر الآيات. ويمكن تحقيقها بتطبيق عدد من الطرق والأساليب في التلاوة، مثل تطبيق القراءة النبرية التي تهتم بنبر مفاصل الجملة وإعطائها حقها من النبر والتنغيم ووقف التنغيم، وتصور المشهد في الآية واستشعاره ومعايشته ذهنيًا، وغير ذلك من الأساليب.
- **القراءة النبرية**: القراءة التي تعطي مفاصل الجملة حقها من النبر لإظهار المعنى سواء أكان ذلك بتطبيق نبر الجملة الثابت أم المتحرك، وتعد من وسائل القراءة التدبرية.
- **القسم**: يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئًا يخبر عنه من إيجاب أو جحد، ويتكون من جملتين؛ جملة القسم، وجملة جواب القسم، ومن أدواته الأفعال: (أقسم، وأحلف)، أو حروف: (الباء، أو التاء، أو الواو)، وتدخل (الواو) على لفظ الجلالة (الله) غالبًا.
- **القصر**: تخصيص شيء أو قصر شيء على شيء بطريق مخصوص، وله طرفان، هما: المقصور والمقصور عليه. ومن طرقه: النفي والاستثناء، واستعمال (إنما)، وتقديم ما حقه التأخير.
- **اللحن**: إخلال القارئ بالتجويد إخلالاً يغير المعنى، وهو نوعان: لحن جليٌّ، ويراد به: الخطأ الذي يخل بالمعنى، ولحن خفيٌّ لا يقف عليه إلا حذاق القراء، ويراد به: الخطأ الذي يخلُّ بالألفاظ دون معانيها، ومنه: عدم التفريق في التنغيم بين الخبر والاستفهام، أوالنفي والإثبات، وترك الإدغام، والإظهار، والقلب، وما إلى ذلك من أحكام التجويد.
- **مجموعة الشِّدَّة والقوة وإثارة الانفعال**: مجموعة منسجمة من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام، وتستحق بها جملته التي تحمل هذا المعنى نغمة صاعدة في آخرها، ومن تلك المعاني: الإنكار، والتعجب، والتبكيت، والتقريع، والتوبيخ، والتجهيل، والتهكم، والتهديد، والأمر، والنهي، والتيئيس، والاستبطاء، والإلزام، والإفحام، والتسفيه، والوعيد، والاستحالة، والسخرية، والاستهزاء.




- **مجموعة الهدوء واللين**: مجموعة منسجمة من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام، وتستحق بها جملته التي تحمل هذا المعنى نغمة مستوية في آخرها، ومن تلك المعاني: التقرير، والتوجيه، والإرشاد (الاسترشاد)، والتمني، والنفي، والترغيب، والدعاء، والخشية، والاستعطاف، والتفهيم، والعتاب، واللوم، والتفظيع، والتحقير، والاستدراج، والاختبار، والتذكير، والتنبيه، والتأكيد، والإخبار، والإيناس، والتسهيل، والتخفيف، والتكثير، والعرض، والحث، والتحضيض، والتشويق، والتحذير، والاستغراب، والاستبعاد، والامتنان، والتعظيم، والتفخيم، والتهويل والاستعظام، والتلهف، والتقصي، والاستقباح، والتأنيب، وإظهار التردد، واستحضار الصورة.
- **المدح والذم**: أسلوبان لهما أفعال مستعملة لإنشاء المدح والذم، فالكلام إنشائي وليس خبريًا، ومن أشهر أفعال المدح والذم: (نِعْم وبِئْس، وساء، وحبذا، ولا حبذا).
- **المستوى الضيق**: من مستويات التنغيم، وهو ما كان بين اثنين يحاولان أن لا يسمعهما ثالث، ويستعمل في الهمس، والتشاور، والعبارات اليائسة والحزينة.
- **المستوى المتوسط**: من مستويات التنغيم، وهو ما كان أقل طلبًا للهواء، وأقل في علو الصوت، ويستعمل للمحادثات العادية.
- **المستوى الواسع**: من مستويات التنغيم، وهو ما كان نتيجة إثارة أقوى للأوتار الصوتية فيعلو الصوت، ويستعمل في التدريس، والخطابة، والصياح الغاضب.
- **مستويات التنغيم**: ثلاثة مستويات من حيث سعة التنغيم وتوسطه وضيقه؛ المستوى الواسع، والمستوى المتوسط، والمستوى الضيق.
- **المقطع**: تتابع كمي من الأصوات الصامتة والصائتة مؤديًا إلى إنتاج ملامح تمييزية في الدلالة.
- **موسوعة النبر والتنغيم في الأداء القرآني للأساليب اللغوية (تنغيم)**: موسوعة تبحث في النبر والتنغيم الذي يساعد قارئ القرآن الكريم ليعطي مفاصل الجملة في القرآن الكريم حقها من النبر والتنغيم ووقف التنغيم، منطلقة من علوم النحو، والبلاغة، والتجويد وما فيها من قواعد ومبادئ لتحديد المعنى. وقد صدرت عام ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م في ثمانية أجزاء، ومؤلفها هو أ.د. عبدالله بن محمد المفلح، الباحث في الاتصال والتأثير، ومن كتبه: (التفكير واللغة والتفاعل النفسي)، و(من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب، رؤية في توظيف اللغة أداة للتغيير والتطوير).
- **النبر**: تمييز مقطع أو حرف أو كلمة بضغطة تخصصها، فتزيد وضوحًا في السمع.
- **النبر التقابلي (نبر النفي والإثبات)**: أحد أنواع النبر باعتبار القوة والضعف وموقعه من الجملة، وهو نبر رئيسي تأخذه أية كلمة في الجملة من أجل نفي معنى أو توكيده، وتلك الكلمة أو الجزء هو ما يراد تأكيده وإيصاله للمستمع لأهميته؛ كالنبر في قولك: (هل سافر أخوك أمس)، فكل كلمة تنبر تدل على نوع المعلومة المسؤول عنها. ويتقاطع مع نبر الجملة.

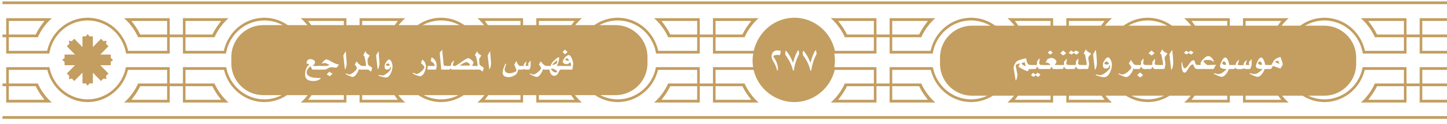
- **النبر الثانوي**: أحد أنواع النبر باعتبار موقعه من الكلمة وهو الذي يقع في الكلمات المتكونة من مقطعين فأكثر، فالمقطع المنبور نبراً ثانوياً يمكن أن يوجد في السياق الأصواتي على فترات من النبر الرئيس (الأولي)، ويكون في الكَلمة أضيق منه في الجملة أو المجموعة الكلامية.
- **نبر الجملة الثابت**: نبر الأركان الأساسية للجملة، وسمي ثابتًا؛ لأنه يقع على كلمات محددة في الجملة ذات المكانة الثابتة فيها، ولا يعني بذلك أنه نبر ملزم. وهو نبر يقع على المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، وأركان الجملة الخاصة بالأسلوب نفسه؛ كأدوات الأساليب.
- **نبر الجملة الخفيف**: تمييز كلمة من كلمات الجملة بضغطة تخصصها أخف من ضغطة النبر الرئيس، فتزيد وضوحـًا في السمع. وإذا وُجد في الكلمة التي حقها النبر الخفيف مظاهرُ صوتية (حروف وحركات) منبورة بطبيعتها (كالهمزة، والشدة، والمد) فإن تلك المظاهر الصوتية تغني عن النبر الخفيف المستقصد وتقوم مقامه، وسيشار إليه في الدراسة التطبيقية في مواضعه من خط النبر والتنغيم لكل أسلوب.
- **نبر الجملة الرئيس**: تمييز كلمة من كلمات الجملة بضغطة تخصصها لتكون أبرز من غيرها من كلمات الجملة، فتزيد وضوحـًا في السمع، وقد يكون هذا النبر ثابتـًا - كما في نبر أدوات الاستفهام - أو متحركـًا يحكمه تفاعل القارئ مع معاني الآيات. وهذا النوع من النبر هو الذي يحسن بالقارئ التركيز عليه والنطق به قصداً في هذه الموسوعة، وسيشار إليه في الدراسة التطبيقية في مواضعه من خط النبر والتنغيم لكل أسلوب.
- **نبر الجملة المتحرك**: نبر كلمة أو أكثر ليست مكونـًا أساسيـًا في الجملة يختارها القارئ حسب المعنى الذي يريد التركيز عليه. ومن ذلك: نبر المفاعيل، والمعطوفات، والنعوت، والظروف، والمجرورات، والأحوال، والتوكيد، والتمييز، وغيرها.
- **نبر الجملة**: أحد أنواع النبر باعتبار القوة والضعف، وهو أربعة أنواع؛ نوعان بحسب الثبات والحركة، هما: (الثابت والمتحرك)، ونوعان بحسب القوة والأهمية، هما: (الرئيس والخفيف). ويقع على إحدى كلمات الجملة، ومفهومه: تمييز كلمة من كلمات الجملة بضغطة تخصصها لتكون أبرز من غيرها من كلمات الجملة، فتزيد وضوحـًا في السمع، وفائدته التنبيه على مفاصل الجملة وتأكيد معناها ليصل المعنى واضحـًا ومؤكداً. وتوحي الكلمة المنبورة (نبر جملة) في بعض المواضع بمعنيين اثنين؛ مثبتٍ ومنفيٍّ في وقت واحد عند النطق بها، يثبت أحدهما معنى، وينفي الآخر عكس ذلك المعنى في الجملة نفسها.
- **النبر الديناميكي**: أحد أنواع النبر باعتبار الوظائف السمعية (التأثير على المعنى)، وهو نبر يتطابق مع تفاعل المتحدث (أو القارئ) بموضوع الكلام الذي يتكلم به، ويتوقف على تزايد حدة المقطع المنبور تلاؤمـًا مع لحن الكلام، وهذا يعني أن الأصوات والمقاطع المنبورة تنطق بدرجة تنغيمية أقوى وأشد.
- **النبر الرئيس أو (الأوليّ)**: أحد أنواع النبر باعتبار موقعه من الكلمة، وهو الذي يقع على المقطع الأخير في الكلمة، مثل: (اسْتَقَال)، أو على المقطع ما قبل الأخير في الكلمة، مثل: (علْم، اكْتب)، أو على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير، مثل: (عَلَّمَكْ).

- **النبر الزمني أو الإيقاعي**: أحد أنواع النبر باعتبار الوظائف السمعية (التأثير على المعنى)، وهو نبر يتوقف على ظاهرتين اثنتين: على التأرجح بين المقاطع والكلمات الطويلة والقصيرة، وعلى طول الوقفات بين الكلمات، وفي حالات كثيرة يتفق ذلك كله مع إيقاع الكلام، كإطالة المؤكد مثلاً، ويتم ذلك – في قراءة الشعر – من خلال التوزيع الفني للوزن، أوالجانب التشريحي المتمثل في حركات النطق، والحجرات الصوتية، وأسلوب النطق المستخدم.
- **نبر الشِّدَّة**: أحد أنواع النبر في الكلمة، وهو ضغط شديد يستلزم علواً سمعيًا نسبيًا لمقطع معين أكثر من غيره من مقاطع الكلمة، فتكون دفعة الزفير في أحد المقاطع أقوى من الآخر، ويسمى نبر التمكين، أي: تمكين النطق بأصوات المقطع وتحقيقها فوق بقية المقاطع الأخرى في الكلمة. ويتغير موضعه من الكلمة حسب الاشتقاق، فالكلمات الآتية: (درس، دراسة، دارسون) يختلف موضع النبر بينها، وهذا النوع من النبر – عند بعض اللغويين – هو المقصود إذا أطلقت كلمة النبر دون قيود، وهو الذي قسمه بعض علماء الأصوات إلى نبر رئيس (أوليّ)، وثانوي، وضعيف.
- **النبر الضعيف**: أحد أنواع النبر باعتبار موقعه من الكلمة، وهو الذي يقع على مقاطع الكلمة التي لم تنبر نبراً رئيسًا (أوليّا) ولا ثانويًا.
- **نبر الطول**: أحد أنواع النبر في الكلمة، وهو طول التلفظ النسبي بالصوت ليكون أطول زمنًا في النطق لغرض معين. فالمقصود تطويل الصوت وليس طوله. ويسمى: نبر الزمن، والنبر الزمني، والنبر المدي، والنبر الطولي. والمقصود به الطول المكتسب – وليس الطول الأصلي الذي لا يعدّ من النبر، كما في كلمة (قال) – للدلالة على مطابقة أداء الكلام للسياق والرغبة في التعبير عن أمر ما. ويستعمل هذا الطول وسيلة من وسائل التوكيد، أو إظهار الانفعال، والاندهاش.
- **النبر اللحني**: أحد أنواع النبر باعتبار الوظائف السمعية (التأثير على المعنى)، وهو نبر متطابق مع سياق الكلام والأسلوب اللغوي، وتتوقف خاصيته اللحنية على درجة النغمة، وذلك عائد إلى الذبذبات التنغيمية في نطق الوحدات الصوتية والمقاطع والبنى في الجمل، وعليه، فإنه – بصفته نبراً صوتيًا – يميز أنواع الصور النطقية للأساليب اللغوية، ويتم ذلك بالمقارنة بين النغمة الختامية المتجهة إلى أسفل في الجمل التقريرية مع النغمة الصوتية المرتفعة إلى أعلى في الجمل الاستفهامية التي تحمل معنى الإنكار مثلاً، وهو بهذا المفهوم داخل في تنغيم الكلام، وليس جزءاً من النبر.
- **النبر في الكلمة**: أحد أنواع النبر باعتبار القوة والضعف وتحديد موقعه من الكلمة، وهو نبر رئيس يقع على أحد مقاطع الكلمة المفردة، مثل: (صائمون)، ويقال عنه: نبر صرفي، أي: نبر صيغة، وهو قسمان: نبر الشِّدَّة، ونبر الطول. ويدخل في الصوامت والصوائت.
- **نبرة الخفض**: أحد أنواع النبر باعتبار الصعود والهبوط (الرفع والخفض)، وهي نبرة منخفضة تستعمل في الآية التي تحمل فكرة مستنكرة ومرفوضة، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وتتداخل جزئيًا مع النغمة الهابطة في التنغيم.

- **نبرة الرفع**: أحد أنواع النبر باعتبار الصعود والهبوط (الرفع والخفض)، وهي نبرة رفع (نغمة صاعدة) بحيث يرتفع الصوت بها مع (ما) إذا دلت على النفي أو الجحد. وتأتي أيضاً مع ما دل على التعجب، والوعد والوعيد، ولإثبات الخبر وتأكيده، والقسم، والتعبير عن الدعاء، ونداء التفجع، وجملة فعل الشرط، وغير ذلك، وتتداخل جزئياً مع النغمة الصاعدة في التنغيم.
- **نبرة العدل أو (بين بين)**: أحد أنواع النبر باعتبار الصعود والهبوط (الرفع والخفض)، وهي نبرة متوسطة توظف في بعض حالات الاستفهام، وتعضد بالتمكين الذي يجعله علماء القراءات أحياناً دليلاً على الاستفهام، وتتداخل جزئياً مع النغمة المستوية في التنغيم.
- **النداء**: رفع الصوت بأحرف مخصوصة. وأهميته تنبيه المنادى البعيد أو الغافل للإقبال على المتحدث والإصغاء إليه. ومن أدواته: (يا، والهمزة، أيا).
- **نغمة الإتمام**: نغمة «تقريرية»، يُحتاج إليها للمحافظة على ارتباط ركني الجملة صوتياً، فهي تريح المستمع، وتبعد عنه مشاعر الانتظار التي سببتها نغمة الانتظار، وتشعره بتمام الكلام، وتخبره بتقرير المعنى وتثبيته.
- **نغمة الاستفهام الصوري**: نغمة تقريرية هابطة تبدأ من الكلمة الأولى لجملة الاستفهام الصوري، وتستمر إلى نهاية الجملة، وما يتبعها من معطوفات بعدها.
- **نغمة الانتظار**: نغمة صاعدة أو مستوية يُحتاج إليها لربط ركني الجملة المتلازمين صوتياً، يحافظُ بها القارئ على تركيز المستمع معه، ويجعله ينتظره ذهنياً ليكمل المعنى، فيبقى المستمع مشدوداً مع القارئ محافظاً على حضور ما فهم من كلام سابق في ذهنه، ومنتظراً بشوق إكمالَ ما بقي؛ ذلك لأن مواضع نغمة الانتظار - مثل آخر الركن الأول في أسلوب الإتمام أو فعل الشرط أوالقسم - تستثير سؤالاً ضمنياً في عقل المستمع بعد انتهائها، من مثل: ماذا سيحدث؟ ماذا سيؤكد؟ ما المطلوب؟ وغير ذلك مما يناسب الجملة التي وُقف عليها، ويبقى السؤال معلقاً حتى تأتي جملة الإتمام، أو جواب الشرط، أو جواب القسم وتنتهي؛ ولذلك فإن نغمة الانتظار الصاعدة أو المستوية تتناسب مع مشاعر المستمع، وتطلّعه الذي سببه السؤال الضمني. وتغني نغمة الانتظار في بعض مواضع أسلوب الإتمام عن إعادة قراءة كلام سابق لإظهار كامل المعنى، بل يمكن للقارئ مواصلة القراءة؛ لأن المستمع جاهز لذلك.
- **النغمة الصاعدة**: نغمة تتصف بالصعود في نهاية الجملة، مثل: نهاية بعض جمل الاستفهام، أو نهاية الجزء الأول من جملة الشرط والقسم مثلاً في بعض المواضع، ومعيارها أن المستمع إذا فهم منها الإنكار - إن كانت في سؤال - أو النفي أو النهي بقوة ففهمه صحيح، وإذا فهم منها انتظار تمام المعنى - في جملة الشرط والقسم مثلاً- ففهمه صحيح، وهي نغمة تثير في المستمع صدمة انفعالية، وتسبب له حيرة وتشتتاً نسبياً - قد يطول أو يقصر - وتهيئ المستمع، إما لانتظار تمام الكلام، أو جواب السؤال، أو البدء في صنع الجواب. وفائدتها إبراز معنى الجملة التي جاءت بنغمة صاعدة في آخرها بأن توصل للمستمع قوة النفي والنهي في أسلوبهما، وفي أسلوب الاستفهام توصل المعنى الذي خرج إليه الاستفهام؛ كالإنكار، والتهديد، والتهكم، والتعجب، وغيرها. (انظر: مجموعة الشِّدَّة والقوة وإثارة الانفعال). ولا علاقة للنغمة الصاعدة بعلو الصوت وانخفاضه، فإنه يمكن أن تتحقق النغمة الصاعدة في آخر جملة الاستفهام الإنكاري - مثلاً - بصوت منخفض، وليس بالضرورة أن يكون الصوت عالياً ليظهر المعنى الإنكاري.



- **النغمة المستوية**: نغمة تلزم درجة أو مستوى واحداً بين الصاعدة والهابطة، ومعيارها أن المستمع إذا فهم منها أن القارئ مستمر في القراءة ولن يتوقف ففهمه صحيح، وهي نغمة تثير في المستمع انفعالا خفيفًا، وتهيئه إما لانتظار تمام الكلام أو جواب السؤال أو البدء في صنع الجواب، وفائدتها الإشارة إلى استمرار معنى الجملة التي جاءت بنغمة مستوية في آخرها بأن توصل للمستمع - في أسلوب الاستفهام - معنى آخر خرج إليه الاستفهام؛ كالتقرير، والتنبيه، والإرشاد، والتحضيض، وغيرها. (انظر: مجموعة الهدوء واللين).
- **النغمة الهابطة**: نغمة تتصف بالهبوط في بعض أواخر الجمل في بعض الأساليب؛ كالجملة التقريرية، وجمل الإضراب، والاستدراك، والنفي، والنهي في بعض المواضع، ومعيارها أن المستمع إذا فهم منها أن القارئ سيتوقف عن القراءة نهائيًا ففهمه صحيح، وقد يكون الهبوط من أول الجملة إلى نهايتها، وقد يكون في نهايتها فقط، وفائدتها الإشارة إلى تمام معنى الجملة التي جاءت بنغمة هابطة في آخرها. ومن مواضعها: أواخر الجمل، وخاصة التقريرية، وآخر الجملة في بعض المواضع في جمل أساليب النفي، والنهي، والاستدراك، والإضراب، والتعليل، وغيرها.
- **نغمة جواب الاستفهام**: نغمة تقريرية هابطة تبدأ من الكلمة الأولى لجملة الجواب وتستمر إلى نهاية الجملة، وما يتبعها من معطوفات بعدها، وهي تشعر المستمع بتمام الكلام وتخبره بتقرير المعنى وتثبيته.
- **النفي**: سلب الحكم عن الشيء بأداة معينة. وتتكون جملة النفي من الأداة، والمنفي، والمنفي عنه. ومن أدواته: (ليس، ولن، وما، ولم، ولا، ولما)، و(كلّا) في بعض المواضع.
- **النهي**: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وأداته: (لا) الناهية.
- **الهابط الضيق**: خط تنغيمي من الخطوط الستة للتنغيم، وهو التنغيم الهابط الذي يكون بين اثنين يحاولان أن لا يسمعهما ثالث، ويستعمل في الهمس، والتشاور، والعبارات اليائسة والحزينة.
- **الهابط المتوسط**: خط تنغيمي من الخطوط الستة للتنغيم، وهو التنغيم الهابط المتوسط الذي يكون أقل طلبًا للهواء وأقل في علو الصوت، ويستعمل للمحادثات العادية.
- **الهابط الواسع**: خط تنغيمي من الخطوط الستة للتنغيم، وهو التنغيم الهابط الواسع الذي يكون نتيجة إثارة أقوى للأوتار الصوتية فيعلو الصوت، ويستعمل في التدريس، والخطابة، والصياح الغاضب.
- **الوظيفة التأثيرية**: وظيفة أساسية للتنغيم تكشف عن مقدار العواطف والانفعالات في الأساليب المتنوعة في الكلام.
- **الوظيفة التركيبية الدلالية**: وظيفة أساسية للتنغيم تتميز بها أنماط التركيب اللغوية؛ كالتقرير، والاستفهام، والتعجب، وتوضح مدى اكتمال المنطوق مبنى ومعنى.
- **وقف التنغيم**: وقف لطيف - بتنفس قصير جدّاً - يمكّنُ القارئ من القراءة التدبرية، ويساعدُ المستمع على فهم الجملة، وتدبرها، والارتواء من معناها فكريّاً وعاطفيّاً؛ لأنه يُظهر أكبر قدر ممكن من معنى الآية، ويعطي فرصة للمستمع للتعمق فيها.



فهرس المصادر والمراجع

١- أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)، صديق بن حسن القنوجي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٨.

٢- أبحاث تجويدية، د. أيمن رشدي سويد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، سوريا، ٢٠٠٦.

٣- أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، د.أحمد عبدالتواب الفيومي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

٤- إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٤.

٥- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (أبو شامة)، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

٧- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٨- الآثار الصرفية والنحوية والدلالية للأداء النطقي في القرآن الكريم، د. وليد مقبل الديب، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

٩- أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام أنموذجـًا)، د. مزاحم مطر حسين، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العراق، العددان (٣، ٤)، مج ٦، سنة ٢٠٠٧.

١٠- الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير، غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

١١- الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق عبدالمهيمن طحان، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم البستي، ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي، تحقيق وتخريج شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

١٣- أخلاق أهل القرآن، محمد بن الحسين الآجُرّي، تحقيق أحمد بن العربي، شبكة الألوكة.

١٤- الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، د. حمدان رضوان أبوعاصي، مجلة الجامعة الإسلامية في غزة بفلسطين، مجلد: ١٧، العدد: (٢).

١٥- الآداب الشرعية، عبدالله بن محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعمر القيّام، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٦- أدوات الاستفهام؛ دراسة إحصائية مقارنة، عبدالرحمن توفيق العماني، رسالة ماجستير مخطوطة، بإشراف د. محمود عبدالله جفال الحديد، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨.

١٧- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق د. رجب عثمان محمد، ود. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

١٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود) أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩- الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد الهروي، تحقيق عبدالمعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٠- أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شريف البلخي، رسالة دكتوراه مخطوطة، بإشراف الأستاذ الدكتور محمود عبدالسلام، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان، ٢٠٠٦.

٢١- أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن الكريم، إنجا إبراهيم يحيى اليماني، رسالة ماجستير، إشراف: د. محمد المختار محمد المهدي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، ١٩٩٠.

٢٢- الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور للبقاعي، عقيد خالد حمودي العزاوي، متطلب لدرجة الدكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

٢٣- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د. صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

٢٤- الاستفهام في سورة مريم، دراسة دلالية، نورس حسين راهي، (رسالة مخطوطة)، كلية الآداب، جامعة القادسية، العراق.

٢٥- أسرار النداء في آيات الدعاء، د. صالح بن عبدالله الشثري، مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس، ع ١٣، ج١، ٢٠١٢.

٢٦- أسلوب التعليل في اللغة العربية، أحمد خضير عباس، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧- أسلوب القسم في القرآن الكريم: دراسة نحوية وصفية تحليلية، عبدالرحمن مضوي الهادي، رسالة دكتوراه، إشراف: د. بابكر النور زين العابدين، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان، كلية الدراسات العليا، دائرة اللغة العربية، شعبة النحو والصرف، ٢٠١٧.

٢٨- أسلوب القسم في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، علي بن محمد الحارثي، ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٤١هـ.

٢٩- أسلوب النهي في القرآن الكريم: دراسة في التركيب والدلالة، محمد أحمد الأشقر، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د. محمود حسني مغالسة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٧.

٣٠- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عزالدين بن عبدالسلام، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، مطابع دار الفكر بدمشق.

٣١- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٢- أصوات اللغة، دكتور عبدالرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨.

٣٣- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

٣٤- الأصوات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٤.

٣٥- الأصوات اللغوية، د. محمد الخولي، مكتبة الخريجي، الرياض، ١٩٨٧.

٣٦- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج النحوي البغدادي، تحقيق د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦.

٣٧- الإضاءة في بيان أصول القراءة، علي محمد الضباع، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٨- أطلس أصوات اللغة العربية، د. وفاء محمد البيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

٣٩- إعجاز القسم في القرآن، د. حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

٤٠- الإعجاز في القرآن الكريم؛ الصوتي البياني التشريعي، د. عبدالله أبو السعود بدر، ود . محمد سرحان، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤.

٤١- إعراب القراءات السبع وعللها، أبو عبدالله الحسين بن خالويه، تحقيق د.عبدالرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢.

٤٢- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة، ودار ابن كثير للطباعة، بيروت، ودار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.

٤٣- إعراب القرآن، المنسوب لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦.

٤٤- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥.

٤٥- الإعراب عن قواعد الإعراب، ابن هشام الأنصاري، د. علي فودة نيل، جامعة الرياض.

٤٦- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

٤٧- أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي الحسني العلوي، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

٤٨- الأمر ومعانيه في القرآن الكريم: دراسة دلالية نحوية، د. محمد بشير، مجلة الإيضاح، مج٢٩، ع ٢، ٢٠١٤.

٤٩- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق د. سهيل ركاز، دار الفكر، بيروت.

٥٠- الأنماط التنغيمية في اللسان العربي في علوم اللغة، د. رضوان القضماني، العدد (١)، الجزء ١٣، ٢٠٠١.




٥١- أنوار التنزيل، وأسرار التأويل، (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي، تحقيق محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

٥٢- أهدى سبيل إلى علمي الخليل؛ العروض والقافية، محمود مصطفى، تحقيق سعيد اللحام، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦.

٥٣- أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد، د. غانم قدوري الحمد، مركز تفسير، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ.

٥٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصاري، ومعه كتاب: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

٥٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين ابن هشام، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

٥٦- الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، الطبعة الأولى، ١٩٦٩.

٥٧- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١.

٥٨- الإيضاح في شرح المفصل، أبو عمرو عثمان (ابن الحاجب)، تحقيق د.موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية.

٥٩- الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

٦٠- الإيضاح في القراءات لأحمد بن أبي عمر الأندرابي، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه (مخطوط) قدمتها: منى عدنان غني، جامعة تكريت، بإشراف الأُستاذ الدكتور غانم قدُّوري الحمد، ١٤٢٣هـ.

٦١- البداية والنهاية، الحافظ بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٣هـ.

٦٢- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبدالفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٦٣- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤.

٦٤- بستان العارفين (طبع مع كتاب: تنبيه الغافلين)، أبوالليث نصر بن محمد السمرقندي الفقيه الحنفي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ. https://ketabonline.com/ar/books/20750/read?part=1&page=20&index=95504

٦٥- البسيط في شرح جمل الزجاجي، ابن أبي الربيع القرشي السبتي، تحقيق د. عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

٦٦- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٠هـ.



٦٧- البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة.

٦٨- البلاغة فنونها وأفنانها: علم المعاني، د. فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية عشرة، ٢٠٠٩.

٦٩- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣.

٧٠- بنية التشكيل الصوتي لأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، تارا فائز سعيد، ماجستير، جامعة صلاح الدين، أربيل، ٢٠٠٦.

٧١- البنية المقطعية في اللغة العربية، د. عصام أبو سليم، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ذو القعدة ١٤٠٧هـ، ربيع الثاني ١٤٠٨هـ، السنة ١١، العدد (٣٣).

٧٢- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٧٣- البيان في غريب إعراب القرآن الكريم، أبو البركات بن الأنباري، تحقيق د. طه عبدالحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.

٧٤- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ.

٧٥- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد المرتضى الزبيدي، تحقيق عبدالستار فراج، مطبعة حكومة الكويت، سلسلة التراث العربي، ١٣٨٥هـ.

٧٦- تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

٧٧- التبصرة والتذكرة، أبو محمد عبدالله بن علي بن إسحاق الصيمري، تحقيق د. فتحي أحمد مصطفى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.

٧٨- التبيان في آداب حملة القرآن، يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبده الكوشك، دار الإحسان، دمشق، ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى.

٧٩- التجويد المصور، د.أيمن رشدي سويد، الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ.

٨٠- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د.غانم قدوري، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

٨١- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

٨٢- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

٨٣- الترجي في آي من الذكر الحكيم دراسة بلاغية، أ.د. إبراهيم الهدهد، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد (١٥)، ١٤١٧هـ.

٨٤- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الأندلسي، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

٨٥- التشكيل الصوتي في اللغة العربية، دكتور سلمان العاني، ترجمة د. ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٨٦- التصريح بمضمون التوضيح، خالد بن عبدالله الأزهري، تحقيق د.عبدالفتاح بحيري إبراهيم، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٨٧- التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣.

٨٨- التعليل في القرآن الكريم: دراسة نحوية، سعيد بن محمد القرني، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د. مصطفى إبراهيم علي عبدالله، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا العربية، فرع اللغة والنحو، ١٤٢٠هـ.

٨٩- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٠- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٩١- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق د. عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

٩٢- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، دكتور عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ.

٩٣- تفسير القرأن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩٨هـ.

٩٤- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل، جارالله محمود الزمخشري، تعليق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.

٩٥- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض وفتحي عبدالرحمن أحمد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

٩٦- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، عبدالله بن أحمد النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٩٧- تفسير غريب القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.




٩٨- التفصيل في إعراب آيات التنزيل، د.عبداللطيف الخطيب، د. سعد مصلوح، رجب العلوش، مكتبة الخطيب للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.

٩٩- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

١٠٠- التفكير واللغة والتفاعل النفسي، أ.د. عبدالله بن محمد المفلح، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ٢٠١٨.

١٠١- التقسيم في القرآن الكريم: دراسة بلاغية، مشاعل أنور يوسف اللهو، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د. محمد خازر المجالي، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، قسم التفسير وعلوم القرآن، ٢٠١٣.

١٠٢- تلخيص الخطابة، أبو الوليد محمد بن رشد، تحقيق د.عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، بيروت، ١٩٥٩.

١٠٣- التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق الأستاذ عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٠٤.

١٠٤- التلقي والأداء في القراءات القرآنية، د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١.

١٠٥- تمكين المد في (آتى)، و(آمن)، و(آدم)، وشبهه، مكي بن أبي طالب، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٠٦- التمهيد في علم التجويد، شمس الدين محمد بن الجزري، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٠٧- التمهيد في معرفة التجويد، أبو العلاء الهمداني العطار، تحقيق جمال الدين محمد شرف، ومجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، ٢٠٠٥.

١٠٨- التناسب الزمني بين الحركات القصيرة والطويلة دراسة صوتية معملية في القافية العربية، د. سعد مصلوح، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤.

١٠٩- التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد (٣٦)، الجزء الثاني، عام ١٩٨٥.

١١٠- التنبيه، أدواته وأساليبه: دراسة نحوية دلالية، عبدالحميد حمودي علوان، رسالة ماجستير، إشراف: د. مهدي صالح الشمري، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٥.

١١١- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير إبراهيم العزاوي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الأدرن، ١٤٣٠هـ.

١١٢- التنغيم عند ابن جني، د. أحمد البايبي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، السنة (١١)، العدد (٤١)، أبريل ٢٠٠٣.

١١٣- التنغيم في التراث العربي، د.عليان الحازمي، مجلة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد (٢٣).

١١٤- التنغيم ودلالته في العربية، د.يوسف الجوارنة، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب في سوريا، العدد (٣٦٩)، لعام ٢٠٠٢.

١١٥- التنوعات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، دار صفاء للطباعة والنشر، الأردن، ٢٠١١.

١١٦- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار القومية العربية للطباعة، ١٩٦٤.

١١٧- توجيه اللمع لأحمد بن الحسين بن الخباز، شرح كتاب اللمع لأبي الفتح ابن جني، تحقيق أ.د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

١١٨- التوقيف على مهمة التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق عبدالحميد حمدان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١١٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبدالله التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢٠- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٢١- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثلاثون، ١٩٩٤.

١٢٢- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٢٣- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي وآخرون، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

١٢٤- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١.

١٢٥- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق الدكتور عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٢٦- الجانب الدلالي لأدوات الشرط، د. محمد حسين أبو الفتوح، مجلة دارة الملك عبدالعزيز، مج١٩، العدد (٢)، ١٩٩٣.

١٢٧- الجمل في النحو، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.

١٢٨- الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم: دراسة نحوية دلالية، محمد إدريس حسن، رسالة ماجستير، إشراف: د. إبراهيم آدم إسحق، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات النحوية واللغوية، ١٩٩٨.

١٢٩- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

١٣٠- جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي (ساجقلي زاده)، تحقيق د. سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأدرن، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.

١٣١- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة التوقيفية، القاهرة.

١٣٢- حجة القراءات، ابن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ.

١٣٣- الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، تحقيق عادل عبدالموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

١٣٤- حدائق السحر في دقائق الشعر، رشيد الدين محمد العمري (الوطواط)، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩.

١٣٥- حديث الأحرف السبعة؛ دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية، الدكتور عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٣٦- حروف الجواب واستعمالاتها في القرآن الكريم، د.علي النابي، دار الكتاب الحديث، القاهرة.

١٣٧- حروف المعاني، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

١٣٨- حق التلاوة، حسني شيخ عثمان، دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية عشرة، ١٤١٨هـ.

١٣٩- حينما يستنجد التركيب بالصواتة، د. مبارك حنون، مجلة الخطاب، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

١٤٠- الحيوان، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.

١٤١- خزانة الأدب وغاية الإرب، تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

١٤٢- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، الطبعة الثانية، ١٩٥٧.

١٤٣- الخطابة، أبو علي بن سينا، تحقيق محمد سليم سالم، وزارة المعارف، القاهرة، ١٩٥٤.

١٤٤- خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة في علم التجويد، حسن بن اسماعيل الدركزلي الحبار الموصلي، دراسة وتحقيق خلف حسين صالح الجبوري (دكتوراه) جامعة تكريت، بإشراف الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد، ٢٠٠٢.

١٤٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٤٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عبدالله التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٤٧- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د.غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

١٤٨- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، د. محمد عبدالخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.

١٤٩- دراسات نقدية في اللسانيات المعاصرة، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤.

١٥٠- دراسة السمع والكلام؛ صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٥١- دراسة الصوت اللغوي، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧.

١٥٢- دراسة تنغيم الكلام المركب باللغة العربية وتوليده آليا، عفاف الشلبي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، مج ٢٩، ٢٠١٣، (جزء من برنامج الماجستير بإشراف د. محمد نوار العوا، ود. أميمة الدكاك).

١٥٣- الدراسة فوق التشكيلية عند الفلاسفة المسلمين، أمينة طيبي، مدونة الأستاذ سعد روان:

http://saadrawan.blogspot.com/201203//blog-post_9288.html

١٥٤- الدعاء في القرآن الكريم: أساليبه ومقاصده وأسراره، بهية بنت حامد اللحياني، رسالة ماجستير، إشراف: د. يوسف عبدالله الأنصاري، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا العربية، فرع البلاغة والنقد، ٢٠٠١.

١٥٥- دلالات التراكيب: دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧.

١٥٦- الدلالة اللغوية عند العرب، عبدالكريم مجاهد، دار الضياء، الأردن.

١٥٧- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٥٨- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢.

١٥٩- دور الصرف والنحو في توجيه نبر الشعر، وليد مقبل الديب، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩.

١٦٠- ديوان العباس بن مرداس، تحقيق د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٦١- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

١٦٢- ديوان النابغة الجعدي، تحقيق د.عبدالعزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٦٤.

١٦٣- ديوان جميل بن معمر، تحقيق أمين يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

١٦٤- ديوان عمر بن ابي ربيعة، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الأندلس، بيروت.

١٦٥- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (شرح سنن النسائي)، محمد بن علي الإثيوبي الوَلَّوِي، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض.

١٦٦- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

١٦٧- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

١٦٨- روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد لمحمد بن محمود السمرقندي، تحقيق ودراسة المنهج الشارح، إبراهيم عواد إبراهيم، ماجستير، جامعة صدام، ماجستير بإشراف د. غانم قدوري الحمد، ١٩٩٩.

١٦٩- روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، محمد بن محمود السمرقندي، (مخطوط) مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مدرسة الحجّيات، الرقم ٢/ ٢٢. نقلاً عن: الدراسات الصوتية، د.غانم قدوري الحمد.

١٧٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧١- زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

١٧٢- زاد المقرئين أثناء تلاوة الكتاب المبين، جمال بن إبراهيم القرش، دار الضياء، طنطا، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٧٣- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٧٤- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

١٧٥- سر الفصاحة، أبو محمد عبدالله بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.

١٧٦- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

١٧٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ.

١٧٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٧٩- السنن الكبرى، أبو عبدالله أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبدالغفار البندري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

١٨٠- شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢.

١٨١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبدالله بن عقيل، تحقيق محي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة ٢٠، ١٤٠٠هـ.




١٨٢- شرح الأشموني على ألفية بن مالك (منهج السالك إلى ألفية بن مالك)، أبو الحسن الأشموني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٧٥هـ.

١٨٣- شرح التسهيل لابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الأندلسي، تحقيق د. عبدالرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر، الجيزة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

١٨٤- شرح الرضي على الكافية، محمّد بن الحسن الرضي الاسترآبادي، تحقيق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، ١٣٩٨هـ.

١٨٥- شرح الرضي على الكافية، محمّد بن الحسن الرضي الاسترآبادي، تحقيق يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

١٨٦- شرح العقيدة الواسطية، الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، الموقع الرسمي لمعالي الشيخ.

١٨٧- شرح الفارابي لكتاب أرسطوطاليس في العبارة، عني بنشره وقدم له ولهام كوتش اليسوعي، وستانلي مارو اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية.

١٨٨- شرح ألفية يحيى بن معطي الزواوي، عبدالعزيز بن جمعة الموصلي (القواس الموصلي)، تحقيق د.علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٨٩- شرح الكافية الشافية، جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الطائي، تحقيق د. عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.

١٩٠- شرح المفصل في صنعة الإعراب، الموسوم بالتخمير، صدر الأفاضل القاسم الخوارزمي، تحقيق د. عبدالرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠.

١٩١- شرح المفصل للزمخشري، أبو البقاء بن يعيش الموصلي، تحقيق د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩٢- شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، راجعه ونشره أبو الحسن محيي الدين الكردي، سوريا، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.

١٩٣- شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن الحاجب، تحقيق جمال عبدالعاطي أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

١٩٤- شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن بطال، ضبطه أبوتميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٩٥- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، شهاب الدين أحمد بن محمد الجزري (ابن الناظم)، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.




١٩٦- شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراء وحسن الأداء، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، دراسة وتحقيق غازي العمري.

١٩٧- شرح قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين بن هشام الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤.

١٩٨- شرح كتاب الحدود في النحو، عبدالله بن أحمد الفاكهي النحوي، تحقيق د. المتولي الدميري، ١٤٠٨هـ.

١٩٩- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبدالله المرزبان، تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٢٠٠- شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠١- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل، ابن قيم الجوزية، تحقيق الحساني حسن عبدالله، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٢٠٢- الصاحبي في فقه اللغة العر بية ومسائلها، أحمد بن فارس، تحقيق د. عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٠٣- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

٢٠٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠.

٢٠٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

٢٠٦- الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٠٧- الصوت في الدراسات النقدية والبلاغية التراثية والحديثة، عرض ونقد؛ دراسة صوتية، د. عبدالحميد زاهيد، ٢٠٠٠.

٢٠٨- الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب، د.تحسين عبدالرضا الوزان، دار دجلة، عمان، ٢٠١١.

٢٠٩- صيغة نفي القسم في القرآن الكريم دراسة تحليلية دلالية نحوية، دكتوراه، سمية محمد عناية حاج نايف، إشراف أ.د. عبدالرحمن الجبوري، كلية التربية، (ابن رشد)، جامعة بغداد، ١٤٢٥هـ.

٢١٠- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

٢١١- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٣هـ.




٢١٢- ظاهرة التنغيم في التراث العربي، هايل محمد طالب، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، السنة (٢٣)، العدد (٩١)، سبتمبر ٢٠٠٣.

٢١٣- ظاهرة التنغيم في العربية، آلاء حسين داود الشرع، ودريد عبدالجليل الشاروط، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العراق، العددان (١، ٢)، مج ٣، سنة ٢٠٠٤.

٢١٤- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

٢١٥- عقود الجمان في تجويد القرآن، برهان الدين الجعبري، تحقيق مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢١٦- علل الوقوف، أبو عبدالله محمد بن طيفور السجاوندي، تحقيق د. محمد بن عبدالله العيدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ.

٢١٧- علم الأصوات اللغوية (ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم)، د.أحمد عبدالتواب الفيومي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٩.

٢١٨- علم الأصوات في القرن العشرين نظريات القواعد ونظريات التمثيل لاستيفن ر.اندرسون، تحليل محمد سامي أنور، في مجلة عالم الفكر الكويتية، المجلد ١٨. العدد (٣).

٢١٩- علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب ودراسة د. عبدالصبور شاهين، مكتبة الشباب، جمهورية مصر العربية.

٢٢٠- علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠.

٢٢١- علم الصوتيات، د.عبدالعزيز علام ود.عبدالله ربيع، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٢٢٢- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت.

٢٢٣- علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار، الطبعة الثالثة، ٢٠١٣.

٢٢٤- علم المعاني، د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

٢٢٥- علم وظائف الأصوات اللغوية - الفونولوجيا، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

٢٢٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢٧- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق حسين محمد شرف، وعبدالسلام هارون، المطابع الأميرية، ١٤٠٤هـ.

٢٢٨- الفاضل، أبو العباس المبرد، تحقيق عبدالعزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥.

٢٢٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٣٠- فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٢٣١- فتح المجيد في حكم القراءة بالتغني والتجويد، د. سعود بن عبدالله الفنيسان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٣٢- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د.موسى لاشين، دار الشروق، ٢٠٠٢.

٢٣٣- فضائل القرآن، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أبو إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٣٤- فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبدالملك الثعالبي، تحقيق د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠.

٢٣٥- في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، د. مبارك حنون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

٢٣٦- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

٢٣٧- القراءات القرآنية؛ تاريخ وتعريف، د. عبدالهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ.

٢٣٨- القرينة الصوتية في النحو العربي؛ دراسة نظرية تطبيقية، د. عبدالله بن محمد الأنصاري، جامعة الإمام، عمادة البحث العلمي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٢٣٩- القسم في القرآن الكريم، تركيباً ودلالة، عبدالله بن علي الهتاري، ماجستير، جامعة اليرموك بالأردن، كلية الآداب، ١٩٩٩.

٢٤٠- القسم في القرآن الكريم، د. حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

٢٤١- القصر وأساليبه، نجاح أحمد الظهار، ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.

٢٤٢- القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، د. أحمد البايبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

٢٤٣- القطع والائتناف، أبو جعفر أحمد النحاس، تحقيق د.عبدالرحمن المطرودي، دار عالم الكتب الرياض، ١٤١٣هـ.

٢٤٤- قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، جلال الحنفي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٤٠٧هـ.

٢٤٥- قوانين النبر في اللغة العربية، عرضاً ونقداً وتأسيساً لنظرية جديدة، د. وليد الديب، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.

٢٤٦- القول السديد في بيان حكم التجويد، محمد بن علي الحسيني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٤٩هـ.

٢٤٧- الكافي في الموسيقى، أبو منصور بن زيلة، تحقيق زكريا يوسف، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤.

٢٤٨- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧.

٢٤٩- الكتاب (كتاب سيبويه)، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨.

٢٥٠- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ.

٢٥١- كتاب العين (مرتبًا على حروف المعجم)، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٥٢- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس.

٢٥٣- كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار الطلائع، القاهرة.

٢٥٤- كتاب الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق وشرح غطاس عبدالملك خشبة، مراجعة وتصدير د.محمد أحمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

٢٥٥- كتاب الوقف والابتداء، لأبي عبدالله محمد بن طيفور السجاوندي، تحقيق محسن هاشم درويش، دار المناهج، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٥٦- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٢٥٧- الكشف والبيان عن تنزيل القرآن، أبو إسحاق أحمد الثعلبي، تحقيق د.عبدالله أبو طعيمه، أشرف على إخراجه د. صلاح باعثمان وآخرون، دار التفسير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

٢٥٨- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء أيوب الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٢٥٩- كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمَّد الخَضِر بن سيد عبدالله بن أحمد الجكني الشنقيطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٦٠- اللآلئ السنية شرح المقدمة الجزرية، شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق أحمد مهدلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣.

٢٦١- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية.

٢٦٢- اللسانيات؛ المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتية، عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العالمي، إربد، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨.

٢٦٣- لطائف الإشارات لفنون القراءات، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ.




٢٦٤- اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٣٠هـ.

٢٦٥- اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، د. نادية رمضان النجار، دار الوفاء، الإسكندرية.

٢٦٦- اللغة، ج فندريس، ترجمة عبدالحميد الدواخلي، ومحمد القصا، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤.

٢٦٧- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق د. سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، عمان، ١٩٨٨.

٢٦٨- المباحث المرضية المتعلقة بـــ(من) الشرطية، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق د. مازن مبارك، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

٢٦٩- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٨.

٢٧٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، ويليه: الفلك الدائر على المثل السائر، لابن أبي الحديد، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

٢٧١- مجاز القرآن، أبوعبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٧٢- مجالس العلماء أبو القاسم عبدالرحمن الزجاجي، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٧٣- مجموع الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.

٢٧٤- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار القاسم للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٧٥- مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.

٢٧٦- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإفصاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبدالفتاح شلبي، الطبعة الثانية، ١٩٩٤.

٢٧٧- المحجة في تجويد القرآن، محمد الإبراهيمي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

٢٧٨- المحصول في النحو، أ.د. أيمن السيد الجندي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.

٢٧٩- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، المطبعة الكلية، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ.

٢٨٠- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤.

٢٨١- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي المعروف بابن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق د. ناصر السعوي، د. علي القرعاوي، د. صالح التويجري، د. خالد الغنيم، د. محمد الخضيري، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

٢٨٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (تفسير النسفي)، عبدالله بن أحمد النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٨٤- المدح والذم في القرآن الكريم، د. عوض الجهاوي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (١١)، ١٩٨١.

٢٨٥- المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢٨٦- المدخل في علم الأصوات المقارن، د. صلاح حسنين، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٦.

٢٨٧- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين أبوشامة المقدسي، تحقيق طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٢٨٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦.

٢٨٩- مصاحبات الكلام وأثرها في الدلالات القرآنية، د. إيهاب سعد شفطر، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.

٢٩٠- المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبدالقادر مرعي الخليل، منشورات جامعة مؤتة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

٢٩١- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبدالعزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

٢٩٢- المطول على التلخيص، سعد الدين التفتازاني، بوسنوي الحاج محرم.

٢٩٣- معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة خميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشروالتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ.

٢٩٤- معاني الحروف وبذيله: الإعجاز اللغوي لحروف القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي، تحقيق عرفان بن سليم الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

٢٩٥- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق د. عبدالجليل عبده شبلي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.

٢٩٦- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.

٢٩٧- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى الفراء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٢٩٨- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

٢٩٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق علي البجاوي، دارالفكر العربي.

٣٠٠- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.

٣٠١- معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨.

٣٠٢- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧.

٣٠٣- معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

٣٠٤- المعجم المفصل في النحو العربي، د. عزيزة فوال بابتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٣٠٥- المعجم المفصل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، د. إنعام فوال عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

٣٠٦- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤.

٣٠٧- معجم علم الأصوات، د. محمد علي الخولي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٣٠٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. عبداللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

٣٠٩- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك، محمد حمدالله، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٤، الطبعة الأولى.

٣١٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام، تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ.

٣١١- مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩.

٣١٢- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٣١٣- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣١٤- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧.

٣١٥- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان الداودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣١٦- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز.

٣١٧- مقامات عسى في القرآن الكريم دراسة بلاغية مقارنة، د. السيد محمد السيد سلام، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣١٨- مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.

٣١٩- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

٣٢٠- المقتصد في شرح الإيضاح، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة العراقية، ١٩٨٢.

٣٢١- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق د. محمد عبدالخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ.

٣٢٢- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق د. محمد عبدالخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٤.

٣٢٣- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، أبوعبدالله جمال الدين محمد بن سليمان المقدسي (ابن النَّقِيب) والمطبوع خطأً بعنوان: (الفوائد المُشَوِّق إلى علوم القرآن وعلم البيان) والمنسوب خطأ لابن قيِّم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، وقد حقق نسبة الكتاب لابن النقيب د. زكريا سعيد علي.

٣٢٤- المقرب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تحقيق أحمد عبدالستار الجواري وعبدالله الجبوري، الطبعة الأولى، ١٩٧٢.

٣٢٥- المقطع والكم والنبر في بنية اللسان العربي، د. عبدالكريم أسعد قحطان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٣٢٦- المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د. يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٣٢٧- من الحروف المشبهة بالأفعال (لعل وليت) بين النحويين والمفسرين: دراسة تحليلية تطبيقية، د. خديجة عبدالعزيز الصيدلاني، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد (٢٤)، ٢٠٠٥.

٣٢٨- من وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، د.أحمد كشك، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٧.

٣٢٩- منار الهدى في الوقف والابتدا، أحمد بن محمد الأشموني (ت القرن١١هـ)، تحقيق شريف أبو العلا العدوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

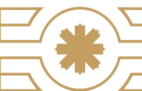
٣٣٠- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ١٩٩٠.

٣٣١- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد بن الجزري، اعتنى به علي العمران.

٣٣٢- المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، ملا علي القاري، تحقيق أسامة عطايا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة الثانية ٢٠١٢.

٣٣٣- المنصف لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبوالفتح عثمان بن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبدالله الأمين، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤.

٣٣٤- منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ.




٣٣٥- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ.

٣٣٦- منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، د. سمير شريف استيتية، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد (١٥)، يناير، ١٩٨٥.

٣٣٧- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، نوزاد حسن أحمد، جامعة قار يونس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

٣٣٨- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، أبو العباس بن يعقوب المغربي، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية.

٣٣٩- الموضح في التجويد، عبدالوهاب بن محمد القرطبي، تحقيق د. غانم قدُّوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٤٠- الموضح في وجوه القراءات وعللها، أبو عبدالله نصر بن علي الشيرازي (ابن أبي مريم)، تحقيق د. عمر حمدان الكبيسي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٤١- نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية دراسة صوتية، د. عبدالحميد زاهيد، دار وليلي للطباعة والنشر، ١٩٩٩.

٣٤٢- النبر في العربية دراسة نطقية فيزيائية، د. حسام العفوري، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ٢٠٠٦.

٣٤٣- النبر في العربية، مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن، د.خالد عبدالحليم العبسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ١٤٣٢هـ.

٣٤٤- النبر في القرآن الكريم؛ نظرية جديدة في استقامة الأداء القرآني، أ.د. وليد مقبل الديب، مطبعة دار الحكمة، القاهرة، ٢٠١٩.

٣٤٥- النبر والتنغيم في القرآن الكريم دراسة لغوية حاسوبية، د. عائشة يوسف عبدالحميد التركاوي، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٣.

٣٤٦- نجوم البيان في الوقف وماءات القرآن، محمد بن محمود السمرقندي، تحقيق محمد بن مصطفى بكري بن محمد السيد، (رسالة مخطوطة)، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٣٤٧- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع، الشيخ سيدي إبراهيم المارغيني، دار الفكر، بدون ناشر، بدون تاريخ.

٣٤٨- النحو القرآني: شواهد وقواعد، د. جميل أحمد ظفر، مكتبة لسان العرب، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨.

٣٤٩- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤.

٣٥٠- النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد المعروف بابن الجزري، تحقيق محمد علي الضباع وزكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ .

٣٥١- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥٢- النظريات النسقية في أبنية العربية، د. عبدالغفار هلال، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩.

٣٥٣- نظرية الميزان النبري للدكتور وليد مقبل الديب، دراسة تحليلية، د. أحمد زين الدين محمد أحمد، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ٢٠٢١.

٣٥٤- الهادي في معرفة المقاطع والمبادئ، أبو العلاء الهمذاني العطار، الكتاب الخامس، الباب الخامس (مخطوط)، دار الكتب، رقم (٥٨٥)، عن كتاب: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري.

٣٥٥- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبدالفتاح السيد المرصفي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية.

٣٥٦- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٣٥٧- همع الهوامع في شرح جمل الجوامع، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

٣٥٨- الوقف على كلا وبلى، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٣٥٩- وقوف القرآن وأثرها في التفسير، دراسة نظرية مع تطبيق على الوقف اللازم والمتعانق والممنوع، د. مساعد الطيار، وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٣٦٠- وقوف القرآن وماءاته وأجزاؤه وتقسيماته، محمد بن محمود السمرقندي (مخطوط)، جامعة الملك سعود، رقم (٢٥٢١)، عن كتاب: إبراز المعاني بالأداء القرآني، أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري.

٣٦١- http://saadrawan.blogspot.com/201203//blog-post_9288.html

٣٦٢- https://saleh.af.org.sa





تنغيم

وبعد:

فهذا جهدي لتحرير هذه القضية المهمة من أداء القرآن الكريم تنظيراً وتطبيقًا، وبالتأكيد سيكون فيها نقص وخلل، فهما مستوليان على أعمال البشر، ولكنني أنتظر من العلماء والمهتمين ومن القراء الكرام تسديد النقص وتطوير مجالات التطبيق، فما هذه الموسوعة إلا خطوة في طريق العناية بأداء القرآن الكريم بمراعاة معاني الأساليب اللغوية تنظيراً وتطبيقًا

أسأل الله تعالى القبول والغفران، إنه سميع مجيب

عبدالله بن محمد المفلح

الرياض

١٨ محرم ١٤٤٥هـ